مفتاح السعادة
في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقي القائني

www.haydarya.com

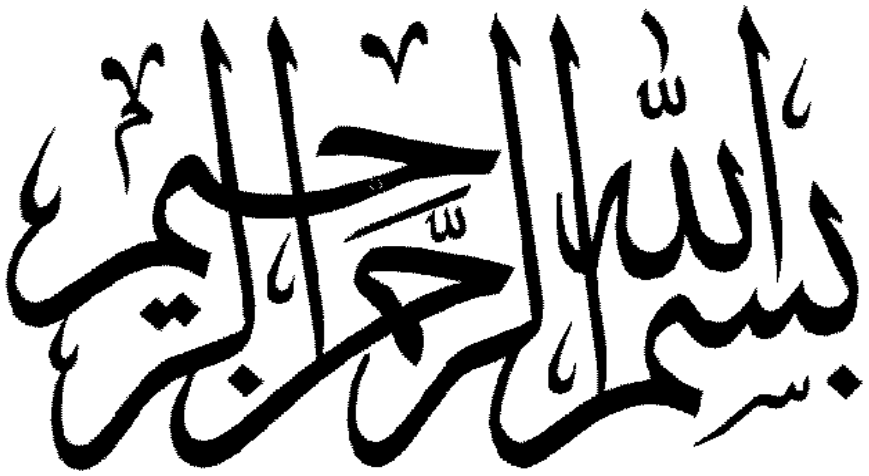
بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح السّعادة
فی
شرح نهج البلاغة

مجلد الاوّل

لِمُؤلّفه سید محمد تقی النّقوی

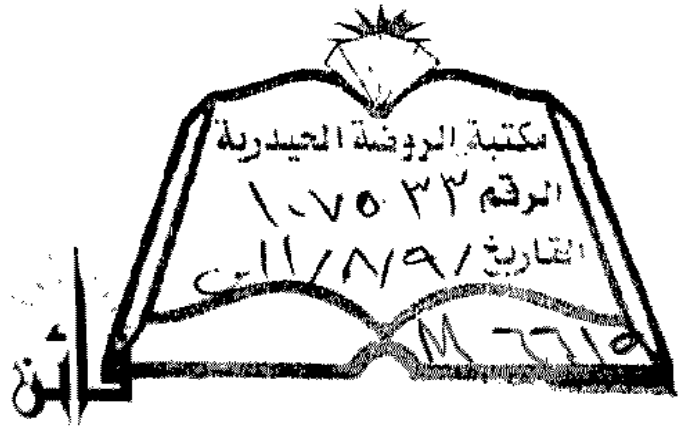

انتشارات قائن

نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی. - تهران: قائن، ۱۳۸۳.

ج.

ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).

ISBN : 964 - 94687 - 6 - 5: (ج ۱).

فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

عربی.

کتابنامه.

۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵

۱۳۸۳

کتابخانه ملی ایران ۸۳-۳۴۵۷۱م

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة - مجلد الاوّل

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی

الکمیة: ۵۰۰

الطبعة: الثّانی

تاریخ الطبع: ۱۳۸۶ ش. - ۱۴۲۸ ق.

تنسیق الصفحات: نشرقائن - ۴۴۴۹۵۹۲۷-۸۸۳۱۵۱۰۸

لیتوغرافی: نوین

المطبعة: زنبق

انتشارات : قائن

تهران: شارع جنت‌آباد، هاتف: ۴۴۲۹۵۹۲۷-۸۸۳۱۵۱۰۸

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

شابک: ۵ - ۶ - ۹۴۶۸۷ - ۹۶۴ ISBN : 964 - 94687 - 6 - 5

شابک دوره: ۷ - ۵ - ۹۴۶۸۷ - ۹۶۴ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

المعهد العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

اَلْحَمدُ للهِ الَّذي دَلَّ على ذاتِـهِ بِـذاتِـه و تَـنَزَّهَ عَـن مُـجانسة مَـخلُوقاتِه اَلْمُتجلي بِنُور جَماله عَلىَ المُلك وَ المَـلَكُوت وَ الـمحتَجب فِـي عِـزِّ جَـلاله بشَعشَة اللاّهُوت عَن سُكّان الجَبرُوتِ فَـضلاً عَـن قُـطّانِ النّـاسُوت انـارَ بشرُوقِ وَجهه كُلّ شَيءٍ فَنَفَذَ نُوره بحيث افـنىَ المُسـتَنيرو عِند كشـف سُبُحات جَلاله لم يَبق الاشارة وَ المُشير فَـطَر الخـلائق بـقُدرَته و نَشَـر الرّياح برَحمَته الّذى لَيسَ لِصفته حَدٌّ مَحدودٌ و لانَعتٌ مَـوجُودٌ خـصَّص لِلصُّعودِ الى عالَم السَماء مِن بين الكَلمات و الأسماء كلمة طيّبةً كَشَجَرةٍ طيبةٍ اَصلها ثابتٌ و فَرعُها فِى السّماء لِكونها غاية التَكّوين و الأيـجاد و ثَمرةً شَجَرة عالم الأضداد فكَرَّم هذه الكلمة بكرامة الخَلافة الرّبانيّة فقال للملائكة:

اِنّي جاعلٌ فى الارض خليفةً و شَرّفها بتَعلُّم الأسماء فقال: و عَلَّم آدَم الأسماء كلّها و جْعَلَها مسجُودةً لِملائكة تشريفاً لها و تعظيماً، فقال: وَ إذ قُلنا لِلملائكة اسجُدوا لآدم، و اطاعَ لَه المُلك و المَلَكوت انقياداً و تسليماً ثُمَّ انشَاء من هذه الكلمة كلمات تامّات مُتعاقبات كَلمةً بعد كلمةٍ و رسُولاً بعد رسُولٍ، فقال: ثُمّ ارسَلنا رُسُلنا تَترا كُلّ ما جاءَ امةً رَسُولها كـذَّبُوه الايـة مُتفاضِلةً بَعضُها على بَعضٍ فَقال تِلك الرُسُل فَضَّلنا بعضَهُم على بعضٍ وَ هكذا حتّى انتَهَت النّوبة الى كلمةٍ جامِعةٍ تَشتَمِلُ على جَوامع الكَلِم صُورة

اسمِ اللهِ الأعظَمِ و القيلِ الله الاقَوم و الرَّسول الخاتَمِ المُستَشرق بنُور عَقله الكُلّى عُقُول مَن تَأَخَّر وَ مَن تَقَدّم المُتعلّم فى مَدرَس علَّمكَ ما لَم تَكُن تَعلَم بَل هُو بنفسه الكتابُ الحَكيم المُحكَم الَّذى فيه جوامع الكلِم وَلطائف الحِكَم نُقطة الرّاسمة لِكلّ الحُروفِ المُعجَم المَختُوم به كتاب الرّسالة و المُتَّصل به دائرة الفَضل و الإجادة، نُقطة دائرة الوُجُود و نُكتَة سِرّ الله فِى كلِّ موجودٍ المقصُود بالأيجادِ اوّلاً و المَبعُوث بالتَكميل آخراً المَذكُور اسمه فى التّوراةَ و الأنجيل و المُلقَّب بحبيب الله على لسان جبرئيل بامرٍ مِن رَبّ الجَليل مُحمّدٍ سيّد الخلائق اجمَعين و شافِعُ الأُممَ عند الخالق يَوم الدّين صَلّى الله عليه و آله المُقدّسين المُطهّرين بنصّ القرآنِ الكَريم مصادر بيُوتِ الوَحيِ و التنزيل و خَزَنة اسرار القرآن و التّاويل اَنوار سماء العِصمة و الهِداية و آيات كتاب الأمامة وَالولاية، وَ لاسيّما اَبو الائمة الهادين المَهدّيين وَصىّ رَسُول ربّ العالمين الّذى كان وصيّاً و آدمُ بين الماء و الطّينِ، مَنبَع الفضائل و الكمالات و مركز دائرة العلم و المقامات الجالِس عَلى كُرسىّ سَلُونى قبلَ ان تَفقُدونى و القائل لَو كَشُف الغَطاء ما ازادَتُ يَقيناً ابوالحَسنين و مولَى الكَونَين قُطب العارفين و امامُ المُوحّدين و اميرِالمؤمنين علي ابن ابيطالب الّذى اذهَبَ الله عَنه و عَنهُمُ الرّجس و طهَّرهُم تَطهيراً.

اَمّا بَعد: فَيقُولُ العَبد الفَقير الُمحتاج الى رَبّه الغَنىّ *محمّد تَقى ابن محمّد باقر القائنى الخُراسانى*، مؤلف هذا الكتاب انّه لايخفى على النـاقِد البَصير و المُطّلع الخَبير انّ كتاب نَهج البلاغَة لايُقاس بغيره من الكُتُب الموجُودة وَ الزُّبُر المَسطُورة مِن الاوّلين و الأخرين الاّ كتاب الله تَبارك و تَعالى الّذى هُو الاصل و هذا فَرعُه او هُو البذّر، وَ هذا ثَمَرتُه، لِكَونه متضمناً مِن عجائب البلاغة و غَرائب الفصاحة و جواهرِ العَرَبيّة وَ ثَواقِب الكَلِم الدّينيّة و الدُّنيَويّة مالايُوجَد مجتَمعاً من كلامٍ و لامجموعُ الاطراف فى كتابٍ كيفَ لا و اميرالمؤمنين عليه السلام مَشرع الفصاحة وَ مَوردها وَ مَنشاءُ البلاغة وَ مَولدها و منه عليه السلام ظَهَر مكنونُها و عَنَه اُخذت قَواعدها فَهُو الّذى يكونُ

مقتدى لكلِّ قائلٍ خطيب و المُستعان لكلّ واعظٍ بَليغٍ لانّ كلامَه عَلَيه مَسحة مِن العلم الإلهى وَ عَبَقةٌ من الكلامِ النّبوى.

فَفى كلِّ لَفظٍ مِنه روضٌ مِن المُنى وَ فى كلِّ سَطرٍ مِنه عِقدٌ مِنَ الدُّرِ

و لهذه الجامّعية و الغُموضَة ترى كثيراً من الجَهابذة فى كلِّ عصرٍ و زمانٍ قد تَصدّوا لِشَرح كَلِماته و بيان مُعضلاته و استخراج حَقائقه على قدر استعدادهم فى فَهم كلامه عليه السلام و دَرك مقاصده فانّهُم قدَّس الله أسرارَهم وَ حَشَرهُم الله مَع مواليهم وَ انِ اتَعَبُوا نُفُوسَهم و اسَهَروا لَياليهِم فيما اَرادُوه و قَصَدُوه الاّ انّهُم مع ذالك لَم يأتوا بشرحٍ جامعٍ يكَشف عن وجُوهِ خَرائده الأستار و يُوضِح مافيه من مَطّويات الرّموز و الأسرار لُكونهم قَد اكتفوا بما فَهموه من ظاهر المقال من غَير إجالة الفكر لتحصيل حقيقة الحال فَمنهُم مَن تصدّى لسلوكِ طَرائقه مِن غَير دليلٍ فأَضَلّ كثيراً و ضَلَّ عن سَواء السّبيل و منهم مَن اتَعَب نَفسَه فى حملِ كلامه على مُصطلَحاتِ القَوم معَ انّهُ كانَ بَريئاً عَنهُم و عَن مُصطلحاتهم فهُو فى الحقيقة مِن حَمل الكلام على ما لايَرضى بِه صاحبُه.

وَ مِنهم مَن قَلّد مَن قَبلَه مِنَ الشّراح فى شَرح كلماته عليه السلام عند المعضلات ظنّاً منه انّه وَصَل الى المُراد و اطَنَب الكلام بما لافائدة فيه خارجاً عن المقام وَ منهم من قَنع فى شَرحه بتوضيح اللغّات و ذكرِ التواريخ و الانساب، و هكذا غيرهم مِن الشّراح الّذينَ لم يأتوا بما هُو يكشفُ عَنِ النّقاب.

ثمّ انّى كَثيراً ما يُخالج قلبى اَن اَشرَح الكتاب شرَحاً وافياً لِنكتَ مسائِله وَ عَوايدِه مُحتوياً على استخراج حقائقه و دَقائقه حاوياً على الأخبار المناسبة فى كلّ بابٍ مُتضمّناً لِلأيات القُرانيّة الّتى هى مَأخِذ المَقال لِيَرجع الكلام الى المآل وَ يَتّضح به حقيقة الحال، فانّ هذا الكتاب ثَمَرةٌ مِن شَجَرة الكتاب الالهى، و كان يَعُوقنى عَنه فَرط الملال وَ ضَيق البال مَع قلّةِ البِضاعة فِى سلوك هذا المطار الّذى هُو مَسرَح نفُوس الأولياء الأبرار و مَحّالّ اَنظار الحكماء الكبار و لنعم ماقيل فيه:

نَـهج البـلاغة نَـهجُ العِـلم و العَـمَل
فَـاسلكه يـا صـاح تَـبلُغ غـاية الأمَـل
كَم فـيه مِـن حِكَـمٍ بـالحقّ مُـحكَمةُ
تُحى القُلوب وَ مِن حُكم وَ مِن مَـثلِ
الفـــاظه دُرَرُ اَغـــنَت بِـــحُليتها
اَهل الفَضائل عَن حُـلىٍ وَ عَـن حَـلَلِ
وَ مِن معانيه انـوار الهُـدى سَـطَعَت
فانجاب عَنها ظلام الزّيـغ و الزلّـلِ
وَ كَيف لا وَ هُوَ نَـهجُ طـاب مَـنهَجه
هَـــدى اليـــه اَمـيرامـؤمنين عَـلى

«وَلآخر»:

نَـهج البـلاغة يَـهدى الّسـالكين اِلى
مَـواطـن الحَـق مـن قـولٍ وَ مِـن عَـمَلٍ
فـاسلُكُه تَـهدى اِلى دار السّـلام غـداً
وَ تَـخَطُ فـيهابما تَـرجُـوه مِـن اَمـلِ

وَ سَمّيتُ هذا الشّرح بمفتاحِ السّعادة فِى شَرح نَهج البلاغة و الَمَرجّـوُ مِـن خُلّص اِخوانـى اَن يَـعفّونى اذا عَـثروا عَـلَى الزّلاّت و يُشّـيعُونى بـصالح الدّعَوات وَ اَن يَشكُروا لى بِما عانَيتُ فى هذا التّأليف مِن الكَدِّ و العِناءِ فانّ هذا لَعَمرى موصوفٌ عزيز المَرام قليلُ الوُجود فى هذه الايّام، و جَـعَلتهُ هَديّةً الى بقية اللهِ الأعظم صاحبِ الولاية الالهية الكُبرى و الخلافة العالَميّة العُلياء الّذى يَكُون النّصر قائدُه و الرُّعب رائدهُ به يَعُود الحَقّ فى نصابِه وَ يَزُول الباطل عَن مقامه المُدخرّ لأِصلاح هذا العالم المُنَغمس بفطرته الظّلم و الفَساد و المُرتَجى الأِزالة الطاغوتية الغاشمة و العناد، سَليلُ رسُولِ الله و الحُجة على خلقه، سيفُ الله المُنتقم سَيّدى و مولاىَ حجة ابن الحسـن العسكرى سلام الله عليه و على آبائه الطاهرين.

و نقول: ايّها العَزيز مَسّنا وَ اهلنا الضُّر وَ جِئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ فأوفِ لَنا الكَيل و تَصَدّق عَلينا اِنّ الله يَجزِى المُتصَدّقين.

و من الخطبة له عليه السلام (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

▫ قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لاٰ یَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَ لاٰ یُحْصِی نَعْمَائَهُ الْعَادُّونَ، وَ لاٰ یُؤَدِّی حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِی لاٰ یُدْرِکُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَ لاٰ یَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ،الَّذِی لَیْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَ لاٰ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَ لاٰ وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَ لاٰ اَجَلٌ مَمْدُودٌ

◁ اللّغة

(**اَلْحَمْدُ**) فی اللّغة هو الثّناء بالجمیل علی قصد التّعظیم و التّبجیل للمدوح سواء فیه النّعمة و غیرها، یقال حَمَده حَمداً و مَحمَداً و مَحمِداً و مَحمَدةً و محمِدةً اثنی علیه علی امرٍ جَزّاه و هو مصدر نقیض الذّم و الالف و اللاّم فیه امّا للجنس او الأستغراق و الفرق بینهما ظاهر. و (**اَلْمَدْح**) بسکون الدّال الثناء الحَسَن و مَدَحه و امتَدَحه بمعنی واحد، و هو ایضا مصدر من باب مَدَح و هو نقیض الهجاء علی التّحقیق و لیس نقیض الذّم کما قیل. و (**الشکر**) فعل یُنبیء عن تعظیم المنعم لکونه مُنعِماً سواء کان باللّسان او بالجنان او بالأرکان و علیه قول الشّاعر:

افادَتکم النّعماءِ مِنّی ثلثةٌ یَدی وَ لِسانی و الضّمیر المُحجّبا

فالحمد و المَدح و الشکر متقاربة المعنی الاّ انّهم فرقوا بینها من جهات:

الاولی: انّ الحمد نقیض الذّم کما انّ المدح نقیض الهجاء و الشّکر نقیض الکُفران...

الثانية: انّ الحمد يكون باللّسان دُون الجَنان و الاركان، بخلاف الشّكر و المدح حيث يتحققان بكلّ واحدٍ منهما.

الثالثة: انّ الحمد يتعلّق بالجميل الاختيارى نعمةً كان او غيرها بخلاف المدح و الشكر حيث انّ الاوّل منهما يتعلّق بالجميل اختياريّاً كان او غيره و لهذا يقال مَدَحَت اللّلولؤ على صفاتها ولا يقال حمدت اللّولؤ و الثانى: يختص بالنّعمة فقط فالحمد اعمّ من جهة المتعلّقَ و اخصّ من جهة المورد، و الشكر بالعكس. (**لِلّه**) اللام للجرّ و يفيد الاختصاص، اى الحمد يختصّ بالله حقّاً اَو المعنى انّ جميع المجامِد يرجع اليه. و اللّه: عَلَمٌ على الاصحّ للّذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الكمالات. (**نَعْمٰاءَ**): بفتح النّون و سكون العين نقيض البُؤس، قال الله تعالى ﴿**وَلَئِنْ اَذَقْنٰاهُ نَعمٰاءَ بَعْدَ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُ**﴾[1]

و هو الاحسان و الاعطاء الخالص و (**الهِمَمِ**) بكسر الهاء و فتح الميم الاوّل و سكون الثانى صيغة الجمع و مفرده هِمّة و الهِمّة اوّل العَزم القوىّ كما يقال له همّةٌ عالية (**اَلْفِطَنِ**) بكسر الفاء و فتح الطّاء و سكون النون كعِنَب، جمع فِطنَة صفاء الذّهن و باقى اللغات ظاهر...

الشرح

- **قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهَ الَّذِى لاٰ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقٰائِلُونَ، ...**

اعلم: انّه عليه السلام بداء كلامه بالتسمية و التّحميد لِوُجوهٍ.

الاوّل: التَيمّنَ و التَبرك بذكر الله تعالى فى اوّل الكلام و تَأَسّياً بحديث النبى صلى الله عليه و آله كلّ امرٍ ذِى بالٍ لَم يُبدء فيه بالتّسمية او التّحميد فهو اقطَع.

الثانى: انّ شُكر المُنعم واجب عقلاً و شرعاً فهو عليه السلام اولى من غيره باتيان الواجب و العمل بالأحكام ندبا كان او واجبا و هذا اى الشكر اللّسانى هو اَحَد مظاهر الشكر لما قلنا انّه يكون بالجنان و الاركان ايضافا للّسان مُظهِرٌ عَمّا فى

---

١. هود/ ١٠.

الضّمير و لانّ اللّسان آلة للبيان الّذى قد اَصبَح و هو بالنسبة الى سائر النعم كالشّمس الى سائر الكواكب سوى نعمة الوجود كما قال الله تعالى:

﴿اَلرَّحْمٰنُ، عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ، خَلَقَ الْاِنْسٰانَ، عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ﴾[1] ـ حيث انّ الله تعالى جَعَله فى رتبة المتأخرة عن نعمة الخلقة و الوجود و هذا يدلّ على شرافة البيان الذى لايَتَحقّق فى ظرف الخارج الاّ باللّسان...

و انّما قال عليه السلام ما قال و لم يقل اَشكُره او اَمدحُه مع انّها متقاربة المعنى كما قيل لانّ الحمد من حيث المُتعلّق اَعمّ من الشّكر لانّ مُتعلّقه النّعمة و غيرها و متعلّق الشّكر هو النّعمة فقط...

و الفرق بين النّعمة و غيرها هو انّ النّعمة عبارة عن كلّ ما يَسرى الى الغير كالعلم و الأيجاد و الأنفاق و غيرها و غير النّعمة لايشترط فيها ذالك كالحيات و القُدرة و الأرادة و امثالها فالحَمد يتعلّق بجميع هذه النّعم و الشّكر لايتعلّق بالثانى منهما و حيث انّ كلّها لله تعالى اوّلا و بالذات و لغيره ثانياً و بالعَرَض فيجب على العبد الشّكر على جميعها حتى يقوم بوظائف العبودية من هذه الجَهَة...

و المَدح و ان كان كالحمد فى جميع المراتب الاّ انّه اَعمّ من ان يَصْدر عن صاحبه اختياراً او بغير اختيارٍ و الحمد لايكون الاّ بالأختيار فاذا قال امَدّحُ يمكن انْ يُظنّ انّه صَدَر منه بغيرِ اختيارٍ و لايمكن هذا فى الحمد و لاشك فى انّ الفعل اذا صَدَر اختياراً فهو اشرَفَ و اولى لتوقفه على مَعرفة المُنعِم و تصوّره النّعمة كما هو و لهذه المراتب و غيرها اختصّ الحَمد بالذّكر فى القرآن الكريم ايضا فى موارد كثيرة...

امّا وجوب شكر المُنعم عقلاً و شرعاً فلاخفاء فيه ظاهراً و لابأس بالاشارة اليه اجمالا...

فنقول: قد اطبق العقلاء على وجوبه من جهة العقل فى مقابل الأحسان فانّه

---

١. الرحمن/ ٤-١.

يحكم بديهةً بوجوب الثناء على الغير اذا احسَنَ الى غيره و من اجل ذالك لو لم يثن عليه يذمّونه و بعبارة اُخرى الثّناء و الذمّ ضِدّان لايحتجمان فى شيءٍ واحدٍ من جهةٍ واحدة ففى صورة الاحسان من الغير لايخلو الأمر من جهات:

الأولى: لزوم الثناء ـ الثّانية: لزوم الذّم ـ الثالثة: تركهما...

امّا ذمّ المُحسِن فى مقابل احسانه فهو قبيح عقلا بل خروجٌ عن طَورْ كما انّ تركهما و ان يمكن الاّ انّه ايضاً ممّا لاتستحسنه العقلاء لانّه يصير بذالك من سنخ الجمادات و كيف يعقل ذالك فى حقّ الأنسان مع انّ الحيوان فى مقابل الأحسان ليس كذالك و حيث انّ الذمّ و تركهما ليسا على ما ينبغى فيلزم الثّناء و الشكر و هو المطلوب...

و امّا شرعاً فمضافاً الى انّ المستقلاّت العقلية يحكم بها الشّرع فى ايّ موردٍ كانت و هذا هُو المتّقين من تطابق حكم العقل و الشّرع و مانحن فيه من هذا القبيل بل اسّها و اساسها فيمكن ان يستدل عليه بالآيات والاثار...

فمن الايات ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ**[1]﴾.

و ﴿**وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**[2]﴾

و قال فى نوح: ﴿**إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾[3] و فى ابراهيم: ﴿**شاكِراً لِأَنْعُمِهِ**﴾[4] و الآيات فى المقام كثيرة جدّاً لانطيل بذكرها اذ فيما ذكرناه كفاية لأولى الألباب...

و من الاثار ـ قوله ﷺ كلّ امرٍ ذِى بالٍ لَمْ يُبدَء فيه بالحَمد فهو اقطَع كما مرّ ذكره...

و قال الصادق عليه السلام دعاء لايكون قبله التّحميد فَهُو اَبتر، (و فى نسخة تحميد) انّما التّحميد ثم الدّعاء...

و ايضا قال عليه السلام شكر النّعمة اجتناب المَحارم و تمام الشّكر قول الرّجل

---

١. الابراهيم/ ٧.
٢. السبأ/ ١٣.
٣. الاسراء/ ٣.
٤. النحل/ ١٢١.

الحمد لله رب العالمين...

و روى عن علىعليه السلام انّه كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يبكى حتّى يُغشىٰ عليه فقيل له يا رسول اللهصلى الله عليه وآله اَلَيس الله قد غَفَرلك مِن ذَنبك ما تَقدَّم و ما تأخَر قالصلى الله عليه وآله بلىٰ اَفَلاكُون عَبداً شكوراً و روى هذا الحديث عن الباقرعليه السلام بطريق آخر. و المعنى واحد...

قالعليه السلام و كان رسول اللهصلى الله عليه وآله يَقُوم على اَطراف اصابعه (اصابع رجليه) فَانزَل الله سبحانه و تعالى...

﴿طه، ما اَنزَلنا عَليكَ القرآنَ لِتَشقىٰ، انتهى...﴾[1]

و قال الصادقعليه السلام شُكر كلّ نعمةٍ و ان عَظمَت ان يُحمَد الله عزّوجل.

و عن ابى الحسنعليه السلام فيما رواه الصادقعليه السلام عنه قال: فَقَد اَبى بَغَلةٌ له، فقال لئن رَدّها الله تعالى لَأحمَدنّه بمحامِد يَرضاها فما لَبِث ان اُتِىَ بها بسَرحها و لحامها فلمّا استَوىٰ عَليها وَ ضَمّ اليه ثيابه رفع رأسَه الى السّماء فقال الحمد لله وَ لم يَزد ثمّ قال ما تركْت و ما ابقَيت شيئاً جَعلتُ كُلّ انواع الَمحامِد لله عزوجلّ ما مِن حمدٍ الاّ و هُو داخلٌ فيما قُلْت انتهى...

الثالث: انّه لم يقل حمداً لله و قال الْحَمدُ للهِ مُعَرّفا بالألف و اللاّم الجِنسى او الاستغراقي لنكتةٍ و هى انّ جِنس الحمد او كلّ الحمد لله تعالى و لاحَمد لغيره واقعاً و ذالك لانّ الحَمد كما قلنا يَتعلّق بالنّعمة، لاغيرها و الموجودات الأمكانية بأسرها مخلوقة له و لاقوام لها بذاتها سواء كانت من المُجرّدات كالعُقُول و النّفوس او الفَلَكيّات كالأجسام الفلكيّة او العُنصريّات كعالم العناصر و مافيها فكلّ نعمةٍ صَدَرت من فيضه فهى له و بعبارةٍ اخرى لامؤثّر فى الوجود الاّ الله فعلى هذا كلّ من احسَن الى غيره و انعَمّ عليه فهو بتوفيقه وَ مَنّه و افاضته و عليه لاحَمدَ الاّ و هو بالحقيقة يرجع اليه تعالى و كما انّ المحامد كلّها ترجع اليه و الحمد ايضا لايكون الاّ بتوفيقه فصحّ ان يقال: هو الحامد و الَمحمُود و الشاكر و المشكور و المادح و المَمدُوح فكما انّ

---

١. طه/ ٢-١.

يحكم بديهةً بوجوب الثناء على الغير اذا احسَنَ الى غيره و من اجل ذالك لو لم يثن عليه يذمّونه و بعبارة أخرى الثّناء و الذمّ ضِدّان لايحتجمان فى شيءٍ واحدٍ من جهةٍ واحدة ففى صورة الاحسان من الغير لايخلو الأمر من جهات:

الأولى: لزوم الثناء ـ الثّانية: لزوم الذّم ـ الثالثة: تركهما...

امّا ذمّ المحسِن فى مقابل احسانه فهو قبيح عقلا بل خروجٌ عن طَورٌ كما انّ تركهما و ان يمكن الاّ انّه ايضاً ممّا لاتستحسنه العقلاء لانّه يصير بذالك من سنخ الجمادات و كيف يعقل ذالك فى حقّ الأنسان مع انّ الحيوان فى مقابل الأحسان ليس كذالك و حيث انّ الذمّ و تركهما ليسا على ما ينبغى فيلزم الثّناء و الشكر و هو المطلوب...

و امّا شرعاً فمضافاً الى انّ المستقلاّت العقلية يحكم بها الشّرع فى ايّ موردٍ كانت و هذا هُو المتّقين من تطابق حكم العقل و الشّرع و مانحن فيه من هذا القبيل بل اسّها و اساسها فيمكن ان يستدل عليه بالآيات والاثار...

فمن الايات ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

و ﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2]

و قال فى نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾[3] و فى ابراهيم: ﴿شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ﴾[4] و الآيات فى المقام كثيرة جدّاً لانطيل بذكرها اذ فيما ذكرناه كفاية لأولى الألباب...

و من الاثار ـ قوله ﷺ كلّ امرٍ ذِى بالٍ لَمْ يُبدَء فيه بالحَمد فهو اقطَع كما مرّ ذكره...

و قال الصادق عليه السلام دعاء لايكون قبله التّحميد فَهُو أبتر، (و فى نسخة تحميد) انّما التّحميد ثم الدّعاء...

و ايضا قال عليه السلام شكر النّعمة اجتناب المحارم و تمام الشّكر قول الرّجل

---

١. الابراهيم/ ٧.
٢. السبأ/ ١٣.
٣. الاسراء/ ٣.
٤. النحل/ ١٢١.

الحمد لله رب العالمين...

و روى عن علي عليه السلام انّه كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبكي حتّى يُغشى عليه فقيل له يا رسول الله صلى الله عليه و آله أليس الله قد غَفَرلك مِن ذَنبك ما تَقدَّم و ما تأخَر قال صلى الله عليه و آله بلىٰ أفَلاكُون عَبداً شكوراً و روى هذا الحديث عن الباقر عليه السلام بطريق آخر. و المعنى واحد...

قال عليه السلام و كان رسول الله صلى الله عليه و آله يَقُوم على أطراف اصابعه (اصابع رجليه) فَانزَل الله سبحانه و تعالى...

﴿طه، ما أنزَلنا عَليكَ القرآنَ لِتَشقىٰ، انتهى...﴾[1]

و قال الصادق عليه السلام شُكر كلّ نعمةٍ و ان عَظمَت ان يُحمَد الله عزّوجل.

و عن ابى الحسن عليه السلام فيما رواه الصادق عليه السلام عنه قال: فَقَد أبى بَغلةٌ له، فقال لئن رَدّها الله تعالى لأحمَدنّه بمحامِد يرضاها فما لَبِث ان أُتِيَ بها بسَرجها و لجامها فلمّا استَوىٰ عَليها وَ ضَمّ اليه ثيابه رفع رأسَه الى السّماء فقال الحمد لله وَ لم يَزد ثمّ قال ما تركْت و ما ابقَيت شيئاً جَعلتُ كُلّ انواع المَحامِد لله عزوجلّ ما مِن حمدٍ الاّ و هُو داخلٌ فيما قُلْت انتهى...

الثالث: انّه لم يقل حمداً لله و قال الْحَمدُ للهِ مُعَرّفا بالألف و اللاّم الجنسى او الاستغراقي لنكتةٍ و هى انّ جِنس الحمد او كلّ الحمد لله تعالى و لاحَمد لغيره واقعاً و ذالك لانّ الحَمد كما قلنا يَتعلّق بالنّعمة، لاغيرها و الموجودات الأمكانية بأسرها مخلوقة له و لاقوام لها بذاتها سواء كانت من المُجرّدات كالعُقُول و النّفوس او الفَلَكيّات كالأجسام الفلكيّة او العُنصريّات كعالم العناصر و مافيها فكلّ نعمةٍ صَدَرت من فيضه فهى له و بعبارةٍ اخرى لامؤثّر فى الوجود الاّ الله فعلى هذا كلّ من احسَن الى غيره و انعَمَ عليه فهو بتوفيقه وَ مَنّه و افاضته و عليه لاحَمْدَ الاّ و هو بالحقيقة يرجع اليه تعالى و كما انّ المحامد كلّها ترجع اليه و الحمد ايضا لايكون الاّ بتوفيقه فصحّ ان يقال: هو الحامد و المَحمُود و الشاكر و المشكور و المادح و المَمدُوح فكما انّ

---

١. طه/ ٢-١.

المَمدُوح له فكذا الحامد و المادح و الشاكر له ـ و لنِعم ما قيل...

لَقَد كنتَ دَهراً قبل انْ يكشف الغَطا أُخـــالك انّـــى ذاكـــرُ لَكَ شـــاكـــرُ

فـلمّا اضـــاءَ الّـيل اَصبَحتُ شـاهداً بـــــانّكَ مَـــذكورُ وَ ذِكـــرُ و ذاكـــرُ

و فى هذا سِرٌّ عظيم و هو ارجاع الخلق اليه و التَّوجّه الى جنابه و اليأس عمّا سواه اذ غيره كائناً ما كان مفتقر اليه بل الوجودات الامكانية على التحقّيق نفس التَعلّق و صِرف الرّبط لااشياء لها التّعلّقَ و الرّبَط كيف و قد قال سيّد الرسل:

الفَقرُ فَخَريِ و قال ايضا الفقر سَواد الوجه فى الدّارين.

اَرمّـــه الأمـور طُـرّاً بـيَدَه وَ الكُلّ مُستَمِّدةٌ مِن مَدَده

فاذا قال العبد الحمد لله ينبغى له التّوجه الى انّه مُستَهلك ذاتاً فى ذاتـه و صفةٌ فى صفاته و لذالك ابتدءِ هو تعالى كتابه بعد التّسمية بكلمة الحمد و قال: الحمد لله ربّ العالمين و افترض على عبادة فى كلّ يوم و ليلة التَلْفّظ به فى الأوقات الخمسة و قيل لاصلوة الاّ بفاتحة الكتاب و تفصيله موكول الى محله انشاءاللّه تعالى.

و ليعُلَم انّ العبد لايقدر على اداء شكره تعالى كما هو اهله لِأنّ نعمه غير متناهية و لايمكن استيفائها فاذا لم يمكن للعبد معرفته و معرفة نِعَمه فكلّ حَمدٍ له تعالى ليس الاّ قليل كما سياتى قريبا...

و انّما خصّ عليه السلام من اسمائه تعالى اسم (الله) بالذّكر لانّه مُستجمعٌ لجميع الصّفات الكمّاليّة مع كونه عَلَمٌ على الاصحّ للذّات الموصوف بها على ما هو المشهور...

و الحقّ فى المقام هوان يقال تَبعاً لبعض المحققين هـو لفـظ دال عـلى المَعبُود بالحق فكما تحيَّرت العقول فى ذاته و صفاته لاحتجابها بأنوار العظمة و الكبرياء تَحيَّرت فى لفظ الله ايضا فكانّما انعكست عليه اشعةٌ، بَهَرت اعين المستبصرين...

فمنهم من قال بانّه عَربّى و منهم من ذهب الى انّه سريّانى و على التقديرين

اختلفوا فی کونه اسم او صفة مُشتق او غیر مُشتق و علی الاشتقاق مِمّ اشتقاقه و ما اصله عَلَمٌ او غَیر عَلَم...

فمن قال بانّه سِریّانی ذهب الی انّ اصلهُ لاها فَعرِّبَ بحذف الالف الثانیة و ادخال الألف و اللاّم علیه...

و الحق انّه عَرَبیّ و اصله اِلآله فحذفت همزته علی غیر قیاس و یدلّ علی هذا القول وجوب الادغام و تعویض الالف و اللاّم کما قرّر فی محلّه...

وَاِلآله علی ما قیل فی الأصل اسم جنس یقَعَ علی کلّ معبُودٍ حَقاً کان، او باطلاً ثمّ غلّب علی المعبود بالحق کاالنّجم علی الثریّا و البیت علی الکعبة...

و امّا الله، بحذف الهمزه فَعَلَمٌ مختصّ بالمعبود بالحقّ لایطلق علی غیره و اشتقاقه من الالهة و الأُلوهة بمعنی المکتوب لا علی انّه صفة منهما بدلیل انّه لایوصف به حیث یقال إلَهٌ واحدٌ و لایقال شیءٌ اله کما یقال کتابٌ مرقومٌ و لایقال شیء کتاب...

و قیل مشتق من اَلَهَ بمعنی تَحَیّر لانّه تعالی تُحار فی ذاته العقول و الأفهام...

و قیل اشتقاقه مِن أَلَه الیّ فلان ای سَکَن، و ذالك لأطمینان القلوب بذکره تعالی و سکون الارواح الی معرفته و یویّد هذا المعنی فی کتابه ﴿**اَلا بِذِکرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**[1]﴾

و ذهب بعض آخر الی اشتقاقه من اَلَه بمعنی فَزَع اذا العائذ به یَفزَع الیه و هو یجیره(من اجار یجیر)...

و قال آخرون اصله لاه علی انّه مَصدر من لاه یَلیه بمعنی احتَجب و ارتفع لاحتجابه تعالی عن الأبصار و ارتفاعه عن سَطح العقول و الأفکار...

و قال جمع من المحققین هو اِسمٌ عَلَم لذات الواجب ابتلاءً و علیه مدار التّوحید فی قولنا لااله‌الاالله و غیر ذالك من الاقوال الّتی ذِکرُها یوجب الاطالة فی الکلام بما لافائدة فیه هذا تمام الکلام فی جملة الحَمْد للّه..

---

۱. الرعد / ۲۸.

□ و امّا قوله عليه السلام: **اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لاٰ یَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقٰائِلُونَ**...

فالكلام فيه تارةً يقع فى علّة الحكم و تارةً فى وجه التّعبير فى اوّل الخطبة بكلمة الحْمد و هيهنا بكلمة المدح فنقول...

امّا الكلام فى المقام الاوّل فلاشك و لاشبهة فى انّ العَبد و إن بَلَغ اَقصى مراتب العبُوديّة لايمكن له القيام بوظائفها كاملاً اذ العبُوديّة الّتى تناسب) التى تناسب المعبود لاتتصوّر إلاّ بعد معرفته كما هو حقّه و المعرفة بهذا المعنى مُمتنعة فالعُبوديّة الحقيقة مُمتنِعة...

و ان شئت قلت: العبُوديّة الحقيقيّة مُتفرّعة على المعَرفة الحقَيقيّة و كلّ ما هو مْتفرّع على حقَيقة المَعرفة لايتحقق بدونها، فالعبوُديّة لايتَحقّق بدونها.

او يقال: العبَوديّة الحقيقيّة فرع المعرفة الحقَيقيّة و معرفة الحقيقية ممتنعة، فالعبودية الحقيقية ممُتنعة، فعلى الاول يصير الشّكل شكلا ثانيا و على الثانى شكلا اوّلاً و لمّا كان الانتاج فى الشّكل الاوّل ضَروريّا بديهيّاً، فلامجال للأرتياب فيه بحسب القاعدة و مزيداً للتّوضيح نقول قد تقرّر فى الفلسفة انّ الموجودات الامكانية بأجمعها معلولة مخلوقة له تعالى و هو علتها و مُبدعها و كلّ علةٍ محيطة بالمعلول و إلاّ لمّ يكن العِلة بعلّة و اذا كانت العِلّة محيطة فيلزم ان يكون المعلول مُحاط لتضايف العلة ـ و المعلول و صورة القياس هكذا...

واجب الوجُود علّة للموجودات، و كلّ علةٍ مُحيطة بمعلولها، ينتج انّ الواجب مُحيط بمعلولاته و نجعل النّتيجة صُغرى و نقول:

الواجب محيط بمعلولاته و كلّ محيط بمعلوله لايمكن ان يكون مُحاطاً فالواجب لايمكن ان يكون مُحاطاً و ذا ثبت انّه لايكون مُحاطاً، فكيف يمكن للمعلول الأحاطة بكنه ذاته و المفروض انّ المَعرفة الحقيقيّة تتوقّف على درك حقيقته الّذى لايَتصوّر بغير الأحاطة فاذَن ثَبَت و تحقّق انّ معرفته عل وجه الكمال مُمتنعة و يؤيّد هذا الحكم العقلى ماورَدَ فى الاثار النبويّة كقوله صلى الله عليه وآله: ما عَرفَناك حقَّ معرفتك، و يدلّ على اصل الحكم ايضا قوله: لا اُحصى ثناءً عَليكَ

أنتَ كما اثنَيتَ على نفسك كما قيل بالفارسية:

بنده همان به كه ز تقصير خويش عُـــذر بـــه درگـــاه خـــدا آورد
ورنـــه ســـزاوار خـــداونـــديَش كس نـــتوانـــد كـــه بـــجا آورد

و امّا المقام الثانی

اعنی وجه عُدوله عليه السلام عن الحَمد الی المدح فمضافا الی التّكرار المُستَهجن عند البلغاء هو انّ الحمد كما مرّ يتعلق بالنعّمه فقط بخلاف المدح حيث انّ متعلقه اعمّ من ان يكون نعمة او غيرها فكانّ هناك مظَنّة سئوال و هو انّ الحمد حيث انّ مُتعلّقه النّعمة و النِّعِمَ الألهية غير متناهية لايمكن احصائها و لما كان الحمد الحقيقی مُتوقّفا علی معرفة المحَمُود و نِعَمه الغير المتناهية، لايمكن الحمد له كما هُو اهله، امّا المدح فليس فی تحقّقه كثير اشكال لانّ مُتعلَقه لايخَتّص بالنِّعمة بل يَعُمّ غيرها ايضاً و هو لنا مَيسُور اذ الصفّات الالّهية التی لايعتبر فيها التّعَدی بالغير بل مطلق النِّعَم التی لاتسری الی الغير كالقدرة و الحيات و المناظر الطَبيَّعية يمكن لنا معرفتها و يتحقق المدح واقعا...

قأجاب عليه السلام بما حاصله انّ الامر ليس كذالك فكما انّ الحمد واقعا لايمكن للبشر فكذالك المدح و كما انّ الاحاطة بالنِعَم التی تَسری الی الغير ممتنعة كذالك الأحاطة بغيرها تفصيلا غير ممكنة و لامقدورة للانسان و غيره من طبقات الملائكة و الموجودات العِلويّة و السفلية...

▫ **قوله عليه السلام: وَ لاٰيُحْصِی نَعْمٰائَهُ الْعٰادُّونَ:**

و المقصود من هذا الكلام انّ العادّين لايمكنهم احصاء نِعَمه تعالی لعدم تناهيها كما قال الله تعالی فی كتابه: ﴿**وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰتُحْصُوهٰا...**﴾[1]

قال البَضاوی فی تفسيره: ای لاتحصروها و لاتطيقواعدّ انواعها فضلا من افرادها فانّها غير متناهية، ثم قال و فيه دليل علی انّ المفرد يفيد الأستغراق بالأضافة انتهی.

---

١. ابراهيم / ٣٤.

و الحق انّ افادته العُموم فى الاية بالقَرينة لابنفسه فمع قطع النظر عنها لايدلّ عليه كما حقّق فى محله...

و انّما قال: العادّون بصيغة الجمع اشعارا بانّ الأحصاء خارج عن قدرة كلّ الموجودات انسانا كان او غيره من الملائكة المُقَربين و غيرها، و ذالك لانّ العَجز لاينَّفک عن الممكنُ فكا انّه مَحدُود ذاتاً كذالک محَدُود (فى صفاته) محدود متناه كما هو ظاهر

قال الله تعالى فى كتابه المجيد: ﴿**قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرِ مِداداً لِّكَلِمَاتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ**﴾[1].

□ **قوله عليه السلام: وَ لاٰيُؤَدّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، ...**

و المراد بعدم تادُية حقّه تعالى حقوقه اللاّزمة على العباد و اِن بَذَلوُا وُسعَهم و طاقتهم و اجتَهَدو فى ادائها و قضائها و الاصل فيها هو الشكر على انعام المُنعم فانّ شكر النعّمة ايضا نعمة يجب الشكر عليه و هكذا و يتسلسل و التسلّسل ايضا باطل فشُكر المَنعم كما هو حقه لايمكن الأتيان به فالاولى حينئذ العجز و الاعتراف بالقصور كما اعترف به خاتم الرّسل على ما مرّ...

رُوى عن داوُد النّبى انّه قال:

يا ربّ كيف اَشكرك وَ شُكرى لَكَ نعمة اُخرىٰ تُوجب عَلَىَّ الشكر لك، فأوحَىٰ الله اليه اذا عَرَفت انّ النّعم منّى رَضيتُ منك بذالك شكراً...

و روى فى الكافى عن ابى عبد الله عليه السلام قال: اوحِىَ الله عزوجل الى موسى يا موسى اشكرنى حقّ شكرى، فقال: يا ربّ كيف اشكرك حّق شكرك و ليس من شكر اشكُرك به الاّ و انت انعَمْتَ به عَلَىَّ؟ قال: يا موسى الآن شَكَرتَنى حيث علمت انّ ذالك منّى...

و من طريق العامة فى مناجاة الرّسول صلى الله عليه وآله: **انت يا ربّ اَسبَغتَ عَلَىَّ النَّعَم السَوابق فَشَكَرتُك عليها فكيف لى بشكر شكرك؟ فقال الله تعالى تَعلّمت العلم**

---

١. الكهف / ١٠٩.

الّذی لایفوته علم فحسبك ان تعلم انّ ذالك منّی قال الشاعر:

شکر الاله نعمة موجبة لشکره فکیف شکری برّه و شکره من برّه

و قال آخر فی هذا المعنی و نعم ما قال:

اذا کان شکری نعمة الله نعمة علیّ بها فی مثلها یجبُ الشکر

فکیف بلوغ الشّکر الاّ بفضله و ان طالَت الایّام و اتّصل العُمر

□ **قوله**ﷺ: **اَلَّذِی لاٰ یُدْرِکُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ،وَ لاٰ یَنٰالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ، متن.**

و البحث یقع فی مقامین: الاوّل: فی شرح قوله الّذی الخ و الثانی: فی **قوله**ﷺ **و لاٰ یَنٰالُهُ الخ...**

امّا البحث فی مقام الاوّل فنقول:

غرضَهَ علیه السلام من هذه الجملة و الجملة الّتی بعدها و کذا الجمل التی قبلها انّما هو الأشعار و الأعلان یَعجز البَشَر بل و کلّ المخلوقات بالوصول الی کنه ذاته و صفاته و آثاره ففی المقام اُرشارﷺ بانّه لایمکن لأحدٍ البلوغ الی درك حقیقته و لو کان بعید الهمّة و ذالك لانّ بعد الهِمَة کنایة عن عُلوّها و ارتفاعها عن حَضیض الناسُوت و انقطاعها بالکلیّة عن علائق المادة و تَوَجّهها الی عالم المعنی، و بعبارة اخری المقصود من بُعد الهِمّة بُعدها عن المادّة و لواحِقِها اذا الانسان مادام کونه اسیراً فی جسده العُنصری لایمکن له التّوجه بعالم الملکوت فکیف یکون ذاهمة عالیة مع انّ هِمته مصروفة فی شَهَواته، کسائر الحیوانات المشترکة معه فی الجنس القریب بل هو فی هذه الحالة بالحیوانات اشّبه کما قال الله تعالی:

﴿اولئك کَالانعام بل هُم اَضَلّ سبیلاً﴾[1].

و سرّ عُدم ادراکه هو انّ الأدراك لایخلُو من قسمین:

الاوّل: اَلأدراك بالحواسّ الظّاهرة. و **الثّانی:** الأدراك بالحوّاس الباطنة، و هو تعالی لایُدرَك بهما.

---

۱. الاعراف ، ۱۷۹.

و ذالك لانّ المُدرَك بالحوّاس الظاهرة المنحصرة فی خمسة لابدّ من ان یکون مَحسُوسا فاذا لم یکن مَحسُوساً لم یکن مُدرَکا البتة فانّ المحسوس لایدرك غیر الَمَحسُوس فانّ الباصرة و السّامعة و الشّامة و الذّائقة و اللاّمسة کلّ واحدة منها تدرك المحسُوسات الاتری انّا لانری المُلَك بأعیننا و لانسمَع صَوته و لانَلمس جسمه و هکذا بل و لانری الْرّوح الّتی فی جَسَد نامع انّه لاشك فی وجودها...

و لمّا ثبت عدم کون الواجب جسماً و لاجسمانیّاً فهو مُنزّه عن الأدراك بالجسمانیّات و هذا هو السرّ فی عدم امکان درکه بالحواسّ الظّاهره الجسمانیّة و امّا الحواس الباطنة فهی ایضا خمسة:

الحسّ المُشترك ـ و الخیال ـ و الوهم ـ و الحافظة ـ و العاقلة.

امّا الحس المشترك: المسمیٰ بالیوبانیة ببنطاسیا بمعنی لوح النّفس فهو یدرك الصّور من الخارج و الدّاخل و لأشتراکه بین الأحساسین تسمی بالحسّ المشترك و لهذا قیل فیه هو بمنزلة حوضٍ ینصبّ الیه الماء من انهارٍ خمسة فهو مع قطع النظر عن المحسوسات الخارجّیة لیس بشیء کما انّ الحوض مع قطع النظر عن الانهار لیس فیه ماء...

و امّا الخیال: فهو خزانة للحِسّ المشترك و لیس قوة برأسه و ان کان مجرّدا علی مذهب ابی علی ابن سینا...

و امّا الواهمة: فانها مدرکة لِلمعانی الجُزئیة و لاربط لها بالصّور اصلا...

و امّا الحافظة: فانها حافظة للواهمة و شانها الحفظ کالخیال بالنسبة الی الحسّ المشترك...

وَ امّا العاقلة: و هی العُمدة فی الباب مَنشائها اِدراك الکلّیّات من المعانی و بها یمتاز الأنسان عن الحیوان فانّ سائر القوی التّسعة بأجمعها موجودة فی الحیوانات بل فی بعض الحیوانات وجودها اشدّ من الانسان بمراتب الاّ العاقلة فانّها تختص بالانسان.

اذا تقرّر ذالك فنقول واجب الوجود لو كان مُدركا لنافلابدّ من ان يكون ادراكه باحدى الحوّاس الخمسة الظاهرة او الباطنة و ادراكه بكلّ واحدة منها محال فلايكون مُدركاً و هو المطلوب.

امّا عدم ادراكه بالحوّاس الظاهرة فلمامرّ آنفا...

و امّا عدم ادراكه بالحوّاس الباطنة ايضاً ظاهر لانّ الحسّ المُشترك احساسه متوقّف على احساسات القوى الظاهرة و حيث ثبت عدم كونه مُدركا بالحوّاس الظاهرة فلايكون مدركا بالحس المشترك بطريق اولى.

و امّا الخيال: فقلنا ليس بمدرك اصلا.

و امّا الواهمة: فانّها مدركة للمعانى الجزئية و حيث انّ الواجب ليس من المعانى بل من الموجودات الخارجّية فليس بمدرك لها و هو ظاهر...

و امّا الحافظة: فلما قلنا انّها ليست بمدركة بل شانها الحفظ...

و امّا العاقلة: مدركة للمعانى الكلية و الواجب ليس من المعانى الكلّيّة و الجزئية كما مرّ...

فاذن ثبت و تحقّق عدم كون الواجب مُدَركاً بها و حيث انّ الاسباب منحصرة فيها فنقطع بانّه لايمكن ان يكون مُدرَكا و هو المطلوب...

هذا مع انّ القوى الجسمّانية متناهية التّأثير و التأثّر و ذات الواجب غير متناهية فكيف يعقل لها ادراكه فقوله عليه السلام صِدقٌ و حَقّ عقلا و نقلا هذا ما فهمناه من هذا الكلام...

و البحث فى المقام الثانى ايضا يظهر مما ذكرناه فى مقام الاول اذا المآل فيهما واحد و العبارة مختلفة فان قوله عليه السلام: لايناله غوص الفِطن، ايضا كناية و استعارة عنِ عَدم تناهى ذاتاً و صِفةً:

فان الغَوص فى اللغة عبارة عن النّزول تحت الماء لاستخراج ما فيه و يطلق على النزول فى المعانى مجازا و لذالك قيل: غاص فى المعانى اذا بلغ اقصاها حتى استخرج مابَعُدَ منها...

و الفطن جمع فطنة و هی الجُودة و الحِذاقة، فصار المعنی ان الغوّاص فی بحر الألّوهیة و ان کان حاذِقا و ماهراً فی سیاحته الاّ انّ الوصول بما فی ذالك البحر و البلوغ الی عُمقِه لأستخراج لئالیه غیر ممکن لَه و هذه استعارة جیدة بل حقیقة رشیقة.

و نقل المحقق الخوئی فی شرح هذه الجملة عن الصدر الشیرازی ما یقرب هذا المعنی و حاصل مانقله هو انّ اسناد الغوص الی الفطن علی سبیل الاستعارة اذاء الحقیقة اسناده الی الحیوان بالنسّبة و هو مستلزم لتشبیه العلوم العقلیّة بالماء و وجه الاستعارة ههیهنا انّ صفات الجلال و نعوت الکمال فی عدم تناهیها تشبه البحر الخْضّم الذّی لایصل السابح له الی ساحل و حیث انّ السابح لذالك البحر و الغائص فی تیّاره هی الفِطَن الثاقبة لاجرم کانت الفطنة شبیهة بالغائص فی البحر فاسند الغوص الیها و فی معناه الغوص فی الفکر انتهی...

اقول: لایخفی علی العارف باسرار کلمات الاولیاء انّ هذا الکلام لایلیق بان یصدر اِلاّ منه علیه السّلام فانّ الغوّاص فی البحر غرضه استخراج ما فیه من الجواهر و الأصداف التی لاتوجد فی البرّ کذالك الغوّاص فی ابحار صفات الجلال و الکمال غرضه الوصول بحقائق المعارف الالهیّة التی لاتوجد

فی غیرها و هی اَلَذّ الاشیاء بالنسبة الی المعارف بالله و صفاته لکنّه لمّا کان هذا البحر عمیقا بلانهایة لایمکن الغوَر و الغَوصَ الی عُمقهای ذاته تعالی و لذالك قال الصادق علیه السلام:

کلّ ما مَیّزتَموهُ باوهامِکم فهو مَخلوقٌ مِثلکم مَردودٌ الیکم...

□ **قوله علیه السلام: اَلَّذِی لَیْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَّحْدُودٌ وَ لاٰ نَعْتٌ مَّوجُودٌ، وَ لاٰ وَقْتٌ مَّعْدُودٌ، وَ لاٰ اَجَلٌ مَّمْدُودٌ متن...**

الکلام یقع فی اربع مقامات:

المقام الاوّل: فی شرح قوله علیه السلام **اَلَّذِی لَیْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَّحْدُودٌ.**

المقام الثانی: فی شرح قوله عليه السلام **وَ لاٰ نَعْتٌ مَّوجُودٌ.**

المقام الثالث: فی شرح قوله عليه السلام **وَ لاٰ وَقْتٌ مَّعْدُودٌ.**

المقام الرابع: فی شرح قوله عليه السلام **وَ لاٰ اَجَلٌ مَّمْدُودٌ.**

امّا البحث فی المقام الاوّل: الَّذِی لیس لصفتة حَدٌّ مَحدْوَدٌ

اعلم انّه لاشكّ و لاشَبهة بین المحُقّقین من فلاسفة الأسلام و غیرهم بل كافّة العقلاء انّ لِلّٰه تعالی صفات اتّصف بها كالعِلم و القُدرة والأرادة و امثال ذالك و یؤیّده بل تثبته الأخبار المتكاثرة و الایات المتظافرة و هذا ظاهر...

الاّ انّ الخلاف وَقَع فی كیّفیة اتّصاف الذّات بها و هل هی عین الذّات اَو زائدة علیها و غیر ذالك من الأختلافات و المُشاجرات الواقعة بین الفلاسفة و المتكلّمین و غیرهم و قبل الخوض فی اصل المطلب لابدّ لنا من تحریر محل النزاع...

الصّفة بكسر الصّاد و فتح الفاء و سكون الأخر مصدرثان من وصف یقال وصف یصف و صفا و صفةً فالتاء عوض عن الواو هذا بحسب مبدأ شتقاقها من حیث اللغة و امّا اصطلاحا فعند النّحویّن هی عبارة عن النَعت ـ و تطلق علیه و بالعكس بالحَمل الاوّلی الذّاتی لابالحمل الّشایع لاتحاد معناهما و مفهومهما كما قال ابن مالك فی منظومته: «النّعتْ تابعٌ مُتِمٌّ ماسَبَق»

و عند المشهور عبارة عن ذكر الشی بحُلیته و نَعته و هی الحالة التی علیها الشیء كما فی المفردات ...

اذا عرفت هذا فاعلم انّ قوله عليه السلام: لیس لصفته حدّ محدود مَعناه انّ الصّفات الواجبی غیر متناهیة كما انّ ذاته غیر متناهیة ان كان مراده من الحدّ حدّ اللغوی...

و یمكن ان یكون المراد به حَدّ المنطقی و هو علی قسمین: تامّ، و ناقص فالحدّ التّام عبارة عن بیان حقیقة الشیء و ماهیّته و هذا لایتصور الاّ فیما كان المعرّف جنساً قریباً وَ فصلاً قریباً كالحیوان الناطق فی تعریف الانسان.

و الحدّ الناقص عبارة عن كون المعرّفِ ليس كذالك سواء كان بالفصل فقط كتعريف الانسان بالنّاطق او به مع جنس بعيد كتعريفه بالجسم الناطق و وجه تسميته الاوّل بالتّام و الثانى بالناقص معلوم اذ الاوّل يُبيّن ماهيّة الانسان بخلاف الثانى و معلوم انّ الحدّ بكلا معنييه لايمكن القول به فى صفاته تعالى...

و ذالك لانّ الحدّ كما قلنا يبيّن ماهية المَعرّف اِمّا كاملاً لما فى الحّد التّام او ناقصا كما فى الناقّص و حيث ثبت بالبراهين القاطعة العقّلية و شواهد السّاطعة النقليّة انه لاماهيّة له تعالى بل ماهيته عبارة عن انيّته، فهو صرف الوجودِ و بحث الحقيقة كما قال السبزوارى(ره):

اَلحقّ ماهيته انيّته اذ مُقتَضى العُروض مَعلوليّة

فكيف يمكن القول باثبات الحدّ له تعالى و اذا نتفى الحَدّ بالنسبة الى ذاته لبساطته فينتفى بالنسبة الى صفاته فانّ الصفات هناك عين ذاته تعالى كما سنبرهن عليه ان شاء الله تعالى..

و ان شئت ترتيب القياس لاثبات المُدّعى فصورته هكذا...

الواجب لاماهية له و كلّ مالاماهية له ليس له حَدّ، فالواجب ليس له حدّ و لنفى الحدّ عن الصّفات نقول فى صورة القياس...

الواجب ليس له حدّ، و كلّ ما ليس له حدّ فاثباته له محال فاثبات الحدّ للواجب مجال و بعد ذالك نقول الصفات فى الواجب عين ذاته، و ذاته لايحدّ، فالصّفات فى الواجب لايحدّ...

و يظهَر من ذالك انّ الحدّ المنفى ان كان منطقيّاً لااشكال فيه بل هو اوفق بالقطع لأنّه مستلزم للتركّيب فى الصّفات المستلزم للتّركيب فى الذّات و ان كان التركيب عقليّا هذا بحسب ظاهر العبارة فانّ التركيب فيه تعالى محال سواكان عقليّا او خارجياً كما سيظهر لك انشاء الله تعالى قريبا...

و الّذى يقتضيه النّظر الدّقيق هو انّه عليه السلام نَفَى الحدّ عن صفته اذا كان الحدّ مقيّدا بالمَحدُوديّة لامطلقا فانّه قال ليس لصفته حدّ محدودٌ وَ لَم يَقُل الّذى

ليس لصفته حدّ، و معلوم انّ سلب المُقيّد لايستلزم سلب المطلق كما ان سلب الخاصّ لايستلزم سلب العامّ و لامانع من ثبوت الحدّ المطلق و سلب الحدّ المقيّد كما هو ظاهر لمن له ادنىٰ تامّلٍ و بصيرة و لابدّ لنا من توضيح ذالك بحسب المقام، فنقول:

الحدّ كما مرّ تارة يطلق و يرادٌ به المنطقى سواء كان تاماً او ناقصاً و تارةً يطلق و يراد به اللّغوى و هو الّذى يرادف التناهى و يلزمه كما انّ الاوّلين يلزمان التركيب و هذا لاكلام لنافيه.

انّما الكلام فى انّه عليه السلام ماذا اراد من العبارة و ايّ شيء قصد من كلمة الحدّ و لايمكن ارادة الحدّ المَنطقى و لااللغوى فلو كانت كلمة الحدّ فى العبارة مطلقة غير مقيّدة من القيود امكن القول بما قالوا فى شروحهم من انّ غرصتهها سلب حَديّة الصّفات الاّ ان الأمر ليس كذالك فانّ كلامه صريح فى سلب الحدّ المقيّد عن الصّفات المُستلزم لاثبات الحدّ المطلق لها بدلالة المفهوم فالّذى يختلج بالبال فى المقام هو انّ ثبوت الحدّ المطلق للصفات لامانع فيه و انّما المانع مَحدوديّته فالحدّ بالدقّة العقلية يتصور على قسمين مَحدُودٌ و غير محدود:

امّا الَحّد المَحْدود فهو عبارة عن الحّدّ الّذى يلزمه التّناهى او التّركيب، كالمنطقى و اللّغوى، و الحّد الّذى ليس بمحدُودٍ، عبارة عن بيان المَحدود او المُعرّف مع قطع النظر عن قيود اللفظيّة و الّزمانيّة و المكانية و سائر القيود التى يمكن ان توخذ فى الحدود و نعبّر عنه بالحد العقلى لوروده فى التعاريف العقليّة التى لاجنس لها و لافصل وَ غير ذالك...

فاذا قلنا فى تعريف العلم الحضُورى انّه عبارة عن حُضور المُدَرك لَدَى المُدِرك او العلم الحَصولى بانّه عبارة عن الصُّوّرة الحاصلة من الشّى عند العقل او المفهوم انِ امتنع فرض صدقه على كثيرين فجزّئى، و الاّ فكلّىّ و هكذا سائر التعارّيف فأنّى شيئٍ من الجنس والفصل اوالتناهى مأخوذٌ فيه.

نعم لو قلنا العلم الحضوُرى عبارة عن حضُورِ المُدرك لَدَى المُدرِك فى

زمانٍ مخصوصٍ او مكانٍ خاصٍّ او شخصٍ خاصٍ فقد قيّدنا الحَدّ و هذا هو الّذى يليق بان يُسمّىٰ بالحدّ المحدُود...

و ما نحن فيه من هذا القبيل فاذا قلنا فى تعريف علم الواجب بانّه عبارة عن حضُور المُدرَك لَدَى المُدرِك و لم نقل بعد وجود الاشياء مثلاً لاقبله فاىّ مَحذورٍ فى هذا الحدّ عقلاً و شرَعاً و كيف يمكن القول بانّ هناك علمٌ و قدرةٌ و ارادة و غيرها من الصَفّات و لاحَدّ لها اَلَيسَ لازم ذالك هو القول بعدم كون الصّفات الثُبوتية متُحقّقة و كونها كالصفّات السّلبية مع انّ الصفات السّلبيّة ايضا لانقول بانّه ليس لها حدّ اذ المفاهيم فيها ثابتة و ان كانت المصاديق معدومة و هذا القدر اعنى ثبوت المفهوم كاف لثبوُت الحدّ...

و بعد اللّتيا و اللّتى فالمَسلُوب فى العبارة ليس المقيد اعنى الحدّ، بل المَسُلوب القيد او التقَيّد بناء على كون التّقّيد جزأً و القيد خارجا كما قال فى المنظومة...

اَلحصّة لكلّى مُقيّداً يَجىء تَقَيّدُ جُزءُ و قَيدُ خارجى

فكانّه قال ليس لصفته مَحدُوديّة و هذا هو المعنى الموافق للعبارة و الذّوق السّليم عن شوائب الأوهام مضافا الى انّه لو كان الامر كما قالوا لما احتاج الكلام الى قيد المحدود و كفى ذكر الحدّ اذ المفروض انّ المقصود سلب الحدّية عن الصّفات و هو يُحصل بهذا القدر و تفصيل الكلام فى بحث الصفات موكول الى محلّه.

المقام الثانى فى شرح قوله عليه السلام: وَ لاٰ نَعْتٌ مَّوجُودٌ

اعلم انّه لافرق بين النّعت و الصّفة على ما هو المشهور بينهم و الحقّ: هو الفرق بينهما بانّ الصّفة تقع على الموَجُود و المَعدُوم و النّعت لايقع الاّ على الموجود...

و انّما عَبّر عليه السلام فى الجملة السّابقة بالصّفة و فى الثانية بالنّعت قيل لئلاّ يلزم التكرار المُستَهجن عند البلغاء و لقائل ان يقول يمكن للامام عليه السلام الأكتفا

بالجُملة الأولى بضميمه كلمة الموجود مثلا يقول:

الّـذى ليس لصـفته حَـدٌّ مـحدود مـوجود حـتى لايـلزم التكـرار مـع مراعات الأختصار...

و العجب كلّ العجب من الشارح الخوئى حيث انّه حَمَل كلامه و لانعت موجود على رَسمٍ موجودٍ و قال ما هذا الفظه و لانعتْ موجود، اى و لارسمُ موجود يرسم به قياساً على الاشياء المَرسُومة بلوازمها و اوصافها و الاّ يلزم كون الذّات مَحَلاًللأِعراض و الاوصاف و هو مُنزّهٌ عن ذالك و يدلّ عليه ما رواه فى الكافى عن الفُضِيل ابن يسار، قال ان الله لايوصَف و كيَف يوْصف و قد قال فى كتابه و ما قَدَروا الله حق قَدَره فلايوصَف بقدر الاّ كان اعظَمَ من ذالك و فى رواية ابى حمزة عن على ابن الحسين عليهما السلام قال: قال لو اجتمع اهل السماء و الارض ان يصفو الله بعظمته لم يقدروا قال ايضا.

قال بعض المحققين لانّ الذّات الأحَديّة و الهُويّة القَيُّوميّة مِمّا لاماهية له و لاجزء لذاته فلاحدّ له و لاصوْرة له (تساويه) فلاحكاية عنه و لانّ وجوده الّذى هو عين ذاته غير متناه الشّدة فى النّورانية فلايكَتنْه لاحِظٌ و لايستقرّ لأدراكه ناظِرٌ انتهى كلامه بعبارته، و انّما نقلناه بطوله لأستفادة الطالبين فنقول فى كلامه قده نظر من وجوه:

الاول: انّه: فَسَرّ النَعّت بالرّسم و هذا التفسير مخالف للأصطلاح و اللّغة و العُرف و العَقل اذ لم يَرد هذا فى لغُة العرب و لايحكم به العَقَل و العُرف و لاادرى من اين اَخَذَ هذا المعنى الّذى لايساعده دليل عقلى و لانقلى.

الثانى: على فرض كون النعت بمعنى الرّسم لاربط له بكونه تعالى كالاشياء المَرسْومة بلوازمها و اوصافها فانّ ذالك لازم لنا فاذا قلنا الواجب تعالى عالم قادرٌ حيٌّ مَريدٌ فهُو موصوف بلوازم الذّات و اوصافها و لااشكال فى هذا التعريف العقلى الّذى لايوجب مَحدُودّيةً فى الذّات و الّصفات و ليت شعرى اذا كان الواجب لايعرف بالأوصاف و النُّعوت فبايّ شىء يُعَرف و اعجَبَ منه

استدلاله بكونه تعالى على هذا التقدير مَحَلاً للأعراض و الأوصاف و هو مُنَزّه عن ذالك و لَم يَدر انّ الوَصف فى الواجب ليس بِعَرَضٍ بل الصّفات هناك عين ذاته مصداقا و ان تغايرت مفهوماً فبناً على العينّيه ليس عرض و لامعروض فكيف يصير الذّات مَحّلاً للأعراض...

الثّالث: انّ الرواية التى ذكرها فى المقام لاربط لها بمدّعاه فانّها تدلّ على انّ الله تعالى لايمكن وصفه كما هو حقه و هذا ممّا لاريب فيه و قد اشبعنا الكلام فيه و البحث فى النّعت بمعنى الرّسم على ما ذهب اليه لافى الوصف، و منه ظهر ضعف الاستدلال بالاية ايضاً فانّها تدلّ على عدم اطلاع البَشَر على ذاته و صفاته و كذا الاسُتدلال بالرّواية الاخرى...

الرّابع: ما نقله عن بعض المحققين من انّ الذّات الواجبى لاماهية له و لاجزء فلاحَدّ له و لاصُورة تساويه فهذا بحث آخر يرجع الى البساطة فى الذّات الّتى لاخلاف فيها بين ذَوى العُقول الاّ انّ البساطة لاربط لها بما نحن فيه فقوله فلاحكاية عنه، اى فلاحكاية عن مقام ذاته لاالحكاية عن صفاته و الاّ يلزم التّعطيل فى بحث الذّات و الصّفات معاً فلوسُئلنا عن الواجب، و صفاته لابدّ ان نقول فى الجواب لانعلم او يقال هل الله عالم او قادر او مريدٌ فلابدّ فى الجواب من ان نقول لاندرى لانّ الأثبات مستلزم للحكاية عنه و عن صفاته و هو على قوله و قول من نقَلَه عنه محال بل كُفر و كذا الكلام فى الجملة التى نقلها بعد تلك الجملة فانّ كلّ ما نقله عنه مُحال بل كُفرٌ و كذا الكلام فى الجملة التى نَقَلها بعدتكَ الجملَه فانَ كُل ما نَقله و سمّاه بالتحقيق ليس به و اظّنُ قَوّياً انّ قائل هذه الكلمات لم يفهم ماذا قال فالّذى ينبغى ان يقال للشارح الخوئى و امثاله فى المقام هو قول الشّاعر:

اذا لم تَستَطع امراً فَدَعه و جاوزه الى مَن يستطيع

فنقول: مُستعينا بالله و مُتمسّكاً بذيل عناية صاحب الولاية الكُلّيّة صلواته عليه...

الحق انّ النّعت و الصّفة متغايران بالأعتبار مُتحّد ان بالذّات و المصداق فان كان الذّات موجوداً فالنّعت ثابت له و يحمل عليه و كذا الصّفة نحو زيدٌ عالمٌ حيث انّ العلم يكون مصداقا للنعت و الصفة و ان لم يكن الذات موجودا تحمل عليه الصفة و لايقال لها نعت فالصفّة قد تكون للمعدوم فى الخارج و ان كان، موجودا فى الذّهن كما يقال شريك البارى مُمتشعٌ و هو غير موجود فى الخارج و النعت لايكون كذالك و هذا القَدر من الفرق يكفى فى رفع التكرار المُستَهجن كما هو ثابت فى علم البلاغة...

فان قيل: على هذا يلزم التّناقضُ فى كلامه عليه السلام لأنه اَثبَت الصّفة فى الأولى و نفاها فى الثّانية حيث قال و لانعتٌ موجود و كيف يمكن ان تكون الصفة موجودة و غير موجودة.

قلنا: هذا الاشكال هو الّذى صار سَبَبا لهذه الاقاويل الفاسدة و الاستخراجات الظنّية و التّفاسير الباطلة التى ارتكبوها فى هذا المقام و الحق فى الجواب هو ان يقال انّ الجملة الثّانية اعنى قوله: **وَ لاٰ نَعْتٌ مَّوجُودٌ**، معطوفة على (حدٌّ مَحدوُدٌ) لاعلى الصّفة حتى يتوجّه الاشكال كما يقتضيه سياق العبارة و الذّوق المستقيم فكانّه نفى عن صفته شيئان:

الاوّل: الحَدّ بشرط كونه مَحدُوداً لامطلقاً.

و الثانى: النعت بشرط وجوده لامُطلقاً، و الغرض من نفى الوجود عن النعت نفى الوجود الأستقلالى فى قبال وجود الذّات المُستلزم لتعدّد القدما لانفى مطلق الوجود عنه فانّه مساوق لمعدوميّة الصفات و هذا محال...

ان قلت على هذا يلزم ان يكون النعت فى المقام من عوارض الصّفة كالحدّ كما هو مقتضى العطف على الَحدّ مع انّك قلت بتراد فهما فيما اذا كان الذّات موجودا فكَيف يمكن ان يكون احد المترادفين و صفا للآخر.

قلت قد نقلنا عن المفردات ان الوصف عبارة عن ذكر الشىء بحليته و هى الحالة التى عليها الشىء فعليه لااشكال فى المقام لانّه عليه السلام قد اثبت الصّفة فى

الجملة الاولى بالمعنى الّذى ذكرناه و لدفع توهّم ان تكون الصفة موجودة بالوجود الاستقلالى نفى عنها الوجود بهذا المعنى و فى هاتين الجملتين سرّ لطيف:

و هو انّه اشار بانّ الصفات موجودة لابالوجود الأستقلالى معدومة لابالوجود التبّعى الذّاتى و بعبارة اخرى موجودة بتبَعَ الذّات معدومة مع قطع النّظر عن الذّات و تفهيم هذا المعنى لأيمكن الاّ بهذه العبارات هذا خلاصة مايمكن لناالقول به فى هذا المقام و الحَمدُ لله رب العالمين.

المقام الثالث فى شرح قوله عليه السلام: وَ لاٰ وَقْتٌ مَّعْدُودٌ

قال الخوئى «قده» فى شرح هذا الكلام ما هذا لفظه:

لانّه ازَلّىٌ اَيدَىّ و واجب الوجود لايختّص وجوده بوقتٍ دُون وقتٍ و باَجَلٍ دون اَجَل بل هو خالق الوقت و الأجل لاابتداء لوجوده و لاانتهاء لبقائه ثم ذكر حديثا نقله عن الكافى حاصله: انّه نهى السائل عن سئواله بمتى كان، الى آخر الحديث...

و انت ترى انّه قده حَمَل هذا الكلام على نفى الوقت و الّزمان عنه تعالى و كذا سلب ألاَجَل عنه ثم نقل عن بعض شرّاح الحديث معنى متىٰ و الوقت و المكان بمالاحاجة لنا فيه و من شاء فعليه المراجعة بشرحه و الحق انّ الامر ليس كما ذكره قده فكانّه غَفَل عن انّ البحث فى المقام ليس فى ذاته تعالى هل هو واقع فى زمان من الازمنة او ليس فى زمان انّما البحث فى صفاته...

و الدّليل على ذالك مضافا الى الظّهور اللّفظى هو العطف فانّ الجملة المبحوثه عنها معطوفة على حَدّ كالجملة السالفة، فيصير تقدير العبارة هكذا.

الحدّ و اَلنعّت بالمعنى الّذى ذكرناه ليسا من صفاته تعالى و كذا الوقت و الأجَل بالمعنى الّذى ذكرناه ليسا من صفاته تعالى بل هُما مسلوبان عن ذاته، و اين هذا من معنى الّذى ذكره و ان كان سلبها عن الصّفات يستلزم سلبها عن الذّات لانّ الصّفات عين الذّات الاّ انّ البحث ليس فى الذّات فعلا و لنرجع

الى الشّرح...

نفى الوقت و الاجل عن صفاته تعالى, لكن لامطلقا بل الوقت المعدود و الأجل المَمدود...

و يمكن ان يقال نفى المقيّد لايستلزم نفى المطلق فكانّه اثبت للصّفات مطلق الوقت و الأجَل كما فى الصّفة و النعّت فانّ الكلام فى المقام عين الكلام هناك طابق النّعل بالنّعل فما جوابكم ههيهنا...

لكنّا نقول: قال الرّاغب فى مفرداته، الوقت نهاية الزّمان المفروض للعمل و لهذا لايكاد يقال الاّ مقدّرا نحو قولهم وَقّتُ كذا جَعَلتُ له وقتاً...

و قال فى مجمع البحرين يقال وقّته فهو موقوت اذا بيَّن للفعل و قنا يفعل فيه انتهى.

و قال فى المنجد: الوقت مصدرٌ الَمقدار من الّزمان و الجمع اوقات و اَوقات السنّة فصولها وقتٌ، موقوت، مُقدّر مَحدُود فعلى هذا يجب ان يحمل كلامه على نفى الوقت فى الصّفات مطلقا اذ لايمكن القول بانّ سلب المُقّيد لايستلزم سلب المطلق و ذالك لانّ الاطلاق و التقّيد فى الوقت على السّواء كما عرفت من قول اللّغويين من انّ الوقت مطلقا لايكون الاّ زمانا مُقدّراً مفروضاً بخلاف الحدّ و النّعت لامكان فرض الاطلاق و التّقيد فيهما.

فان قلت على هذا التقدير تكون الجملة المبحُوثة عنها خارجة عن البلاغه لانّ كلمة (معدود) تصير زائدة و حشوا و ذالك لانّ الوقت على ما قال اصحاب اللّغة لايكون الاّ مفروضاً و المفروض هوالمَعدُود فاىّ احتياجٍ الى ذكر المعدودَ و بعبارة اخرى نقول:

الوقت لايكون الاّ زماناً مفروضاً، و كلّ ما كان كذالك فهو معدودٌ، فالوقت مَعدُودٌ.

ــ قلنا فى الجواب

امّا اوّلاً اَلأشكال لايتوَّجه على فرض كون المعدود فى العبارة و صفا للوقت

فانّ التّغاير المفهومى فى الصّفة و الموصوف يكفى فى صدق الاتّصاف و حمل الصّفة على الموصوف و ان اتّحدا مصداقا كما هو شان كلّ صفة و موصوف و من البديهى بثبوت التغاير بهذا المعنى فانّ مفهوم الوقت غير مفهوم المَعدود و ان كان المصداق فيهما واحداً فلايضرّ بالبلاغة بل هو من المحسنات كما لايخفى مضافا الى انّ مفهوم الوصف ليس بحجّة.

و امّا ثانيا: فعلى تقدير التّسليم و الذّب عمّا ذكرناه فى الجواب لادليل على كون المعدود وصفاً للوقت حتّى قيل ما قيل من اعتبار مفهوم الوصف، و عدمه بل لايبعد كون المعدود فى الكلام قيدا توضيحيا للوقت و شرحا لبيان ماهيّته فنفى الوقت عن الصّفات عبارة عن نفى مَعدوُديّة الصفات لانّ صفاته تعالى لاتدخل فى جملة الأعداد فَنَفيها حقّ و هوالمطلوب.

المقام الرابع فى شرح قوله عليه السلام و لاأَجَلّ مَمدود

فتقول: اَجَل بفتح الهمزة و الجيم و سكون اللاّم المدّة المَضروبة للشّىء كما فى المفردات و لهذا يقال لِلمُدّة المضروبة لحياة الانسان اَجَل فيقال دَنا اجله و هو عبارة عن دنوّ الموت.

و قال فى المنجد: ألاَجَل: غاية الوقت وقت الموت، ج آجال.

و ممدود: اسم مفعول من مدَّ بمعنى الكثير يقال مال ممدود: اى كثير كما فى المنجد.

و حيث انّه عليه السلام نفى عن الصّفات الحَديّة و المَوجُوديّة و المَعدُوديّة فلابدّ من نفى الأجل ايضاً و هو المُدّة المضَرُوربة بمعنى انّ الصّفات كما لاابتدا لها هكذا لاانتها لها بل اَزلّية ابديّة سَرمدّيّة بازليّة الذات و ابديّته و سرمديّته فلايمكن تعيين المُدّة فيها فانّ الصّفات عين الذّات وجودا.

اذا عرفت هذا فاعلم انّ الفرق بين هذه الجملة و الجملة السابقة يمكن ان يتصوّر من وجوه:

الاوّل: انّ الجملة الّسابقة لنفى المَعُدودّية عن الصّفات التى تستلزم التّناهى

فيها فانّ كلّ مَعدُودٍ متناه بخلاف الجملة الثانية حيث انّه نفى فيها المُدّة المضروبة المستلزمة للحِدُوث فانّ لازم تعيين المدّة فيها ان لاتكون عين الذّات اذ فى صورة العيّنية موجودة بوجود الذّات و حيث انّ الذّات لامدة له فكذا لك الصّفات فما فرضناه عين الذّات صار زائداً عليه.

و لاْ ريب فى انّ كلّ زائد على الذّات حادث فأذن تكون الصّفات حادثة و هذا ممّا لاغبار فيه فلذالك قال عليه السلام:

و لااجل اى مُدّة لها و ان كان كثيراً طويلاً اذ طول المدّة لايخرجها عن الحدوث و لازم ذالك ان يكون الذّات مَحّلاً للحوادث و كلّ ما يكون مَحَلاً للحوادث حادث، فالذّات الواجبى حادث فاذا كانت التّوالى باسرها باطلة فالمُقدّم اى المدّة المضروبة فى الصّفات مثله فنقيضه و هو رفع المدّة المضروبة حقّ و هو المطلوب لبطلان ارتفاع النقيضين و رفعها عبارة عن عدم التّأجيل المَمُدود.

الثانية: انّ الجُملة السابقة لنفى الوقت بمعنى الزّمان المُطلق و حيث انّ الزمان لايمكن بدون الأبتداء و الانتهاء ففى الجملة الاولى نَفى الأبتداء و فى الثانية الانتها فيصير مُحصّل الجملتين نفى الزمان و الوقت و هو المطلوب و بعبارة اخرى لمّا كان الأجَل عبارة عن انتهاء الوقت و غايته كما قال: فى المنجد فالجملة الاولى لنفى اوّل الوقت، و الثانية لنفى الانتهاء بقرينة المقابلة اذ لانهاية بدون الاوّل كما لا اوّل بدون الآخر.

الثالثة: ان تكون الثانية عطف تفسيرىّ على الأوّل فيصير المعنى هكذا الصّفات الواجبة ليس لها وقت و زمان و ان كان الوقت المفروض كثيراً طويلاً كاالقديم بالزّمان...

و بما ذكرناه يظهر لك انّ ما قاله بعض الشّراح فى المقام فى تفسير الجملتين بانّ مقصوده عدم اختصاص وجوده بوقتٍ دون وقت و بأجَل دون اَجَلٍ لامحصّل له فانّ البحث فى كلامه عليه السلام لايدور على وجوده و كيفيّةً وجوده.

▫ قوله عليه السلام: **فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَ نَشَرَ الرِّيٰاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَ وَتَّدَ بِالصُّخُوْرِ مَيَدٰانَ اَرْضِهِ ـ متن**

◁ **اللّغة**

(**فَطَرَ**) ـ قال الراغب: اصل الفَطر الْشقّ طُولاً يقال فَطَر فلان كذا فطرا، و افطر هو فُطور و انفَطَر انفطاراً، ثم قال و قد يكون على سبيل الفساد و قد يكون على سبيل الصّلاح الى ان قال و عنه الفِطرة و فَطَر الله الخلق هو ايجاده الشيء و ابداعه على هيئة مُترشّحَة لفعل من الأفعال، فقوله تعالى:

﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا﴾[1]

اشارة منه تعالى الى ما فَطَرَ اى اَبدَع و رَكَز فى الناس من معرفته ثم قال بعد كلام طويل (الّذى فَطَرهنّ و الّذى فَطَرنا) اى اَبدَعنا و اوجدنا الى آخر ما قال و انّما نقلنا كلامه بطوله لما فيه من الفائدة...

و قال فى النجد: فَطَر فطرا الشيء شقّه، الأمر اخترَعه و ابتدئه ـ و انشَائه انتهى.

(**الْخَلائِقَ**) جَمع خليقة و هى الطّبيعة، و الرّياح جمع الرّيح و هى الهواء نسيم كلّ شيء. (وَتَّدَ) بالدّال المُهملة المشَدّدة على وزن صرّف بمعنى ثَبَّت يقال وتد، يَتِدُ وَتَدا، وَتَده وَ وتَّد اى ثَبَّت. (**الصُّخُوْرِ**) جمع صَخرة، الحَجَر العظيم الصّلب، يقال: فلان صَخرة الوادى، اى ثابت لايتزَعزع. (**مَيَدٰانَ**) بتحْريك الميم و الياء بمعنى التّحرك و الأضطراب، يقال: ماد يميدُ مَيدا، ميدانا...

الشّرح: يقع الكلام فى مقاصد:

المقصد الاول: فى شرح قوله عليه السلام **فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ** .

المقصد الثانى: فى شرح قوله عليه السلام **وَ نَشَرَ الرِّيٰاحَ بِرَحْمَتِهِ** .

---

١. الروم/ ٣٠.

المقصد الثالث: فی شرح قوله عليه السلام وَ وَتَّدَ بِالصُّخُوْرِ مَيَدَانَ اَرْضِهِ .

■ المقصد الاوّل

▫ قوله عليه السلام: فَطَرَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ:

و المعنى انّه تعالى اوجَدَ الطّبايع المختلفة بِقُدرته الكاملة الشاملة و التّعبير بلفظ فَطَر اشارة الى انّ الأيجاد على سبيل الأختراع دوْن الأبداع فانّ شقّ شيءٍ يستلزم المُنشَقّ منه اعنّى المادّة و لتوضيح المقام نقول: الفعل من الله تعالى يْتَصوّر على اربعة اقسام:

الاوّل: ان يكون مَسبُوقا بالمادّة و المُدّة و يسمى باسم الكائن.

الثانى: ان يكون مسبوقا بالمادّة دون المدّة و هو المخترع.

الثالث: ان يكون مسبوقا بالمدّة دون المّادة و هو المبتدع.

و الرابع: عكسه و هو غير واقع فى الخارج ففى الحقيقة اقسام الفعل ثلاثة كائن ـ مُبتدع ـ مُخترع.

او نقول: اَفعاله تعالى اى المَوجودات امّا تامّ ـ او ناقص مكتفى، او ناقص غير مكتفى.

او نقول: الفعل اِمّا شىء من لاشىء، او شىءٌ من شىءٍ، او شىءٌ لامن شىء.

او نقول: الفعل اِمّا مُحرّك فقط، او مُتحرّك فقط، او مُختلطٌ منهما، و على كلّ حال كل الموجودات لاتخلو من هذه الاقسام الثلاثة.

عباراتنا شَتى و حُسنك واحد وكلّ الى ذاك الجمال يشير

فالمُبدَعات عبارة عن الموجودات التى لم تسبقها مادة و لامدة، و ذالك كالعقول المُجرّدة...

و المخترعات عبارة عن الموجودات الّتى لم تسبقها مدّة و لكنّها مسبوقة بالمادّة فقط، كالنُفوس من العقول...

و الكائنات عبارة عن الموجودات الّتى مَسبُوقة بالمادّة، كالجسام فانّها خلقت من المادّة الاولى، اعنى هَيُولى عالم العناصر ان كانت الاجسام عنصرية

او هيولى الأولى ان كانت الاجسام اعمّ من الفلكية و العُنصرية..

اذا عرفت هذا...

فاعلم: انّ الظاهر من العبارة فى المقام هو القسم الثالّث او الثانى او الاعمّ منهما و امّا القسم الاوّل فخارج عن البحث و ذالك لانّ المبدعات لاتناسب الفطر الّذى بمعنى الشقّ الدّال على وجود المادّة تلويحاً.

بل الحق ان يقال المقصود هو القسم الثالث فقط بقرينة قوله عليه السلام **وَ نَشَرَ الرِّيٰاحَ** الى آخره و ذالك لانّ سياق العبارة يشعر بانّ الغرض افادة كيفية الخلقة فى عالم العناصر مضافا الى انّ الخلائق ايضا بمعنى الطّبايع و الطّبيعة لاتطلق على العقول و النّفوس.

و بذالك يظهر لك انّ ما قاله الشّراح فى شرح هذه العبارة من انّ الغرض من العبارة ايجاد الموجودات لايرجع الى مُحصّلٍ اذ ايجادها ليس على حدّ سواء و لايلائم الفطر و الطّبيعة فافهم.

و امّا قوله عليه السلام: بقدرته، فهو اشارة بان الخالق لها هو الله تعالى بقدرته الّتى ترجع الى علمه الذّاتى كما سياتى تفصيله...

و القدرة، على مافسّروها كون الفاعل بحيث ان شاء فعل و ان لم يشأ لم يفعل و هى مقترفة بالعلم و المشيّة اذا كانت فعلية كما قال السبزوارى (قده):

لِـلقُدرة انِـم قـوّةً فـعلية ان قارِنَت بالعلم و المشـيّة

و سياتى لك زيادة توضيح فى بحث الصّفات انشاء الله تعالى.

■ المقصد الثانى

□ قوله وَ نَشَرَ الرِّيٰاحَ بَرَحْمَتِهِ:

قال الله تعالى فى كتابه: **﴿وَ اَرْسَلْنَا الرِّيٰاحَ لَوٰاقِحَ﴾**[1].

و **﴿اَنْ يُرْسِلَ الرِّيٰاحَ مُبَشِّرٰاتٍ﴾**[2].

---

١. الحجر / ٢٢.

٢. الروم / ٤٦.

و ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

و ﴿وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[2] و امثال ذالك من الايات و الرّوايات الدّالة على انّ الرّياحَ قد تكون رحمة و قد تكون عذابا كما روى عن رسول الله ﷺ انّه كان يقول اذا هبّت ريح...

اللّهم اجعَلها رياحاً و لاتَجعلها ريحاً...

و ربّما فرقوا بينهما بانّ الرّياح لاتكون الاّ رحمة و الرّيح ليس كذالك، و لعلّ اختصاص الرّياح بالذّكر و نسبتها الى الرحمة ممّا يؤيّد هذا المعنى و الله اعلم. و على كلّ حالٍ لاشك انّ الرّياح من المواهب الالهيّة الّتى لاتعدّ منافعها للموجودات كما قال الله تعالى فى كتابه: ﴿وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً الخ...﴾[3]

الرّيح: على ما قال فريد وجدى فى دائرة المعارف تيّار الهواء، و الرّحمة و النّصرة، و الدّولة، ثمّ قال:

و الرّياح اربع: ريح الجنوب و هى القَبليّة، و الشّمال و هى البَحريّة و الصبّار و هى الشّرقيّة، و الدّبور، و هى الغَربيّة، و زادُوا ريحا خامسة و هى الّتى لايتعين لها مَهَبّ و هى النكباء و هذا عند العرب و قال فى سببها:

قد يحدث انّ قطعةً من الأرض تسخن بالأشعة الشّمَسية اكثر من غيرها بسبب من الأسباب فيسخن الهواء الّذى فيه سخونة تُؤدّيه الى التَخلُّل فَيَخِفّ ثقله فيصعد الى فوق فيحدث فى محلّه فراغ تندفع كتلةٍ من الهواء فى محلّ ذالك الهواء المتصاعد لتسّدده فَتَتداعى الأهوية الواحدة بعد الاخرى فى الاحياز الّتى تخلو فيحدث اضطراب فى الهواء هو الرّياح و قد قسّم الطبيعيون الأهوية الى ثلاثه اقسام:

اَهوية ثابتة ـ اَهويه دَوّرية ـ اَهوية غير منظّمة، انتهى...

---

١. الاحقاف / ٢٤.

٢. الحاقة / ٦.

٣. الاعراف / ٥٧.

▫ **قوله عليه السلام: وَ وَتَّدَ بِالصُّخُوْرِ مَيَدانَ اَرْضِهِ متن...**

يعنى ثبّت بسَبَبِ الجبال اضطراب الارض و حركتها فهى كالوَتد مانعة عن تزلزلها و اضطرابها و هذا الكلام اقتباس من القرآن العظيم

كما قال تعالى: **﴿وَ اَلْقىٰ فِى الْاَرْضِ رَوٰاسِىَ اَنْ تَمِيْدَبِكُمْ﴾**[1]

و **﴿وَ جَعَلْنٰا فِى الْاَرْضِ رَوٰاسِىَ اَنْ تَمِيْدَبِهِمْ﴾**[2]

و **﴿اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهٰاداً ،وَ الْجِبٰالَ اَوْتٰاداً﴾**[3] و غير ذالك من الآيات.

اعلم انّه لاشبهة فى كون الجبال على وجه الارض كما نطَقَت به الايات و نَواها بالمشاهدة، انّما الخلاف فى انّ الجبال الرّواسى عليها كالأوتاد فى الأخشاب كما هو ظاهر الايات او لايكون كذالك فان لم تكن كذالك فما معنى الايات و الآثار الناطقة بها و ان كان الأمر كما هو ظاهر الايات و الاثار فكيف نقول به مع توجّه اشكالات عديدة عليه و لذالك تَريهم فى تفسير هذه الايات لايدرُون مايقولون فيحملون الايات و الاثار على ظواهرها او يقرّون فى تفسيرها بالعجز عن درك حقائقها و نشير الى بعضٍ منها:

فمنها: ماذكره الفخر الرازى فى تفسيره الكبير انّ السّفينة اذا القُيت على وجه الماء فانّها تَميل من جانب الى جانب و تضَطرب فاذا وقَعَت الأجرام الثقيلة فيها استقرّت على وجه الماء فكذالك لمّا خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربَت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال و وتّدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال هذا ما ذكره فى تصوير كون الجبال اوتادا اللأرض...

ثمّ قال لقائل ان يقول هذا يشكل من وجوه:

الاوّل: انّ هذا المُعلِّل امّا ان يقول بان حركات الأجسام بطباعها او يقول ليست بطباعها بل هى واقعة بايجاد الفاعل المختار ايّاها ـ فعلى التقدير الاول:

---

١. النّحل / ١٥.
٢. الانبياء / ٣١.
٣. النبأ / ٧.

نقول: لاشك انّ الارض أثقل من الماء و الأثقل يغوض فى الماء و لايبقى طافيا عليه فامتنع ان يقال انّها كانت تميد و تضطرب بخلاف السّفينة، فانّها مُتخّذه من الخَشَب و فى داخل الخَشَب تجويفات غير مملّوة فلذالك لاتكون كالارض بل تَميد و تضطرب فاذا رُميت بالاجسام الثقيلة استَقَرّت و اسكَنَت فظهر الفرق.

و على التقدير الثانى: و هو ان يقال ليس للأرض و الماء طبايع توجب الثّقل و الرّسوب و الأرض انّما تنزّل لانّ الله تعال اجرىٰ عادته بجعلها كذالك و انّما صار الماء مُحيطا بالأرض لمُجرّد اجراء العادة وَ ليس هيهنا طَبيعةٌ للأرض و لاللماء توجب حالة مخصوصة، فنقول على هذا التقدير علّة سكون الارض هى انّ الله تعالى خلق فيها الُسّكون و علّة كونها مائدة مضطربة هو انّ الله تعالى خلق فيها الحَرَكة فَيفُسد القول بانّ الله خلق الجبال لتبقى الارض ساكنه فيثبت انّ التعليل مشكل على كِلا التقديرين...

الثانى: انّ إرساء الأرض بالجبال انّما يعقل لاجل ان تبقى الارض على وجه الماء من غير ان تَميد و تَميل من جانبٍ الى جانبٍ و هذا انّما يعقل اذا كان الّذى استقرّت على وجهه واقفا فنقول: فما المقتضى لسكونه فى ذالك الّحَيّز المخصوص.

فان قلت انّ الطّبيعة توجب وقوفه فى ذالك الحَّيز المعيّن «فح» يفيد القول بان الأرض انّما بسبب انّ الله تعالى ارساها بالجبال و ان قلت انّ المقتضى لسكون الماء فى حَيّزه المُعيّن هو انّ الله تعالى اسكَن الما بقدرته فى ذالك الحَيزِ المخصوص.

فنقول: فَلِمَ لاتقول مثله فى سكون الأرض و حينئذ يفسد هذا التّعليل ايضا.

الثّالث: انّ الارض جسم واحد فبتقديران يميل بكليّة و يضطرب على وجه البحر المُحيط لَم تظهر تلك الحالة للنّاس (فلايحتاج الى الأوتاد فان قيل: اليس انّ الارض تُحركّها البخارات الُمحتقنة فى داخلها عند الزّلزال و تظهر تلك

الحَرَكات للنّاس...

قلت: البخارات احتقنت فی داخل قطعة صغيرة من الأرض فلمّا حصلت الحَرَكة فی تلك القَطعة ظَهَرت تلك الحَرَكة فانّ ظهُور الحَركة فی تلك القطعة يجرى مجرى اختلاج عضوٍ من بدن الأنسان امّا لو تحرّكت كليّة الارض لم تظهر الاترى انّ الساكن فی سفينة لايحسّ بحركة كليّة السفينة و ان كانت على اسرع الوجوه و اقواها انتهى كلامه.

و قد اجاب عنها العلاّمة المجلس قده بعد نقله هذا الاشكال فی المجلد الرّابع عشر من طبع المشهور بكمپانی فقال قده و يمكن ان يجاب عنها...

امّا عن الاوّل: فبان نختار انّها طالبة بطبعها للمركز، لكن اذا كانت خفيفة كان الماء يُحرّكها بامواجه حَرَكةً قسّرّيةً و يُزيلها عن مكانها الَطّبيعی بسهولة فكانت تَميد و تضطرب بأهلها و تغوّص قطعة منها و تخرج قطعة منها و لمّا ارساها الله تعالى بالجبال و اثقلها قاوَمَت الماء و امواجه بثقلها فكانت كالاوتاد مثبتة لها.

و اما عن الثانی: على ان توقّف ارساء الارض بالجبال على سكون الماء فی حيّز مَعيّن ممنوع.

و امّا عن الثالث: فبان يقال ليس الامتنان بمجرد عدم ظهور حركة الارض حتّى يقال انّه على تقدير حركتها بكلّيتها لايظهر للنّاس ـ بل بخروج البقاء من الماء و عدم غرقها بحركة الأرض و ميدانها باهلها على انّ الظاهر انّ الحركة الّتی لاتُحسّس انّما هی اذا كانت فی جهة مخصوصة و على وضع واحد كحركة وضعية مُستمرّة او حَرَكةٍ اينيّة على جهةٍ واحدة كحَرَكة السفينة اذا كانت سائرة من غير اضطراب و امّا اذاً تحرّكت فی جهات مختلفة و اضطراب فيحسّ بها كحركة الَسفّينة عند تلاطم البحر و اضطرابه، و هذا هو الفرق بين حالة الزلّزلة و بين حركة الارض فی الْظّهور و عدمه فانّا لو فرضنا قطعة منها سائرة غير مضطربة فی سيرها لمّا احسّ بها كما لايحسّ بحركة كلّها بل

باضطراب الحركة و كونها فی جهات مختلفة تحسّ الحركة سواء كان محلّها كلّ الارض او بعضها انتهی.

و منها: ای من الوجوه المصحّحة فی المقام ماذكره الرّازی ایضا و ارتضاه حیث قال:

و الّذی عندی فی هذا الموضوع المشكل ان یقال انّه ثَبَت بالدّلائل الیَقینِه انّ الارض كُرة و انّ هذه الجبال علی سطح هذه الكُرة جاریّة مجری خُشونات و تضریسات تحصل علی وجه هذه الكرة اذا ثبت هذا فنقول:

اذا فرضنا انّ هذه الخُشُونات و التّضَریسات لصارت بحیث تتحرّك بالاستدارة بادنی سبب لانّ الجرم البسیط المستدیر و ان لم یجب كونه مُتحرّكا بالاستدارة عقلاً الاّ انّه یادنیٰ سببٍ یَتحرّك علی هذا الوجه.

امّا اذا حصل علی سطح كرُة الارض هذه الجبال او كانت كاالخشونات الواقعة علی وجه الكرة فكلّ واحد من هذه الجبال انّما یتوجّه بطبعه الی مركز العالم و توجه ذالك الجَبَل نحو مركز العالم بثقله العظیم و قوّته الشّدیدة یكون جاریا مجری الوتد الّذی یمَنع كرُة الأرض عن الاستدارة فكان تخلیق هذه الجبال علی وجه الارض كالأوتاد المغرورة فی الكُرة الما نقد لها من الحركة المتدیره) لمستدیرة و كانت مانعة للأرض من المَید و المَیل و الاضطراب بمعنی انّها منعت الارض من الحركة المستدیرة فهذا ما وَصَل الیه خاطری فی هذا الباب انتهی.

و العلامة المجلسی (قده) بعد نقله هذا الوجه عن الرازی اعتَرض علیه بمایوجب نقله تطویل الكلام و نحن اعَرَضنا عن ذكره فی الكتاب و من شاء فلیراجع الی المجلّد المذكور من بحار الانوار.

الوجه الثالث: علی ما نقل فیه و عَبَّر عنه بما یخطر بالبال. هو ان یكون مدَخّلیة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها و اتصال بعضها ببعض فی اعماق الارض بحیث تمنعها عن تفتّت اجزائها و تفرّقها فهی بمنزلة الاوتاد

المغرورة المثبته فى الابواب المركّبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سببا لألتصاق بعضها ببعض و عدم تفرّقها و هذا معلوم ظاهر لمن حفر الابار فى الارض فانّها تنتهى عند المبالغة فى حفرها الى الاحجار الصُلّبة و انت ترى اكثر قطع الارض واقعة بين جبال محيطة بها فكانها مع ما يتّصل بها من القطعة الحَجَريّة المُتّصلة بها من تحت تلك القَطَعات كالظرف لها تَمنعها من التَفَتّت و التَّفرق و الأضطراب عند عروض الاسبابالداعيّة الى ذالك انتهى...

الوجه الرابع: ماذكره بعض المُتعسّفين من انّه لما كانت فائدة الوَتدان يحفظ المَوتُود فى بعض المواضع عن الحركة و الاضطراب حتّى يكون قارّا ساكنا و كان من لوازم ذالك السّكون فى بعض الاشياء صحّة الاستقرار على ذالك و التصرف عليه و كان من فائدة وجود الجبال و التضَريسات الموجوده فى وجه الارض ان لاتكون معمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصّرف عليها لاجرم كان بين الأوتاد و الجبال الخارجة من الماء فى الارض اشتراك فى كونهما مستلزمين لصحّة استقراره ما نعين من عدمه لاجرم حسنت نسبة ـ الاتياد الى الصخور و الجبال و امّا اشعاره بالمَيَدان فلان الحيوان كما يكون صادقا عليه انّه غير مُستقرٍ على الارض بسبَبَ انغمارها فى الماء لَو لَم يُوجد الجبال كذالك يصدق على الارض انّها غير مستقرّة تحته و مضطربة بالنسبة اليه فثَبَت «ح» انّه لولا وجود الجبال فى سطح الارض لكانت مضطربة و مائدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنّه من الاستقرار عليها...

الوجه الخامس: ان يكون المراد بالجبال و الرّواسى الأنبياء و الأولياء و العُلماء و بالأرض الدّنيا و وجه التّجوز بالجبال عن الانبياء و الأولياء فلانّ الجبال لمّا كانت على غاية من الثّبات و الاستقار مانعة لما يكون تحتها من الحَرَكة و الأضطراب عاصمة لما ينتجى اليها من الحيوان عمّا يوجب له الهرب فيسكن بذالك اضطرابه و قلقلته اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات...

ثمّ لمّا كانت الانبياء و العلماء هم السبب فى انتظام امور الدنيا، و عدم

اضطراب احوال اهلها كانوا كالأوتاد للأرض فلاجرم صحّت استعارة لفظ الجبال لهم و لذالك صحّ فى العرف ان يقال فلان جبل منيع يَأوِى اليه كلّ ملهُوف اذا كان يرجع اليه فى المهمّات و الحوائج و العلماء اوتاد الله فى الارض...

الوجه السادس: ان يكون المقصود من جعل الجبال كالاوتاد فى الارض ان يهتدى بها فى طرقها و المقاصد فيها فلاتميد جهاتها المشتبهة بأهلها بهم فيَتيهُون فيها عن طرقهم و مقاصدهم انتهى...

قال المجلسى(ره) و هذه الوجوه الثلاثة ذكرها بعض المُتعسّفين و هذا دَأبه فى اكثر الايات و الأخبار حيث يُؤّلها بلاضرورة، داعيةٍ و علّةٍ ما نعةٍ عن القول بظاهرها و هل هذا الاّ الأجتراء على مالك يوم الدّين و افتراء على حجج ربّ العالمين انتهى...

و انا اقول ما ادرى من القائل بها و لم يصرّح قده به...

الوجه السابع: ان يقال المراد بِالأرض قطاعها و بقاعها لامجموع كُرة الارض، و يكون الجبال اوتادا لها انّها حافظة لها عن المَيَدان و الاضطراب بالزّلزلة و نحوها إمّا لِحركة البخارات المحتقنة فى داخلها باذن الله تعالى او لغير ذالك من الاسباب الّتى يعلمها مبدعها و (مُنشئها) و هذا وجه قريب «انتهى».

و انا اقول: هذه الوجوه السّبعة قد ذكرها المجلسى (قده) فى البحار و نحن نقلناها منها بطولها مع حذف الاعتراضات المذكورة فى البحار عنده حذراً من الاطناب و خَوفا من الملال مضافا الى قلّة نفعها فانّ الوجوه المذكورة ايضا لافائدة فيها و كذا اَجوبة المجلسى(قده) عن الفخر الرّازى الّتى نقلناها فانّ الاشكال باق على حاله و هذه المذكورات ليست فى الحقيقة معالجة للمريض بل تزيد على مرضه و بعبارة اخرى الاشكالات الواردة على ظاهر العبارة لاترتفع بهذه الأقاويل و مَزيداً للتّوضيح نقول...

ما ذكروه فى المقام يتوقّف على امرين:

احدهما: كون المراد فی عبارة الأمیر من الصّخُور هو الجبال کما علیه الشّراح بأجمَعهم فان الصَّخَرة عبارة عن الحَجَر الصّلب الذی مصداقه الأتمّ الاکمل هو الجبل لحَجَریّته و صَلابته مع دلالة القرائن علی هذا الحمل و هی الوتدیّة المانعة عن میل الارض من جانب الی جانب و هذا لاتظهر الاّ فی الجبال دُون سایر الصّخور...

الثانی کون الارض مُستقرّاً علی الماء کالسّفینة فی البحر فکما انّ السّفینة لاجل الأستقار علی الماء و عدم الاضطراب تحتاج الی ثقل یَمنعها عن التزّلزل فکذالك الارض و هذا ظاهر...

و فی کلا الأمرین نظر:

امّا الاوّل: فلان الُصّخور جَمع صَخَرة و هی الحَجَر العظیم سواء اطلق علی الجبل ام لاوایّ دلیل دَلّ علی انّ المراد به الجَبَل، و بعبارةٍ اخری الصّخرة مطلق الحجر العظیم جبلاً کان او غیره فتَخَصیصه بالجَبَل یحتاج الی مخصّصٍ و حیث لیس فلیس...

و امّا القرائن الدّالة علی هذا التخَصّیص او الحَمل فلاتدلّ علیه اصلا اذ کلمة «وتدٌ» التّتی هی معظم القرائن لاتدلّ علی ازَیَد من الثبوت او التشّبیت بالمعنی الاعم و الوَتَد احدی اسباب التّشبیت لانفسه فارادة المِسمار من الوتَدَ لااشکال فیها لکن ارادته من مطلق التّودید محلّ منع مضافا الی انّه علی فرض التّسلیم لاتکون الجبال من هذا القبیل بالمعنی الّذی ذکروه.

و امّا الامر الثانی: و هو انّ الارض بالنّسبة الی الماء بمنزلة السّفینة فلیس الامر کذالك اذ الارض علی التحقیق المقرون بالعلم سابحة فی الفضا کسائر الکرات و فوقها الکرة القمر و هی تدور حول الشمس مثل سائر الکواکب و سُرعة دَوَرانها حول الشمس تبلغ فی الثانیة ثلثین کیلومتر و نصفا و محیطها اربعین الف کیلومتر و قطرها ثلاثة الف فراسخ و الشمس اکبر منها بنحو ملیون و اربعائة الف مرّة وَ لهادَورتان...

دَورة رَحويّة حَول مِحورها من الغرب الى الشّرق و تتمّها فى مدة اربع و عشرين ساعات و فائدة ذالك تكوين اللّيل و النّهار بمحازاتها اجزائها المختلفة للشّمس على التعاقب...

و لها دورة مُحيطيّة اى حَول الشّمس تتّمها فى مدّة خمس و ستين و ثلاثمأة يوم(٣٦٥) يوما فتقطع فى اليوم الواحد اكثر من نصف مليون فرسخا سابحة فى الفضاء(خمس مائة الف فراسخ / ٥٠٠٠٠٠ فرسخ)...

هذا حال كرة الارض و مايكون هذا شأنه فالبحث عن استقراره على الماء و احتياجه الى الثّقل حتى يكون مانعا عن الاضطراب و الميل حتّى نحتاج الى هذه الاستخراجات الوهميّة لايرجع الى محصّل...

نعم ما ذكروه بالنّسبة الى زمانهم قابل للقبول و امّا بالنسبة الى زماننا فلا، و انّما نقلناها بطولها لاِمتلاء مضامينها بالتّحقيقات العلمية.

و بعبارة اخرى لها ثمرات عِلمية دون عَمَليّة و العَجَب من الشّارح الخوئى(قده) مع انّه قريب العصر بزماننا لَم يتوجّه الى هذا الأصل و تبعهم فى الاوهام و قال فى شرحه ما قال...

و امّا البحث فى الايات الواردة فى مقام البحث من كون الجبال اوتاداً فَلَه محلّ آخر و لاتنافى الآيات تحقيقات العَصر اَصلاً فانّ مفاد الايات شىء و مفاد الاوهام شىء آخر...

اذا عرفت هذ فنقول مُستعيناً بالله:

و التّحقيق حَسَبها يقتضيه النّظر الدّقيق فى هذا المقام هو انّ العبارة تحمل على ظاهرها من غير تصرّف فيها و تقريره انّه عليه السلام اراد فى هذه الفقرات توجه العباد الى اكمّل النّعم الأٰلهية و اَحسَنها و اتمّها فائدةً لهم الّتى هى كالاصل بالنّسبة الى غيرها و مُجمل القول انّ النِعم و ان كانت غير متناهية الاّ انّ بعضها اَهمّ من بعضٍ و هذا ممّا لاينكر...

فاصل النّعم نعمة الوجود لانّه مَنشأٌ لكّلِ الخيرات و الأثار و منه تظهر فوائد

الموجودات و لولاه لم يكن شيء و الماهيّات مع قطع النّظر عن الوجود اعتباريّة مَحَضة و ليست لهما منشئيّة للاثار كما حُقِّق فی محلّه و سياتی ان شاء الله تعالی مفصلاً.

ثُمّ فی المرتبة المتاخرة تصل النوبة من حيث الأهَميّة الی النّعم التی بها دوام الموجود و بقائه اذاالموجود بعد الوجود يحتاج الی ما يعيش به و به يدوم حياته بحيث لولاه لم يمكن للموجود ادامة الحيات و لاشك فی انّه بعد الوجود لاتكون نعمة اهمّ من نعمة الهَواء اذبه يتنَفَّس و يَنمُوا.

ثمّ فی المرتبة الثالثه تصل النّوبة الی الحَيّز و المَكان المناسب له، و امّا الغذاء و اللّباس و سائر الاحتياجات ففی مرتبة متأخرة عن الثلاثة المذكورة كما لايخفی علی المتامّل.

فعلی هذا اصول النّعم ثلاثة: نعمة الوجود ـ نعمة الهواء ـ نعمة المكان:

فاشار عليه السلام بالأولی فی الأولی حيث قال: «فطر الخلائق بقدرته» ای ايجاد المخلوقات و الطّبايع علی طبق المَصلحة كامرّوا اشارعليه السلام بالثّانية اعنی نعمة الهواء بايّة صورةٍ كان سواء كان ريحاً او غيره اذ الرّياح ايضا من الهواء كما مرّ...

و اشار بالثّالثة الی الثّالثة: ای اشار الی نعمة المكان بقوله عليه السلام **وَ وَتَّدَ بِالصُّخُوْرِ مَيَدَانَ اَرْضِهِ:**

ای ثبّتَ بسبب الأحجار امَيال الأرض و آمالها و حيث انجَّر الكلام الی هنا فلاباس بذكر مقدمة يستعان بها علی اثبات اصل المطلب لانّ هذا المعنی بالنسبة الی اذهان البلَيدة غريب و الی اذهان القريبة قريب و حيث يكون جُلّ الناس من قبيل الاوّل و الشّق الثانی قليل الافراد، جدّا فنقول:

موجودات العالم ای مخلوقاتها سواء كانت علويّة او سفليّة لاتخلو من اقسام ثلاثة:

تامّ ـ ناقصٌ بذاته و ناقص مكتفی بذاته ـ و ناقصٌ غير مُكتَفٍ.

الاوّل: الموجودات التّامة: و هی عبارة عن الموجودات الّتی لیست لها حالة مُنتظرة فی المکال و لاحاجة لها الی شیء الاّ بارئها و مُبدعها فکلّ مایمکن ان یصل الی الممکن بعدُ صار فعلیّاً هناك و هی العُقُول التّامة الّتی عَبَّر عنها ارسطو و من تبعه بالعقول العَشَرة و الاشراقیّون بالانوار القاهرة علی تفصیل ذکروه فی محلّه.

الثانی: و هو الناقص المکتفی بذاته: من دون ان یستَمّد من غیر ذاته للوصول الی الکمالات الممکنة و ذالك کالاَفلاك و نفوسها و من هذا القبیل نفوس الانبیاء بحسب الفِطرة و امّا بعد الاستکمال فربّما صارُ وٰتامّة...

الثالث: الناقص الّذی غیر مکتفٍ بذاته: بل یحتاج فی بلوغه الی الغایة الی مکمّلٍ خارج عن ذاته و ذالك کالعنْصریّات و نفوسها الغیر المؤیّده.

امّا القسم الاوّل: من الاقسام الثلاثة فلاکلام لنا فیه فعلا، بل البحث فیه موکول الی محلّه فانّ البحث فی شرح الفاظه و حیث لم یتعرّض للعقول و کیفیة خلقتها فی هذا المقام فلم نتعرّض لها ایضا.

امّا القسم الثانی: اعنی الافلاك و نفوُسُها فالظّاهر ایضاً عدم تعرّضه لها کما مرّ فی شرح قوله علیه السلام فطر الخلائق الخ و ان امکن التّعمیم فی العبارة بالافلاك ایضا حیث انّها مفطُورة کالعُنصریّات و بهذا المعنی یدخل فی بحث العقول ایضا فانّها ایضا مفطُورة الاّ انّ الخلائق الّتی بمعنی الطبایع تُخرجها عن البحث اذ لاتصدق الطّبیعة علی العقول اصطلاحا و امّا الافلاك و ان تَصدُق الطّبیعة علیها و یقال الطّبیعة النّوعیة الفَلَکیّة الاّ انّ نشر الرّیاح و جملة بعدها قرینتان علی عدم ارادتها ایضا اذ نشر الرّیاح علی الطّبایع الفَلَکیّة و کذا صدق الارض علیها لامعنی له و ان کان فی الاخیر تامّل...

فبقی فی المقام قسم واحد و هو ان مراده علیه السلام فی هذه الفَقَرات الثلاثة کیفیّة خلق العناصر و طبائعها و علّة تعیّشها و بقائها فی کُرة الارض بالتقریب الّذی ذکرناه...

و لمّا كان هذا القسم من الاقسام الّتى مَرَّ ذكرهايحتاج فى بلوغه الى كماله المطلوب بمُكَمِّلٍ خارج عن ذاته و الاّ لايحصل له كمال...

فاشارعليه السلام الى مكّملاته الخارجيّة عن مقام ذاته و هى ثلثة:

الوجود ـ الهواء ـ و الأرض.

و لمّا كانِتِ الطّبايع العنصريّة بعد الوجود تحتاج الى كما لها الذّاتى لها لانّها جواهر و الحركة الجوهرّية ثابتة بالدلائل العقليّة فى شراشر العناصر بل عالم المادّة كما ثبت فى محلّه و الارض ايضا احدى العناصر الأربعة فلها ايضا حركة الى الكمال، و لايخفى عليك انّ كمال كل شىءٍ بحَسَبه فكمال الانسان غير كمال الحيوان و كمال الحيوان غير كمال النّبات و كمال النّبات غير كمال الجماد قال الله تعالى: **﴿وَ تَرَى الْجِبالَ جامِدةً وَّ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾**[1]

فالموجودات كلّها طالبة لكمالها المترقية لهاو الفيض من المَبدء الفيّاض واصلٌ اليها آنا فآناً كما سنَحَقّقه فى مباحث الآتية انشاء الله تعالى.

اذا غَرَست هذا فى عقلك و خَرجتَ عن التّعصبات فنقول:

لِلأرض ايضا على هذه القاعدة كمالات مترقّبة و اميال و آمال مترصّدة لابدّ لها من الوصول اليها اذا لم يمنع عنه عائق و مانع و كمالاتها و آمالها لاتعدّ و لاتحصى فانّ للارض منافع كثيرة لايمكن عدّها و احصائها و من جملة ذالك تحجيرها بصور مختلفة مع حفظ المادّة فانّ الماده لاتنقلب على التحقّيق و الانقلاب من شأن الصّورة فانّ مادّة الماء مثلا لاتنقلب هواء بل تترك صورة المائية و تاخذ الصورة الهوائيّة كما حقّق فى الفلسفه...

و لمّآ كان للساكنين عليها احتياج شديد الى الأحجار سواء كانت احجارا قيّمه كالفيروزج و الياقوت و الألماس و غيرها من الجواهراً و غير قيّمةٍ كسائر الأحجار بالنّسبة اليها و الاّ ما من حجرٍ الاّ و فيه قيمة واقعيّة لاسيّما لَدَى الاضطرار اليه فاذا نظرتَ بعين الانصاف ـ الى الاحجار لدريَت انّه لولاها

١. النمل / ٨٨.

لاختّل النّظام و لمَ يمكن للبشر رفع الاحتياج بدونها، و حيث انّ الارض مُعدة للوصول الى الغايات لرفع احتياجات الموجودات المُستقّرة عليها ففى نظام الكل لازم على الفيّاض المطلق الّذى خلق الموجودات للوصول الى الكلمات عدم منعها عنها بل ايجاد المقتضى كما فى سائر الموجودات و هذا ظاهر فعلى هذا تفسير العبارة من حيث المعنى هكذا...

هو الّذى اَثبَتَ الأحجار على الارض لميل طبيعة الارض اليها حتى لاتكون مضطرية من جهة عدم الوصول اليها...

و تقدير العبارة هو الّذى ثبّت اميال الارض بسبب الاحجار المطلوبة لها فكلمة (بالصّخور) اعنى الجار و المجرور تتعلّق بالميدان قدّمت عليه لافادة الحصر او لافادة اهميّتها فى المقام.

هذا ما اردنا تحريره فى شرح هذه الجملة و لست اقول غرضه عليه السلام ليس الاّ هذا فانّ كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق فالعجز بالنّسبة الى فهم كلام الله تعالى او كلام المعصومين اَدّل دليل على الفهم.

«الحمد لله رب العالمين»

▫ قوله عليه السلام: **اَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتِهِ، وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ-، وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْاِخْلَاصُ لَهُ، وَ كَمَالُ الْاِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عِنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ اَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ اَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، متن..**

◁ **اللّغة**

(**اَوَّلُ**) بفتح الألف و تشديد الواو و فتحها و سكون اللاّم ضدّ الاخر و الجمع منه اوائل. (**والدِّينِ**) الطّاعة، التّصديق، الاعتقاد الجازم ـ و المعرفة ادراك الشيء ثانياً بعد توسّط نسيانه ـ و التّوحيد جعل الشيء واحداً. (**اَلْاِخلاص**)مصدر من اَخلَص الشيء اذا جعله خالصاً ممّا يَشُوبه يقال خلص الماء اذا صَفا من الكَدِر.

◁ المعنى

كلمة اوّل يطلق فى الاصطلاح على معان متعددة:

منها المتقدم بالزّمان كتقدّم الأمس على اليوم.

منها المتقدم بالرّياسة نحو الأمير ثمّ الوزير.

منها المُتقدّم بالوضع و النّسبة كقولك للمسافر الى العراق مثلا: الكربلا ثم النّجف.

و منها المتقدم بالنِّظام الصّناعى كما يقال الأساس ثمّ البناء و اذا استعمل ظَرفاً فَيُبنى على الضَمّ نحو جئتك اوّل و الاّ فلانحو اولاً و اخراً و المراد منه فى المقام يمكن ان يكون كلّ واحدة منها و ان كان الاخير انسَب.

الدّين: ايضا فى الاصطلاح يطلق على معان و قيل فى اللّغة ايضاً و الحَق هو الاوّل.

الاوّل: الطّاعة و منه **﴿وَ لَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾**[1] و قوله: **﴿وَ لاٰ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾**[2].

الثانى: الجزاء و عليه يحُمَل قوله(تعالى): **﴿مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**[3].

و عليه قول الشّاعر:

دِيْن هذا القلب مِن نعم بسقام لَيسَ كالسّقم

الثالث: بمعنى التّوحيد كقوله تعالى: **﴿اِلا لِلّٰهِ الدِّينَ الْخٰالِصُ﴾**[4]

الرابع: القسطاس المستقيم كقوله زنو بالقسطاس المستقيم فانّ المقصود منه الدّين...

الخامس: الحكم ـ كقوله تعالى: **﴿لاٰتَاْخُذْكُمْ بِهِمٰا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّٰهِ﴾**[5] اى فى حكم الله...

السادس: الذلّة وَ عليها يُحَمل **﴿فَلَوْلاٰ اِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهٰا﴾**[6]

---

١. النحل / ٥٢.
٢. التوبه / ٢٨.
٣. فاتحة الكتاب / ٤.
٤. الزّمر / ٣.
٥. النّور / ٢.
٦. الواقعة / ٨٦.

السابع: العادة و الشّأن كقول العرب: هذا دينِي و دينِ آبائى.

و منه قول الشّاعر:

تـقول اذا دَرأتَ لهـا وضـينى اهَـــذا ديـــنه اَبَـداً و دِيـنى

الثامن: الأنقياد لمجموع الاحكام الشّرعية اصولها و فروعها، كقوله تعالى: **﴿اِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الْاِسْلاٰمُ الخ﴾**[1]

و **﴿مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ الخ﴾**[2]

و **﴿لااِكْرٰاهَ فِى الدِّيْنِ﴾**[3].

و **﴿وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْاِسْلاٰمِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**[4]

و **﴿اَفَغَيْرَ دِيْنِ اللهِ يَبْغُوْنَ﴾**[5] و امثال ذالك من الايات الدّالة على انّ الدّين عبارة عن مجموع احكام الاسلام...

و الدّين و ان يمكن حمله فى العِبارة على كلّ واحد من هذه المعانى الاّ انّ الاخير اَنسَب و اكمل كما لايخفى...

و المَعرفة: غير العلم لانّها مسبوقة بالذُّهول و النّسيان و العلم ليس كذالك و لهذا لايقال الله تعالى عارف و يقال عالم و فى هذا التّعبير منه اشارة الى سبق الميثاق فى عالم الذّر كما قال الله تعالى حكايةً عنه: **﴿اَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلٰى﴾**[6]

و **﴿فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِى فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا﴾**[7].

و انّما قال عليه السلام **وَ كَمٰالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ**، الخ لانّ كمال كلّشىءٍ بحَسَبه فكما انّ **كمال المعْرِفة التَّصْدِيقُ بِهِ، فكَمٰالُ التَّصدْيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ،وَ كَمٰالُ تَوْحِيدِهِ الْاِخْلاٰصُ لَهُ، وَ كَمٰالُ الْاِخْلاٰصِ لَهُ نَفْىُ الصِّفٰاتِ عنه**

ففى هذا التّرتيب اشارة الى مدارج الكمال بحسب ترقيّات اِلنفوس و انّ كلّ واحد منها ما لم يصل الى كماله المترقّب فى مقام السلوك الى الله يكون ناقصا

---

١. آل عمران / ١٩.
٢. البقرة / ١١٢.
٣. البقرة / ٢٥٦.
٤. آل عمران / ٨٥.
٥. آل عمران / ٨٣.
٦. الاعراف / ١٧٢.
٧. الروم / ٣٠.

و لهذا يكون مراتب التّوحيد بالّنسبة الى الاشخاص متفاوتة كما سَيتّضح لك انشاء الله تعالى.

◁ الشّرح

اعلم انّه جعل اساس الدّين المعَرفة بالله و كتبهَ و رُسْله اذ بمعرفة الله تعالى تعرف الانبياء و بمعرفتهم تُعرف الأحكام فاصل المَعرفة المَعرفة بالله تعالى ثمّ فرّع على هذا الأصل فروعاً اربعة...

الاوّل: التّصديق بالله تعالى لانّ التّصديق لايعقل بدون المَعَرفة.

الثانى: التوحيد فانّه متفرّع على التّصّديق المتفرّع على المعرفة.

الثالث: الأخلاص له تعالى المُتَفرّع وجوده على التوحيد الَمُتّفرع على التّصديق المُتفَرّع على المعَرفة.

الرّابع: نفى الصّفات المُتفرّع على الأخلاص اَلمُتَفرّع على التّصديق الْمتّفرع على المعرفة فثبت انّ كلّ ذالك لايتحقّق بدون المعرفة لابتناأ لكل عليها و لهذه الجَهة قال عليه السلام **اَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتِهِ**، فالبحث يدور على مقاصد فنقول:

المقصد الاوّل: قوله **اَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتِهِ**:

انّما خُصّت المَعرفة باوّل الدّين لانّه لولا المعرفة لم يكن دين حقيقة اذ الدّين كما قلنا هو الألتزام بالأحكام الشّرعيّة و الَنوّاميس الالهيّة، مُمتِثلاً لأمرِه تعالى فاذا لم يعرف الله كيف يلتزم بدينه مضافا الى انّ الغاية القُصوٰى من لايجاد الخلق المعَرفة كما اشار اليه فى كتابه: **﴿وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ اِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ﴾**[1] اى ليعرفون...

و انّما قلنا اى ليعرفون لاجماع المفسّرين على ذالك كيف لا و هو امر يحكم به العقل و صريح الوجدان...

---

١. الذاريات/٥٦.

و حيث انجرّ الكلام الى المعرفة و البحث عنها فلاباس بالأشارة ـ الى كيفيّتها و لنقدّم فيها روايات وَرَدت عن المعصومين عليهم السلام ثمّ نعقبها بما يليق فى المقام، فنقول:

محمد ابن الحسن عن عبدالله ابن الحسن العلوى و على ابن ابراهيم عن المختار ابن محمد ابن المختار الهمدانى جميعا عن الفتح ابن يزيد عن ابى الحسن عليه السلام قال سئلته عن ادنى المعرفة فقال:

الاقرار بانّه لااله غيره و لاشبه له و لانظير و انه قديم مثبت موجود غير مفند: ﴿وَإِنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[1]﴾...[2]

قال الفيض الكاشانى(قده) فى الوافى بعد نقل الحديث الظاهر انّ المراد بابى الحسن(الهادى) و يحتمل الرّضا. على بن محمد عن سهل عن طاهر ابن حاتم فى حال استقامته انّه كتب الى الرّجل ما الّذى لايجتزء فى معرفة الخالق بدونه فكتب اليه لم يَزَل عالما سميعاً بصيرا و هو الفعّال لما يُريد و سئل ابوجعفر عن الّذى لايُجتزىٰ بدون ذالك من معرفة الخالق فقال عليه السلام: ليس كمثله شىء و لايشبه شىء لم يزل عالماً سَميعاً بصَيراً.

قال قده فى بيانه انّما قال فى حال استقامته لانّه كان مستقيماً ثم تغيّر و اظهَرَ القول بالغلوّ و لعلّ المراد بالرّجل الرّضا عليه السلام الخ.

و قال صدر الدّين الشيرازى(قده) فى شرحه على اصول الكافى عند شرح هذا الحديث المراد بالرّجل هو الكاظم عليه السلام كانوا لَم يُسمّونَه بأسمه، خوفاً من اعدائه و كان مَستُوراً مَحبُوساً ثم قال قده:

الاجتزاء الاكتفا و قد اَشرنا الى انّ للايمان مراتب و الّذى كُلّف به من العقائد جميع المكلّفين قَوّيهم و ضعيفهم و عليه يتوقّف صحّة اعمالهم كصومهم و صلوتهم و زكواتهم و حجّهم و طاعاتهم و مبرّاتهم و كفّهم عن معاصيهم و سيّاتهم و بدونه لاينتفعون بالطاعات و لايثابون تبرك السيّآت و

---

١. الشورى / ١١.

٢. كتاب الوافى، ج ١، ص ٧٦.

لايقع لهم النجاة من العذاب يومِ الجزاء و الحساب هو ان يعتقد وُ انّ لهم إلهٌ واحدٌ لاشريك له فى مُلكه و انّه دائمٌ لايَزوُل و انّه قادرٌ على كلّ شىءٍ فعّالٌ لما يُريد عالمٌ بالجُزئيّات فَيَسمَع و يَرى و يُجيب الدّعوات و يقضى الحاجات و انّه ارفع و اجلّ من كلّ شىءٍ فليس كمثله شىء و هو السّميع البصير فهذه عقائد يجب على كلّ بالغ «عاقل» ان يعتقدها اذ لايصعَب على احد منهم دركه و لاحاجة الى تقرير الادلة الكلاميّة بل الغرائز مجبولة على الأذعان بها و القبول عند القاء المُلقى ايّاها عليهم و تلقينهم بها لو لابِدَع المُبتدعين و وَساوس المُضلّين فيقع الاحتياج عند ذالك الى من يَحرسُ هذه العقائد و يحفظها عن تحليل اهل البَدع و لو بمقدمات جَدليّته و مسلّمات عند الخصم، ثم بعد كلامه قال(قده):

و امّا معرفة هذا الانوار مِن العِلم بالله و توحيد ذاته و صفاته و كيفيّة علمه وقُدرته و سمعه و بَصره و مشيّة و ارادته بنور البصرة و مشاهدة الباطن فهى اَمرٌ وراء اعتقاد العامى و ايمان الكلامى و ليس ذالك ممّا يتَسيّر لكلّ احد و يقع فى وُسع كلّ مكلّفٍ بل هو نورٌ من انوار فضل الله يَختصّ به من يَشأ من عباده انتهى...

اقول: ماذكره(قده) فى شرح الحديث حرّى بان يكتب بالنّور على الأحداق لابالحبر على الاوراق و لاغَر و فانّ هذه التحقيقات و امثالها ممّا يليق بجنابه.

فَظهر انّ الناس مأمورون بالمعرفة كلّ واحد منهم بحسب مايليق بحاله و امّا اشباع القول فيها فخارج عن طور هذا الكتاب و لكنّا بمصداق الميسور لايترك بالمَعسور، فانّ مالايدرك لايترك كلّه نذكر شطرا من حقيقتها، و الاقوال الواردة فيها و طرق الوصول اليها بحسب الادلّة العقلية و النقلية فنقول:

اعِلَم انّ كلّ ما لاسبب له و لاجُزء لَه لابحسب الخارج كالمادة و الصُوّرة و لابالقوّة كالأجزاء المُتّصل المقدّاريّة و لابحسب العَقل كالجِنس و الفصل لانّه حقيقة الوجود و الوجوب فلابرهان عليه و لاحدّ له و اذلاصِفة له و لاشىء

اعرف منه فلارسَم له و اذ ليست حقيقة الوجود مهيّة كليّة فلاصورة لها فى العقل حتّى يعرف بها كما فى المَهيّات الّتى هى عين الوجود فاذن لاتخلوا معرفته من وجهين:

الوجه الاوّل: من طريق المكاشفة و المشاهدة الحضوريّة بصريح العرفان...

الوجه الثانى: المعرفة به بطريق التّنزيه و التّقديس عما لايليق بجنابه تعالى بالطُّرق العَقّلية المُقررة.

امّا الوجه الاوّل فلايمكن الوصول اليه لأحدٍ مادام تَعلّق النفس بهذا البدن الدّنيوى الكثيف، و امّا قول علّيٍ عليه السلام مارايت شيئًا الاّ و رايت الله قبله و بعده و معه فهو ممّا لايليق الاّ به و لاكلامِ لنا فيه لانّه من ظُهور سلطان الاخرة على قلبه فى الدّنيا اذ هو القائل لو كشُف الغَطاء ما ازدت يقيناً، وَ أنّىٰ يتحقق هذا المقام لغيره بل هو مقام الفناء المُطلق الّذى لم يثبت إلاّ للمَعصُومين عليهم السلام و عن هذه المَنزلة نعبّر بالاستشهاد منه تعالى: على الموجودات و لتوضيحه و تحقيقه مقام آخر:

امّا الوجه الثانى: و هو الاستدلال بوجود الأشياء على وجود ذاته، ثمّ معرفة ذاته بنفى المِثل و الشِّبه عنه لانّ ماسواه ايّاً ماكان مخلوق له و المخلوق لايكون مساوياً للخالق فى الذّات حتّى يكون مثلاًله و لافى الصّفات حتى يكون شِبهاً له فاذن لامثل له ولاشبهَ له بِقولٍ مطلق.

و ثانياً لانّ صفاته عين ذاته فلو ساواه شىء فى الصّفة لساواه فى الذّات فيلزم ان يكون مثلاًله و يلزم منه تعدّد الخالق و هو محال.

فاذا نفى عنه ما عَداه و سُلِب عنه ما سواه سواء كانت أبداناً او ارَواحاً عُرِف انّه مُنزّهٌ عن ان يُوصَف بشىء غير ذاته او يصدق عليه معنى غير ذاته.

فغاية معرفته بالبرهان عدم امكان معرفته بشىء غير نفسه و لابشىء غير نفسه و لاجل هذا قال سيّد الرّسل صلى الله عليه وآله الّذى هو أعرف المَوجودات به تعالى فى مقام معرفته ما عَرفناك حق معرفتك ـ و قال ايضا: ان الله احتْجَب عن

العقول كما احتَجَب عن الابصار ـ و قال ايضا انّ المَلأ الأعلى يطلبونه كماتطلبونه(انتم تطلبونه).

و امّا بالنسبة الى سائر المخلوقات فالامر اوضح و لهذا البحث عرض عريض...

فثبت و تحقق ان كُنه المعرفة و حقيقتها ممّا لايمكن الوصول اليه لأحدٍ لأستحالة احاطة المتناهى بغير المتناهى و هو ظاهر.

و امّا المعرفة الّتى لابدّ لنا منها و نكون مأمورين بتحصيلها على ما ذكرت فى الروايتين السابقتين فطرقها و ان كانت كثيرة بحسب الاشخاص و العقول كما قيل طرق المعرفة اليه تعالى بعدد نفوس الخلائق.

الاّ انّ البحث يدور مدار العقل و النّقل و لاعتبار بغيرهما عندنا.

امّا طريق المعرفة من جهة العقل فمن وجوه:

الوجه الاوّل: من طريق وجُوب شكر المُنعِم عقلاً على ماذكرناه ـ فى اوائل الكتاب و قد استد للنا على اثباته بما يغُنينا عن الأطالة و انّا بعد ما فرضنا انّ العقل حَكَم حُكماً قطعيّاً بوجوب شُكر المنعم و لاشك فى انّ النِّعَم كلّها منه تعالى فلانشك فى عدم قدرتنا على اداء حقّه كيف و عالم الوجود بشرا شره رَشحٌ من رَشَحات فيُضه و قَطرةٌ من قطَرَات بحر ذاته و صفاته فهو الظاهر و الباطن و هو على كلّ شىء قدير...

الوجه الثانى: لاشك و لاشبهة لنا فى وجود صانع لهذه المَصْنوعات و خالق لهذه المخلوقات و تقريره اجمالا هو انّ الموجود لايخلو من ان يكون موجودا بذاته او موجود الغيره فاذا كان موجودا بذاته من دون علّة خارجة عن مقام ذاته فلا يسبقه العدم و لايلحقه و حيث نرى سبق العدم علينا و كذا ملحُوقيتنا به فنكشف عن وجود علّة خارجة عن ذاتنا حتى يكون وجودنا و عدمنا منه فاذا كان الامر كذالك، فنقول:

لابدّ من كون العلّة موجودة اذ لو تَكن مَوجودة فَلتَكُن معدومة و حيث انّا

موجودُون و لايمكن كون العدم علّة للوجود لاستلزامه علّية الشيء لنقيضه فلابدّ من وجودها و اذا ثبت وجودها فوجودها لايخلو امّا ان يكون إمكانياً او واجبيًا اذ المنفصلة لايخلو الامر منهما، فالشقوق المحتملة لاتخرج من اثنين و هو الوجوب و الامكان و ان شئت قلت الشّقوق المُحتملة فى بادى الامر اربعة:

الاوّل: ان تكون العلّة واجبة و ممكنة معا.

الثانى: ان لاتكون واجبة و ممكنة معا.

الثالث: كونها واجبة غير ممكنة.

الرابع: عكس الثالث.

و الاوّل: محال لانّ الوجوب يقتضى عدم معلوليتها لغيرها و الامكان يقتضى المعلوليّة اذا الامكان عبارة عن لااقتضاء الذّات للوجود و العدم و تساوى الذّات بالنسبة اليهما فترجيح احد الطرفين على الاخر من غير مرجّح قبيحٌ عقلاً و المُرّجح لابدّ ان يكون خارجا عن ذاته اذ لو كان ذاته فهو خلاف الفرض اذ المفروض عدم اقتضائه لها و هذا المرجّح الخارجى ان كان مَمكنا يستلزم التسّلسل و ان كان معدوما يلزم عليّة العدم و هو محال فلابدّ من ان يكون موجوداً غير ممكن و لاممُتنع و هو الواجب و هو المطلوب فثبت انّ الواجبية مع الأمكان لايجتمعان لانّه فى الحقيقة من قبيل اجتماع النقَيضّين.

وَ امّا الثانى: و هو عدم كون العلة واجبة و ممكنة، ايضا محال لاستلزامه كون العلّة مُمتنعة اذ لاتخلو المفاهيم عن هذه الثلاثة و لما كان امتناع العلة محال ففى فرض عدم وجوبه و امكانه لابدّ من ان لايكون هناك شيء موجود و قد فرضناه موجود اهف.

و امّا الرابع: و هو كون العلّة ممكنا غير واجب فهو ايضا محال لاستلزامه الدّور و التسلسل.

فيبقى الثالث: و هو كون الواجب علّة دون الممكن و هو المطلوب.

الوجه الثالث هو انّ العالم الجسمانى ممكن و كل ممكن يحتاج الى المُؤثر

فالعالم يحتاج الى المُؤثر...

امّا الصغرى: اعنى كون العالم الجسمانى ممكن فلمّا ثبت انّ كل جسم او جسمانى لابدّ من ان يكون متحيّزا او حالاً فيه او لانعنى بالجسم و الجسمانى الاّ هذا و كلّ متحيّز منفسم، فالعالم الجسمانى منقسم او حالٌ فى المنقسم:

ان قلت الصّغرى مسلّمة الاّ انّ الكبرى لم تثبت بعدُ قلنا الضرورة تقتضى انقسامه ايضا اذ كلّ متحيّز يمينه غير يساره و يساره غير فوقه و فوقه غير تحته فهو اذن منقسم، و الحالّ فى المنقسم ايضا منقسم اذ هو تابع للمحلّ.

ثمّ نقول: امّا الصّغرى: فَلمّا ثبت آنفاً ـ و امّا الكبرى فلانّ لازم الانقسام كونه ذا اجزاء و كل ذى اجزاء فهو مُركّب و كلّ مُركّبٍ يحتاج الى اجزائه، و اذا ثبت احتياجه الى الاجزاء فثبت احتياجه الى غيره و كلّ محتاج الى غيره فهو ممكن فى حدّ ذاته، فالعالم ممكن فى حدّ ذاته.

و امّاالكبرى: و هو كلّ ممكن يُحتاج ايضا لاشك فيه اذ الممكن كما قلنا هو الّذى نسبته الى الوجود و العدم على السّواء فيتحاج فى خروجه عن حدّ الأستواء الى مُرجّحٍ خارج عن ذاته بالتّقريب الّذى مرّ ذكره فى الوجه الثانى فينتج انّ العالم الجسمانى لامكانه يحتاج الى المؤثر الموجود و هو المطلوب اذ المؤثر الموجود لايكون الاّ واجبا كما سبق.

الوجه الرابع: من باب اثبات الامكان للصّفات كما انّ البرهان السابق من طريق امكان الذّوات، فنقول:

الاجسام فى هذا العالم لافرق بينها من حيث الأمتداد الجسمانى و اذا كان الامر كذالك فكلّ مايجوز اتّصاف واحد منها به يجوز اتّصاف الاخر، به ايضا اذ حكم الامثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد...

فعلى هذه القاعدة كلّ واحد منها و ان اتّصف بوصف خاص او وضع خاصٍ او اَين خاصٍ او جهةٍ او لونٍ و شكلٍ خاصٍ الاّ انّ هذه الاوصاف و الاحوال ليست بواجبة لها من قِبل ذاتها اذالمفروض ان الاقتضاء فى ذوات

الاجسام واحد فيمكن ان يوجد و يمكن ان يوُجَد عكسهُ و يمكن ان لايوجد اصلاً، و ذالك لانّ الاحوال طارية عليها فذوات الاجسام بالنسبة اليها على السّواء اذا ثبت هذا فنقول:

انّا نرى الاجسام على احوال مختلفة و اوضاع و صفات متُغايرة كلٌّ بحَسَبه فاذا فرضنا انّ هذه الحالات ليست بمقتضى ذواتها بل هى امر خارج عنها فلابدّ من القول بمرُجّح لاستحالة التَرّجيح بلامُرجّح فما المرجّح لها فان كان المرجّح ذات الجسم فهو خلاف الفَرض و ان كان خارجاً عنه فهو لايخلو اما ان يكون جسماً او جسمانياً او ليس بواحد منهما فان كان جسماً او جسمانياً فهو محال، اذ على فرض كونه جسماً عاد الكلام اليه و يتسَلَسل و ان كان جسمانياً ايضاً لايمكن اذ الجسمانى حالّ فى الجسم و هو من الأوصاف و المفروض عَدمهما، فلابدّ من ان لايكون جسما و لاجسمانياً و هو الواجب الوجود ـ فثبت المطلوب.

الوجه الخامس: انّ الاجسام سواء كانت فَلَكيّة او عنُصريّة متناهية و كلّ متناه يحتاج الى الْمؤثر ـ فالاجسام تحتاج الى المؤثر...

امّا الصغرى اعنى تناهى الاجسام و الأبعاد فلما ثبت فى الفلسفة: انّ البعد لايمكن عدم تناهيه بالبراهين الّتى اقاموها على التّناهى كالتّطبيق و الموازاة و غيرهما...

امّا الكبرى: اعنى احتياج المُتِناهى الى المؤثّر فلانّ التناهى و عدمه من الاوصاف العارضة على الاجسام و ليسا من لوازم الذّات بل من الجائز ان يكون متناهيا و غير متناه كما اثبتناه فى محلّه الاّ ان البُعد الغير المتناهى فى الخارج لَمْ يوجد لا انه لا يمكن ان يوجد و البرهين الدالة على التناهى لايدلّ على اكثر من تناهى الابعاد فى عالم الوجود خلافا لأكثر الفلاسفة...

و اذا ثبت انّ التناهى من الأوصاف الجائزة للجسم فلابدّ له من مُؤثرٍ خارج عن الجسم و الجسمانى لانّ التناهى على الفرض امكانىّ للجسم و من هنا

نقول باحتياجه الى المُؤّثر فثبت انّ للعالم و اجسامه مُؤثرٌ خارجاً عنها ليس بجسم و لاجسمانى و هو الواجب و هذا الدّليل مع الدّليل السّابق كالدّليل الواحد الاّ انّ الفرق بينهما انّ الدّليل الاوّل يُبحَث فيه من حيث احوال الأجسام و فى هذا الدّليل من حيث التّناهى منها فتامل.

الوجه السادس: انّ العالم بشَر اشره حادث سواء كان الحدوث ـ زمانيّا اعنى مَسبُوقيّته بالعدم كما يقول به كثير من المُتكلّمين او حُدوثا ذاتيا مساويا للقديم الزّمانى اعنى عدم مَسبُوقيّته بالعدم حتى لايلزم انقطاع ـ الفيض و تعطيله بل حدوثه ذاتى بمعنى مَسبُوقيّته بالعلّة و هذا القدر كاف فى الحدوث كما ذهب اليه اكثر الفلاسفة و على كلاالتقدير لاخلاف لهم فى اصل حدوثه اذ لاقديم سوى الله تعالى.

و اذا ثَبَت حدوثه فلابدّ له من مُحدثٍ لانّه لو لم يكن له مُحدِثٌ فيلزم ان يكون قديماً لعدم خلّو الموجود عنهما و لمّا ثبت عدم كونه قديما، فهو حادث محتاج و الُمحدِث فيه لابد من ان يكون قديماً بالذات و هو المطلوب و الدلائل العقلية على اثبات الصّانع كثيرة جدًا و فيما ذكرناه كفاية هذا كلّه طريق الحكاء الالهييّن قدس الله اسرارهم فى اثبات الصّانع و المعرفة به غير الوجه السادس فانّه من طرق المتكلمين...

و امّا استدلال الطبيعيين على اثبات الصّانع ـ فنقول:

لما كان موضوع البَحث فى الطّبيعيّات هو البَحث عن العوارض الذّاتى للجسم فلابدّ من ان يكون مدار البحث عندهم على الجسم و لوازمه الذّاتية اعنى الحَركَة و السّكون فلامحالة طريق استدلالهم يتصوّر على وجهين:

الاوّل: طريق الحَركة فى الأجسام مطلقاً عُنصرياً كان او فَلَكيّاً فنقول لاشك انّ الأجسام المتُحرّكة تحتاج فى تحركها الى مُحرِكٍ خارج عن ذاتها والمحرّك ايّانا على او غائى والفاعلى امّا مُحرِّك غير مُتحرّك او مُحرّك مُتحرّك و كذا و كذا الغائى و لابدّ لنا من توضيح ذالك حتى يتضح الامر فاعلم: انّ القوّة

المحرّكة غير القوّة المُتحرّكة فان الاولى فعلّية، و الاخرى انفعاليّة و هما متقابلان فانّ الحَجَر مثلا اذا تحرّك من جانب الى جانب فلاشك فى انّه مُتحرّك لانّ طبيعة الجسم فى الكلّ واحد فان كان الُمحرك هو الجسم فلابدّ من ان يكون الاجسام كلّها متحركة الى جانب واحد و ليس كذالك فالقوّة المُحّركة فيه هى الّتى ليست بمتحرّكة بل مُحركة فقط اذ لو كانت هى ايضا مُتحّركة فلابد لها من مُحّركٍ و هكذا الكلام و يتسلسل فاذن لامحيص من انتهاء كلّ مُتّحركٍ الى مُحرّك غير مُتحركٍ و هو الواجب تعالى شأنه و هو المُسمّى بالُمحرّك الفاعلى...

و امّا المحرّك الغائى فهو عبارة عن المقصد و الوصول الى المركز الّذى لاجله تحقّقت الحَرَكة و ذالك لانّ الاجسام كلّها تتحرّك نحو الكمالات ـ المطلوبة لها فالجَماد الى النبّات و النبات الى الحيوان و الحيوان ـالى الانسان و بعد صيرورته انسانا من حين تولّده الى ان يصير انساناً قَويّاً جَسماً و هذا ظاهر فهذه الموجودات كلّها ناقصة فلابدّ فى عالم الوجود من موجود هو غاية الغايات كاملا فى ذاته و صفاته و هو الواجب تعالى كما قال الله تعالى: **﴿اَلاٰبِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[1].

فهو غاية الغايات و مطلوب كلّ طالب و مقصود كلّ قاصد: **﴿انّا لله و انّا اليه راجعون...﴾**

فظهر و انكشف انّ الُمحرّك الفاعلى هو الله تعالى و الغائى ايضا هو الله فهو الفاعلى المُحرّك الّذى غير مُتحرّك والغائى المحرّك دون المُحرّك و امّا الغائى المُحرّك المتحّرك) فكالجسم الّذى يتحرك من الفوق الى السّفل فالجسم مُحرّك من جهةٍ و مُتحرك من جهةٍ و كذا الغائى المُحرّك المُتحَرّكّ ايضا معلوم...

الثانى: الأستدلال على الواجب من حركة الأفلاك بناً على انّ الحَرَكة فيها

---

١. الرعد / ٢٨.

ليست بالطَبع بل الحركة فيها اراديّة على ما حُقّق فى محلّه.

و الحَرَكة الأراديّة لاتتصوّر الاّ لغاية عقليّة لاشهويّة غَضَبيّة لانّ الأفلاك عندهم مبرّؤُن عن الشَّهوَة و الغَضَب و الكْون و الفساد و التّخلخْل و التّكاثفُ و النّمو و الذّبُول و الخَرق و الألتيام و هذه الغاية لاتكون الى السّوافل لعدم التفات العالى الى السافل و لاتكون ايضا مُنقطعة لئلاّ يلزم سُكُون الأفلاك عند انتهائها اليها فيلزم ان يكون غرَضَ الافلاك و غاياتها من الحَرَكات مطلوباً عقليّاً دائمياً اَبَديّاً هو الواجب تعالى و هو المطلوب.

اقول هذه الاستدلال لااشكال فيه الاّ انّ كون الأفلاك بالأوصاف الّتى ذكروها امرٌ موهُوم مُبتنٍ على الاستخرابات الظنّيته الّتى لامحَلّ لها فانّ الفلَكَ ليس) الاّ مدار الكواكب وّليس شيئاً موجوداً فى الخارج حتّى قيل بجواز الخَرق و الألتيام فيه او عدم جوازه و كذالك سائر المذّكورات كما سياتى انشاء الله فى محلّه...

فاطلاق الْحَركة على الأفلاك ليس بالحقيقة بل باعتبار الكواكب كمالايخفى...

و امّا اثبات الواجب من طريق النّفوس النّاطقة فمُجمَل القول فيه ان يقال:

لاشك فى تَجَرُّد النّفس كماثبتَ فى مَحلّه و هى مَمكنة فى حدٍّ نفسها محتاجة الى علّةٍ كما هو شان الممكن و علّتها لايمكن ان تكون جسماً او جسمانياً .

امّا عدم كونها جسماً اذ عليه يلزم ان يكون كلّ جسم علّة لنفسه و ليس كذالك اذا المفروض تجرّدها فكيف يمكن عِلّيّةٌ غير المُجّرد للمُجّرد..

و امّا عدم كونها جسمانياً فلان العلّة لابدّ لها من تأثير به يتحقّق المعلول و التأثر و التأثير فى الجسمانّيات لايكون الا بمُحازاتهما، و حيث انّ المفروض تَجَرُّد النّفس فلايُتَصوّر لهُ محاذات اذا المحاذات من لوازم الجسم و اذا لم تكن المحاذات و كذا الوضع فلاتأثير و لاتأثّر هف.

فلابدّ من ان تكون العلّة فيها غير جسمٍ و لاجسمانيٍ و هو الواجب تعالى و هو المطلوب...

و فى المقام طريق آخر يقال له طريق الصّديقين فى معرفته تعالى و اثباته...

و هو انّ حقيقة الوجود احقّ الاشياء بالتَحَقُّق اذ بها يُوجَد الاشياء فهو اولى بالوجود من غيرها و ايضاً يمتنع عليها العدم اذ العدم مقابل و نقيض لها و الشّىء لايقبل مقابله و نقيضه كما انّ السواد لايقبل البياض، بل يحتاج الى قرطاس مثلا يتّصف بالسّواد و البياض و لذالك نقول بوجود الهيولى فى الجسم اذ المتّصل اَعْنى الاتصال لايقبل الأنفصال لانّه قسَيمه فلابدّ فى الجِسم من شىء هو قابل لَهما و هو الهيولى...

فاذا فرضنا انّ وجوده لايقبل العدم لانّه قسَيمه فلابدّ من ان يكون موجودا ازلاً و ابداً ولانعنى بالواجب الاّ هذا المعنى فاذن وجوده يدلّ على وجوبه و سرمديّته و لانحتاج الى بطلان دَور او تسلسلٍ و هذا ظاهر كما قال عليه السلام يا من دلَّ على ذاته بذاته...

قال سيّدنا و مولانا و امامنا الشهيد حسين ابن على عليهما السلام فى دعاء عرفة:

اَلغيرك من الظّهور ما لَيسَ لَكَ حتّى يكون هو المَظهر لَك متىٰ غنيتَ حتى تحتاج الى دليل يَدلّ علَيك او مَتى بعُدت حتى يكون الأثار هى الّتى تُوصل اليك عَميَت عينٌ لاتُراك و لاتزال عليها رَقيباً و خسرت صَفقة عبدٍ لم تَجعل له من حُبّك نَصيباً صدق عليه السلام...

و قال زين العابدين على بن الحسين عليه السلام فى دعاء ابى حمزة الثّماى:

بِكَ عَرفتُكَ و اَنتَ دَللتنى عَليكَ و دَعَوتَنى اليكَ.

شعر

تَجلّىٰ لِىَ المَحُبوب من كلّ وجهةٍ فشاهدته فى كلّ معنى و صورةٍ

ختامه مِسك و فى ذالك فليتنافس المتنافسون، و فى هذه القدر من الدلائل العقلية كفاية. و الحمدلله ربّ العالمين.

امّا الأدلّة النّقلية الدّالة على وجوب المَعرفة و كيفيّتها فكثيرة جدا و لنقتصِر على شطرٍ منها:

فمن الآيات:

١. قال الله تعالى: ﴿اَلَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِراشاً وَّ السَّماءَ بِناءً وَ اَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاتَجْعَلُوا لِلّهِ اَنْداداً وَ اَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

٢. و ﴿انّ فى خَلق السّموات و الأرض: وَ اخْتِلافِ الّيْلِ وِ النّهارِ وَ الْفُلْكِ الّتى تَجرى فى البَحر بما يَنفَع النّاس و ما اَنزل من السّماء من ماءٍ فأحيابه الأرض بعدَ موتها وَ بثَّ فيها مِن كلِّ دابّة و تَصريف الرّياح و السّحاب المُستخرَ بينَ السّماء والأرض لآياتٍ لقَوم يَعقلون﴾[٢].

٣. و ﴿وَ اِنْ مِّنْ شَىْءٍ اِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ اِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ،وَ اَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَاَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَاَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما اَنْتُمْ لَهُ بِخازِنينَ ،وَ اِنّا لَنَحْنُ نُحْىِ وَ نُميتُ وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ﴾[٣].

٤. و ﴿خَلَقَ الْاِنْسانَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَاِذا هُوَ خَصيمٌ مُّبينٌ وَ الْاَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفْءٌ وَ مِنْها تَاْكُلُونَ﴾[٤].

٥. و ﴿وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْواجاً وَّ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَزْواجِكُمْ بَنينَ وَ حَفَدَةً وَّ رَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّباتِ اَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٥]

٦. و ﴿وَ اللهُ اَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ اُمَّهاتِكُمْ لاتَعْلَمُونَ شَيْئاً وَّ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْاَبْصارَ وَ الْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦].

٧. و ﴿وَ جَعَلْنَا الَّيْلَ وَ النَّهارَ اٰيَتَيْنِ فَمَحَوْنا اٰيَةَ الَّيْلِ وَ جَعَلْنا اٰيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُو عَدَدَ السِّنينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصيلاً﴾[٧].

---

١. البقرة / ٢٢.
٢. الجاثية / ٥.
٣. الحجر / ٢٣-٢١.
٤. النحل / ٥-٤.
٥. النحل / ٧٢.
٦. النحل / ٧٨.
٧. الاسرى / ١٢.

٨. و ﴿اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْداً وَّ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَّ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجْنَا بِهِ اَزْوَاجاً مِّنْ نَّبَاتٍ شَتّٰى ،كُلُوا وَ ارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِاُولِي النُّهٰى ،مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اُخْرٰى﴾[1].

٩. و ﴿اَوَلَمْ يَرَا الَّذِينَ كَفَرُوا اَنَّ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ اَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

١٠. و ﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَه وَ اللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ اِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾[3].

١١. و ﴿اَلَمْ تَرَ اِلٰى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ اِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً، وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَّ النَّوْمَ سُبَاتاً وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً وَّ هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ اَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَّ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا اَنْعَاماً وَّ اَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾[4].

١٣. و ﴿وَّ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَّ هٰذَا مِلْحٌ اُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَّ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾[5].

١٤. و ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَاْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ اَفَلَا تَسْمَعُونَ، قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَاْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ اَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[6].

١٥. و ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[7].

و امثال ذالك من الايات الكريمة الّتى كلّ واحدةٍ منها دليل برأسه على

---

١. طه / ٥٥-٥٣.
٢. الانبياء / ٣٠.
٣. النور / ٤٢.
٤. الفرقان / ٤٩-٤٥.
٥. الفرقان / ٥٣.
٦. القصص / ٧١-٧٢.
٧. الروم / ٥٤.

توحيده و معرفته انّ فی ذالك ذكری لِمَن كانَ له قلب.

و امّا الرّوايات، ايضا كثيرة نذكر عدّة منها تيمّناً و تبّركاً والله المستعان عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ:

و الّذی بعثنی بالحقّ بشيراً لايعذّب الله بالنّار مُوحّداً ابداً و انّ اهل التّوحيد يشفّعون فَيُشفعون ـ ثم قال ﷺ: انّه اذا كان يوم القيمة اَمَر الله تبارك و تعالی بقوم سائت اعمالهم فی دار الدّنيا الی النّار فيقولون يا ربّنا كيف تُدخلنا النّار و قد كنّا نُوحّدك فی دارِ الدّنيا و كَيفَ تُحرقُنا بالنّار (تُحرق بالنّار السنتنا) و قد نَطَقت بتوحيدك فی دار الدّنيا، و كيف تُحرق قُلوبنا و قَد عَقدت علی ان لااله الاّ انت ام كيف تُحرَق وجُوهُنا و قد عَفّرناها لك بالتّراب ام كيف تُحرق ايدينا و قد رفعناها بالدُّعاء اِليك؟

فيقول الله جلّ جلاله ﴿**عبادی سائَت اعمالكم فی دار الدّنيا فَجزائكم نار جهنّم فيقولون يا ربّنا عفوك اَعظَم اَم ذُنوبنا**(ام خطيئتنا)؟﴾

فيقول تبارك و تعالی: ﴿**بل عَفوی، فيقولون رَحمتك اوسَع ام ذُنوبنا؟**﴾

فيقول تبارك و تعالی: ﴿**بل رَحمتی، فيَقولُون اقرارنا بتوحيدك اعَظم ام ذُنوبُنا؟**﴾

فيقول تبارك و تعالی: ﴿**بل اِقراركم بتوحيدی اَعظَم، فيقولون: يا ربّنا فلَيَسَعنا عَفوك و رحمتك الّتی وسعت كل شیء**﴾، فيقول الله تبارك تعالی و جلّ جلاله: ﴿**ملائكتی و عزّتی و جَلالی ما خَلقتُ خلقاً اَحبَّ الیّ من المُقرّين بتوحيدی و اَن لااله غيری و حقٌّ عَلَیّ ان لااصلیَ بالنّار اهل توحيدی اُدخلو عبادی الجنّة**﴾.

اقول: و هذه الرواية الّتی ذكرتها فی صدر الرّوايات لما فيها من البشارة، ففی الحقيقة هی قرّة عين الناظرين[1].

و ايضا فيه عن علیٌ فی قول الله عزّوجلّ هَل جزاء الأحسان الاّ الاحسان قال امير المؤمنين عليه السلام: سمَعْت رسول الله ﷺ يقول انّ الله عزّوجل

١. بحار الانوار، ج ٢، ط كمپانی، ح اول.

قال:

«ما جزاء من انعَمتُ عليه بالتّوحيد الاّ الجنّة انتهى...»

و ايضا فيه بسند متصل عن الرّضا عن ابائه قال قال رسول الله ﷺ التّوحيد ثَمَن الجنة ـ انتهى...

اذا عَرَفت فضيلة التوحيد و المعرفة، فاعلم انّ الروايات الدّالة على سبيل الأستدلال على اثبات الواجب كثيرة، و نشير الى بعضها، فنقول: فمنها: ما رواه فى [1]

١.عن هشام ابن الحكم قال دَخَل ابن ابى العَوجاء على الصّادق عليه السلام: فقال له الصادق مصَنوع انتَ ام غير مَصنُوع قال لَستُ بمصَنُوع فقال له الصّادق فَلو كنت مصنوعاً كيف كنتَ تكون؟ فلم يَحِر ابن ابى العوجاء جَواباً و قامَ و خَرجَ.

قال المجلسى (قده) بيان:

لما كان التّصديق بوجود الصّانع ضروريّا فَنَبّهه بان العقل يحكم بديهةً بالفرق بين المَصنوع و غيره و فيك جميع صفات المَصنُوعين فكيف لم تكن مَصنُوعاً.

اقول: فيما ذكره(قده) نَظَر و ذالك لانّ التّصدّيق بوجود الصّانع ليس ضروريّا كيف و كَثيرٌ من الافراد ينكرونه و يقولون بانّ العالم ليس له صانع اللّهم الاّ اَن يقال بانّهم لَيْسوا من ذوى العقول و غرضه من ضروريّة التّصديق ضَروّريته بالنّسبته الى العُقلاء و هذا يوجب التّخيص فى القاعدة العقليّة.

و كذا حكمه(قده) بانّ الفرق بين المصَنُوع و غيره بديهى لايرجع الى محصّل اذ بديهيّته محلّ تأمّلٍ الاّ لقليلٍ من الأفراد و هو كماترى فالَحّق فى حلّ الاشكال هو انّه استفهم عنه بالأستفهام الانكارى المُفيد لأثبات مصنُوعيّته فكانّه اثبَته فلمّا قال فى الجواب لَستُ بمصنوعٍ قال عليه السلام ما قال و هو كناية عن تكذيبه و هو ظاهر...

---

١. بحارالانوار، ج ٢، ص ١٠، ط كمپانى.

و منها ما رواه ایضا فی البحار بعده:

۲. دخل اَبوشاکر الدّیصانی و هو زندیقٌ علی ابی عبدالله فقال:

یا جعفر ابن محمدّ دلّنی علی مَعبودی فقال له ابوعبدالله علیه السلام:

اجلس، فاذا غلام صَغیر فی کفّه بیضة یَلعَب بها، فقال ابوعبدالله یا غلام ناولنی البَیضة، فنَاوله ایّاها قال علیه السلام: یا دیصانی هذا حِصنٌ مکَنْونٌ له جِلدٌ غلیظٌ و تحت الجلد الغَلیظ جلد رقیقٌ و تحت الجلد الرّقیق ـ ذَهَبةٌ مایعةٌ و فضّةٌ ذائبة فلا الذّهبة المایعة تختلط بالفضّة الذّائبة و لاالفضّة الذّائبة تختلط بالذَهَّنِیة المایعة فهی علی حالها لم یخرج منها خارج فیخبر عن اصلاحها و لم یدخل فیها داخل مُفسدٌ فیفسد) عن اِفسادها، لایدری للذّکر خُلقت ام للانثی تنفلق عن مثل الوان الطواویس اتری لها مدبّرا فاطرَق ملیاً ثم قال:

اشهد ان لااله الاّ الله وحده لاشریك له و اشهد انّ محمّداً عبده و رسوله و انّك امامٌ و حُجّةٌ من الله علی خلقه و انا تائبٌ ممّا کنت فیه.

اقول: استدل علیه السلام علی اثبات الصّانع من المصَنُوع و هو البَیضة و هذا یسمّی فی الاصطلاح بالبرهان الاَنّی المستعمل فی الصناعات بالنسبة الی العقول النّاقصة و العوام فانّه فی الحقیقة الاستدلال بالمَحسُوس علی المعقول.

و منها ما رواه ایضا فیه بعد هذا الحدیث:

۳. عن عدّة من اصحابنا انّ عبدالله الدَّیصانی اَتیٰ ابا عبدالله علیه السلام فاستاذن علیه فاذن له فلما جَلَس قال له: یا جعفر ابن محمد دلّنی علی معبودی فقال له: ما اسمك؟ فَخَرج عنه و لم یُخبره بأسمه، فقال له اصحابه کیف لم تُخبره بااسمك؟ قال لو کنت له عبدالله کان یقول من هذا الّذی اَنت له عبد؟

فقالوا له: عُد الیه فقل له یَدلّك علی مَعبودك و لایَسئلك عن اسمك فرجع الیه فقال له یا جعفر دُلنّی علی مَعبودی و لاتسألنی عن اسمی فقال له ابوعبدالله اجلس فَجلس و اذا غلام صغیر الی آخر الخبر...

اقول: منه یظهر انّ هذین الخَبَرین فی الحقیقة واحد، فالرّوایة الثانیة صَدر

الخبر و الأولى ذيله، و لااشكال فيه فانّ الامر واضح و يمكن من هذا الخبر استنباط آخر و هو انّه اشار بقوله:

ما اسمك الى انّ الدّيصانى بل النّاس كلّهم لايَشكّوُون فى اصل وجود الصّانع اذا توَجّهو اليه و انّما الأختلاف فى المصداق فكانّه فى سئواله عنه بأسمه توجّهه الى هذه النّكتة و لذا لم يجب...

و امّا المجلسى(قده) قال فى بيانه فى ذيل الحديث ماحاصله انّ حديث البَيضة يدلّ على انّ للبيضة مُدبّرٌ حكيمٌ ليس بجسم و لاجسمانى و هو الواجب تعالى و كيف كان استدلٌ على اثباته بمَصنُوعهٍ و الامر سهل. و ايضا روى المجلسى(قده) فيه ما هذا الفظة:

۴. روى عن الصّادق عليه السلام انّه قال لابن ابى العوجاء ان يكن الامر كما تقول نَجَونا و نَجَوتَ و ان يكن الامركما نقول نَجَونا و هلكتَ.

اقول: غرضه من هذا البيان ان الامر فى الصّانع لايخلوا من وجهين عدم الصّانع مطلقاً، و وجوده مطلقاً و لايمكن شقّ ثالثٍ فانّه مستلزم لاجتماع النقيضين فانّ العَدَم و الوجود لايجتمعان.

ففى الصورة الأولى: اعنى عدم الواجب لايتوَجّه ضررٌ الينا اذ القول بوجوده لايضرّنا و المفروض عدمه و امّا الصُوّرة الثانية اعنى وجوده مُحتَملْ ايضا فانّه اَحَد شقّى التَردّيد و عليه فالضّرر مُتوجّهٌ اليك لانّك لاتقول بما نقول به و لكنّا فى فُسحةٍ من ذالك و لما كان دفع الضّرر المحتمل واجباً عقلاً فالعاقل اذا لم يقطع بعدم شيء فكيف يمكن له نفيه و هذا استدلال صحيح رايته فى بعض مناظرات الشّيخ الرئيس ابوعلى سينا مع المخالفين و استحسنه و من هذا الحديث يظهر انّه اَخَذه منه او غيره من المعصومين...

و ايضا فى هذا الكتاب بسنده عن الرّضا عليه السلام

۵. انّه دخل عليه رجل فقال له يا بن رسول الله ما الدّليل على حدوث العالم فقال انت لم تكن ثمّ كنتَ و قد علمتَ انّك لم تُكَوّن نَفسك و لاكونكَ مَن هومِثلك.

اقول: غرضه من هذا الاستدال على اثبات الصّانع الاستدلال عليه من المعلول و المصنوع و كانّه قال له ان كنت شاكاً فى وجود الصّانع فلاتُشك فى وجودك لانّه مَحسوسٌ لايقبل التّشكيك و ايضا لاتشكِ فى سبق عدمك على وجودك و ايضا معلوم انّك لستَ بعلّةٍ لايجادك و لامن هو مثلك فالموجد و العلة خارجان عن ذالك الحادث و ما لم يكون حادثا فهو قديم و هو المطلوب و هذا الكلام ممّا لايمكن الخدشة فيه اصلا اذ تمامه برهان و تقريره بصورةٍ البرهان هكذا...

انت موجود، و كل موجودٍ يحتاج الى مُوجدٍ يوُجده، فانت محتاج الى موجدٍ يوجدك...

امّا الصغرى: فضروريّة اذ مفادها الحمل الأولى الذّاتى الّذى لاشك فيه لانّه مستلزم لسلب الشيئى عن نفسه...

واما الكبرى: وان لم تكن ضرورية الا انّها ترجع اليها لانّ الموجود يحتاج الى العلّة ايّامّا كان ثم ناخذ النتيجة ونجعلها صغرى لقياس آخر ونقول:

انت محتاج الى المُوثِّر والمُوثّر لايكون عين الاثر، يَنتج انت محتاج الى ما لايكون عين الاثر ـ ولما كان الاثر حادثاً فاذا فرضنا كون العلّة غير المعلول فلابدّ من ان يكون قديماً اذ غير الحادث قديم لعدم الواسطة بينهما وهذا ظاهر...

وبعبارةٍ اخرى لاشكّ فى حدوث السائل لانّه مَسبُوق بالعدم ولا نعنى بالحادث الزّمانى الّا هذا وكلّ حادث ممكن مفتقر الى العلّة فالعلّة ان كانت حادثة عاد الكلام ويتسَلسل وان لم تكن حادثة فلابدّ من ان تكون قديمة لعدم الواسطة بين الحادث والقديم فهو المطلوب...

وايضاً فى هذا الكتاب فى حديث رواه بسنده الى ان قال:

۶. قال رجل للصّادق عليه السلام يابن رسول الله دُلَّنىّ على الله ما هو فقد اَكثَر عَلَىّ المجادِلون وحَيَّرونى؟ فقال له ابو عبدالله عليه السلام:

يا عبدالله هل ركبَت سفينة قطّ؟

قال: نعم، قال عليه السلام، فهل كَسر بك حيث لاسفينة تُنجيك ولا سَباحة تغشيك؟

قال: نعم، قال عليه السلام: فهل تَعَلّق قلبك هنالك انّ شيئاً من الأشيا قادر على ان يُخلِّصك من وَرطتِك؟ قال نعم، قال الصّادق عليه السلام فذالك الشيى هو الله القادر على الانجاء حيث لامُنجى وعلى الأعانة حيث لامُغيث.

اقول: هذا الحديث الشّريف يُبيّنِ معنى الله لانّا قلنا فى وجه تسميته تعالى به انّ الموجودات تَفزَعون اليه حيث لاملجاء ولا مُجيب ولا مُغيث الّا هو وينكشف سِرّ هذا المعنى فى كسر السفينة وامثالها ممّا ينقطع الآمال.

وفيه ايضاً بسنده عن الصّادق:

قال سمعتُ ابى يُحدّث عن ابيه انّ رجلاً قام الى اميرالمؤمنين فقال له يا اميرالمؤمنين بما عرفَت ربّك؟

قال عليه السلام: بِفَسخ العزم (العزائم) ونقض الهِمَم لَمّا اَن هَمَمتُ حال بَينى وبَين هَمّى وعَرفت مخالف القضاء عزمى فعلمت ان المدبّر غيرى...

قال فبماذا اَشكرت نَعمائِه؟ قال نَظرتُ الى بلاءٍ قَد صَرَفَه عَنّى واَبلائه غيرى فَعلِمتُ انّه قد اَنعَم عَلىَّ فَشَكرتُه، قال فبماذا اَحببتَ لِقائه قال عليه السلام:

رائيتُه قد اختارَ لِى دين ملائكته ورُسله وانبيائه عَلِمتُ انّ اَلذَى اَكرَمنى بهذا لَيس يَنسانى فأحبَبتُ لِقائَه.

اقول: فى هذا الحديث جمعٌ بين ثلث مراتب الّتى هى اُسّس العُبوُديّة واَساسها وهى المَعرفة بالله والشُّكر له ـ وَحبّ اللقاء له...

فاستدلّ عليه السلام **على الاوّل**: بقوله فَسخ العزائم ونقض الهِمَم ولَعمرى هذا لايَشُكّ فيه ذوُ مسكةٍ.

وعلى الثانى: بصَرف البَلاء عنه وهذا ايضاً ظاهر فانّ الانسان لايقدر على دفع الآلام عن نفسه بل الله هو الدّافع للآلام والكُرُبات والهُموُم والآفات والبَليّاتِ كيف ولو لم يكن دفعها بيده تعالى فليزم ان يكون الأنسان قادراً عليه

مع انّا نرى بالوجدان عدم قدرتنا عليه...

وعلى الثالث: بارشاده تعالى عبيده الى دين الحق ومراتب الكمال والوصول الى اعلى مراتب الأنسانيّة بِسبب الأنبياء وانزال الكتب السّماويّة وهذا من احسن النِعَم واَتَمها ولا تتَصور نعمة فوقها بعد نعمة الوجود بل الوجود ايضاً مع قطع النظر عن الكمالات المَعنَويّة لافائدة فيه وذالك لانّ الغاية مِن جَعل الوجود هو النَيل الى مراتب الكمال والفوز الى السّعادة الابديّة ولا شك انّ هذا لايمكن الّا بعد ارسال الرّسل وانزال الكتب باالنّسبة الى الانسان الّذى هو عاقل مكلفٌ يمتاز عن سائر الموجودات بعقله وهذه المراتب من حيث السّلوك الى الله بقدم المعرفة ترتيبها على طبق كلامه عليه السلام.

فالمرتبة الأولى فى الدّين او مطلق الّسلوك هى المعرفة بالله تعالى اذ هى الاصل بالنسّبة الى سائر المقامات الّتى يصل اليها العارف باللّه كما قال عليه السلام: **اَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتِهِ:**

فاذا صار عارفا بالله كما هو حقّه فيلزم له الشكر على النّعمة الكبرى والفيض العظيم لانّ شكر المُنعِم واجب عقلاً كما مَرّ مُفصّلاً وايّ نعمةٍ فى العالم لِلأنسان فوق المَعرفة ولهذا قال فشكرته فانّ الشّكر وان كان منه عليه السلام على صرف البلاء ظاهرا الّا انّ الانسان ما لم يعلم انّ الصّارف والدّافع هو الله فلا يمكن له الشّكر.

ثم عقّبَ هاتين الحالتين بحبّ اللّقاء فانّ العبد بعد ما عَرَف رَبَّه وقام باداء الشّكر له يشتاق الى لقائه فالِلّقاء يصير محبوُباً له فانّ الوصول والبلوغ فى النّعماء يوحبّ المُنعِم قهراً فافَهَم واغتنِم.

اعلم يا اخِى انّ الرّوايات والايات فى هذا الباب كثيرة جدّاً واظنّ انّ فيما ذكرناه كفاية لأولى الدِّراية ومَن شاء التفصيل فعليه بكتب المدوّنة من علمائنا الماضين وسيّما المطوّلات منها كالبحار والكافى وامثالهما.

اللّهم احشرنا معهم بحق محمدٍ وآله الطاهرين.

■ المقصد الثّانی

▫ قوله عليه السلام: وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، متن:

قال الشّارح المعتزلی فی شرح هذه الجملة ما هذا لفظه:

وامّا قوله وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ: بِهِ فلانّ معرفته قد تكون ناقِصة، وقد تكون غير ناقصة فالمَعرفة الناقّصة هی المعرفة بانّ للعالم صانعاً غير العالم وذالك باعتبار انّ الممكن لابدّ له من مُوثّرٍ فمن عِلم هذا فقد علم الله تعالی ولكن علماً ناقصاً...

وامّا المعرفة الّتی ليست ناقصة فان تعلم انّ ذالك الموثر خارج عن سلسلة المُمكنات والخارج عن كلّ الممكنات ليس بمُمكن وما ليس بممكن، فهو واجب الوجود فمَن عَلِمَ انّ للعالم مُوثّراً واجب الوجود فقَد عَرفَ عرفاناً اكمّل من عرفان انّ للعالم مُوثّراً فقط وهذا الامر الزّائد هو المُكنّی عنه بالتّصديق انتهی...

وقال الشّارح الخوئی قده ايضاً بهذه المقالة مع تغيّيرٍ ما فی الفاظِه الّا انّه قده قَسّم التصديق اوّلا الی التّام والناقص ومَثّل النّاقص، بالتّصديق بوجوده مع تجويز الشّريك له والكامل بقوله عليه السلام وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ الخ...

ثم قال: ای الحكم بوحدانيّته وانّه لاشريك له فی ذاته الی آخر ما قال

ولا يخفی عليك انّ المآل فيما ذَكَره واحد والاختلاف فی العبارة، كما قال الشاعر:

عباراتنا شَتّیٰ وحُسنُك واحدُ وكلٌّ الی ذاك الجمال يُشير

اقول: لااتّعَجَّبُ من الشّارح المعتزلی حيث قسم التّصديق الی التّام والنّاقص بل العَجَب كلّ العجب من شارح الخوئی حيث قلّده فی هذا التقرير والتقسيم بل اَيّده علی ما ذكره من دون فكرٍ ورَويّةٍ...

وذالك لانّ الشارح المُعتزلی ليس من فُرسان هذا المَيدان اذ التّحقيق فی المباحث العَقّلية من وظائف الحكيم وَليس مِن وظائف المورّخ، والعالم

بالأنساب وهو من رجال التّاريخ والنَّسَب واللّغة والشِّعر، وامثال ذالك...

وتوضيح ذالك انّ التّصديق فى اللُّغة التَّثْبِيت يقال صَدَّقه اى ثَبَّته وفى الأصطلاح عبارة عن مُجرّد الأذعان وإدراك النِّسبة الواقعة بين المحكومُ والمحكوم عليه فالتّصديق عبارة عن نفس الحكم على مذهب الحكماء ولذا قالوا ببساطته...

ومنهم من قال بتَرُكّبه وهو الامام الرّازى ومن يَحذُو حَذوه فانّهم قالوا بانّ التّصديق عبارة عن تصوّر المحكوم عليه والمحكوم به وتصوّر النّسبة الحكميّة والُحكم...

فالتّصديق عند الجمهور هو نفس الحكم والتّصّورات الثّلاثة المذكورة من شروطه بخلافه عند الفخر الرازى ومُقلّديّة حيث انّ التّصورات الثّلاثة اجزاءٌ عِنده للتّصديق فهو مُركّب كما قال السّبزوارى:

اَو هُو تَصديقُ هُوَ الحُكم فَقَط وَمَن يُركّبه فَيَركّبُ الشَّطَط

اذا عرفت هذا فاعلم انّ التصديق تارةً يكون ضُروريّاً وهو ما لايحتاج الى فكرٍ ونظرٍ نحو النّار حارّة مثلاً، وتارةً يكون كَسبيّاً وهو ما يحتاج اليه نحو العالم حادث ـ الممكن محتاج الى الموثر وغيرهما وهذا التّقسيم بعينه جار فى التّصور كما لايخفى...

فثبت وتحقّق مما ذكرناه انّ التصديق فى الأصطلاح عبارة إمّا عن نفس الحكم او مجموع الحكم والمحكوم عليه وبه والنّسبة فاذا وُجِد حكم فى العالم بايّ نحو كان فهو تصديق حقاً الّا انّ الحكم ان كان ضرورياً فالتّصديق ضرورى والّا فكسّبى، وامّا التّصديق التّام والنّاقص فما اصطلحوا عليه ولا معنى له بل هو من الأستخراجات الظّنية المردودة فى العقليّات.

نعم ان اراد بالتّصديق التّام التّصديقات الضّرورية وبالناقص الكسبيّة فلا مشاحة فيه الّا انّه ليس لنا دليل عقلىّ على كون التّصديق الضّرورىّ اَرجَح من الكَسبى حَتّى يُسمّى الاوّل تامّاً والاخر ناقصاً وعلى اى حالٍ هذا الاصطلاح

لايقول به عاقل فضلاً عن عالمٍ وان اردت الأيضاح فنقول:

الحكم فى القضية لايخلو مِن وجهين:

الاوّل: ثبوته عند المُتكلم

الثانى: عدم الثبوت

فان كان الحكم ثابتا محقّقا عنده بحيث له ان يحكم به فالتصديق ثابت واقع، والا فلا وامّا مطابقته للواقع امر آخر ورا نفس الحكم فايّ معنى لنقص الحكم وكماله والمفروض انّ الامر دائر بين النفى والأثبات فان حكَمَ بكون العالم مُتغّيراً فالتصديق واقع كاملاً طابق الواقع ام لَم يطابق فانّ الواقع خارج عن حيطة علمه وانّما وظيفته تصوّر المحكوم عليه والمحكوم به والنّسبة الحكميّة والحكم بثبوت النسبة وهذا محقّق على الفرض فايّ نقصٍ فيه حتّى يُسمّى ناقصاً وايّ كمال يمكن ان يوجد حتّى يصير التّصديق به كاملاً وهذا واضح على العارف بالاصطلاحات.

وامّا تقسيمه بالنّسبة الى المعرفة حيث قَسَمّها الى الكامل والناقص والمرتبة الكاملة، منها تصير تصديقا بالله تعالى فهو لااشكال فيه وان كان الحق فى التعبير عنها ايضاً بالشّدة والضّعف اولى من الكمال والنقص الّا باعتبار مَن له المعرفة ولعلّه لاجل هذه النكّتة عبّر عنها بالكمال وتقدير العبارة هو انّ كمال المعرفة فى حقّ صاحبه يوجب تصديقه به...

ان قلت فما معنى عبارة الأمير عليه السلام **وَ كَمالُ مَعْرِفَتِهِ التصّديق به**؛

قلت توضيح مرامه يستدعى ذكر مقدّمة وهى انّ التصديق ـ بحسب الصّناعة المَنطقيّة ينقسم الى ثلثة اقسام

الاوّل: التّصديق العلمى

الثانى: التّصديق الظنّى

الثالث: التّصديق الوَضعى

والرابع: التّصديق التسليمى ويمكن القول باتحاد الاخيرين كما قيل

فالاقسام ثلثة:

توضيحه انّ كلّ حكم من الاحكام إمّا ان يكون احد طرفى النّقيض لارجحان له على الاخر اوٍ يكون:

والاوّل: يُسمّى بالشّكّ ولا حكم فيه اصلا فلا يوجد فيه مايوجد حكم فيه اعنى التصديق بل يقارن ما يقابله وذالك هو الجهل البسيط المعبّر عنه بالشّك احياناً.

والحكم بالطّرف المقابل امّا مع امتناع المَرجوُح او مع عدم امتناعه والاوّل هو الجَزم، **والثانى**: هو المَظنُون، والجازم إمّا ان يعتبر مطابقته للواقع او لايعتبر ففى صورة الاعتبار، امّا ان يكون مطابقا له او لايكون، والاوّل إمّا ان يمكن للحاكم ان يحكم بخلافه اولا يمكن، والثانى اعنى عدم امكان الحكم بخلافه هو اليقين وتستجمع ثلثة اشياء:

الجزم ـ والمطابقة ـ والثّبات، والاوّل: اعنى صورة امكان الحكم للحاكم بخلافه فهو الجازم المطابق غير الثابت والجازم غير المطابق هو الجهل المركّب وقد يطلق الظّن بازاء التعيين عليهما وعلى المظنّون الصِّرف لِخلوّها إمّا عن الثّبات وحده او عنه وعن المطابقة او عنهما، وعن الجزم.

وامّا الجازم الّذى لايعتبر فيه المطابقه وان كان فى الواقع لايخلو عن احد الطّرفَين الاّ ان المدار فى التقسيم بالأعتبار وعدمه فامّا ان يقارن تسليماً او انكاراً:

والاوّل ينقسم الى مُسلّم عامٍّ او مَحدوُدٍ يُسَّلمه طائفة دون طائفة او خاص يُسلّمة شخص والثانى تسليمّى وضعاً.

ومحصّل الكلام انّ التّصديق العلمى عبارة عن الحكم الثابت الجازم المطابق للواقع ونُسّميه باليقين ايضاً، والتّصديق الظنّى عبارة عن الحكم الجازم المطابق غير الثابت وقد يُعبّر عنه بالجهل المُرّكب.

والتّصديق الوضعى هو الّذى لاتعتبر فيه المطابقة وان كان مطابقا مع

اقترانه بألانكار...

والتّصديق التّسليمى هو الوضعى بعينه الّا انّ الوضعى مقترن بالانكار وهذا بعدم الانكار اعنى التّسليم.

اذا عرفت هذا فنقول:

كل مكلّف له بالنّسبة الى معرفة الحقّ درجات وحالات:

الأولى: الجَهل البسيط اعنى عدم علمه بأصل المعرفة.

الثانية: التّصديق الظّنى بها اعنى الجهل المُركّب ككثيرٍ من الافراد حيث يظنّون انّهم عارفون به وليس كذالك.

الثالثة: التّصديق الوضعى بان يحكم بان الله موجود ومُوثّر الّا انّه لم يعتبر مطابقته للواقع مع اقترانه بالأنكار وهذه التّصديقات ايضاً كثيرة بين الناس...

الرابعة: هى هو مع اقترانه بالتّسليم على ما مرّ ذكره وهذا ايضاً محقق فالتّصديق بوجود الواجب لايخلو من هذه الاربعة.

فعلى هذا غرضه عليه السلام والله اعلم من التّصديق الّذى يوجد بالمعرفة وبعبارة اخرى غرضه من التّصديق المعلول للمعرفة ليس التّصديق العلمى الّذى هو اعلى التّصديقات اذ على هذا لامعنى

لقوله عليه السلام: **وَ كَمَالُ التَّصدْيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ**-، فانّ التصديق العلمى ليس فوقه تصديق نعبّر عنه بالكمال مضافا الى عدم فرض الكمال فى التّصديق.

بل المقصود هو المرتتبه الضعيفة من التّصديق وهو التّصديق الوضعى ثمّ يترّقى منه الى الظّنى ثم منه الى العلمى والتّصديق العلمى هو التّوحيد

فكم من عارفٍ بانّ للعالم مُوثّراً وصانعاً بالدّلائل العقلية والنقلية، الّا انّ هذا المُوثّر واحد او غير واحد مطلب آخر، وبعبارةٍ اخرى اصل المعرفة شيئٌ وتوحيده شيئٌ آخر.

فقوله مشعر بانّ المعرفة بالله وان بَلَغ ما بَلَغ لاتوجب اكثر من التّصديق بكونه مُؤثراً مثلا فهذا يلزم التّوحيد كما نشرحه انشاء الله تعالى.

وَ كَمَالُ التَّصدْيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ-، ...

وبما ذكرناه يظهر لك شرح هذا الجملة فانّ التّصديقات، بمراتبها تصل الى التّصديق العلمى الغير القابل للأنكار وهذا مرادف للتوحيد.

والتوحيد عبارة عن اعتقاد المكلّف بانّه واحد لاشريك له بل هو متفرّد بذاته مستغنٍ عن كل ماسواه والحكم بانّه واحد ومن المعلوم انّ الحكم بانّه واحد غير الحكم بانّه موجود او مُؤثّر او واجبٌ او غير ذالك وحيث انّ التّوحيد هو الغاية القصوى والمقصد الأسنى من المعرفة فلا بأس بالاشارة الأ جمالّية الى ما لابدّ منه، فنقول:

قد ثبت ممّا ذكرناه فى شرح قوله عليه السلام: **اَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ**، ان للعالم صانعاً ومُوجداً وخالقاً او ما شئت فسمّه والآن نحن بصدد اثبات انّ هذا الخالق لابدّ من ان يكون واحداً احَداً صَمَداً قَيُّوماً لاضِدّ له ولاندّ وسائر ما يتفرع على وحدانيّته، فالبحث فى هذا المقام يقع فى مقامين:

المقام الاوّل فى الادلّة العقليّة ـ والمقام الثانى فى الادلّة النقليّة.

وقبل الخوض فى البحث نُقدّم اموراً لابدّ من العلم بها فنقول

الامر الاوّل: انّ الموجودات الخارجية لاتخلو حالها من الوجوب والامكان لانّ الموجود امّا انّه متساوى الذّات بالنّسبة الى الوجود والعدم بمعنى عدم اقتضاء ذاته من حيث هو هو للوجود اوالعدم او لايكون كذالك.

والاوّل: نعبّر عنه بالممكن الوجود ـ والثانى: امّا ان يكون ذاته من حيث هو مقتضيا للوجود وحيثيّة ذاته طَردٌ للعدم وهُو لواجب وامّا انّ ان يكون ذاته مقتضيا للعدم وهو الممتنع، وهذا هو المراد من العقود الثلاثة اعنى الوجوب والامكان والامتناع ولمّا كان المُمتنع غير موجود فى الخارج جَسَما عرفت فَصّح ما قلنا انّ الموجودات لاتخلو من وَجهَين:

١. الامكان ٢. والوجوب...

امّا الممكن: فهو الّذى قيل فى تعريفه الممكن من ذاته ان يكون ليسا ومن شانه ان يكون ايسَاً (والأَيس هو الوجود فهو مَع قطع النّظر عن علّته اولى بالعدم وبالتّوجه الى علته يصير موجوداً، وتحقيق الحق هو انّ الممكن حسب ما علمت ذاتا لايقتضى شيئا منهما بل نسبته الى الوجود والعدم متساوية ففى خروجه عن حدّ الاستواء واتّصافه بالوجود يحتاج الى علّةٍ مرَجّحة خارجة عن مقام ذاته والّا يكون دائماً فى حدّ الاستواء ولا يصير موجوداً البتّة وانّما قلنا يحتاج الى علّةٍ هى المرجّحة لخروج الذّات عن حدّ الأستواء لانّ المُرجّح لو لم يكن فاتّصاف الذّات بالوجود ترجيح بلا مرجّح، وانّما قلنا بخروجه عن مقام الذّات لانّه على فرض كونه داخلا فلابدّ من ان يكون نفس ذاته اذ ليس شيئى آخر فلو كان الذّات هو المرجّح لخروجه عن حدّ الاستواء يلزم ان لايكون ذاته متساوية بالنسبة الى الوجود والعدم، هذا خُلف، اى ما فرضته متساوى النسبة ليس بمتساوى النسبة هذا خلف...

ثمّ انّ هذا المرجّح لابدّ من ان لايكون ممكنا لتساويه مع سائر المكنات فكما ان هذا الممكن لخروجه عن حدّ الاستواء يحتاج الى علّة خارجة عن ذاته فكذالك ذاك الممكن فاذا فرضنا انّ العلّة ممكنة لامحالة يتسلسل الامر الى غير النهاية ولا محيص بالاخرة عن الوصول الى موجود غير ممكنٍ دفعاً للتسلسل وهو المطلوب...

ثمّ انّ هذا الموجود الغير الممكن لابدّ من ان يكون واجبا اذ كونه مُمتنعاً محال لأستحالة كون المعدوم الممتنع علّة لوجود الممكن فانّ الشيئى المُعطى لايكون فاقداً له وهذا ظاهر...

فظهر من جميع ما ذكرناه ان الممكن فى وجوده يحتاج الى الموثر الواجب وهو المطلوب، هذا فى الممكنات لاشكّ فيه.

امّا الواجب: فى وجوده لايحتاج الى علّةٍ غير ذاته وذالك لوجهين

الاوّل: انّ حقيقة الوجود حيثيّة طرد العدم كما سيظهر لك انشاء الله

الثانی: انّ الواجب ان احتاج الی علّةٍ فهو مُمکن وکلّ ما هو ممکن فلیس بواجب، فالواجب لیس بواجب هف، فهو غنی بالذّات عن جمیع ما سواه وغیره محتاج الیه، کما فی:

﴿یَا اَیُّهَا النَّاسُ اَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ اِلَی اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ﴾[1]

فالافتقار والأحتیاج من لوازم ذات الممکن وانقطاعه عنه محال، کما انّ الغنی وعدم الاحتیاج مقتضی ذات الواجب هذا فی الواجب والممکن، وامّا الممتنع فلایحتاج الی علّةٍ ایضاً فانّ عدم العلّة یکفی فیه حیث انّ ذاته آبیةٌ عن الوجود...

ثمّ انّه لاشبهة فی کون الممکن زوجاً ترکیبیّاً ولذالك قیل فیه الممکن زوج ترکیبیّ له ماهیّة ووجودٌ وهذا هو السّر فی احتیاجه ذاتا لانّه مرکب وکلّ مرکّبٍ محتاج...

والواجب: لیس له ماهیّة اصلا بل هو صِرف الوجود وکلّه الوجود وکلّ الوجود فلما کان صرف الحقیقة فلذالك یکون بَسیطا اذ لیس هناك شیئی ووجود بنحو الاتّصاف حتّی یکون مُرکّباً کما سیاتی.

اذا عرفت ما تلوناه علیك فی الواجب والممکن والمُمتنع والمقصود من کلّ واحد منها فلنرجع الی اصل المطلب فنقول:

امّا الدّلیل العقلی: علی کونه واحداً احداً لاشریك له فی مُلکه

قد سبق القول منّا فی شرح قوله علیه السلام: **اَوَّلُ الدِّینِ مَعْرِفَتُهُ**: انّ للعالم صانعا موجودا قد اخرَج الممکنات عن حد الاستواء وألبَسَهم لباس الوجود بالدلائل العقلیّة والنقلیّة والآن نقول: انّ هذا المُوثِّر لابد من ان یکون واحداً والدّلیل علیه عقلاً ونقلاً کثیرة ونشیر الی بعض منها: امّا العقل فلوجوه

الوجه الاوّل: اعلم انّه قد تَحقّق فی الفلسفة انّ صِرف الشیئی لایتثنّی ولا یتکرّر وانّما التکرر والتکّثر من جانب الموضوع، فالله تبارك صرف الوجود

---

۱. فاطر/ ۱۵.

وصرف الوجود لايتثنّى ولا يتكرّر، فالله لايتثنّى ولا يتكرّر وهو المط

امّا الصغرى: فلانّ الحقّ تعالى جلّ شانِه حقيقة الوجود ولا ماهية له حتّى يكون مُرّكبّاً من الماهيّة والوجود اذ لو كان له ماهيّة ووجود ـ لكان الوجود عارضا على ماهيته زائدا عليها فيكون عرَضيّا وكلّ عرضى معلّل محتاج الى غيره، فيكون الواجب محتاجا وكلّ محتاج ممكن وكلّ ممكن ليس بواجب فما فرضناه واجبا صار ممكناً هذا خلف...

فثبت انّه صِرف الوجود واصله وهو المطلوب...

امّا الكبرى: اعنى صِرف الشيئى لايتكرّر فهو ايضاً مسلّم لامريَة فيه، فانّ حقيقة الناريّة والنّورية والمائيّته بل حقيقه الانسان والحيوان وكلّ حقيقة اذا لم تضيف الى الموضوعات فلا تكرار فيها ولهذا قالوا لاتكرار فى التجلّى

اذا ثبت الصغرى والكبرى فينتج انّه واحد بالذّات وهو المطلوب.

الوجه الثانى: انّه على فرض التكثّر فى الذّات فلابدّ من عروض الكثرة على الذّات وهذا لايمكن القول به لانّ صِرف الوجود الّذى هو عبارة: عن الذّات لايخلو من وجهين:

اذ هو فى حدّ نفسه مع قطع النظر عن الكثرة وغيرها امّا ان يقتضى التّوَحيُد اولا وعلى الثانى امّا يقتضى الكثرة اولا يقتضيها ولا يقتضى الوَحَدة ايضاً فالوجوه المحتملة بالنّسبة الى صِرف الوجود الّذى هو معروض الكثره ثلثة:

اقتضاء التّوَحُد ـ اقتضاء الكثرة ـ عدم اقتضائهما.

وانّما قلنا ذالك لانّ الشيئى المعروض لابدّ له من اقتضاء المَعرُوضّية والّا فكيف يمكن عرُوض عارض عليه فالاقتضاء الذّاتى مقدّم على الاتّصاف...

فان كان صِرف الوجود مقُتضياً فى حَدّ نفسه للتوحُّد والَتفرّد فهو المط

وان اقتضى الكثرة فالكثرة لاتتحقق اذا الكثرة لاتوجد الّا بعد وجود الوحدات وهو محال وان لم يقتضهما يلزم ارتفاع النقيضين.

فظهر انّ صرف الوجود لايقتضى الكثرة بل يقتضى التّوَحُد وهو المط

الوجه الثالث: ان كان الواجب متّعددا فلا يخلو امّا ان يكونا واجبين او ممكنين او احدهما واجب والاخر ممكنا والشقوق باسرها باطلة، فَتَعدّد الواجب باطل فَتَوَحده حقٌّ وهو المطلوب...

امّا الاوّل: فلانّ الواجبين يكونان مشتركين فى وجوب الوجود لامحالة والّا يلزم خلاف الفرض واذ اشتركا فى وجوب الوجود فلابدّ لهما من الأمتياز اذ كلّ ما به الأشتراك مستلزم لما به الأمتياز واذا تحقق ما به الاشتراك، وما به الامتياز يتحقق الجنس والفصل اذ لانعنى بهما الّا هذين فيلزم تركّب الواجبين تركيبا عقلّياً وكلّ مركّبٍ ممكنٌ فكل واحد من الواجبين صار مُمكناً والمفروض انّه واجب وهذا خلف و امّا الثانى و هو كو نهما ممكتينن او احدهما واجباً والآخر ممكناً فبطلانه ظاهر لايحتاج الى دليلٍ.

الوجه الرابع: لاشك انّه موجود بذاته وغيره موجود به كما قرّرناه سابقا فى معنى الأمكان فنقول:

الوجود واحد بسيط مُتشَخصّ بنفس ذاته وليست له حقائق متبائنة كما يقول به المشّائون ولا افراد متماثلة ولا مراتب متفاضلة كما تقول به طائفة اخرى فالوجود واحد والموجود كثير والغرض من الموجود الماهيات المنتسبة الى الوجود ولا حَظّ لها من الوجود الّا مجرد الانتساب اليه فالكثرة انّما تعرّض الموجودات من جانب مهيّاتها لامن جانب الوجود فعلى هذا ليس فى العالم موجود واقعاً الّا الله...

اقول: هذا القول وان ارتضاه جمع كثير من الفلاسفة لكنّه ليس بسَديدٍ لانّ فيه شائبة الشِّرك الخَفى فتامل.

الوجه الخامس: لو كان فى الوجود واجب غيره فيكون منفصلاً عنه لامحالة لأستحالة وجود علاقة ذاتيّة بين الواجبين: لانّها توجب تعلّق احدهما بالاخر والالّزم معلوُليّة احدهما او كليهما وهو خلاف الفرض.

فلكلّ واحد منهما مرتبة من الكمال الوجودى ليس للآخر ولا مُنبعِثًا منه

فائضاً من لدنه فيكون كل واحد منهما عادما لكمالٍ وجُودي وفاقداً لتحصيل الثانوى فذآت كلّ واحد منهما ليس محض حيثيّة الفعلية والوجوب بل يكون ذاته بحسب ذاته مصداقا لحصول شيي وفقدانا لحصُول شيي آخر كلاهما من طبيعته الوجود بما هو وجود ولا يكون ذاته وجوداً خالصاً ولا واحداً حَقيقيّا والتّركيب ينافى الوجوب الذّاتى كما مرّت الاشاره اليه...

اقول: هذا الدليل الأخير من رَشَحات افكار صدر المتالهين قده فى الاسفار والشواهد الرُّبوبيّة ولا باس به...

ـ وامّا الدّليل النقلى من الايات والاثار فكثيرة قد تقدّم بعضها ونذكر بعضا آخر منها...

فمنها ما رواه ثقة الاسلام الكلينى قده فى اصول الكافى، باب حدوث العالم: على ابن ابراهيم عن ابيه عن عباس ابن عمرو الفقيمى عن هشام ابن الحكم فى حديث الزنديق الّذى اتى ابا عبدالله وكان من قول ابيعبدالله لايخلو قولك انّهما اثنان من ان يكونا قد يمين قَويَّين او ضَعيفَين او يكون احدهما قَوياً والآخر ضعيفاً، فان كانا قوييّن فَلِم لايَدفع احدهما (كل واحد منهما صاحبه) وينفرد بالتَّدبير وان زعمت اَنّ احدهما قَوّىٌ والاخر ضعيف ثبت انّه واحد كما تقول للعجز الظاهر فى الثانى.

فان قلت انهما اِثنان لايخلو من ان يكونا مُتفقّين من كل جهةٍ او مُفترقين من كلّ جهةٍ فَلمَّا رأينا الخَلق مُنتظما والفُلك جارياً والتّدبير واحداً واللّيل والنهار والشَمّس والقَمر دَلَّ على صحّة الأمر والتدّبير وائتلاف الأمر على ان المُدّبِر واحد ثمّ يلزمك اِن ادعيَّت اثنين فُرجَة ما بينهما حتّى يكونا اثنين فصارت الفُرجة ثالثا بينهما فيلزمك الثّلاثة (ثلثه) فان ادّعيّت ثلثة يلزمك ما قلت فى الأثنين حتّى يكون بينهم فُرجة فيكونوا خمَسة ثم تناهى فى العدد الى ما لانهاية له فى الكثرة.

قال هشام فكان من سئوال الزّنديق ان قال فما الدليل عليه؟ فقال: ابو

عبدالله وجود الأفاعيل دَلَّت على ان صانعها صَنَعها الا ترى انّك اذا نَظَرت الى بناءٍ مُشيَّد مَبنّى علمتَ انّ له بانياً وان كنت لم تر البانى ولم تشاهده قال فما هو قال عليه السلام: شيئٌ بخلاف الأشياء ارجع بقولى الى اثبات معنى وانّه شيئٌ لحقيقية الشَّيئية غير انّه لاجسم ولا صورة ولا يحسّ فلا يدُرْك بالحّواس الخمس لاتدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تضره الازوان.

اقول هذا الحديث الشّريف مَشحُون بالحقائق العِلّمية والمعارف الالهيّة وجواهر النّكات العرفانيّة ولاجل هذا ترى شارحيه فى هذا المقام لأستخراج ما فيه مضطربة فانّ البحر عميق والبلوغ الى قَعره عَسير وان شئت قلت هذا الحديث ملّخص ما قالته الفلاسفة فى طول الزمان ببيانٍ اَوفىٰ ولا يمكن الأحاطة بمعناه الّا لمن كان له قلب ونحن نشرح جملاته بعون الله وتوفيقه مع ما قاله بعض الشّراح فى كشف معْضَلاته كما هو مسَلكنا فى هذا الكتاب وغيره، فنقول:

ومن جمله من تصدّى لشرحه رئيس الفلاسفة صَدر الدّين الشيرازى "قدّه" فى شرحه على اصول الكافى وهو قده وان اطال الكلام فيما قال الّا انا نلخّصه حَذَرا عن الأطناب وخوفاً من الملال: قال قده هذه الحديث مشتمل على مقاصد ثلثة: احدها اثبات انّ إلّه العالم واحد لاشريك له، وثانيها اثبات انّه موجود، وثالثها اثبات ان لامهيّة له، سوى حقيقة الوجود البحث كما قال الحكماء انّ انيّته الواجب مهيّته معناه لامهيّة له سوى حقيقه، ثمّ قال:

المقصد الاوّل: فَذَكر عليه حجّتين: الأولى: عاميّة مشهورية الثّانية خاصيّة بُرهانيّة...

الحُجّة الأولى: قوله عليه السلام لايخلو قولك إنّهما اثنان الى قوله: للعجز الظاهر فى الثانى ـ تقريره: امّا ان يكونا قَويّين او ضَعيفَين او احدهما قَويّاً والأخر ضعيفاً، والشُّقوق بتمامها باطلة:

امّا الشق الاوّل: وهو كونهما قويّين فلانّ القُوّة اذ اَبلَغَت الى حدّ الانتهاء تقتضى

القَهر والغَلَبة والأستيلاء على ما سواه فما السّبب المانع، لِان يدفع كل واحدٍ منهما صاحبه ويتفرّد بالتّدبير فانّ اقتضاء القَهر والغَلَبة مَركُوز فى كلّ ذى قوّةٍ والمفروض انّ كلاهما فى نهاية القوّة والقُدرة فعلى هذا ان عجزا عن الدّفع فهو خلاف الفرض وان لم يكونا عاجزين ومع ذالك لايدفع كلّ واحد صاحبه لمانعٍ وسببٍ فان يمكن لهما رَفع المانع فَلِم لايَرفعاه وإن لايمكن فلاتكون القدرة فيهما كاملاً تاماً وهو خلاف الفرض.

وان فرضنا قدرتهما على الدَّفع وتَحقّق الدّفع فيلزم من وجودها عدمهما او من تدافعهما تفاسدهما وهو المطلوب.

وامّا الشّق الثانى: وهو فرض كونهما ضعيفين فهو ينافى الواجبيّة لانّ الواجب لايكون ضعيفاً اذا الضّعف نقص، والنّقص ملازم لِلأمكانية فيَلزم من فرض وجوبهما امكانهما وهو المط

وامّا الشقّ الثالث: وهو كون احدهما قويّاً والآخر ضعيفاً، فلا شَكّ ان الواجب هو القَّوى دَون الضَّعيف لِما قلنا فى الشِّق الثانى من انّ الضَّعف مساوق لِلافتقار والأحتياج الملازم للامكان فَظَهر انّ الواجب واحد، وهو المطلوب.

الحُجّة الثّانية: اعنى البُرهانيّة فقوله عليه السلام: فان قلت انّهما اثنان الى قوله ما لانهاية له فى الكثرة، بيانه: انّه لو فرض موجودان قديمان فلايخلوا حالهما، امّا ان يكونا مُتّفقين من كلّ جهةٍ او مختلفين او متّفقاً من جهةٍ ومختلفاً من أُخرى والشُّقوق باطلة...

امّا الاوّل: وهو كونهما متّفقين فانّ الأثنَينيّة لاتَتحقَّق الّا بامتياز احد هما عن الآخر، ولو بوجهٍ من الوجوه فالاتّفاق من كل جهةٍ محال، وهذا لاخلاف فيه فان لم يكن بينهما امتياز فهما واحد لااثنان وهو المطلوب.

امّا الشّق الثانى: فهو ايضاً محال ضَرورة عدم امكان تصوّره فضلاً عن وجوده لانّ الشيئن المختلفين بتمام الجهات محال ولا اقلّ من اتفاقهما فى مفهوم الشيئة والوجوب فما يلزم من فرض وجوده محال فهو فى حدّ نفسه محال وهو المطلوب.

واما الشق الثالث: وهو كونهما من جهةٍ مختلفين ومن جهة مُتفّقينَ فما به الاختلاف يغاير ما به الاتّفاق وهو مستلزم للتركيب لانّ كل واحد منهما مركب ممّا به الامتياز وما به الاشتراك ولا نعنى بالمركّب العقلى الّا هذا واذا ثبت التركيب يلزم الامكان لاحتياج كلّ مرّكبٍ الى اجزائه فما فرضناه واجبا صار ممكناً وهذا خلف...

هذا خلاصته ما ذكره قده فى شرح الحديث سوى انّه قده فى الشّق الأخير اَحاله على الفِطرة المستقيمة واَدّعىٰ ظهور البطلان وقد اَوضَحنا وَجه فساده بما لامزيد عليه، ومن جملة الأعاظم الشّارحين لهذا الحديث العلامة المجلسى قده فى شرحه على الكافى المُسمى بمرآت العقول ولا نحتاج الى نقل ما ذكره قده فانّا بعد ما حَقّقناه وفَتّشناه راينا انّ الحق ما قاله الفيلسوف المتقدّم وساير الشراح غير ما اخَذُومنه لم ياتو فيه بشيئى يُعتَمد عليه ومن اراده فليراجع الى شروح الكافى حتّى يظهر له صدق ما قلناه.

ومنه: ما رواه فى الكافى ايضاً مرفوعاً عن على ابن الحسين عليه السلام حيث سُئل عن التوحيد، قال عليه السلام: انّ الله عز وجل علم ان سيكون (انّه يكون) فى آخر الزمان اقوام مُتعمّقون فاَنزَل الله تعالى: قل هو الله احَدَ والآيات من سورة الحديد الى قوله: والله عليم بذات الصدور فمن رام وراء ذالك فقد هَلَك انتهى...

اقول: امّا سورة التّوحيد فلايخفى على من تَعمُّقٍ وتدبّرٍ فيها، حق اَلتّعمُّق واَلتّدبر انّها مشتملة على غوامِض علم التّوحيد ولطائف اسرار التقديس ولا بأس بالأشارة الى بعض منها تبعا لبعض المحققين، فنقول

﴿قُلْ هُوَ اللهُ اَحَد﴾، ثلثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السالكين:

المقام الاوّل: هم المُقرّبون الذّينهم فى اعلى مراتب السّير والسُّلوك الى الله تعالى فانّهم لمّا راو انّ المهيّات لاوجود لها بنفسها وانّما موجوديتها بالوجود

لاصالته واعتباريتها وثبت لهم ايضاً ان اصل حقيقه الوجـود بـذاتـه مـوجود وبنفسه واجب الوجود وتَعَيُّنه بذاته ولذاته لازائداً عليه، فلا محالة علموا انّ كل ذى مهيّتهٍ معلول محتاج والواجب نفس حقيقه الوجود والوجوب والتّعين، فلمّا سَمعوا كلِمة هُو عَلِموا انّه الحق تعالى لاغيره لانّ غيره غير موجود بذاته وكلّ ما هو غير موجودٍ بذاته فلا اشارة اليه باالذّات فلا يمكن الاشارة بكلمة هُو الّا الله.

المقام الثانى: مقام اصحاب اليمين وهولاء شاهد والحقّ موجوداً و الخلائِق ايضاً موجودة فَحَصلت كثرة فى الموجودات فلاجرم لم يكن هو كافيا فـى الاَشارة اليه بل لابدّ هناك من مميّزٍ يمُيّز الخالق عن المَخلوُق، فهولاء احتاجوا الى اقتران لفظة الله بلفظة هُو فقيل هو الله لِانّ الله هو الموجود الّذى يفتقر اليه ما عداه وهو مسَتغنٍ عن كل ما عداه فيكون اَحدّىُ الذّات لامحالة اذ لو كان مركّبا يلزم الامكان المساوق للأحتياج فلفظ الجلالة دالّ على الأحديّة من غير حاجة الى اقتران لفظ احدية بِه...

المقام الثالث: مقام اصحاب الشمال وهو اَخَصّ المقامات الثّلاثة واَدوَنها وهم الّذين يُجوّزون الكثرة فى الواجب كما يجوّزونها فى المخلوق فَقَرن لفظ اَحَد بكلمة الله رَدّاً عليهم وابطالاً لمقالهم فقيل ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ اَحَد**﴾ ولبعض العرفاء فى المقام مشرب آخر ادّق واتقَن...

وهو انّه كلّ ما لايكون متّحد الماهية والوجود وبعبارة اخرى: كلّ ماله ماهية غير انّيته فلايكون هُو هُو لذاته كما انّه كلّما تتوّقف هويّته على غيره فلم يكن هو مطلقاً ومَبداء للموجودات كلّها هو الّذى هو هو لذاته...

وكلّما كانت مهيّته عَين هويّته ونفس حقيقيّه وتَعَيّنَه فلا اسمَ ولاحدّ له ولا يمكن شرحه الّا بلوازمه الّتى بعضها اضافيّة وبـعضها سَـلبيّته والأكـمَل فـى التعريف ما يكون جامعاً للنّوعين وهو كون تلك الهويّة اِلٰهاً فلا جرم ذكر كلمة الله بعد كلمة هو يكون بـمنزلة الشّـرح والكـاشف عـمّا دلّ عـليه لفـظ هـو انتهى ملّخصاً...

امّا الايات المشار اليها فى الحديث فى سورة الحديد فكثيرة دالّة على التوحيد بحيث لايبقى لِلمتّامِل فيها شكّ ومن اراد الاطلاع عليها، وعلى تفسيرها فعليه باالتّفاسير، والحمد لله رب العالمين.

■ المقصد الرابع

وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ:

اعلم انّ التّوحيد الّذى مرّ ذِكره وشَرحه له بحسب مراتب السُلوك، وتفاوت المعرفة ثلاث مقامات:

المقام الاوّل: توحيد، العَوام وقاطبة الناس الّذينهم عن الدّلائل العَقّلية والبراهين القطعية والاثار الواردة بمعَزلٍ وفى الحقيقة لايدَرؤن ما يقولون وهم الّذين قيل فى حَقّهم: الدِّين لقُّ على اَلسنتهم، فانّهم معترفون مقّرؤن بانّ للعالم صانعاً هو لَيس بمحسُوسٍ وهو حكيم خبير عالم قادر مريدٌ متكَلمٌ وامثالها من الصّفات واذا سئل عنهم عن دليله لايعلمون وعن كيفية اتّصاف الذّات بها والفرق بين الاتصاف هناك والأتصاف فى المخلوق يعجزون عن الجواب فكانّهم فى توحيد الذّات والصفات والآثار فى الحقيقة مقلّدون واتباع هذا المسلك كثيرة جدّاً بل اكثر المُوحّدين من هذا القبيل...

المقام الثانى: توحيد الخَوّاص وهو اعلى منزلةٌ من الاوّل واتباعه بالنسبة قليلون وقليل من عبادى الشّكور، وخلاصته انّهم مُعتقدون بانّ للعالم صانعاً عليماً قادراً وهكذا سائر الصّفات وعلموا ايضاً بانّه واجب الوجود وكذا صفاته واجبة بوجوب الذّات وامكن الاستدلال لهم على طبق معتقداتهم كقاطبة الفلاسفة الاسلامية والعلماء والموّحِدين الّذينهم مارَسوُا خلالَ هذاالدِّيار...

المقام الثالث: هو الّذى لايتحصّل الّا لِلنّادر من الأفراد الّذينهم مُلَبّسوُن بلباس العلم والاستدلال ولُبُّ هذه المرتبة مضافا الى المرتبتين المتقدّمتين هو انّه يعلم بالعلم الشّهودى اليَقينى انّ للعالم خالقا، وكلّ الصّفات ثابتة له

والصفات السلبيّة مسلوبة عنه وليس نحو الاتّصاف فى الواجب كالاتّصاف فى المخلوق والصّفات عين ذاته تعالى لبساطته مصداقا لامفهوما وما سِواه ممكن مفتقر محتاج بل ليس لما سواه وجود مستقلاً وانّما هو كالفئي الى الشّيئى اَو الظِّل الى ذِى الظِّل كما قال الله تعالى: **﴿اَلَمْ تَرَ اِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شٰاءَ لَجَعَلَه سٰاكِناً﴾**[1] فليس فى عالم الوجود موثر الّا هو بل لاموجود بالحقيقة الّا هو كما سيتضح لك ان شاء الله

وبعبارةٍ اخرى **المقام الاول**: مقام وحدة الموجود وكثرة الموجود.

والمقام الثّانى: مقام وحدة الوجود ووحدة الموجود، والفرق بينهما بالوجوب والامكان.

والمقام الثالث: مقام وحدة الوجود فى عين كثرة الوجود ووحدة الموجود فى عين كثرة الموجود، اذا عرفت هذا فنقول: قوله عليه السلام **وَ كَمٰالُ تَوْحِيدِهِ الْاِخْلاٰصُ لَهُ**، اشارة الى انّ الاخلاص فى العبوديّة والمعرفة لايمكن الّا بعد الوصول الى مقام الثالث فى التوحيد، وذالك لانّ الخالص من كلّ شيئى عدم نفوذ الغير فيه كما يقال الذَّهَب الخالص او الماء الخالص اذا كان الذهب والماء لايختلط بغيره...

فالتوحيد الواقعى الخالص عبارة عن التوحيد الّذى لايشوُبه شائبة شركٍ ورياءٍ ولا يرى العبد فى عالم الوجود الّا الله ولا يقيسه الى ما سواه ولا يقيس ما سواه اليه وبالجملة تنزيّهيهٌ وتقديسه عن كلّ ما لايليق به وتثبيته له كل ما يليق به وهذا هو التوحيد الحقيقى المستلزم للأخلاص بل هذا التوحيد عين الاخلاص وهذا مقام لايمكن الوصول اليه الّا بمشّقةٍ ورياضة باطنٍ وتهذيب نفس بسبب ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله، فَمَن ظنّ انّه يمكن البلوغ اليه بالرّياضيات الظّاهرية والأذكار والأوراد المتداولة بين طائفة من الناس من غير التزام بالأحكام الشرعية والنواميس الالهية كترك اكل اللُّحوم اربعين صباحا وعدم

---

١. الفرقان / ٤٥.

الأنس مع الافراد والخلوة فى زاوية لايراه احد ولا يرى احدا وامثال ذالك فقد اَخطَاء خطاءً فاحشاً كما سيرد عليك انشاء الله فى طيّ مباحث الكتاب...

▪ المقصد الخامس

▫ قوله عليه السلام وَ كَمَالُ الْاِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عِنْهُ،

لما قال عليه السلام فى الجملة السابقة ما قال عَقَبَّه بقوله: وكمال الاخلاص الخ، وذالك لانّ هنا مظنّة سئوال وهو انّه ما معنى الاخلاص وعلامته فكثير من الافراد يَدعَّونه فقيل فى الجواب كمال الأخلاص له الخ...

ويمكن ان يقال لِلأخلاص ايضاً مراتب فالمرتبة الاعلى منه ملازمة لنفى الصّفات عنه دون المرتبة الناقصة وعلى كلّ حال لابدّ لنا من توضيح الصّفات وكيفيّتها وتقرير ماهياتها وحقائقها اوّلا ثم التحّقيق فى صفاته تعالى والفرق بينها وبين الصّفات الممكنة فى المخلوقات، قد مرّ منا القول فى معنى الصّفة بحسب اللغة وانّها عبارة عن ذكر الشيئى بِحليَّة وهى الحالة التى عليها الشّيئى الّا انّ الصّفة فى المخلوق غير الصّفة فى الخالق لامن حيث، اللغة بل بحسب الاصطلاح لانّ الصّفات كما سياتى فى الواجب عين الذّات مصداقا وغيره مفهوما وفى غيره زائدة عليه واثبات هذا يستدعى التّكلم فيها

اعلم انّ فائدة الصفة رفع النّقص والقُصور عن الموجود اذ الشيئى لو كان كاملا فى حدّ ذاته مرفوعة عنه القصورات والنّواقص لايحتاج الى صفةٍ زائدةٍ على ذاته فانّه من قبيل تحصيل الحاصل.

مثلا لو كان الانسان فى مرتبة ذاته وانسانيته كاملا بحيث لايشذّ عنه شيئى ويقدر على كلّ شيئى وهكذا لما احتاج الى صفة العلم والقدرة ـ وسائر الصّفات ولكنّا نرى احتياجه اليها فنستكشف منه نقصه الذّاتى فى مرتبة ذاته وبلوغه الى الكمال بحسب الصّفات وهذا ظاهر.

فعلى هذا لايكون الانسان فى حدّ ذاته متّصفا بها فاتّصافه بها امر زائد على ذاته اذا المفروض خُلّوه عنها وكلّ ما يزيد على الذّات، فلا محالة حادث لانّه

مسبوق بالعدم فالصّفات حادثة مستحدثة وكلّ حادث محتاج اليه بالنسبة الى الذّات فيلزم احتياج الذّات اليها فنحكم بكون الصّفات فيه ممكنة كما انّ ذاته ممكن ولهذا نقول فى الممكنات بامكان الذّات ـ والصّفات...

وامّا الواجب تعالى شانه: فالامر فيه ليس كذالك لانّ ذاته تبارك وتعالى تامّ فوق التّمام وكامل فوق الكمال وهو مُنزّه عن الأحتياج والافتقار الملازم لِلامكان فاِذَن لايحتاج الى صِفة زائدة على ذاته ليكمل بها، فالصّفات ليست بزائدة على الذّات...

وامّا البرهان على اثبات هذا المطلب فتقريره انّه لو كانت له صفة ايجابيّة زائدة على ذاته فتلك الصّفة لاتخلو امّا ممتنعة الوجود او ممكن الوجود او واجب الوجود،

امّا الاوّل: فمحال لانّ المفروض انّ الصّفة موجودة فيه فكيف تكون ممتنعة.

امّا الثّانى: ايضاً محال لانّ الصّفة لو كانت ممكنة تحتاج فى وجودها الى علّة كما هو شأن الممكن والعلّة فيها امّا ذاته تعالى او غيره فلو كانت غيره فيلزم تاثير الغير فى الواجب فيكون معلولاً وكلّ معلولٍ ممكن فهو ممكن، والمفروض انّه واجب والواجب لابدّ من ان يكون اكمَل وجوداً من غيره وتاثير الغير فيه يستدعى اكمليّة الغير منه، وان كانت العلّة ذاته تعالى فكيف تتّصور الزيادة فى الصّفات فانّ معنى الزيادة ومفهومها كون الذّات خالية عنها فى زمان، ثم اتّصافها بها وهذا مساوق للحدوث الملازم ـ للامكان على انّ كلّ زائد على الذّات ايّاماً كان فى حدّ ذاته ممكن متساوى ـ النّسبة للوجود والعدم والاّ فَلِم اَخَّر وجوده عن وجود الذّات وهذا ظاهر واذا بطل كلا الشّقين فى تصوير معنى الزّيادة فمعلوم انّ الصّفات ليست بزائدة وهو المطلوب.

امّا الثالث: اعنى صفاته واجبة له فهو حقّ والوجوب للذّات، ينفى الزيادة وهو المطلوب.

برهان آخر: قد ثبت فى محلّه انّ كلّ شيئى حكَمَ به العقل انّه كمال لموجودٍ

مّا من حيث هو موجود من غير شرط يخصّص او اعتبار يُجسّم ويُركّب ويُغيّر ويمكن بالامكان العامي له فيجب للواجب بالفعل لانّ المفروض انّه كمال للموجود من حيث هو موجود من غير شرط ولا يوجب تغيّرا ولا تكثّراً، والواجب اولى بكل كمال لانّه مَعطى الكمال فلا يكون فاقده وهو الوجود البحَتّ والمفروض انّه كمال للموجود من حيث هو فكما انّ الموجود وجوده رشحٌ من رَشَحات وجوده فكذالك صفاته ويمتنع ان يعطى الكمال من هو قاصر عنه فيصير المستفيد اشرف من المفيد، فاذا كان العلم والقدرة والحياة ونحوها من الصّفات من احوال الموجود من حيث هو موجود وكمالا له فيجب ان يكون له تعالى بذاته اذ ليست فيه جهة امكانية كما علمت فكلّ ما هو ممكن للموجود بالامكان العام فهو واجب له بالفعل فواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فجميع الصّفات فيه عين ذاته من غير لزوم تكثّرٍ وتعدّدٍ.

برهان آخر: لو كانت له تعالى صفة زائدة على ذاته لكان الذّات فاعلا وقابلاً وكلّ ما هو كذالك مركّب، فالواجب مُركّبٌ وهو محال.

امّا الصغرى: فلانّ الذّات قابل لِلصّفة وفاعل لها امّا قابليّته فلانّ المفروض زيادة الصفّة فلابدّ للذّات من القبول لها وامّا فاعليته لها فلانّ الذّات لو لم يكن فاعلا لها لكان غيره فاعلا لها فيلزم تاثير الغير فيه وقد مرّ استحالته لاستلزامه خروج الواجب عن كونه واجبا وصيرورته ممكنا، فثبت انّ الذّات فاعل لها وقابل.

وامّا الكبرى: فلانّ جهة القابلية غير جهة الفاعليّه اذ جهة الفاعلية حيثيّة الانفعال والفاعليّة حيثية الفعل والفعل والانفعال متقابلان فلو كان فى الواجب هذين الجهتين يلزم التركيب فى ذاته من حيث وجود الجهتين المتغايرين، فانّ الذّات من حيث انّه قابل للصّفة غير الذّات من حيث انّه فاعل وان شئت قلت الفاعليّة مقتضية للوجوب والقابليّة للامكان لانّ الممكن ينفعل من

الفاعل بسبب قبوله الفعل منه.

اقول: فى هذا البرهان وجوه من النّظر لايناسب المقام ذكرها كما لايخفى على من ذاق مذاق التّحقيق فتامل.

برهان آخر: واجب الوجود بالذّات واجب الوجود من جميع الجهات فاذا فرضنا زيادة صفاته على ذاته لم يكن واجباً من جميع الجهات، وكلّ ما لايكون واجبا من جميع الجهات فهو ممكن فالواجب ممكن هذا خلف فزيادة الّصفات على ذاته باطلة فعينيّته الصّفات ثابتة لعدم الواسطة بينهما وهو المطلوب، امّا **المقدمة الأولى**: فَلِما ثَبَت انّه فاعل الخيرات وخالق الموجودات بحيث لولاه ما كان للموجودات عين ولا اَثَر وما سواه معلول له محتاج اليه فعلى هذا كلّ ما فى الوجود من اعيان الموجودات عُقولها ونُفوسها وافلاكها وعناصرها من آثار وجوده وثمرات جوُده بل الحقّ انّ الامكان ليس الّا صرف التعُلّق والرّبط بالمَبدَء لاشيئى ثبت له الامكان فالممكنات مع قطع النّظر عن وجود الحّق بالمعدومات اقرب منها الى الموجودات ومع التوجه بمعلوليّتها تكون موجودة بالوجود الظّلى التَبعى لاالوجود الحقيقى الاستقلالى كما قال تعالى: **﴿اَلَمْ تَرَ اِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَه ساكِناً﴾**[1]، وقال ايضاً **﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ اِلاّٰ وَجْهَهُ﴾**[2] بناء على كون المقصود من كلمة شيئى هو الممكن الذّاتى الّذى شانه اَللسَّيية الصِّرفَة فى مقام ذاته فانّ الهلاك بمعنى اَلّلاستحقَاقية الذّات هو شان الممكن فى مقام ذاته وامّا انكان المقصود منه الموجود كما هو ظاهر الاية فمعناه مَلحوُقيّة الممكنات بالهَلاك والدُّثور كما انّها مسبوقة به فانّ الممكن مَحفُوفٌ بالعَدَمين: احدهما: عدم السّابق، والاخر عدم اللاّحق وعلى كلا المعينين يمكن ان يحمل قول لبيد بمحضر النّبى صلى الله عليه وآله:

اَلاّ كلّ شيئى ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لامحاله زائل

وعلى معنى التّعلّق والرّبط حمْلِ قوله صلى الله عليه وآله الفقر فَخرى، وقوله صلى الله عليه وآله الفقر

١. الفرقان / ٤٥.

٢. القصص / ٨٨.

سواد الوجه فى الدّارين، لاعلى الفقر الظّاهر فانّه ليس موجباً لسواد الوجه ولا موجباً للفخر كما هو ظاهر على النّاقد البصير.

وعلى كلّ حال اذا فرضنا انّ الممكن يكون هكذا فى حدّ الذات فكذالك من حيث الصّفات اذ الصفات تابعة له مضافا الى انّه كيف يعقل فرض الصّفات فى الممكنات الّتى عرفت حالها وتعطيل المفيض والذّات عنها هل هذا الّا تهافت وتناقض وهل يمكن كون معطى الكمال فاقداً له فظهر انّ الصّفات ثابتة له تعالى وكما انّه واجب من حيث الذّات واجب من حيث الصّفات والا يلزم من وجوبه امكانه وهو محال...

امّا المُقدّمة الثانية: اعنى فرض الزيادة يستلزم عدم وجوب الذّات فهو قد ظهر ممّا ذكرناه آنفاً لانّ الواجب لو فرضناه واجبا ذاتا وفرضنا زيادة الّصفات عليه فهو فى مرتبة الذّات فاقد لها محتاج اليها لتحصيل الكمال فيلزم ان يكون الواجب واجباً وممكناً معاً ومحاليّته اظهر من الشمس وابيَن من الأمس، وباقى الجملات معناه ظَهَر مما ذكرناه فاذا ثبت عدم زيادة الصّفات له ثبت عينيّتها له لعدم الواسطة واستحالة ارتفاع النقيضين واَظُن ان ما ذَكرتُه من الدّلائل على عينيّته الصّفات يكفى فى المقام ولنرجع الى معنى العينيّة فيها وتحقيق القول فيها وتعيين المراد منها فى المقام قال بعض المحققين فى شرحه على اصول الكافى ما هذا لفظه...

واعلم انّ المراد من نفى الصِّفة عنه تعالى ليس انّه لايوصف باالعلم والقدرة والحياة وغيرها بالحقيقة بل بمعنى ترتّب آثارها حتّى كانّ اطلاقها عليه تعالى على سبيل التّجوز من باب تسمية الشيئى باسم ما يؤُل اليه (ما يترتب عليه اثره) كما توهّمه قوم زعماً منهم انّ اجتماع هذه المعانى المتكثرة فى ذاته تعالى يوجب التكثر وليس كذالك، فانّ كثرة المعانى على الاطلاق لاتنافى وحدة الوجوب الّا فيما دلّ عليه برهان وبيان لامجرد صدق المعانى المتغايرة فى المفهوم فانّ كون الشيئى عاقلا ومعقولا لايوجب تكثّراً لافى الذّات ولا فى

الحيثيّات والجهات فانّ العاقل شيئى يحضر له الصورة والمعقول شيئى (صورة) حاضرة لشيئى وليس من شرطه ان يكون ذالك الشيئى غيره البتّة.

وكذا العقل معناه الصورة المُجَّردة عن المَّواد والأَغشية وليس من شرطها ان يكون غير عاقلها ولا ايضاً ان يكون غير ماهى صورة له، اعنى الذّات المعقولة فاجتمعت المعانى الثلاثة (العقل والعاقل والمعقول) من غير تكثّر فى الذّات ولا فى حيثية الذّات، فكذالك الحال فى كونه تعالى فى ذاته عالماً قادراً حياً مريداً واحداً احداً قيّوماً صَمداً متكلّماً بائاً مبدعاً الى غيرها من الصّفات الحقيقية دون السلوب والاضافات.

وامّا الصَفّات الحقَيّقيه اللّازمة الاضافة فمباديها عين الذات واضافاتها خارجة عنها، فقول اميرالمؤمنين عليه السلام فى بعض خْطَبه المنقولة فى كتاب نهج البلاغة وكمال توحيده الأخلاص له وكمال الاخلاص له نفى الصّفات عنه المراد منه نفى الصفة الموجودة بوجود غير وجود الذّات كاالّسواد فى الأسود والبياض فى الأبيض فلاجل ذالك وقع نفى الصّفة عنه تعالى بهذا المعنى لاكا النّاطق للانسان، ولمّا كان اكثر ما يطلق عليه اسم الّصفة هو الذى يكون اَمراً عارضاً للذّات ولا يقال للمعانى الذّاتية لِلشيئى انّها صفات له لاانّه ايضاً لايوصف بالعلم والقدرة ونظائرهما من المعانى الكليّة (الكماليّة) سيّما وقد قال سلام الله عليه بعد ذالك فمن وَصَف الله سبحانه فقد قَرنَه ومن قَرنَه فقد ثَنّاه فَعْلِم انّه اراد بالصّفة ما قارن الذّات كالعوارض لِلذّوات وهو الموجب لِلأثنيّنة على ما عرفت فالعلم فى غيره صفة زائدة وفى الاوّل تعالى نفسه وكذا القدرة فهو علمِ باعتبار عالم باعتبار وقدرة باعتبار قادر باعتبار وكذا حيوة وحيّ باعتبارين وسمع وسَميع وبصر وبصير وحكمة وحكيم ونور ومنوّر انتهى موضع الحاجة من كلامه قده ونحن نقول صفاته تعالى على وجه العموم على قسمين:

ايجابية ثبوتيّة، وسَلبيّة تَقديسيّة، وقد يَعبَرّ عن الأولى بصفات الاكرام

والكمال وعن الثّانى بصفات الجلال فصِفَة الأكرام ما تكرّمت ذاته بها وتَجَّملَت وصفته الجلال ما حَلّت ذاته عن مشابهه الغير وقد (اشير الى هاتين بقوله تعالى:

﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾[1]:

امّا صفات الجلال فلا شك فى رجوعها الى سلبٍ واحدٍ هو سلب الأمكانية عنه تعالى لانّها سلوب عن النقائص والأعلام، وامّا الثانية اعنى: صفات الاكرام والكمال والجمال فتنقسم الى قسمين:

الاوّل: حقيقيته كالعلم والقدرة والحيوة **والثانى**: اضافية كالخالقية والرّازقية والتّقدم وامثالها والحق انّها بكلا قَسِميه حقيقته الّا انّها تارةً تكون حقيقته مَحضَة كالقسم الاوّل وتارةً تكون غير محضةٍ بل ذات اضافةٍ كالقسم الثانى، فكما انّ الصّفات السلبيّة ترجع الى سلبٍ واحدٍ كما قلنا كذالك الصّفات الحقيقية ترجع الى حقيقةٍ واحدةٍ هى وجوب الوجُود اعنى الوجود المُتَاكّد والحقيقة الغير المَحضة ترجع الى اضافة واحدةٍ هى اضافة القَيْوميّة وذالك لانّ الصّفات المذكورة لو لم ترجع الى واحدة تؤدى الى انثلام الوحَدة فى الذّات وتَطَّرق الكثرة فيه تعالى الله عن ذالك علوّاً كبيرا.

اذا عرفت ذالك على سبيل الأجمال فاعلم انّ واجب الوجود وانِ وُصِفَ بالصّفات الحَقيّقية المحَضة كالعلم والقدرة والحيواة حيث قال تعالى: انّ الله بكل شيئى عليم، ان الله على كلّ شيئى قدير، وامثال ذالك الّا انّها ليست الّا وجود ذاته بذاته فهى وان تغايرت مفهوماتها لكنّها موجودة بوجود واحد، فالمفاهيم متغايرة والمصداق واحد.

قال الشيخ الرئيس فى كتاب التّعليقات على ما نقل عنه ما هذا لفظه انّ الاوّل تعالى لايتكثّر لأجل تَكَثّر صفاته لانّ كلّ واحدة من صفاته اذا حقّقت تكون الصّفة الاخرى بالقياس اليه فيكون قدرته حياته، وحياته قدرته وتكونان

---

١. الرحمن/ ٧٨.

واحدة فهو حيّ من حيث انّه واحد (قادر) وقادرٌ من حيث هو حيٌّ وكذا فى سائر صفاته انتهى...

وقال بعض المُحقّقين فى هذا المقام مشيّته تعالى قدرته وما يدركه بصفة يدركه لجميع الصّفات اذ لااختلاف هناك انتهى ـ فكما ان الصّفات الحَقّيقية لاتزيد على ذاته تعالى وان تغايرت مفهوماتها والّا لكانت الفاظا مترادفة فكذا صفاته الاضافية وان كانت زائدة على ذاته متغايرة بحسب المفهوم لكن كلّها ترجع الى اضافةٍ واحدةٍ متّاخرةٍ عن الذّات ولا يخلّ بوحدانيته كونها زائدة عليه فإن الواجب ليس عُلُوّه ومَجدَه وتَجَمّلَه وبهائه بنفس هذه الصّفات الأضافيّة بل عُلّوَه ومَجده بمبادى هذه الصّفات الّتى هى عين ذاته.

فكما انّ ذاته بذاته مع كمال فَردانيّته وأَحَديّته يَستَحقّ هذه الاسماء من العلم والقُدرة والحَياة من غير تكثُّرٍ وتَعدُّدٍ حقيقةً او اعتباراً او حَيّثيةً لانّ حيثية الذّات بعينها حيثية الصّفات، فكذالك ذاته بذاته مَنشاء لِلصفّات الأضافية بلا تَطَرُّق حيثيةٍ وكثرةٍ فى الذّات، ولَعَلَّ هذا مراد الفارابى حيث قال فى حقّه تعالى بالنّسبة الى الصّفات.

وجودٌ كُلّه وُجوبٌ كُلّه علمٌ كُلّه قدرةٌ كُلّه حياةٌ كُلّه لاانّ شيئاً منه علمٌ وشيئاً آخر منه قدرة ليلزم التّركيب فى ذاته ولا انّ شياً منه علمٌ وشياً آخر فيه قدرة ليلزم التّكثر فى صفاته الحَقّيقة انتهى. فالصّفات الأضافيّة مع انّها زائدة على الذّات لاتَكَثُّر فى معناها ولا اختلاف فى مقتضاها فَمَبدئيّته الحقّ بعينها رازقيّته وبالعكس وهما بعينه جوُده وكَرَمه وبالعكس وهكذا فى العَفو والمَغفرة والرّضا وغيرها اذ اختلاف جهاتها وتَكثّر حيثياتها يسَرى الى تكثّر مباديها وهى عين ذاته تعالى وهو محال، وحَيث انكشف لك هذا المعنى فى الصّفات الحقّيقية المَحضَة وذوات الاضافة فبعين هذا الملاك نقول فى صفاته السلّبيّة انّها ترجع الى سلبٍ واحد وهو سلب الأمكانيّة عنه تعالى فانّ تحت هذا اَلسّلب يدخل جميع السّلُوب كسلب الجسميّة والعَرَضيّة والتّركيب وامثالها

كما يدخل تحت سلب الجمادية عن الانسان سلب الحَجَريّة والمَدَّرية تقرير آخر للصّفات الثبوتيه، الصّفات الثبوتيه على اطلاقها فى كلّ موجودٍ على قسمين: مَحسُوسة، معقوُلة، وكل منهما امّا عين الموصوف او غيره، فهذه اربعة اقسام:

الاوّل: كالاتصال للجسم حيث يقال الجسم متّصل فانّ الاتّصال وصف للصّورة الجِسّمية وهذا مَحسُوسٌ والاتّصال نفس الجسم خارجاً وان يغايره مفهوماً فوجود الصّفة عين وجود الموصوف.

الثانى: كالأسود للجسم حيث انّه ايضاً محسوس الّا انّه موجود بنفسه والفرق بينهما معلوم اذ الأتّصال ليس غير الصّورة الجِسميّة والأسوَد، غير الجسم واقعاً.

الثالث: كالعالم للعقل حيث انّه صفَة عقلّيٌ للعقل الّا انّ وجوده عين وجوده لاسيّما بناء على اتحاد العاقل والمعقول.

الرابع: كالعالم للأنسان العُنصرى حيث انّ العلم غير ماهيّة الأنسان واقعاً وانّ اتحّدا مصداقاً، فصِفات الحقّ ليست من قبيل المَحسُوسات لابمعنى الاوّل كما ذهب اليه المُجَّسمِة والمُشّبهته ولا بمعنى الثانى كما يقول به الأشاعرة اذا كانت زائدة لازمة او لازمة مفارقة كما التزم به من يُسّمى بالكرّامية ولا معقولة زائدة وذالك لانّ لازم كون الصفات زائدة كون الذّات فى مرتبة الذّات خالية عنها فيكون للغير فيه تاثير فى كماله وتمامه ويوّدى الى الدَوّر المستحيل فيلزم ان يكون ذاته اكمل من ذاته بالتّفصيل الّذى مَرَّ ذكره فى البراهين القائمة على استحالة كون الصّفات زائدة عليه.

فبقى ان تكون الصّفات معقولة موجودة بوجود الذّات وهو المطلوب وقد تَلَخّص ممّا ذكرناه فى شرح هذه الجملة الشريفة انّ غرضه عليه السلام والله العالم نفى الصّفات الّتى وجودها غير وجود الذّات والّا فذاته بذاته مصداق لجميع النُّعوت الكماليّة له فَعِلمُه وقُدرَته وسَمعُه وبَصره كلّها موجودة بوجود ذاته

الأَحَديّة مع انّ مفهوماتها متغائرة ومعاينها متخالفة اذ الموجود كلّما كان اجمع للمعانى الكماليّة كان سلوبه وفقداناته اَقَلّ وبساطته وَوَحدته اتمّ واظهر ويُؤيدُه ما ورد فى الاخبار والاثار عن المعصومين عليهم السلام

فمنها مارواه ثقة الاسلام قده فى كتابه الكافى باب صفات الذّات بسند متصل عن الباقر عليه السلام ما هذا لفظه محمّد ابن يحيى عن محمّد ابن الحسين عن ابن ابى عمير عن هشام ابن سالم عن محمّد ابن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام قال سمعته يقول كان الله ولا شيئى غيره ولم يَزَل عالماً بما يكون فَعِلمُه به قبل كونه كَعِلمِه بِه بَعد كَونه.

ومنها على ابن ابراهيم عن محمّد بن خالد الطيالسى عن صفوان ابن يحيى عن ابن مسكان عن ابى بصير قال: سمعت ابا عبدالله يقول لم يزل الله عز وجل ربّنا والعلم ذاتِه ولا مَعلوُم والسَّمعَ ذاته ولا مَسموُع والبَصَر ذاته ولا مُبصَر والقُدرة ذاته ولا مَقدوُر.

فانّ هذين الحديثين واشباهما تَدّلان على انّ العلم والقدره، وغيرهما ليست بزائدة على الذّات بل عين الذّات وهذا معنى نفى الصّفات عنه لاما فَهمه بعض مَن حَمَل الكلام على ظاهره اعنى عدم الصّفات فانّ هذا القول مستلزم لعدم صِدق العِلم والقُدرة والحَياة عَليّة ومعلوم انّ مِن عَدم صدق العلم يلزم صدق الجَهل ومِن عَدم القُدرة يلزم الضَعفَ وَمِن عَدم الحياة يلزم صدق الموت والعدم لعدم الواسطة بين العلم والجَهل والقُدرة والعجز والحياة وعَدمها فاذا لم يصدق ثبوتها فلابدّ من اتّصافه بعدمها لاستحالة ارتفاع النقيضين وهل هذا الّا تعطيل الصّفات المستلزم لتعطيل الكمال وبذالك يظهر لك سرّ قوله عليه السلام بعد هذه الجملة.

□ **قوله عليه السلام: لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مُوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ ـ متن...**

فانّ الصّفة اذا كانت موجودة بوجود غير الذّات فلا محالة مغايرتها مع

الموصوف اَمرٌ ثابت لاشكّ فيها وكذالك من جانب الموصوف...

واما اذا كانت موجودة بوجود الذّات كما ذكرناه فلا تغاير بينها اصلا الّا بحسب المفهوم الّذى لايوجب كثرةً فى الذّات والدّليل على التّغاير فيما اذا كانت موجودة بوجودٍ غير وجود الذّات هو انّ الصّفة اذا كانت زائدة عليه فلامحالة عروضها على الذّات من قبيل المحمول بالضّمية لامن خارج المحمول فيكون عرضيّاً وكلّ عرضيٍّ مُعَلَّل وكلّ معلّلٍ مُحتاج وكل مُحتاجٍ ممكن فالواجب يكون مُمكناً هف.

وسرّه هو انّ الصّفة تصير من قبيل الأعراض لِلمَعرُوضات وقد ثبت فى محّله انّ العرض موجود بوجود فى نفسه لالنفسه بمعنى انّ العرض له وجود مستقلّ فى نفسه الّا انّ وجوده الخارجى متّحّد مع وجود المَعروْض فاالبياض العارض للجسم مثلا ليس وجوده الواقعى وجود الجسم فانّه من مقولة الكيف والجسم من مقولة الجوهر وكلّ واحد منهما موجودٌ فى نفسه بوجود غير وجود الاخر كيف والجوهر موجود اذا وجد فى الخارج كان لافى موضوع والعرض موجود اذا وجد فى الخارج كان فى الموضوع، فالّزيادة فى الصّفات تستلزم العروض فاذا فرضنا زيادة الصفات بهذا المعنى لابدّ من كون الذّات فى مرتبة ذاته خالية عنها وهذا محال.

▫ **قوله عليه السلام: فَمَنْ وَّصَفَ اللهُ سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنّاهُ، وَ مَنْ ثَنّاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ـ متن**

يعنى مَن وصفَ الله سبحانه وتعالى بالصّفات الّزائدة على ذاته وجوداً فقد قَرنَه بواجب آخر فيلزم تعدد القدماء واثبات الشريك له تعالى.

بيانه: انّ اثبات الصّفات العارضة على ذاته سواء كانت قديمة كما يقول به الاشاعرة او حادثة كما يقول به غيرهم فانّ الصّفة اذا كانت متغايرة مع الموصوف بالتّقريب المُتقّدم فكلّ متغائرين فى الوجود فكلّ منهما مُتميّز عن صاحبه بشيئى ومشارك له بشيئٍ آخر وذالك لاشتراكهما فى اصل الوجود و ما

به الاشتراك مغاير لما به الأمتياز والّا يلزم كون الواحد بما هو واحد كثير، بل الوَحدَة بما هى وَحدَة بعينها كثرة وهذا محال فَإذَن لابدّ ان يكون كلٌّ منهما مُركّباً ممّا به الأشتراك وما به الأمتياز فيلزم اَلترّكيب فى ذاته وقد فرضناه بسيط الحقيقة هذا خلف وان لم يشتركا فى شيئٍ حتّى يلزم الترّكيب بل كانا متغايرين بالذّات والوجود فهذا مع انّه فى نفسه محال لاستحالة كون العارض والمعروض متغايرين بتمام الذّات مع ذالك يلزم تعدّد القدماء كما مرّ مراراً تحقيقه فى المباحث السالفة.

فيصير معنى العبارة هكذا: من وصف الله تعالى بالصّفات الزائدة فى الوجود على وجوده فقد قَرنَه بهذه الاوصاف ومَن قَرنَه بها فقد ثنّاه اعنى اثبت له مابه الاشتراك وما به الامتياز واثبات هذا المعنى له مستلزم لتَجزيته اذ الواجب على هذا يكون ذاجزئين جزء به الاشتراك وجزء آخر به الامتياز واذا كان الامر على هذا المِنوال فتكون النتيجة جهله بالواجب وعدم تَأديةِ حَقّه مع انّ الجهل به وبصِفاته يوجب فساداً آخر كما قال عليه السلام:

□ **قوله عليه السلام: وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ ،وَمَنْ قَالَ عَلَىٰ مَ؟ فَقَدْ أَخلَىٰ مِنْهُ ـ متن...**

اقول: هذه الامور كلّها توالى فاسدة تترّتب على وصفه تعالى على بما لا ينبغى وذالك لانّ الجهل بالواجب بالتَقّريب الّذى مضى آنفاً يوُجب الأشارة وذالك لانّ كلّ مُركّبٍ لابدّ له من وضعٍ وكلّ ذِىَ ضَعٍ فقابل للاشارة وكل مشار اليه فهو محدود وكلّ محدودٍ فهو مَعدُودٌ، وذالك لانّ الاشارة حِسيّة كانت او عَقليّة بانّ قال ههينا او هناك فقد جْعَلِه مَحدوُداً بحَدٍّ خاصٍّ ومَن حدّه بحدٍّ خاص فَقَد عَدَّه اى جَعله واحداً بالعَدَد لابالحقيقة، وقد ثبت ان وَحدَته وَحدة الحقّه الحَقيقة ولَيست مبدء الأعداد وواحد الافراد والآحاد وجامع كلّ التوالى الفاسدَة لزوم التناهى الّذى محال عليه وعلى هذا يجب ان لايكون مَحصُورا

فی شیئی ولا تخلو عنه شیئی والیهما اشار بـقوله عليه السلام **وَمَنْ قَـالَ فِـيمَ؟ فَـقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلَىٰ مَ؟ فَقَدْ أَخلَىٰ مِنْهُ** ـ متن...

فلاً يكوُن فی ارضٍ ولا فی سماءٍ ولا يَخلو عنه ارضٌ ولا سماءٌ كما ورد فی الحديث لو دَلَيتُم بحَبلٍ على الأرض السُّفلى لَهَبط على الله...

وقال تعالى: ﴿**هُوَ مَعَكُم أَينَما كُنتُمْ**﴾[1]، و قوله: ما يكون من نجوى ثلثة اِلّا هو رابعهم ولا خمسة الّا وهو سادسهم و ﴿**نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[2] وغير ذالك من الآيات والرّوايات الواردة فی هذا الباب، واما كلمة (فـيم) وعـلام فالاصل فيهما (فيما وعلى ما حرَفان دخلا على ماالاستفهاميّة فحذف الفـها لاتّصالها بهما تخفيفا فـی الاسـتفهام خـاصّة وهـاتان القـضّيتان فـی تـقدير الشرطيتين المُتصَلتين باستثناء نقيض تاليها وتقدير المُتصّلتين فيهما يَظهَر مما ذكرناه سابقا فانّ كلمة فی وعلى تدّلان على ذالك لانّ كلمة فی مفيدة للظرف والمحلّ واذا كان فی محل فان وجب كونه فيه يكون محتاجا اليه وهو ممكن وان لم يجب فيه لكان فی ذاته يستغنی عنه والغـنی فـی ذاتـه عـن المـحل يستحيل ان يعرض له فيكون السؤال عنه بِفَيم مستلزم للجهل...

وامّا المتّصلة الثانية فلانّه لو جاز السّئوال عـنه بـعَلام لجـاز خـلّو بـعض الاماكن عنه لكنّه لايجوز خلّوه عنه فامتنع السئوال بالاستفهام وهذا ايضاً ظاهر

▫ **قوله عليه السلام: كَائِنٌ لاَّعَنْ حَدَثٍ، مَّوْجُودٌ لاَّعَـنْ عَـدَمٍ ،مَـعَ كُـلِّ شَـيئٍ لاَّ بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيئٍ لاَّ بِمُزَايَلَةٍ ،فَاعِلٌ لاَّبِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ، بَصِيرُ إِذْ لاَ مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَسَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَ ،يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ،** ـ متن...

◁ اللّغة

(**كَائِنٌ**) اسم فاعل من كان، (**والحَدَثِ**) هو الوقوع يقال حدث هذا اذا وقع

---

١. الحديد / ٤.

٢. ق / ١٦.

(مُقارَنَةٍ)، مصدر باب المفاعلة وفعلها قارن و(مُزايَلَةٍ) ايضاً كذالك من الزّوال والارتفاع (الْحَرَكاتِ) جمع الحَركة وباقى اللغات واضح.

▫ **قوله عليه السلام: كائِنٌ لاعَنْ حَدَثٍ، مَوْجودٌ لاعَنْ عَدَمٍ ـ متن...**

اعلم انّها صفات البارى تعالى فقوله عليه السلام كائن الخ اشارة الى انّه تعالى موجود لاكمُوجُوديّة الاشياء وتقرير هذا الأصل يحتاج الى ذكر ما هو كالمقدّمة له فنقول: الكائن كما مَرّ اسم فاعل مِن كان وهو على ما ذكره ارباب الأدب يستعمل على ثلثه اوجه:

الاوّل: ان تكون بصيغتها دالّة على الحدث والزّمان ويسمّى فى عرفهم كان التّامة كقول الشاعر:

اذا كان الشّتاء فأدفئونى اى اذا حدَثَ ووَجْد.

الثانى: ان تدلّ على الزمان وَحده ويحتاج فى دلالته على الحَدث الى خبرٍ يتمُّ به وهى المُسمّاة فى عرفهم بالناقصة واستعمالها اكثر فى محاوراتهم ومولّفاتهم كما لايخفى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ﴾[1]

ونحو كان زيد قائماً.

الثالث: ان تكون زائدة خالية عن الحَدَث والزمان كقول الشاعر: على كان المُسّوقّة العراب اى على المسّوقة العراب اذا عرفت ذالك: فاعلم انّ قوله عليه السلام كائن فمفهومه شيئى ما له الكَون ـ والشيئى هو الله تعالى واثبات الكَون الدّال على الزمان عليه محال لانّ ذاته مقدسّة عن الزمان فاستحال وصفه به...

امّا اثبات الشّيئى له فلا يحتاج الى دليلٍ لانّه داخل فى مفهوم الشّيئة العامّة كما هو مُبَرهن عقلاً ونقلاً كيف وان لم يصدق عليه الشيئى لصدق نقيضه وهو اللاشيئى لأستحالة ارتفاع النقيّضين واللاّ شيئى مساوق للمعدوم والمفروض وجوده، وامّا اثبات الكون بمعنى الزّمان يستحيل عليه لانّ الزمان عبارة عن مقدار حركة الفلك وهو تدرّيجى غير قارٍ وقبل وجود الفلك لايعقل زمان والله

---

١. نحل / ١٢٠.

تعالى مُوجد الفلك فكيف يدخل فى الزمانيّات المتاخرة عن حركة الفلك المتاخرة عن ذاته وهذا ظاهر.

مضافا الى انّ الزمان لاينفكّ عن الحدوث فانّ كلّ جُزٍ من اجزائه مَسْبوق بالعدم ومَلحُوق به فكلّ ما يقع فيه ايضاً ليس بخارج عن الحدوث فيلزم كونه حادثاً وهو محال. وامّا الكائن بمعنى الحدَثَ ايضاً لايمكن وذالك لوجهين:

الاوّل: نصّه عليه السلام بقوله: **لأَنَّ حَدَثٍ**، **والثانى**: لانّ اثبات الكون بمعنى الحدث له مساوق لامكانيّته فانّ الكون بهذا المعنى مَسبُوق بالعدم وهو مناف للوجوب فاذا استحال اطلاق الكون عليه تعالى بالمعنى الزّمانى والحَدَثى فلابدّ من ان يكون المراد به هو الوجود المُجَرّد عن هذين القيدين كما قال تعالى: **وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً**[1] وقول النبى كان الله ولم يَكُن معه شيئى وقوله صلى الله عليه وآله كان الله ولا شيئى وامثال ذالك من الآيات الواردة والروايات المأثورة.

وامّا الحدوث فيطلق فى اصطلاح الفلاسفة على معنيين:

الاوّل: الحدوث الذّاتى وهو الّذى لايسبقه العدم بل مَسْبوق بعلّة فقط كالعقول حيث انّهم التزموا بعدم مَسبُوقيّته العقول للعدم لانّه يوجب انقطاع الفيض وتعطيله بدون جهة والحال انّه ثبت عقلاً ونقلاً عدم انقطاع فيضه فانّ الله تبارك وتعالى دائم الفيض والفضل على البريّة وفيه مقال ياتى فى محلّه، وعن الحدوث بهذا المعنى عَبّروا بالحُدوث الذّاتى ولذا دهب اكثر الفلاسفه الى انّ العالم قديم لا بالذّات بل بالزّمان فالعالم عندهم حادث ذاتا قديم زمانا.

الثانى: الحدُوث الزّمانى وهو الّذى يسبقه العدم كجملة الحوادث الواقعة فى كلّ وقتٍ وزمان والحدوث بهذا المعنى مسبوق بالعدم لامحالة ولكنّه لاشك لهم فى انّ الحدوث بكلا المعنيين معلول ممكن يحتاج الى العلّةِ، اذا عرفت الحدوث ومعناه وبيان الأصطلاحين فيه فقوله: **كائِنٌ لاعَنْ حَدَثٍ**

---

١. فرقان / ٧٠؛ احزاب / آية ٥٠؛ نساء / آية ١٥٢؛ احزاب / آية ٥.

اشارة بانّه تعالى ثابت وموجود لابمعنى ذات ثبت له الوجود بل بمعناه التّجردى من دون ان يكون هذا الوجود وجود احادثاً، بكلا المعنيين فيه فانّه تبارك وتعالى لمَ يَسبقه العدم حتّى يكون وجوده حادثاً زمانيّاً ولا مسَبُوق بالعلّة حتّى يكون حادياً ذاتياً وحيث انتفى الحدوث عنه تعالى فثبت انّه قديم لعدم الواسطة بين القديم والحادث...

▫ **قوله عليه السلام: مُوْجُوْدٌ لاَّ عَنْ عَدَمٍ:**

الموجود قد يطلق ويراد به الماهيّات المُتّصفة بالوُجود كمطلق الممكنات حيث انّها موجودات بمعنى انّها ذوات عَرضَ لها الوجود وان كان هذا العروض ليس كعروض البياض والسّواد للجسم حيث انّ الجسم شيئى ـ والبياض شيئى آخر، حتّى يقال بالقاعدة الفرعيّة فيه فانّ الماهيّة ليست شَيئاً مع قطع النّظر عن الوجود بل هى امر انتزاعىّ يعبّر عنه بالماهيّة، فثبوت الوجود لها عبارة عن نفس كونها وتحقّقها لاثبوت شيئٍ لشيئٍ...

نعم للعقل ان يفرض كلّ واحدٍ منهما مع قطع النّظر عن الاخر، وان كان تخليتها عنه تحليتها به لكن بتَّعملٍ شديدٍ ودقّةٍ لاتوُصَف ومع ذالك كلّه نحكم بانّ هناك ماهيّة ووجود: احدهما عارض والاخر معروض والماهيّة بدون الوجود متّصفة بالأمكان الذّاتى لايقتضى وجوداً ولا عدماً فى حدّ ذاته ففى خروجه عن حدّ الاستواء تحتاج الى علّةٍ مُخرجةٍ ايّاها عن الاستواء وهذه العلّة لما لم تكن ممكنة والا تَسلسَل فلابدّ ان تكونِ واجبة وهو المطلوب، وهذا معنى قولهم: الممكن من شانه ان يكون اَيساً ومن ذاته ان يكون ليسا وقولهم: كلّ ممكن زوج تركيبىّ له ماهية ووجود وهذا فى المُمكنات ظاهر، فاطلاق الموجود على ما سوّى الله تعالى ايّاماً كان هو هذا...

وقد يطلق الموجود ويراد به نفس الوجود لاذات ثبت له الوجود ـ وذالك امّا لعدم اعتبارِ الذّات فى المُشتَق كما هو الثابت المُحَقق عند المتاخرين واما بدليلٍ خارجٍ دَلَّ على انّ الواجب بسيط ليس الّا مُجرّد الوجود وحقيقته حتّى

لايلزم الاحتياج المساوق لِلأمكان وعلى كلّ حال لاخلاف فى انّ اطلاق الموجود عليه غير اطلاق الموجود على غيره، وبذالك ظهر لك سرّ قوله عليه السلام **مُوجُودٌ لاّعَنْ عَدَمٍ**، فانّ المجودات الأمكانية مسبوقة بالعدم كما هو مقتضى الحُدوث والوُجود الواجبى لَيسَ كذالك.

ويمكن ان يُستنبَط من هذه العبارة بدلالة المفهوم انّ ما سواه موجود عن عَدَم فالعالم حادثٌ زمانىّ لاحادثٌ ذاتىّ كما يقول به كثير من الفلاسفة والاّ يلزم كون الحادث الذّاتى ايضاً كالواجب موجود لاعن عَدم فما الفرق بين الواجب والعُقوُل وخصوصاً الصّادر الاوّل، اللّهم الاّ ان يقال: بانّ الفرق بينهما بسَبق العِلّية وعَدَمه حيث انّ الوجود الواجبى فى نفسه لِنفسه بنفسه والوجود فى الصّادر الاوّل فى نَفسه لِنفسه بِغيره وهذا هو الفرق بين العلّة والمعلول فتامّل، فى المقام فانّه من مزال الاقدام.

▫ **قوله عليه السلام: مَعَ كُلِّ شَيئٍ لاّ بِمُقارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيئٍ لاّ بِمُزايَلَةٍ :**

كلمة: مع، اسم يستعمل مضافاً وغير مضاف، فاذا استعمل مضافاً فيكون ظرفاً وله ح ثلاثة معان: الاوّل: الأجتماع او المصاحبة نحو هو مَعَكُم اينَمَا كُنتم تقول العرب اَفعَل هذا مَع هذا ـ الثانى: زمان الأجتماع نحو جئتك مع العُصر اى جئتك زمان العصر ـ الثالث: بمعنى عند، كما تقول جئت من مع القوم اى من عندهم، والشيئى يطلق على كلّ الموجودات بسائطها ومركباتها فلكيّاتها وعنصرياتها اذ هو من المفاهيم ألانتزاعيّه العامة وهو مساوق للوجود كما قال السبزوارى قده:

ما لَيسَ موجوداً يكون لَيساً قَد سَاوَق الشَّيئى لَدَنيا اَيساً

والمقارنة مفاعلة من باب قارن يقارن مقارنة الاّ انّ اعتبار الزّمان والمكان فى مفهوم المقارنة يجعلها اَخصّ من المَعيّة فانّ المَعية أعَمّ من ان تكون بالمقارنة او غيرها فالمَعيّة اعمّ كما انّ المغايرة اعمّ من المُزايلة لدخول مفهوم الزّمان والمكان فى مفهوم المزايلة ايضاً دون المغايرة هذا....

اذا عرفت معنى كلّ واحد من اللّغات فنقول: امّا قوله عليه السلام ،**مَعَ كُلِّ شَيئٍ لاَّ بِمُقَارَنَةٍ**،اشارة الى انّ الله تعالى مع كلّ شيئٍ الّا انّ هذه المَعيّة بمعناها الاعمّ الّذى لايعتبر فيه الزّمان والمكان لتقدّس جنابه تعالى عنهما وذالك لانّ الزمان والمكان من لوازم المُمكنات فانّ الزمان كما مرّ منا مرارا لاينفكّ عن الحدوث والمكان ايضاً كذالك لانّه من لوازم الجِسم وهو تبارك وتعالى مُنزّهٌ عنهما وحيث قال عليه السلام ،**مَعَ كُلِّ شَيئٍ** يمكن ان يفهم منه المَعيّة المقارنة قال عليه السلام **لاَّ بِمُقَارَنَةٍ**، وهذه الجملة الشريفة تدلّ على امرين:

الاوّل: ان الواجب مَحيط بتمام الأشياء ولا يمكن لأحدٍ الفرار من حكومته وهو يدلّ على قدرته تعالى وضعف المخلوقات فلا ينبغى لأحدٍان يتصوّر انّه غافل عنه: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**[1]

الثانى: انّ قوله عليه السلام يدلّ على كونه تعالى علة مَبقية للموجودات كما انّه عِلّة مُحدِثة فانّ المعلول كما يحتاج فى وجوده الى العلّة كذالك فى بقائه وامّا قوله عليه السلام وغير كُلِّ شَيئٍ لاَّ بمزايلةٍ فمعناه انّ الواجب تعالى غير سائر الموجودات الممكنة من حيث الذّات فانّه واجب وما سواه ممكن وحيثيّة وجود المُمكنات قبول العدم وهو تعالى موجود بذاته وما سواه موَجودٌ به فالغيريّة بمعناها العام ثابتة.

امّا الغيريّة بالمعنى الأخَص اعنى المُزايلة الّتى فى مفهومها الزّمان والمكان فغير ثابتة لانّ العلّة لابدلها من السّنخية مع المعلول والّا لَصَدر كلّ شيئٍ عن كلّ شيئٍ وهذه السّنخية التى لو لم تكن بينهما لايصدر المعلول من العلّة باقية وهى العَلاقة الّتى لِلعِلّة بالنّسبة الى المعلول المسّببة عن علاقة العلّة بنفسها ولهذه الدّقيقة قال عليه السلام ما قال: **قوله فَاعِلٌ لاَبِمَعْنى الْحَرِكَاتِ وَالْآلَةِ**: الحَرَكة عبارة عن حصول المُتّحيّز فى الحيّز بعدان كان فى حَيّزٍ آخر بناء على القول بجوهر الفرد والّا فهى عبارة عن انتقال المتُحيّز من حَيّزٍ الى حَيّزٍ آخر.

---

١. العاديات / ٨-٧.

والفاعل عبارة عمّن يصَدُر عنه الفعل، وَالآلة ما يؤثر الفاعل فى منفعله القريب بواسطة منه هكذا قال المحقق ابن ميثم البحرانى قده فى شرحه وان كان بعضهم عَرّفوها بخلافه الّا انّ الأمر سَهلٌ، ثم قال قده فى شرح الجملة ما حاصله: غرضه عليه السلام بيان فاعليّة الحق تعالى الّا انّ الفاعل لما كان فى غيره تعالى فى صدور الفعل عنه محتاج الى الحَرَكة والآلةّ فنفى عليه السلام هذا المعنى عن فاعليّته وذالك لانّ الحركة انّما تعرض للجِسم وهو منَزّهٌ عنه وامّا نفى الالّة فلوجهين: الاوّل: فلانّ تلك الالة لاتخلو حالها امّا ان تكون بفِعله او لاتكون، فان كانت بفعله فامّا بتوسط آلة اخرى ـ او بدونها فان كانت بتوسط آلة اخرى فالكلام فيها كالكلام فى الاوّل، ويلزم التناقض وان كانت بدونها فقد صدق انّه فاعل لابالالة.

وان لم تكن الالة بفعله ولم يمكنه الفعل بدونها فيحتاج فى فعله اليها فيصير مُفتقراً محتاجاً ويكون ممكناً بالذّات وقد فرضناه واجباً بالذّات مضافا الى انّه لو فرضنا فعله بالالة لكان بدونها غير مستقلٍ بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بغيره اعنى الالة والنّقص عليه تعالى محالٍ فتوقّف فِعلِه على الآلة محال فاذن هو الفاعل المطلق بالأبداع ومحض الاختراع المُبّرّء عن نقصان الذّات المنزّه عن الحاجة الى الحَرَكات والآلة والآلات انتهى. اقول: ما ذكره المحقق البحرانى قده هو الكامل التّام وليس لنا كلام بعده فى هذا المقام الّا انّه بقى هيهنا شيئى وهو انّه لقائل ان يقول لاشك فى فاعليّته تعالى وبعد ما اَقَمنا البراهين الساطّعة على انّه ليس بجسم ولا جسمانى بل هو بسَيط الحقيقة مُنزّهٌ عن شائبة التّركيب فكيف يمكن انّ يتصوّر احدٌ فاعليّتَه بالحَرَكات والآلات مع العلم بانّهما من لوازم الجسميّة هذا اوّلا وثانياً فما وجه عُدوله عليه السلام عن العليّة والمُبدِعية بالفاعل مع انّهما مُنعزلان عن الحَركة والالة قطعاً والفاعل ليس كذالك الّا بدليل خارج قلنا والله العالم لعلّ غرضه عليه السلام فى عُدوله عنهما به هو انّ العلّة والمَبدَء والمُبدع وغيرها تفترق عن الفاعل من وجوه:

الاوّل: انّ العلّة وغيرها من مرادفاتها لايجب ان يكون الفعل الصّادر عنها ناشئاً عنها بالأختيار الّا اذا صدق عليها الفاعل فانّ مُجرّد العلّية مع قطع النظر عن دليل خارج لاتدّل على ازيَد من كونها سببا لوجود المعلول، وامّا كون هذا الفعل صدر عنها بالأختيار فلا تدلّ عليه ولذالك ترى عدم اطلاقهم العلّة الّا فيما كان الفعل مُنشَاءً عنها بلا اختيار وارادةٍ كاالنّار للحرارة، والماء للبرودة وامثال ذالك، وامّا اطلاق العلّة على الواجب وغيره من العلل الّتى لها اختيار وارادة فانّما هو بقرينة خارجيّة دلّت على كونها فواعل وهذا ظاهر.

الثانى: انّ الفعل الّذى صَدر عن الفاعل المختار لابدّ من ان يكون مَسبُوقا بالمبادى الأربعة، وهى الحَيٰوة والعِلم والمشيّة والقدرة، فكون الفعل مسبوقا بهذه الأربعة معيار الأختيار وليس كذالك فى العلّة وهو ظاهر.

الثالث: انّ الصّفات الثّبوتية من العلم والقدرة والحيوة والارادة وامثالها من شئون الفاعل لامن شئون العلّة والمُبدءِ وامثالهما، وحيث انّ الواجب متّصف بهذه الصّفات فيليق بجنابه الفاعل دون العلّة ولاجل هذا خصّه بالذكر.

الرابع: انّ ما ذكره عليه السلام سابقا على هذا الجملة من قوله عليه السلام: **اَوَّلُ الدِّيـنَ مَعْرِفَتِهِ** الى هنا يدلّ على الفاعليّة وذالك لانّ الفاعل هو الّذى يمكن له الاتّصاف بهذه الاوصاف دون العلّة والمَبدَء وغيرهما فلذالك يناسب المقام ذكر الفاعل وهذا ايضاً واضح.

الخامس: انّ الفعل تدَريّجى الحُصول دون المعلُول فانّ الاربعة مثلا علّة لتحقق الزّوجيّة او النّار للحرارة او الماء للبرودة ولا شبهة فى انّ وجود المعلول فى هذه الموارد دفعىّ الحصُول بعدَ تحقق العلّة بخلاف الفاعل فانّ الفعل لايمكن تحققه الّا تدريجاً ولمّا كانت الممكنات وجودها تدرَيجيّاً على طبق قاعدة امكان الأشرَف او غيرها فَعَبّر عليه السلام بالفاعل لاثبات كونها تدَريّجيّاً، فقول الشّارح البحرانى قده وان كان صحيحا، الّا انّ تعبيره قده بهذه الجملة (والمراد بيان انّه فاعل الّا انّ ماصدر عنه تعالى من الآثار ليس بحَسب حركةٍ

ولا توسّط آلةٍ كما يفتقر غيره فى نسبة صدور الفعل عنه) ليس على ما ينبغى.

وذالك لانّ ما ذكره قده ينافى ما فى كلمات الفلاسفه والاخبار الواردة فى المقام من انّ افعاله تعالى فى عالم الوجود متوقّف على اسبابها وان كان ايجاد الاسباب ايضاً بيده الّا انّ السّبَّب المقتضى للفعل فى عالم التكّوين لابدّ منه كما قال ابىَ الله ان يجرى الامور الّا باسبابها، الّا ان يكون مراده (قده) بنفى الآلة فى توسّط الفعل نفى احتياجه تعالى اليها او يكون المراد بالآلة غير السبب فتامل قوله: بصير اذ لامنظور اليه من خلقه)

قال البحرانى قده: بَصيرٌ على وزن فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقه فى حاسّة العين مجاز فى القُوة التى بها العلم والمَنظُور اليه هو المشاهد بتقليب الحَدَقة نحوه ثم قال قده ما هذا لفظه، والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لايتحَقّق المبُصرات واذ ليس كونه بصيراً بمعنى انّ له آلة البصر لَتنزّهه عن الحَوّاس وَجَب العدول الى المجاز وهو انّ يكون بصيراً بمعنى انّه عالم وقرينه فى ذالك قوله اذ لامَنظوُر اليه من خلقه لانّ البَصَر امرٌ اضافىٌّ يلحق ذاته بالنّسبة الى مُبصرٍ وهو اَمرٌ يلَحَق ذاته اَزلاً واَبداً ولا شيىءَ من المُبصَرات بالحِسّ، بموجودٍ ازلاً لقيام البراهين العَقليّة على حُدوث العالم حتّى يمكن ان تَلحَقه النسبة بالقياس اليه فَوَجَب ان لايكون بصيراً من حيث هو هو بهذا المعنى الى آخر ما قال قده، والشّارح الخوئى قده قال فى شرح الجَملة: يعنى انّه سبحانه كان بصيراً فى الأَزل ولا مُبصِر كما انّه كان سَميعاً ولا مَسموُع ثم بعد كلام نَقلَ قول الشارح المعتزلى واَورَد عليه بما اَورَد، وانّى بعد ما تاَمّلتُ فى كلامهم تامّلاً كثيراً واَمعَنتُ النّظر فيما قالواه اِمعاناً دقيقاً لمَ يَحصُل لِى شيئىٌ اَعتمِدُ عليه فان كلامه عليه السلام لايوافق ما استخرجوه فى شرحه...

امّا اوّلا: فلانّ قوله عليه السلام بَصيْر اذ لامَنظْور اليه ينادى بعدم امكان حمل اللّفظ على ظاهره فانّ ما قاله الشّارح البحرانى قده من انّ البصير، بمعنى الفاعل من البَصر والبَصَر حقيقة فى حاسّة العين الى آخر ما قال فى حَيّز المنع لوجوه:

الاوّل: انّ البصير على ما ذهب اليه علماء اللّغة الخبير القادر على البصر كما فى المنجد مادة بصر، وقال فى مجمع البحرين وهو السَمّيع البَصير اى العالم وهما من صفات الأزل والبَصير فى اسمائه هو الّذى يشاهد الاشياء كلّها ظاهرها وخافيها من غير جارحةٍ فالبَصر فى حقّه تعالى عبارة عن الصفّة التى ينكشف بها كمال نعوت المبصرات انتهى...

وقال الراغب: فى مفرداته البَصَر يقال للجارحة الناظرَة ولِلقوّة الّتى فيها ويقال لِقوّة القَلب المُدركة بَصيرة وبَصَر الى انّ قال فى:

﴿**اَدْعُوا اِلىَ اللهِ عَلىٰ بَصيرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني**﴾[1]، اى على معرفةٍ وتحقّقٍ، ثمّ اطال الكلام بما لامزيد عليه، و قال فى دائرة المعارف مادة بصر، البصر:

حاسّة الرُؤية والعين والعلم جمعه ابصار، وقال بعض آخر بصر يبصر وبصارة عَلِم به وقال ايضاً (البَصَر صَرف كلّ شيئٍ والقِشر والقطن وابصر الشيئى غلظه وسَمكه انتهى وغير ذالك مما قالوه ومن اراد فليراجع الى مظانّها، فظهر ممّا ذكرناه ونقلناه من اهل اللّغة انّ ما ذكره قده من انّ البصر، بمعنى الفاعل من البَصر وهو حقيقة فى حاسّة العين مجاز فى القُوّة الّتى بها العلم كلّ ذالك لم يكن ولا سيّما بناء على نقل دائرة المعارف من انّ البصر حاسّة الرؤيّة وحاسّة العين وحاسّة العلم فلايبقى مجال لما ذكره فلا مجاز، فى المقام كما ادّعاه بل ارادة العلم بالمبصرات على ما ذهب اليه من كلمة "بصير! على حقيقته كما لايخفى.

الثانى: انّ البَصير على فرض كون المقصود منه هو العلم بالمُبصَرات مع قوله عليه السلام بعده **إِذْ لاٰمَنظُورَ اِلَيْهِ** لامناسبة بينهما لفظا وان كان فى المعنى مناسبة وذالك لانّ البصير يناسب المُبصّر لاالمَنظْور وهذا واضح، وعليه فايّ سبب اقتضى العُدول عن المُبصَر الى المَنظْور مع انّه مضافا الى تجانس اللّفظَى لايخرج الكلام عن الفصاحة وهو اَفصَح الفصحاء وابلغ البلغاء.

---

١. يوسف / ١٠٨.

الثالث: انّ ما ذكره قده مبنّيَ على كون كلمة (او) لِلتَّوقيت دون التَعليل حتّى يصير معنى الجملة هو عالم بالمُبصَرات فى وقتٍ او زمانٍ لاوجود للمخلوقات المَنظورُ اليها ولم يدلّ دليل على هذا لانّه على هذا الفرض لو عبّرعليه السلام عنها بكلمةِ (حين) الموضوع لِلزّمان او الماخوذ فى مفهومها الزّمان لكان اولى وافصح لَفظاً وان لم يكن هناك زمان مع انّه لو حملت (اذ) على التعلّيل فهو اَنسَب لظهور اللفظ فيه، وامّا ما قاله الشّارح الخوئى مع انّه رَشح من رَشحات المُحقّق فهو لايرجع الى محصّل وكذا ما ذكره الشّارح المعتزلى ونقْلَ عن شِنخه فانّ الاشكال او الاشكالات باقية على وجهها فتامّل والّذى يقوّى فى نفسى فى كشف القناع عن وجه هذه الجملة المعضلة هو انّ المقصود منها احدى الوجوه المحتملة:

الاوّل: انّ كلمة (منظور اليه) يمكن ان تكون فى اصل النسخة (مَفطُورا اليه) والاشتباه من النّساخ فيكون تقدير العباره هو تعالى: بصير اى عالم بكل ما يمكن تعَلُّق رؤّية الحاسّته او العلم به فى وقت لامَفطَور، اى لامخلوق والضمير فى (اليه راجع الى المخلوق او المفطور) وكلمة: (من بيانيّه او نشئية ويؤيّد هذا المعنى قوله فى اوئل الخطبة فَطَر الخلائق بقدرته) فلما قال هناك فَطَر واثبَتَ الخلقة للطبايع له قال ههينا بصير قبل الخلقة بها فكانّه سئل سائل عنه عليه السلام هل الّذى اوجد الخلائق قبل ايجادها كان بصيراً بحالها فاجاب عليه السلام بانّه كان بصيراً قبل الأيجاد كما كان بعد الايجاد وهذا المعنى وان ياباه الطَّبع فى بادى الامر الّا انّه بعد التّامل وامعان النظر فيه يَتلّقاه بالقبول.

الثانى: ان يقال كلمة (اذ تعلّيلة) والجملة تكون علّة لكونه تعالى بصيراً وذالك لانّه لَمّا قال هو تعالى بصير استدلّ على اثبات الصفّة له بقوله اذ لامنظور اليه من خلقه، اى لانّ الله تعالى ليس منظورا اليه من خلقه وهذا دليل قطعى اذ لو كان منظور اليه للمخلوقات فلا محالة يصير محاطالهم والخلق محيط به وكلّ محاط لايمكن ان يكون بصيراً بالمُحيط بل الامر بالعكس فينتج

انّه تعالى ليس ببصير ولكنّه بصير لانّه ليس مَنْظوراً اليه لهم فالدّليل على كونه بصيراً هو انّه تعالى لايرى بحاسّة البَصَر ولعلّه لهذه الدّقة عبّرعليه السلام بالمَنظُور اليه دون المَرئى والمُبصَر حيث انّ الرُؤية القلبيّة والأبصار الواقعى تحَصُل للمخلوقات بالنّسبة اليه تعالى وانّما المحال كون الخلق ناظراً اليه كما فى قضية مُوسىٰعليه السلام وفيه دقّة...

الثالث: ان يكون المراد بالمنظور اليه ما يتامل اليه، لانّ المنظور اسم مفعول من نظر، قال الراغب: فى مفرداته: وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفَحص وهو الرُّوية يقال نظرت فلم تنظر اى لَم تتَامَّل ولم تتَرَو:

﴿قُلْ انْظُرُوا ماذا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] اى تامّلوا ثم قال: واستعمال النَظَر فى البصر اكثر عند العامة وفى البصيرة اكثر عند الخاصة الى ان قال:

نظرتَ فيه اذا رايته وتدَبَّرته، اذا عرفت هذا فنقول: البصير هو الّذى معرفته بالشيئى قبل الفَحص وبعده على السّواء وغير البصير هو الّذى بعد الفحص يصير بصيراً بحال الشيئى ولما قالعليه السلام بصير فاثبت له البصيريّة قبل الفحص والتّدبر بدليل قولهعليه السلام **اِذْ لامَنظُورَ اِلَيهِ مِنْ خَلْقِهِ**، اى هو تعالى بصير بالاشياء لانّه لايحتاج الى التّدبر والتامّلُ فيها وذالك لانّ التَفَحُص والتَّدبُر فى الاشياء لايمكن قبل وجودها عادة الّا ناقصاً لانّ المعرفة، بها قبل وجودها تكون اجمالياً لاتفصيليّاً والمعرفة الأجمالية بالنسبة الى التَّفصّيلة تكون ناقصة لامحالة والله تعالى ليس كذالك فانّ معرفته بها قبل وجودها والتفَحّصُ بعد وجودها على حدٍّ سواء وهذا دليل على كونه بصير بما لامزيد عليه والحمد لله رب العالمين.

- **قولهعليه السلام مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاسَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلاٰ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ متن...**

معناه انّه تعالى مُتفرّد بالوحدانيّة من تلك الحَيثيه لاعلى وجه الأنفراد عن مثلٍ له كما هو المتعارف من انفراد الناس بعضهم عن بعض وذالك لانّ

---

١. يونس/ ١٠١.

الأستيناس والأستيحاش من لوازم طبع الحيوان ونفرته عنه وهما من توابع المزاج والمزاج من توابع الجسم الحيوانى ولما كان ذاته تبارك وتعالى مُنَزّه عن الجّسمية فلا محالة ليس له مزاج واذا لم يكن له مزاج لايكون له طبع ومن لَيسَ له طَبع لايعقِل فيه الرَّغَبة الى الشيئى والنِفرّة عنه فكيف يكون هناك استيناس واستيحاش فَتفَرده بسبب الوحدانيّة المُطلقة لاباالقياس الى شيئى حتّى يثبت له الوَحشَة والأنس بوجود الشيئى وعدمه انتهى ما قاله المحقق البحرانى فى شرحه بتلخيص منّا.

اقول: هذا الّذى ذكره قده لاباس به بحسب ظاهر العبارة الّا انّه اذا تامل مُتامّل فيها حتّى يخرجها من القشر الى اللّب يصل الى حقيقه تطلبها نفوس العارفين والُسّلاك الى الله بقدم المعرفة وخلاصتها ان يقال: سَكَن بالَتحريک ما تسكُنُ اليه النّفس و تطمئن به فقوله متوحّد اذ لا سَكَن).

سَكَن الخ اشارة الى انّه تعالى ليس له السَّكَن حتّى يستأنس به لانّه مستلزم لِلحَركة المُستلزمة للحدوث المساوق للامكان اللازم منه خروج الواجب عن كونه واجباً، بيان ذالك انّ الاطمينان وسكُون النّفس فرع على حركة الشيئى من الْنقّص الى الكمال كما فى الموجودات الأمكانيّة فانّ النفس فى الانسان ومطلق الجوهر فى الممكنات مُتحّركة من الَنقّص الى الكمال ومن القوة الى الفعل كما هو مقتضى الحَرَكة الجوَهرّية فانّ النفس فى اوّل الامر بالقوّة ولذا تسمّى بالعقل الهَيُولانى فكما انّ الهيولى ليست الّا صرف القوّة فكذالك الَنّفس فى تلك المرتبة ففى خرُوجها من الِقُوّة الى الفعل وبلوغها منها الى مرتبة العقل الفعال لابدّ لها من مُخرج فاعلّي كما هو شان المُمكن فاذن هذا المُخرج امّا الواجب او مُنتهٍ اليه وكذاً لابدّ لها من مُخرج غائى فانّ الحَرَكة طَلَب والطّلب لابُدّله من مطلوب وكلّ مطلوب تناله النّفس لأتقف عنده ولا تَطمّئِنُ دوُنه حتّى تَفِد على باب الله وترَد على جنابه فلابدّ ان ينتهى المَطالب الى مطلوب به تطّمئَن القلوب وهو المطلوب لكلّ طالب كما قال تعالى:

﴿اَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، هذا بالنسّبة الى النفّوس وامّا بالنّسبة الى سائر المُمكنات فقد دَرَيت انّ الممكن ليس الّا مُجّرد التّعلّق والرّبط وليست له شيئية فى حدِّ نفسه ولذالك نقول كلّ ممكن لابدّ له من العُكوف على بابه وهذا هو المراد بالأستيناس حقيقتاً كما انّ الأستيحاش فى مقابلهاى عدم وصول الممكن الى كماله المترقّب كما انّ الانس والوحشة الظاهريين يَتَحّققان بمجالسة الافراد ومحادثتهم ومخالطتهم وهذا ظاهر.

اذا عرفت هذا فنقول: كلامه عليه السلام مُشعر بانّ الأستيناس والأستيحاش بكلامعنييه عليه محال امّا المعنى الاوّل المتفاهم العُرفى وهو الّذى ذكره الشّارح فظاهر اذهمابهذا المعنى من لوازم الجسِميّة الّتى لها طبع ومزاج وامثال ذالك وهو عليه محال، وامّا بالمعنى الّذى ذكرناه فلانّه تبارك وتعالى ليس له مطلوب وكمال يَطلُبه ويترقّى اليه بل هو كلّ الكمال وحقّ المطلوب فاذن لايتصوّر فيه حَرَكة من النّقص الى الكمال حتّى يكون الوصول اليه مؤجباً لأستيناسه له واطمينانه به وعدم الوصول اليه وفقدانه يوجب له الوحَشَة بل ذاته المُقدّسة كل الكمالات بنحو الأتّم الاكمل....

فيصير معنى العبارة والله العالم هكذا، ذاته المُقدّسة مُتفّرد بالوحدانية بذاته لاشيئى آخر اذ ليس له ما يطمئُن به ويسَكن اليه حتّى يستانس به وفى صورة عدم الوصول اليه يستوحش عنه فقوله عليه السلام **إِذْ لأسَكَنَ** الخ فى موضع التعليل على توحدّه الذّاتى وتَفّرده الحقيقى لانّ الأطمينان بالغير وسكون النفس به يخالف التَوَحُّد والتَّفرُّد الذّاتيين بل يثبت الاحتياج الى الغير فان كان يستأنس به ويستَوحَش لفِقده ممكناً يلزم امكان الواجب لانّ المحتاج الى المَمكن ممكنٌ وان كان واجبا يلزم تعدّد الواجب والتَعدّد والتّوَحْد ضدّان وكذا فى جانب الوَحشَة...

والفرق بين ما ذكرناه وما ذكره البحرانى قده لايخفى على العارف اللّبيب

---

١. الرعد/ ٢٨.

فانّ لازم ما قاله قده هو انّ المراد من قوله اذ لاسَكن الخ موجود غيره يستانس به ويَستَوحش عنه وهو من لوازم الجِسْميّة، وامّا على ما ذكرناه المقصود منه مطلوب يَطلَبه وكمالٌ يترَقبّه بحسب جَوهر ذاته ففى القول الاوّل تنفى الجسميّة عنه وفى قولنا مضافا الى نفى الجِسّميّة تنفى الحركة الجَوهريّة عنه وبعبارة اخرى سَلَبنا عنه الحَرَكة المستلزمة للحدوث وهو سلب الجِسّمية عنه تعالى فالأستيناس والأستيحاش على ما قاله من لوازم الجسميّة وعلى ما قلنا من لوازم الحدوث والفرق بينهما ظاهر والحمد لله ربّ العالمين

▫ **قوله عليه السلام: أَنْشَاءَ الْخَلْقَ إِنْشاءً، وَابْتَدَئَهُ ابْتِداءً، بِلاٰ رَوِيَّةٍ أَجٰالَهٰا، وَلاٰ تَجْرِبَةٍ اسْتَفٰادَهٰا، وَلاٰ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهٰا، وَلاٰ هَمٰامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهٰا، أَجٰالَ الْأَشْيٰاءَ لِأَوقٰاتِهٰا، وَلاٰئَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفٰاتِهٰا، وَغَرَّزَ غَرٰائِزَهٰا، وَ أَلْزَمَهٰا أَشْبٰاحَهٰا، عَالِماً بِهٰا قَبْلَ ابْتِدٰائِهٰا، مُحِيطاً بِحُدُودِهٰا وَانْتِهٰائِهٰا، عٰارِفاً بِقَرٰائِنِهٰا وَأَحْنٰائِهٰا.**

◁ **اللّغة**

(**الأِنْشَاء**) مصَدَر من اَنشَاء فالاوّل فعل والثّانى مصَدر بكسر الهمزة ايجاد الشيئى وتربيته (**الأِبْتِدْاء**) بكسر الهمزة ايضاً مَصدر وهو اوّل كلّ شيئٍ (**رَوِيَّةً**) على وزن قضيّة بمعنى الفِكر (**هُمامة نفس**) (**الهَمٰامَةْ**) بفتح الهاء الاهتمام بالامر (**آجٰالَ**) نحو امام ومعناه ادار وبعض النسخ احال بالحاء المهملة بمعنى النقل والتَحوّيل، (**لائَمَ**) فعل ماض والمصدر منه الملائمة وهى بمعنى الجمع (**غَرٰائِزَهٰا**) جمع غريزة وهى الطّبيعة اشباحها (**الأَشْبٰاحَ**) جمع شبح وهو الشخص (**قَرٰائِنِ**) جمع قرينة وهى ما يقترن بالشيئى، (**الأَحْنٰاء**) جمع حنو وهى النّاحية وباقِى اللّغات ظاهر...

◁ **المعنى**

▫ **قوله عليه السلام: أَنْشَاءَ الْخَلْقَ إِنْشاءً، وَابْتَدَئَهُ ابْتِداءً ـ متن...**

قال المحقق البحرانى قده لم اجد لاهل اللّغة فرقا بين الانشأوبين الأبتداء وهو الأيجاد الّذى لم يَسبق بمثله الّا انّه يمكن الفرق بينهما هنا صَونا

لكلامه عليه السلام عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الأيجاد الذى لَم يَسبق غير المُوجد اليه والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الّذى لم يقَع من المـوُجد قبلَ انتهى...

وقال الشّارح المعتزلى فامّا قوله عليه السلام **أَنْشَاءَ الْخَلْقَ إِنْشاءً، وَابْتَدَئَهُ ابْـتِدٰاءً** فكلمتان مرادفتان على طريقة البلغاء كقوله سبحانه:

«لايَمَسُّنا فيها نَصَبٌ وَلايَمَسُّنا فيها لُغُوبٌ»[1]

و **«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً»**[2]

وقال الشّارِح الخوئى: الإنشاء والإبتداء لغة بمعنى واحد قال الله تعالى: هُوَ الَّذي اَنْشَاكُمْ اى اَبتَدئكم وخَلقَكُم، ثم قال وقد يفرق بينهما حـيث اَجـتَمعا صَوناً للكلام عن التكرار، تارةً بانّ الانشاء هو الايجاد لاعن مادّةٍ والأبتداء هو الايجاد لالعلّةٍ ففى الاوّل اشارة الى نفى العلّة الماديّة وفى الثانى اشارة الى نفى العلة الغائية وتارةً اخرى بانّ الانشاء هو الايجاد الّذى لم يَسَبق غير الموجد الى ايجاد مثله، والأبتداء هو الأيجاد الّذى لم يوُجد المُوجِد قَبله مثله.

وثالثة بانّ الانشاء هو الأيجاد من غير مثالٍ سابقٍ والأبتداء هو الأيجاد من غير صُوَرٍ إلهاميّةٍ فالصِفّته على المُوجد انتهى، هذا ما ذكروه فى شرح الجملة والمآل فيه هو انّهم لم يَفرّقوا بين الأنشاء والأبتداء الّا صَـوناً لِلتّكرار وليس كذالك فانّ الأنشاء غير الابتداء كما انّ الأبتداء غَير الأنِشاء وكلّ واحد منهما يختّص بموردٍ خاصٍ من حيث الأستعمال وليس فـى العـبارة تكـرار حـتّى يحتاج الى هذه التكلّفات التى لايساعدها العقل ولابدّ لنا اوّلا الفرق بينهما ثم الخوض فى شرح الجملة فنقول:

اَلأنشاء والأبتداء يفترق كل واحد منهما عن الاخر بوجوهٍ:

الاوّل: انّ الانشاء عبارة عن ايجاد الشيئى وتربيته واكثر ما يقال ذالك فى

---

١. فاطر/ ٣٥.

٢. المائدة/ ٤٨.

الحيوان كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[1] و ﴿أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[2] وكذا سائر الآيات والابتداء ليس كذالك بل كثيرا ما يتحقّق فى الشيئى بعد وجوده حَيواناً كان او غيره فانّه عبارة عن اوّل الشيئى ومعلوم انّ الشيئى قبل وجوده لااوّل له.

الثانى: انّ الأنشاء فى المُجرّدات والأبتداء فى غيرها ولما كانت الموجودات الأمكانيّة على قسمين: الاوّل المُجرّدات كالعقولِ والنّفوس والثّانى: كالافلاك والعناصر وكلاهما مخلوقان له تعالى فَعبَّر عن خلق المُجرّدات بالأنشاء وعن غيرها بالأبتداء ولِتَقْدّم المُجّردات على غيرها من حيث الوجود قَدّم الانشاء على الأبتداء.

الثالث: انّه لاواسطة بين المنشَاء والمُنشِيء بخلاف المُبتَدَء والمُبتدِء فالصّادر الاوّل حيث انّه لاواسطة بينه وبين علّته يُعبَّر عن خلقه بالأنشاء وعن غيره بالأبتداء ولاجل ذالك يعبّرون عن المعقولات والموجودات الذهنيّة بالمَنشآت النفسانيّة ويقولون انّ النّفس انشأتها ولا يقولون انّ النّفس ابتدئَها كما يعبّرون عن الافعال الخارجية الّتى توجدها النّفس بتوسط الآلات والقُوى بالابتداء فاذا ضرَبتَ زيداً يقال اَبتَدء بالضَّرب، واذا شرعَت فى الأكل او الشُّرب او النَّوم او السَّير يقال ابتدء بالاكل والشّرب والنوم والسّير وغير ذالك مع انّ كلاهما اى الافعال الذهنيّة والخارجيّة من شئون النفس وافعالها الّا انّ الاوّل بلاواسطة من الآلات والادوات والثانى بواسطتها...

الرابع: انّ الانشاء يقال فى الأيجاد الدّفعى والأبتداء فى ايجادُ الأفعال التدريجيّه فاذا كان الفعل آنّي الحصول يقال اَنشَائه، واذا كان تدَريّجى الحُصول يقال اَبتَدَء به فالأنشاء يناسب ايجاد المُجردات لانّها دفعيّة والابتداء يناسب غير المُجَردات لانّها تدريجيّة الحُصْول والفروق كثيرة الّا انّ فيما ذكرناه كفاية فما ذكره قده وتبعه ساير الشّراح من انّ الانشاء والابتداء لافرق

١. الملک / ٢٣.
٢. الانعام / ٦.

بينهما لايرجع الى محصّلٍ فاين التكرار فى العبارة مع العلم بانّ الموجودات الأمكانية ليست على حدٍّ سواء...

فعلى هذا يصير المعنى انشاء اى اَوجَد الله تبارك وتعالى ايجاداً واَبتَدء بالأيجاد ابتداًء الخ، وكلمة اَنشَاء منصوب على كونه مفعول مطلق لفعله اعنى اَنشَاء وكذالك ابتداءً وحيث انّ المفعول المطلق يفيد النوعيّة كما ثبت فى النّحو فالمقصود انّ الأنشاء والأبتداء من الله تعالى بالنسبة الى الموجودات يكون نوعا خاصاً وليس كسائر الانشاأت والأبتدآت الّتى فى غيره من الموجودات فانّها مَسبُوقة بالفكر والتَجربة وامثال ذالك وامّا فى حق الله تعالى فليس الامر كذالك ولذالك عَقبَّها

▫ بقوله عليه السلام: **بلاٰ رَوِيَّةٍ أَجالَها، وَلاٰ تَجْرِبَةٍ اسْتَفادَها، وَلاٰ حَرَكَةٍ أَحْدَثَها، وَلاٰ هَمامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيها، متن...**

والمعنى انّ ايجاده الممكنات ليس مسبوقا بفكرٍ وتَجربةٍ وحَرَكةٍ واهتمامٍ وذالك لانّ سائر الاِنشآت لابدّ وان يكون مَسبوقاً بِاحدايها ولا يمكن تحقق الانشاء والفعل بدونها وتقريره انّ النفس مثلا اذ اَنشَأت شياً كما اذا تصوّرت صورةً خارجيّةً او تعقّلت صورةً عقليّةً ذهنيّةً لابدّ من ان يكون هذا الأنشاء مَسبُوقاً بالفكر مثلا او التَّجربة او الحَرَكة او الأهتمام وهذا ممّا لاينكر، لانّ النفس لو لم تَهتّم به كيف تُنشئه وكذا فى افعالَها الخارجيّة بسبب الآلات والقوَى وهذا ظاهر ولذالك نقول: انّ كلّ فعلٍ مسبُوق بالمبادى الأربعة ثم حَرَكة العضلات نحوه حتّى يوجد فى الخارج...

والافعال الّتى صدرت منه تعالى او تصدر وان كانت مَسُبوقة بالمبادى الاربعة ليتحقق الاختيار الّا انّها ليست بسبب حَرَكة العضلات بعدها. وثانياً انّ الفعل اذا سبقه الفكر او التَجرّبة يكون اَحسَن واَتقَن من فعلٍ لمَ يسَبقهما وهذا فى الممكنات ظاهر الا ترى انّ النّاس يحتجّون من آلاثار على فكر المُوثّر وعِلمه وتَجربته فكلّ صانعٍ تجربته وفكره احَسَن فلامحالة مصَنُوعه اَحسَن

ولَيس الأمر فى الواجب كذالك فانّ الافعال وآلاثار الالهيّة وان كانت مُتقنةً مُحكَمةً وهذا الاِتقان والاِحكام يدّلان على علمه تعالى واحاطته الّا انّه لايقال انّه تعالى ذو فكرٍ ثاقب وتجربةٍ كاملة وامثال ذالك ممّا يقال فى المخلوقات، والسِّر فيه هو ان التّجربة والفِكر وغيرهما تدلّ على نقص الفاعل فى حدّ ذاته واحتياجه اليها فى كماله والواجب لما كان كاملا بجميع جهاته لانقص فيه بوجه من الوجوه فلو فرضنا انّه احتاج الى احدى هذه الأمور فيكون فى حدّ ذاته ناقصاً وكلّ ناقصٍ يحتاج الى مكمّلٍ غيره فيصيرِ ممكناً والمفروض اِنّه واجب الوجود...

فَلَمّا راينا افعاله على اَحسَن الوُجوه واَكمَل النّظام بحيث لايمكن لاَحدٍ الأتيان باحَسَن منها او مثلها بل لو اجتمع الجنّ والانس على ان ياتو بمثل ما اتَىٰ به لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظَهيرا، علِمنا انّه تعالى مُتوحِّدٌ فى ذاته مُتفرّدٌ فى ايجاده ليس له مثل فى عالم الوجود وهذا كلّه يوجب العلم بالمُوثِّر من الآثار ونظام الموجودات يدلّ على نظامه وعلمِها على علمه وقدرتها على قدرته وهكذا **﴿فَتَبٰارَكَ اللهُ اَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ﴾**[1] ثم عَقَّبهاعليه السلام بما يدلّ على كمال قدرته وعلمه وحسن نظامه وختامه بقوله عليه السلام:

▫ **قوله عليه السلام: أَجٰالَ الْاَشْيٰاءَ لِأَوقَاتِهٰا، وَلَاَّمَ بَيْنَ مُخْتَلِفٰاتِهٰا، وَغَرَّزَ غَرٰائِزَهٰا، وَ أَلْزَمَهٰا أَشْبٰاحَهٰا، عَالِماً بِهٰا قَبْلَ ابْتِدٰائِهٰا، مُحِيطاً بِحُدُودِهٰا وَانْتِهٰائِهٰا، عٰارِفاً بِقَرٰائِنِهٰا وَأَحْنٰائِهٰا ـ متن...**

وهذه امور سبعة اَثبَتهاعليه السلام للواجب تعالى بدلّ كل واحد منها على احاطة علمه وكمال قدرته وجوُدة نظامِه: الاوّل قولهعليه السلام **أَجٰالَ الْاَشْيٰاءَ لِأَوقَاتِهٰا.**

والمعنى انّه تعالى اراد الاشياء وحَرّكها ورَدَّدها فى العدم حتّى حَضَر وقتها فأوجَدها وروى اجال بالحاء المهملة وعلى هذا فالمعنى انّه نقل كلّ واحد منها الى وقتها والمال واحد وعلى كلا التقديرين المقصود انّ الواجب تبارك

---

١. المؤمنون / ١٤.

وتعالى أوجَد كل شيئٍ فى وقته ووضع كلّ شيئٍ فى محلّه فلو تامّلنا فى هذه الدّقيقة عَلِمنا انّ كلّ موجودٍ فى عالم الوجود وُجِد فى وقته ولابدّ من ان يفنى فى وقته كما قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]

▫ **وقوله عليه السلام: وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا**، فيه اشارة الى التّاليف والألتيام بين الموجودات بقدرته الكاملة فانّ النّفس مثلا من عالم المُجرّدات والمَلكُوت والبدن من عالم العناصر والمُلك وايّة مناسبة بينهما الّا انّ الحق تعالى اَلَفَّ بين هذين الموجودين المختلفيَّن بحسب الماهيّة لمصلِحةٍ وهى وصول النّفس بسبب البدن و آلا به الى حدّ الكمال كما سَيتّضح لك انشاء الله تعالى، وكذا البدن مُركّب من اجزاء مختلفة من اللّحم والعَظم والشَّحم وامثالها وجعل فيها البُرودة والحَرارة واليبُوسة وهكذا مع انّ كل واحد منها ضدّ للآخر ومثله سائر الاجسام وهذا ظاهر وكفى فى اثبات هذا الاصل انّه لولا الألتيام والتّأليف بين الموجودات اَختَلّ نظام العالم فَمدار عالم الوجود يدور عليه.

▫ **وقوله عليه السلام: وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا**، : فيه اشارة الى خلَق كلّ ذِى طبيعة على خلقه ومقتضى قواه الّتى غرزت فيه من لوازمه وخواصّه كقوّة التّعجّب والضَّحك لِلانسان والشّجاعة للأسد والجُبن لِلأرَنب والمَكر لِلثَّعلَب والحِرص لِلذِّئب وامثال ذالك والتّعبير بالغريزة منه عليه السلام اشارة الى انّ هذه الأمور مقتضى جبّلة كلّ موجود بحيث لايمكن انتزاعها عنه فلايمكن الضِحّك لغير الانسان والشجاعة لِلأرنب والمَكر للأسد وهكذا فى افراد الأنسان.

▫ **وقوله عليه السلام: وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا**، فيه اشارة الى ما ذكرناه من عدم امكان زوالها عنها لانّ هذا شان اللّازِم وروى اسناحها فعليه المعنى انّه لايمكن تفارق اصولها عنها ومَن قَرء اَشباحها فالمعنى انّه لايمكن زوالها عن اشخاصها والأمر سهل.

---

١. الاعراف / ٣٤.

▫ وقوله عليه السلام: **عَالِماً بِهٰا قَبْلَ ابْتِدٰائِهٰا**، : فيه اشارة الى انّه تعالى عالم بالاشياء قبل وجودها ولا يتوقّف علمه بها على وجودها وفيه بحث نتعرّض له فى محلّه انشاء الله تعالى.

▫ وقوله عليه السلام: **مُحِيطاً بِحُدُودِهٰا وَانْتِهٰائِهٰا** : اى الواجب تعالى محيط بالأشياء بحدوُدها وحقائقها المُميّزة بعضها عن بعضٍ والمقصود من انتهائها يمكن ان يكون احد الوجهين: الاوّل انّ تمام الموجودات ينتهى الى حَدّه ويقف عنده وهو نهايته وغايته. الثّانى: انّه مُحيطٌ بالعلم الأحاطى بانتهاء كلّ ممكنٍ الى سببه وانتهاء الكلّ فى سلسلة الحاجة اليه، ويمكن ان يراد انّه يعلم بالعلم الذّاتى غاياتها وما يصل كلّ ممكن اليه وبالاخرة الحوادث المترقبّة لسلسلة الممكنات فلا يخفى عليه شيئى بل يعلم كائنة الاعين وما تخفى الصدور.

▫ قوله عليه السلام: **عٰارِفاً بِقَرٰائِنِهٰا وَأَحْنٰائِهٰا**: وفيه اشارة الى معرفته تعالى بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها وعلى كلّ حال المقصود من هذه الجملات انّه تعالى عالم بكلّ المعلومات من الكليّات والجزئيات، وهذا ثابت بالبرهان القطعى عقلاً ونقلاً...

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحٰانَهُ فَتْقَ الْأَجْوٰاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكٰائِكَ الْهَوٰاءِ، فَأَجْرٰى فِيهٰا مٰاءً مُتَلاٰطِماً تَيّٰارُهُ، مُتَرٰاكِماً زَخّٰارُهُ، حَمَلَهُ عَلٰى مَتْنِ الرِّيحِ الْعٰاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقٰاصِفَةِ، فَأَمَرَهٰا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهٰا عَلٰى شَدِّهِ، وَقَرَنَهٰا إِلٰى حَدِّهِ، الْهَوٰاءُ مِنْ تَحْتِهٰا فَتِيقٌ، وَّ الْمٰاءُ مِنْ فَوْقِهٰا دَفِيقٌ ـ متن...**

◁ اللّغة

انشاء: اَوجَد (**فَتْقَ الْأَجْوٰاءِ**) فتق بسكون التاء والقاف وفتح الفاء مصدر فتق الشيئى فَتقاً، الشّق والأجواء جمَع جَوّ وهو الفضاء الواسع. (**الْأَرْجٰاءِ**) جمع رجاء بالقصر وهى الناحيّة (**السَّكٰائِكَ**) جمع سكاكة وهى الفضاء بين اَلسّماء والأرض والهواء، كل مكان خالٍ، تلاطم الماء ضَرب امواجه بعضها بعضاً، (**زَخّٰارُ**)، بالتّشديد مبالغة فى الزّاخر وهو المُمتلى عَصف (**الرِّيحِ**) شدّة

جريانها، (**الفَتِيقُ**) المُنفتِق والدّفيق المُندفق.

◁ الشرح

▫ **قوله**ﷺ: **ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحانَهُ فَتْقَ الْأَجْواءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكائِكَ الْهَوٰي.** اعلم انّ هذه الفقرات صدرت عنهﷺ فی بیان کیفیة خلق السّموات والارض والملائکة وهی من المشکلات ولذالك تری الفلاسفة فی هذا الموضع مضطربة وکلماتهم مشوّشة واقوالهم وآرائهم مختلفة فنقول: ذکر علیه السلام اوّلا امورا ثلثة هی بمنزلة الأصول فی خلق السّموات اوّلها فتق الأجواء وثانیها شقّ الأجاء وثالثها سکائك الهوی، وذالك یدلّ علی انّ الجوّ واطرافه وفضاء الواسع بین اَلسماء والارض کلّها کانت ظُلُمات فلمّا اراد الله تبارك وتعالی خَلق السّموات فَتقَها ولمّا کانت الأجواء الظُلمانیّة فی ظلُمتها ثابتة ثم تَطرَّق النّور الیها حسب ما اراد الله فَصَّح ان یقال فَتقَها فانّ الفتق الشّق کما قال (تعالی): ﴿**قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾[1] قال الخوئی قده: والظاهر انّ هذه الفقرات بحسب المعنی مُترادفة وبحسب الالفاظ متخالفة وان فَرَّقَ بعِضٌ بینها بانّ المراد بالأجواءِ الفَضاء الظّاهر علی اطّراف الأرض وبالأرجاء الفضاء المتّصل بها الّذی اَدَنیٰ من الاوّل وبالسَکّائك الفضاء المرتفع عن الارض وکیف کان ففیها دلالة علی کونِ الفَضاء مخلوقا لانّ المخلوق لابدّ وان یکون موجودا ولایکون عَدما مَحضاً فالفَضاء امرٌ موجود هذا ما قاله الخوئی قده فی هذا المقام ثم نقل عن الشّارح المُعتزلی انّه قال وذالك: لیس ببعیدٍ فقد ذهب الیه قوم من اهل النَّظر وجَعلوُه جسماً لطیفاً خارجاً عن مشابهة الأجسام ومنهم من جعله مُجَرّداً هذا، انتهی ثمّ نقل عن العلامة المجلسی قده ما هذا لفظه، وقال العلامة المجلسی فی البحار المُراد بفتَق الأجواء ایجاد الأجسام فی الأمکنة الخالیة بناء علی وجود المکان بمعنی البعد وجواز الخلاء او المراد بالجوّ البُعد المَوهوُم او اَحَد العناصر بناءً علی تقدّم خلق الهواء، وقوله: وشقّ الاجاء

---

۱. الفلق / ۱.

كالتفسير لفتق الأجواء، او المراد بالأرجاء الافضيته والأمكنة وبالأجواء عنصر الهواء وقوله عليه السلام **سَكائِكَ الْهَوىٰ** بالنّصب كما فى كثير من النّسخ معطوف على فتق الاجواء اى انشاء سُبحانه سكّائك الهوىٰ والجرّ كما فى بعض النّسخ اَظهَر عطفاً على الأجواء اى انشاء فتق سكائك الهوى انتهى كلامه قده...

وقال الشّارح المحقّق البحرانى قده فى هذا المقام: اعلم انّ خلاصة ما يفهم من هذا الفصل انّ الله قدَّرَ احَيازاً وامكنةً اجرى فيها الماء الموصوف وخلق ريحاً قويّةً على ضَبطه وحِفظه حَمَله عليها واَمرَها بضَبطه، ويفهم من قوله عليه السلام **اَلْهَواءُ مِنْ تَحْتِها فَتِيقٌ وَالْماءُ مِن فَوْقِها دَفِيقٌ** انّ تلك الأحياز والأمَكنة تحتها وانّها امرت بحفظه وضبطه لتوصّله الى تلك الاحياز وربّما فُهم منه انّ تلك الاحياز تحتها للماء وهى سطح الرّيح الحاوى له وانّ تحت تلك الرّيح فضاء آخرا واسعاً وهى محفوظة بقدرة الله تعالى كما ورَدَ فى الخبر ثمّ خلق سُبحانه ريحاً آخر لاجل تَمَوُّج ذالك الماء فاَرسَلها وعَقَد مَهبَّها اى ارسَلَها بمقدارٍ مخصوصٍ على وفقِ الحكمة والمِصلحة التى ارادها بأجرائها ولم يُرسلها مُطلقاً ومن روى بالّتاء فالمراد انّه اَخلىٰ مِهَبّها عن العوائِق او انّه اَرسَلها بحيث لايعرف مَهبَّها وادامَ حركتها وملازمتها لِتحريك الماء واَعصَف جريانها واَبعَد مبتدائها ثم سلّطِها على تَموُّج ذالِك الماء، فلمّا عَبَّ عُبابه وقَذَف بالزَّبَد رفع تعالى ذالك الزَّبد فى القضاء وَكَوَّن منه السّموات العُلىٰ انتهى...

والغَرَض من بيان اقوال الشّراح بالفاظها هو انّك تعلم انّ العقول فى شرح هذه الكلمات صارت حيا راى وكلّما ذكروه فى المقام مَظنُونات حَدسيّات اَوردوها على سبيل التَّرديد وليس هذا نقصاً فاحشاً لهم، وَلَنا فانّ كلامه عليه السلام فوق كلام المَخلوق ولا يمكن لأحدٍ بعده الأحاطة بكلامه ووجوه معاينه الّا لابنائه المَعصُومين سلام الله عليهم اجمعين، ونحن ايضاً نعترف بالقصور والعَجزِ بالنسبة الى درك كلامه عليه السلام وفَهم مراده ولا سيّما انّ ما ذكره عليه السلام فى كَيفيّة الخِلقة مخالف لأجماع الفلاسفة بحسب الظاهر بل هو مُوجِب لِهَدم قواعدهم الّا بضرب من التَّاويل فأنتظِر ونحن نتعرّض اوّلا لشرح ما هو ظَاهر كلامه عليه السلام

فی هذه الفقرات ثمّ نقل اقوال الفلاسفة فی کیفیة خَلق العالم ثم نحکم بما هو الحقّ حسب فهمنا ودرکنا وعلی الله التوکّل وبه الأعتصام من زلّات الأقلام وخطرات الاوهام کلامه علیه السلام مشعر بانّ الله تعالی لمّا اراد خَلَق السّموات والارض فَفَتَقَ الأجواء اوّلاً وهذا یدلّ علی انّ الجَوّ کان قبل السّمّوات والأرض وانّه کان مُظلِماً لیس فیه نور ولولا فتقه لکان إلی الأبَد مُظلماً ولیس من السّمّوات والارض وسائر المخلوقات الموجودَة فیهما عَینٌ ولا اَثَر، ثم فی المرحلة الثانیّة اجری فِیها ماءً متلاطماً، امواجه متراکماً زخارّه ای امتِلائه، ثمّ حَمَل هذِا الماء علی ظَهر الرّیح العاصفة، ای شدیدة الهُبوب ذا تَحرّکٍ شَدید اذ الزَعزّع العاصفة عبارة عن الرّیح الشَدیدة التَّحرُك، ثم فی المرتبة الثالثة اَمرَ الله سبحانه وتعالی الرّیح بحفظ الماء وَرَدِّه عن الجَری الّذی سَبَقت الاشارة الیه فی قوله علیه السلام **فَأَجْرىٰ فِيهَا مٰاءً** فامر الرّیح بضبطها کالشّیئی المَسدوُد وجعلها مَقرُونة لَحدِّه ای مُحیطة بنهایته والأمر هنا الامر (التّکوینی) ثم اشار علیه السلام بانّ الهواء من تحت الرّیح مفتُوح مُنبَسط والماء من فوقها مَصبوُب مُندَفِقٌ.

▫ **قوله علیه السلام: ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحٰانَهُ رِيحاً اِعْتَقَمَ مَهَبَّهٰا، وَ أَدٰامَ مُرَبَّهٰا ،وَ أَعْصَفَ مَجْرٰايهٰا، وَ أَبْعَدَ مَنْشَائَهٰا، فَأَمَرَهٰا بِتَصْفِيقِ الْمٰاءِ الزَّخّٰارِ، وَإِثٰارَةِ مَوْجِ الْبَحٰارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقٰاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهٰا بِالْفَضٰاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلىٰ اٰخِرِهِ ،ـ وَسٰاجِيَهُ إِلىٰ مٰائِرِهِ، حَتّٰى عَبَّ عُبٰابُهُ، وَرَمىٰ بِالزَّبَدِ رُكٰامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوٰاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ...**

◁ اللّغة

(**اِعْتَقَمَ مَهَبَّهٰا**)، ای جَعل هبوُبُها عُقیماً والعَقیم خلاف اللّاقِح وهی الّتی تثیر سحاباً ولا تلقح شجَراً ومَهبَّ الرّیح مکانه، (**اَدٰامَ مُرَبَّهٰا**)، ای جعل ملازمتها دائمة، (**اَعْصَفَ مَجْرٰاهٰا**) ای جریانها، (**تَصْفِيقِ الْمٰاءِ**) تقلیبه او صوت الماء (**الأثارة**) من الثّوران الهیجان، (**المَخْضَ**)، بالتَّحریكِ من مَخَضَت اللَّبن اذا حَرّکته، (**اَلسِّقٰاءِ**) علی وزن کِساء ما یوضع فیه الماء او اللَّبَن کالقِربةِ

(**السّاجي**)، السّاكِن، مَآئره، المائر المُتحرّك، (**عَبَّ**)، ارتَفع عُباب: كغُرابَ مُعظَم الماء، الرّكام، بالضم المتراكِم، الجَوّ المُنفَهِق ـ المَفتوُح الواسع.

◁ الشّرح

▫ **قوله**ﷺ: **ثُمَّ اَنشَأَ سُبْحانَهُ** إلى قوله فَأمرها: المقصود من هذه الكلمات كالسّابقة منها شَرح كيفيّة خَلق السَّمَوات فقولهﷺ: هيهنا اشارة بانّه تعالى بعد الرّيح الاوّل الّتى حمل الماء على مَتنه اَوجَد ريحاً آخر غيرها تفترق عنها بوجوُه:

الاوّل: انّ مَهَبّ الرّيح، الثانى: جَعَله عقيماً لاتقدر على إثارةِ السّحاب وقلع الاشجار مثلا وهو كناية عن ضعف قدرتِها

الثانى: انّ هُبوُبها دائِمة بخلاف الاوّل حيث انّ هُبوبَها مُوقَّته غير دائمةٍ يدلّ عليه قولهﷺ **اَدامَ مُرَبَّها**،

الثالِث: جعلها جارية المَعصفٌ وهو كناية عن دوامها ايضاً فانّ المُعصِف هو المُجرى بالرّيح الشَّديد والعَصف الشِدّة والرّيح الاوّل وان كانت عاصفة ايضاً الّا انّ العَصف فيها ليس فى مجراها بل فى نفسها وهو قوله: **اَعْصَفَ مَجْرايها**.

الرابع: جَعلها بَعيد المَنشاء وهو كناية عن طوُلها ويدلّ عليه قوله اَبعَد مَنشائها. قولهﷺ: فاَمَرها بتصفيق الماء الزخّار الى قوله وجَوّ مُنفَهقٍ ثم بعد شرح كيفية هذه الرّيح شرعﷺ فى وظيفتها ومأمورتها، وهى امور: الاوّل انّه تعالى اَمرَها بتقليب الماء وتحويله حتّى يَصئوُ من الكدِر وهو قوله فاَمرَها الى موج البحار. الثانى: انّه تعالى جَعَل الماء الزّخار بسبب تصفيق الرّيح اياه مُتحرّكاً فى ظرفه وهو قوله فمَخَّضه مخضَ السّقاء الثالث: انها عَصف الماء وحرّكته فى الفضاء الواسع وهو قوله وعَصَفت به عَصفها بالفضاء بحيث يرجع اوّل الماء الى آخره وآخره الى اوله وهو كناية عن تقليب الماء بسبب الرّيح ويدّل عليه قوله تردّ اوّله الى آخره وساجيه الى مائره واماّ قوله حتّى عَبَّ

عُبابه ورمى بالزَّبَد ركامه...

اى بالأمور السابقة كُلّها جَعَل الماء مرتفعاً عاليا، وقوله عليه السلام: **فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُّنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنفَهِقٍ** فاشارة الى انّ الماء جعل بسبب الرّياح عليه فى الهواء المنشّق بالشرح الّذى مضى والجَوّ المفتوح الواسع.

▫ **قوله عليه السلام: فَسَوّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمٰواتٍ جَعَلَ سَفْلاٰهُنَّ مَوْجاً مَّكْفُوفاً، وَ عُلْيٰاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمْكاً مَّرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهٰا، وَ لاٰ دِسٰارٍ يَنْظِمُهٰا، ثُمَّ زَيَّنَهٰا بِزِينَةِ الْكَوٰاكِبِ، وَضِيٰاءِ الثَّوٰاقِبِ، وَأَجْرىٰ فِيهٰا سِرٰاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دٰائِرٍ، وَ سَقْفٍ سٰائِرٍ، وَ رَقِيمٍ مٰائِرٍ،...**

◁ اللّغة

(**المَكْفُوف**) المَمنُوع، (**السَّمك**) البَناء(**عَمَدٍ**)، جمع عِماد وهو ما يسند به (**دُعامة**)، وهى الأقامة (**دِسٰارٍ**) المِسمار والحَبل الّذى يشدّبه الاِخشاب. (**ثَوٰاقِبِ**) جمع ثاقب، (**المُسْتَطِير**) ـ الَمنتشر، (**والرَّقِيمِ المٰائِرِ**) اللّوح المُتحرّك

◁ الشرح

ثم انّه عليه السلام بعد فتقَ الأجواء واجراء الماء فيها وانشاء الرّياح لحركةِ الماء وجريانه بالتفّصيل الّذى مرّ ذكره شرع فى كيفيّة خلق السّموات فقال عليه السلام: متفرعاً على ما مضى، قوله:**فَسَوّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمٰواتٍ**، اى جعل وخلق منه السّموات السَّبع والهاء فى منه ترجع الى الزَّبد الذّى انشأ من الماء ثم انّه سبحانه جعل لِلسّموات او صافاً:

الاوّل: قوله **جَعَلَ سَفْلاٰهُنَّ مَوْجاً مَّكْفُوفاً**، والمعنى انّه سبحانه جعل السّموات مَمنُوعاً عن السُّقوط الجَوهرى وهو يدلّ على كمال قدرة خالقها.

الثانى: قوله **وَ عُلْيٰاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً** كما قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾**[1] والمشهور فى معناها انّ **عُلْيٰاهُنَّ مَحْفُوظاً** من الشَّياطين وفيه كلام

---

١. الانبياء / ٣٢.

یاتی فی محلّه.

الثالث: قوله **وَسَمْكاً مَّرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَ لَادِسَارٍ يَّنْظِمُهَا**، كما قال الله تعالى: **﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾**[1] والمقصود انّ السموات ليست قائمة بقوائم مَحسُوسة مُرَتّبة ولا مَشدودة بحَبلٍ او مسمارٍ فَلِمَ لاتَسقُط وهذا ايضاً يدلّ على كمال قدرته تعالى...

الرابع: قوله:**ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ،** اى جَعَل فيها كواكباً واقماراً مُنيرةً كلها توجب زينة السّموات كما لايخفى، الخامس قوله عليه السلام **وَأَجْرىٰ فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً**، الى قوله ورقيمٍ مائرٍ، كلها اشارة الى زينتها للسّموات وهذا ممّا لايخفى ظاهراً...

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ فَتَقَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلىٰ، فَمَلَاَهُنَّ اَطْوَاراً مِّن الْمَلَائِكَةِ(مِنْ مَلَائِكَتِهِ)، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَّا يَرْكَعُونَ، وَ رُكُوعٌ لَايَنتَصِبُونَ، وَ صَافُّونَ لَايَتَزَايَلُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَ لَا فَتْرَةُ الْاَبْدَانِ، وَ لَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ، وَ مِنْهُمْ اُمَنَاءُ عَلىٰ وَحْيِهِ، وَ اَلْسِنَةٌ اِلىٰ رُسُلِهِ، وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ اَمْرِهِ، وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَ السَّدَنَةُ لِاَبْوَابِ جِنَانِهِ، وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْاَرَضِينَ السُّفْلىٰ اَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَاء اَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْاَقْطَارِ اَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ اَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ اَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَن دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَاَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ،وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ،وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْاَمَاكِنِ، وَ يُشِيرُونَ اِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ متن...**

◁ **اللّغة**

(**الفَتَقَ**) اَلشَّق اطوار جمع طَور الحالات المُختلفة (**مَلَائِكَة**) جمع مَلَك ثم

---

١. الرعد / ٢.

تُركت هَمزته لكثرة الأستعمال فصار مَلَك فلمّا جَمعوُه رَدّوها اليه فقالوا ملائكه وملائك (**يسأمُون**) من اَلسَأم بمعنى المَلال (**والفترة**) الضَّعف والمَلال (**أُمَنَاءُ**) جمع امين، (**اَلْسِنَةٌ**) جمع لسان، (**حَفَظَةُ**) جمع حافظ (**السَدَنَةُ**)، جمع سادِن وهو الخازن (**الْمَارِقَةُ**) من المَرق مَرَق اَلسَّهم من الرَّمية اذا خرج من جانب الاخر، (**الأَقْطَار**) جمع قُطر بمعنى النّاحيه، (**اَرْكَان**) جمع رُكن بمعنى الجانب (**مُتَلَفِّعُون**)، تلّفَعَ ثَوبه التحَفَ به، (**حُجُبُ**) جمع حجاب (**الاَسْتَارُ**) جمع ستر، (**النَّظَائِر**) الامثال...

◁ الشّرح

لما فَرغَ عليه السلام عن بيان كيفية خلق السَمّوات شرع فى بيان كَيْفيّة خلق الملائكة واوصافهم فقال: **ثُمَّ فَتَقَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلىٰ، فَمَلَاَهُنَّ اَطْوٰاراً مِّن الْمَلاٰئِكَةِ(مِنْ مَلاٰئِكَتِهِ)**، اى بَعد خلق السّموات شَقَّ واَنفَصل كلّ واحدٍ منها من الاخر واَوجَد بينها اقساماً من ملائكته كلّ نوعٍ منها غير نوعِ الاخر من حيث الوصف لامن حيث الذّات سميّت الملائكة ملائكة لانّها جمع مَلئَك، او جمع مئلك وهو فى اللّغة بمعنى الرّسالة والملائكة كلّهم رسل ربّنا والأقوال فى حقيقة الملك كثيرة ونحن نشير الى بعض منها فى محلّه ثم اثبت عليه السلام اوصافا لهم فقال: **مِنْهُمْ سُجُودٌ لاٰ يَرْكَعُونَ، وَ رُكُوعٌ لاٰيَنتَصِبُونَ**، كلمة من للتّبعيض والسُجّود فى اللّغة الخشُوع والتَذلّل وفى اصطلاح المُتّشرِعة وضع الجبهة على الارض مقروناً بالقُربة والرُّكوع ايضاً فى اللّغة بمعنى التَّعظيم وفى الأصطلاح عبارة عن الهُوِىّ المخصوص فى الصلّواة والفرق بين الرُكّوع والسُجّود، ليس الّا بشدّةِ التواضع وضَعفه فالرُّكوع مرتبة اَلضّعيفة منه ولذالك يجب ـ على المُصلّى الرُكوع اوّلا ثم السُّجود وعلى كلّ حالٍ المقصود من هذا الجملة هوانّ الملائكة بحسب اطوار الخِلقة مختلفون فبعضهم دائما يكون فى حال السُجُّود وهو لايركع وبعض آخر دائماً فى الركوع وهو لايسَجْد ولا

ينصب فانّ كمال الطّاعة الاتيان بألمامور به وعدم المخالفة لِلمولى وان كان الظّاهر من العبارة انّهم مَجبُورُون على ذالك بحسب الخِلقة فأفَهم.

▫ **قوله**عليه السلام: **وَ صافُّونَ لايَتَزايَلُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ**، : وهذا قسم آخر منهم كما قال الله تعالى: والصّافات صفّا، والمعنى انّهم صافّون وفى صَفّهم ثابتون لايمكن لهم الانحراف من جانبٍ الى جانبٍ والخروج عن صَفّهم بحسب خلقتهم، وآخرون خُلقوا للتسبيح والتقديس فلا يمَلُّون عنه ابداً.

▫ **قوله**عليه السلام: **لا يَغْشاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَ لا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَ لا فَتْرَةُ الْأَبْدانِ، وَ لا غَفْلَةُ النِّسْيانِ**، ثّم اثبَتَعليه السلام لهم اوصافاً اربعة: اوّلها: انّهم لاينوُمُون الثّانى: انّهم لايَسهوُن الثالث: لافترة فى ابدانهم، الرّابع انهم لايَنسَون والملاك لنفى الخصال الاربعة عنهم انّها من لوازم الابدان العُنصَريّة وابدانهم ليست كذالك كما سياتى قوله: **ومنهم امناء على وحيه والسِنَة الى رسله ومُختَلفون بقضائه وأمره** وهذا قسم آخر منهم اعلى واشَرف لانّهم امناء الوحى كجبرائيل مثلا وسفراء الله الى رُسُله، وهم المأمورون لِإنفاذ امره، ومنهم الحَفَظة لعبادة والسَّدَنة لابواب جنابه. وهذان قسمان آخران منهم فقِسّم لحفظ العباد عن الافات والبليّات، وقسِم خُزّان جنابه...

▫ **قوله**عليه السلام: **وَ مِنْهُمُ الثّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلى أَقْدامُهُمْ** الى آخر الخطبة اثبَتَعليه السلام لهذا القسم من الملائكة اوصافاً كثيرة: فمنها: **انّ اقدامهم فى الأرضين السّفلى والخارجة من السّموات اعناقهم** وهذا يدلّ على كثرة طولهم ومنها: **انّ اركانهم وجوانبهم خارجة من الأقطار مع انّ اكتافهم مناسبة لقوائم العرش** وهذا يدلّ على كثرة عَرضهم، ومنها **انّ ابصارهم ناكسة واجنحتهم تحته مُتَلّقِعة** وهذا اشارة الى شدة خُضوُعهم وخُشوُعهم بالنّسبة الى عظمة الحّق تعالى، ومنها **انّ بَينَهم وبَين مُن دوُنَهم من الملائكة حُجُب**. و هى عبارة عن القدرة والعِزّة لِلرّب، ومنها **انّهم لايَتوهّموُن ربّهم بالتّصَوير** وهذا يدلّ على كمال معرفتهم به، ومنها **عدَم اجرائهم صفات المَصنُوعين عليه فانّه منّزه عن**

ذالك تعالى عنه علّوا كبيرا ومنها انّهم لايَحدّونه لانّه ليس مَحدُوداً بزمانٍ ولا مكانٍ لتساويه بالنسبة الى جميع الأمكنه والأزمنه. ومنها انّهم لايشيرون اليه بالنظائر والأمثال لانّه ليس له مثل ولا شبيه تعالى عنه، وهذه الفقرات الاخيره كلّها تدلّ على معرفة الملائكه بمقام المعبود وفنائهم فى ذاته وصفاته وهذا غاية آمال العارفين.

ثمّ بعد الشرح الاجمالى لهذه الخطبة الْشّريفة الّتى أُوَدَعِتُ فيها حقائق الاسرار الالهيّة وزُبدة نواميس الخلقة لابدّ لنا من شرح يكشف عن حقائقها استارها فانّ ما ذكرناه تبعا لسائر الشّارحين وتأسياً كقوله ﷺ:

كلّم الناس على قدر عُقُولهم، وان كان بالنسبة الى اكثر العقول كافيا ولجهلهم شافيا، الّا انّ الطّالبين لحقائق الأسرار كثيرة جّداً فلابدّ لنا من ذكر الاقوال فى خلقة السّموات والملائكة لئلا يكون البَحث ناقصا، بل يكون شافيا وافيا والحمد لله ربّ العالمين والصلواة والسلام على محمّد وآله الطاهرين

اعلم: انّ كلامه عليه السلام فى هذه الخُطبة يدور على مقاصد اربعة:

- **المقصد الاوّل**

فى بيان اوّل ما خلق الله وباصطلاح الفلاسفة الصّادر الاوّل وقد اشار اليه بقوله عليه السلام: **اَنشَاَءَ الْخَلْقَ اِنشاءً، وَابْتَدَاَهُ ابْتِداءً الى قوله عارفاً بِقَرائِنِها وَاَحْنائِها.**

- **المقصد الثانى**

فى بيان فَتق الأجواء وشَقّ الأرجاء ويدلّ عليه قوله عليه السلام: **ثم اَنشَاَء سُبْحانَهُ فَتْقَ الْاَجْواءِ**، الى قوله عليه السلام **وَالْماءُ مِن فَوْقِها دَفِيقٌ.**

- **المقصد الثالث**

فى بيان كيفية خلق السّموات واشار اليه بقوله: **ثُمَّ اَنشَاَء سُبْحانَهُ رِيحاً**

اعْتَقَمَ مَهَبَّهٰا الى قوله وَرَقِيمٍ مٰائِرٍ.

▪ المقصد الرّابع

فى بيان كيفية خلق الملائكة وحالاتهم واشار اليه بقوله **ثُمَّ فَتَقَ مٰا بَيْنَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلىٰ** الى قوله **وَلاٰ يُثِيرُونَ اِلَيْهِ بِالنَّظٰائِرِ.**

والبحث فيها يقع تارةً من جهة الرّوايات الواردة فى المقام واخرى من طريق كلمات الفلاسفه والاقوال المَنقُولة عنهم وتحقيق الحّق فى المقام ونحن بعون الله وفضله نبحَثَ فى المقاصد الأربعة من كلتا الجهتين:

امّا البحث فى المقصد الاوّل: بالنَظَر الى الرّوايات والاثار الواردة عنهم عليهم السلام فنقول: الاثار الواردة عنهم فى هذا الباب مختلفة ظاهرا فبعض منها تدلّ على انّ اوّل ما خلق الله هو نُورِ نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ونور علىٍ عليه السلام وأنوار الأئمة من بعدهما ولنذكر بعضاً منها:

الاوّل: مارواه المجلسى قده فى المجلد الرابع عشر من بحار الانوار نقلا عن كتاب تاويل الايات من كتاب المعراج للصّدوق ره باسناده عن ابن عباس قال سَمعْت رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب عليّاً ويقول: يا على انّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيئى معه فَخَلَقَنى وخَلقَك زَوجَين من نور جلاله، فكنّا امام عرش ربّ العالمين، نسبّح الله ونقدّسه ونحمّده ونُهللّه وذالك قبل ان يخلق السّموات والارضين الخبر.[1]

الثانى: فيه ايضاً نقلاً عن تفسير الفرات عن جعفر بن محمّد الخرازى باسناده عن قبيصة الجعفى قال دخلت على الصادق عليه السلام وعنده جماعة فسلّمَتْ عليه وجلَسْت وقلت اين كنتمِ قبل ان يخلق الله سمأء مَبنيَّة وارضاً مَدحيّة، او ظلمة او نور قال عليه السلام يا قبيصة كُنّا اشباح نورٍ حَول العرش نُسبّح الله قبل ان يخلق آدم بخمسة عشر الف عام الخبر.[2]

١. بحار الانوار، ج ١٤، ص ٤١، ط كمپانى.
٢. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.

الثالث: وفيه ايضاً عن كتاب المقتضب عن سلمان الفارسي ره قال قال رسول الله ﷺ: يا سلمان خَلقَني الله من صفاء نوره فَدعاني.

فَخَلق من نوُري عُلّياً فدعاه واَطاعَه وخَلق من نوُري ونور عليّ، فاطمة فدعاها فاطاعته وخُلَق مِنّي ومن عليّ وفاطمة الحَسَن والحُسين فدعاهما فاطاعاه ثمّ خلقِ من نور الحسين تسعة ائمة فدعاهم فاطاعوه قبل ان يخَلُق الله سماًء مَبنيّة واَرضاً مدحيتة او هواءً او ماءً او مَلَكاً او بَشَراً وكنّا بعلمه انوار نسبحه ونسمع له ونطيع الخبر.[1]

الرابع: فيه ايضاً نقلاً عن كتاب رياض الجنان لفضل الله الفارسي باسناده عن انس قال قال رسول الله ﷺ خَلَقنا الله نحن حيث لاسماء مَبنية ولا اَرضَ مَدحيّة ولا عَرش ولاَ جنّة ولا نار كُنّا نُسبّحه الخبر.[2]

الخامس: وفيه ايضاً نقلاً عن رياض الجنان باسناده عن جابر الجعفي عن ابي جعفر عليه السلام قال: يا جابر كان الله ولا شيئي غيره لامعلوم ولا مجهول فاوّل ما اَبتَدا مِن خَلقه اَن خَلَق مُحمّداً ﷺ وخلَقنا اهل البيت معه من نور عظمته فاَوقَفنا اَظِلّة خضراء بين يَديه حيث لاسَماء ولا ارضَ ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شَمس ولا قَمَر يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشّمس من الشّمس نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونعبده حق عبادته ثم بَدا لِلّه ان يخلق المكان فخلق (فَخَلقَه) وكتب على المكان لااله الّاالله محمّد رسول الله على اميرالمؤمنين وصيّه اَيَدتّه ونَصرَتُه ثّم خلق الله العرش فكَتَب على سرادقات العرش مثل ذالك.

ثّمُ خَلَق الله السَّمَوات فكَتَب على اطرافها مثل ذالك ثم خَلَق الجنّة والنّار فكتب عليهما مثل ذالك ثم خلق الملائكة واَسكَنَهم السّماء ثم خلق الهوا فكتب عليه مثل ذالك فبَدالك يا جابر قامت السموات بغير عَمَدٍ وثَبَتَت الأرض ثم خلق الله ادم من اديم الأرض ثم ساق الحديث اَلطّويل الى قوله.

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١، ط كمپاني.
٢. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.

فنَحْن اوّل خَلقِ الله واوّل خَلقٍ عَبَدَالله وسَبَّحه ونحنُ سبب الخَلق وسَبَب تسبَيحهم وعبادتهم من الملائكة والادميّين[1].

السّادس: وفيه ايضاً عن احمد ابن حَنَبل عن رسول الله ﷺ انّه قال: كنت انا وعلى نوراً بين يدَىَ الرّحمن قبل ان يخلق عرشه باربعة عشر الف عام انتهى[2].

السّابع: وباسناده عن الصّدوق عن عبدالله ابن المبارك عن جعفر ابن محمّد عن آبائه قال قال اميرالمؤمنين انّ الله خلق نُور مُحمدٍ قبل المخلوقات باربعة عشر الف عام (سنة) وخَلق مَعَه اثنى عشر حجاباً.[3]

الثامن: وباسناده عن جابر ابن عبدالله قال قلت لرسول الله اوّل شيئٍ خلق الله تعالى ما هو فقال نوُر نبيّك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير الخبر.[4]

التّاسع: وفيه عن جابر ايضاً قال قال رسول الله ﷺ اوّل ما خلق الله نورى فَفَتق منه نور علّي ثم خَلَق العرش واللّوح والشّمس وضوء النّهار ونوُر الابصار والعقل والمُعرفة.[5]

العاشر: وايضاً عن سفيان الثّوّرى عن الصادق عن آبائه عن على قال انّ الله تبارك وتعالى خلق نورِ محمّدٍ قبل ان يخلق السّموات والارض والعرش والكرسى واللّوح والقَلَم والجَنة والنّار وقبل ان يخلق آدم ونوح وابراهيم واسحاق واسماعيل ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وقبل ان يخلق الانبياء كلّهم باربعمائة الف سنة واربع وعشرين الف سنة الى آخرالخبر.[6]

الحادى عشر: وفيه ايضاً باسناده الى معاذ ابن جبل انّ رسول الله ﷺ قال خَلَقنى الله وعليّاً وفاطمة والحسن والحُسَين قبل ان يخلق الدّنيا بسبعة

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.
٢. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.
٣. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.
٤. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.
٥. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤١.
٦. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢.

الاف عام فقلت اين كنتم يا رسول الله قال عليه السلام قُدّامَ العرش نسبّح الله ونحمّده ونُقدّسه ونُمَجّده قلت على ايّ مثالٍ قال صلى الله عليه وآله اشباح نور الخَبَر[1] والأحاديث من طريق الخاصة فى هذا الباب كثيرة، ومن شاء فليراجع المُطوّلات كالبحار وغيرها من الكتب المؤلفة فى هذا الفنّ وامّا الاحاديث من طريق العامة ايضاً كثيرة نذكرا شطراً منها اتماماً للحجّة **الاوّل**: فى المناقب عن اسحق ابن اسمعيل النيشابورى عن جعفر الصّادق عن ابيه عن جدّه على ابن الحسين قال حدثنا عمّى الحسن قال سمعت: جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول خلقت من نور الله عُز وّجل وخلق اهل بيتى من نورى وخلق مُحبّيهم من نورهم وسائر الناس فى النار.[2]

الثانى: ابن المغازلى الشافعى فى كتاب المناقب بسنده عن سلمان الفارسى قال سمعت حبيبى مُحمد صلى الله عليه وآله يقول: كنت انا وعلىٌّ نوراً بين يدَىَ الله عزّوّجُل يُسبّح الله ذالك النّور ويُقدّسه قبل ان يخلق الله آدم باربعة عشر الف عام فلمّا خلق آدم اَودَع ذالك النّور فى صلبه فلم يزل انا وعلىٌّ شيئى واحد حتّى اَفترقنا فى صلب عبد المطلب فَفِىّ النبّوة وفى علىّ الامامه.[3]

وروى احاديثاً آخر فى هذا الكتاب بعدهما بهذا المنوال ونحن اَعرَضنا عن ذكرها مُخافة التطّويل والغرض انّ احاديث الخاصّة والعامة فى هذا الباب كثيرة كادان تكون متواترة كلّها كما ترى تدلّ على انّ اوّل ما خلق الله هو نُور نبيّنا صلى الله عليه وآله وفى المقام احاديث اخر تدلّ على انّ اوّل ما خلق الله القَلَم او اللّوح او الرّوْح او العَقل وامثال ذالك: فمنها ما فى البحار نقلاً عن تفسير على ابن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابى عمير عن هشام عن ابيعبداله عليه السلام قال: اوّل ما خلق الله القلم فقال له اُكتُب فكَتَب ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة.[4]

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢.

٢. ينابيع المودة، للشيخ سليمان الحنفى، ص ٩، ط تهران.

٣. ينابيع المودة، ص ٩.

٤. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٨٩، ط كمپانى.

ومنها: ما فيه ايضاً نقلاً عن دُرّ المنثور عن ابى نعيم فى الحُلية عن علىّ، مرفوعاً قال عليه السلام الكرسى لُؤلُؤ والقلم لَؤلُؤ وطوُل القلم سَبعمائة سنة وطول الكرسى حيث لايعلمه الّا العالمون.

وعن ابن عباس قال انّ اوّل ما خلق الله شيئىٌ هو القلم فامره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيمة الخبر.[1]

ومنها: ما فيه ايضاً عن النّبى صلى الله عليه وآله قال: انّ اوّل شيئى خلق الله القلم ثم خَلَق النُّون وهى الدّواة ثم قال له اكتب قال وما اكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة الخبر.[2]

ومنها: ما فيه ايضاً عن عبادة ابن صاحب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انّ اوّل ما خلق الله القلم الخبر صلى الله عليه وآله

ومنها: مّا نقل فى البحار والكافى والوافى وسائر الكتب المعتبرة باساتيد مختلفة انّ اوّل ما خلق الله روحى وفى حديثِ اوّل ما خَلَق الله اللّوح وفى آخر اوّل ما خلق الله العرش وفى آخر اوّل ما خَلق الله عز وجل العقل الّا انّه فى الكافى قال: انّ الله عز وجل خلق العقل وهو اوّل خلقٍ من الرّوحانيّن عن يمين العرش من نوره الخبر وهذا يدلّ على سبق العرش عليه خَلقاً وَفى بعض آخر اوّل ما خَلَق الله الماء وفى بعض الَهَواء وايضاً غير ذالك من الرّوايات الواردة فى المقام على اختلاف السَنِتها ظاهراً فى تعيين المَخلُوق الاوّل ونحن اَعرضنا عن ذكرها لئلّا يطول الكلام واِذ فَرَغنا عن ذكر الرّوايات فلابدّ لنا من ذكر اقوال الفلاسفة فى المقام ثم الجمع بينهما، وبين الرّوايات وكلام علىٍ عليه السلام فى هذه الخطبة حتّى يميز الحق عن الباطل.

فنقول: اعلم انّ الاقوال فى باب حدوث العالم وعدم حدوثه كثيرة وآرائهم فيه مُتشَتّة مخُتلفة وضبط الاقوال فيها هو ان يقال القسمة العقليّة منحصرة فى اقسام اربعة:

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٩٠.

٢. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٩٠.

الاوّل: ان يكون العالم مُحدَث الذّات والصّفات وهو مذهب المُسلمين وغيرهم من ارباب المِلل وبعض قدماء الحُكماء. **الثّانى:** ان يكون قديم الذّات والصّفات وهو قول ارسطو وجماعة من القُدماء ومن المُتأخرين ابى نصر الفارابى والشيخ الرئيس قالوا السّموات قديمة بذواتها وصفاتها إلّا الحَرَكات والأوضاع فانّها قديمة بشخصها لابنوعها والعناصر وَالهيولىّ منها قديمة بشخصها وصُورَها الجِسّميّة قديمة بنوعها لابشخصها، والصّور النوعيّة قديمه بجنسها لابنوعها ولا بشخصها. **الثّالث:** ان يكون قديم الذّات مُحدث الصّفات وهو قول من تقدّم على ارَسْطو بالزمان كثا ليس المُلطى وانكسا غورث وفيثاغورس وسقراط وجميع الثّنوية كالمانويّة والدّيصانيّة والمرقوبيّة والماهانيّة.

ثمّ اصحاب القول الثّالث افترقوا فرقتين: فَذَهب بعضهم الى انّ تلك الذّات القديمة كان جسماً ثم اختلفوا فى انّ الجسم ما هو، فزعم ثاليس الملطى الى انّ هذا الجسم القديم الماء لانّه قابلٌ لكلّ الصُّور وزَعَم انّه اذا اَنجَمد صار اَرضاً واذ اَلطُف صارِ هواءً وَمِن صَفق الماء تكَوَنَت النّار، ومن النار تَكَوَّن الدّخان ومن الدّخان تَكَوَّنت السَّماء ويقالَ انّه اخذه من التّوراية لانّه جاء فى السِفر الاوّل منه انّ الله تعالى خَلَق جوهراً فنظر اليه نَظَر الهَيبة فذابت اجزائه فصارت ماءً ثم ارتَفَع بخاراً كالدّخان فخلق منه السَّموات وظَهَر على وجه الماء زَبَد فخلق منه الأرض ثم اَرساها باالجبال.

وزعم: انكسيما ليس انّ ذالك الجِسم القديم هو الهَواء والنار تكوَّنَت من لطافته والماء والأرض من كثافته وتَكوَّنت الأشياء عنه بالتَّلطيف، وقال آخرون انّه البخار وتكون الهَواء والنّار عنه بالتّلطيف والماء والأرض بالتّكثيف وذهب انو فليطيس انّه النّار وكوّنَتَ الأشياء عنها بالتّكاثف وحكى عنه ايضاً انّ الاشياء انّما اَنتَظمت بالبَخت وجوهر البخت هو نَظَرٌ عقلى ينفذ فى الجوهر الكلّى.

وامّا انكسا غورس: فانّه قال ذالك الجسم هو الخليط الّذى لانهايه له وهو اجسام غير متناهية وفيه من كلّ نوع اجزاءٌ صغيرة مثلاً فيه اجزاء على طبيعه الخُبز واجزاء على طبيعة اللّحَم فاذاً اجتمع من تلك الاجزاء شيئى كثير فصار بحيث يحسّ ويرى ظنّ انّه حدث وهذا القائل بنى على مذهبه انكار المزاج والأستحالة وقال بالكَون والظُّهور، وذهب بعض آخر انّ ذالك الخليط كان ساكناً فى الاوّل ثم انّ الله تعالى حَرّكَة فتكوّن منه هذا العالم، وقال ذيمقراطيس انّ اصل العالم اجزاء كثيرة كُريّة الشّكل قابلة للقسمة الوهَميّة دون القسمة الأنفكاكيّة مُتحرّكة لذاتها حَرَكات دائمة ثم اتّفَق فى تلك الأجزاء اَن تصادمت على وجه خاصّ فَحَصل من تصادُمها على ذالك الوجه هذا العالم على هذا الشّكل فَحَدثت السّموات والعناصر ثمّ حَدَثت من الحَركات السّمّاويّة امتزاجات هذه العناصر ومنها هذه المركبّات، ونقل الشّيخ فى الشفا عنه انّه قال انّ هذه الاجزاء انّما تتخالف بالشّكل وانّ جوهرها جوهر واحد بالطّبع وانّما تصدر عنها افعال مختلفة لاجل الاشكال المختلفة.

وقالت الثّنوية اصل العالم هو النّور والظّلمة، والفرقة الثانية من اصحاب القول الثالث القائلين بكون العالم قديم الذّات محدث الصّفات قالوا بانّ الذّات القديم ليست بجسم وهم فريقان:

الفرقة الاولى: الحرمانية الّذين هم اَثبَتوُا القدماء الخمسة: البارى والنّفَس، والهَيُولى، والدّهر، والخَلاَء، فقالوا: البارى تعالى من غاية الّتمام فى العلم والحكمة لايعرض له سَهوٌ ولا غَفلَة ويفيض عنه العقل كفيض نورٍ عن القُرص وهو يعلم الأشياء عِلماً تامّاً. وامّا النفّس: فانّه يفيض عنها الحيوة فيض النّور عن القَرص لكنّها جاهلة لاتعلم الأشياء ما لم تمارسها وكان البارى تعالى عالماً بانّ النفس تشتمل الى التّعلّق بالهيولى وتَعشقها، وتطلب اللذّة الجِسميّة وتكره مفارقة الاجساد وتُنسى نَفسها ولمّا كان من شان البارى تعالى الحِكمة التّامة عمد الى الهيولى بعد تعلّق النّفس بها فَرَكّبها ضُرُوباً من التّركيب مثل

السّموات والعناصر ورَكّب اجسام الحيوانات على الوجه الأكمل والّذى بقى فيها من الفساد غير ممكن الزّوال، ثمّ انّ الله تبارك وتعالى افاض على النّفس عقلاً وادراكاً وصار ذالك سبباً لتذكّرها عالمها وسبباً لعلمها بانّها لاتنفّك عن الآلام ما دامت فى العالم الهيولانى واذا عَرَفت النّفس هذا وعَرَفت انّ لها فى عالمها اللّذات الخالية عن الألَم اشتاقت الى ذالك العالم وعَرَجَت بعد المفارقة وبقيت هناك أبدَ الآباد فى نهاية البهجة والسّعادة ثم قالوا وبهذا الطّريق زالت الشّبهات الدائرة بين الفلاسفة القائلين بالعَدَم وبين المتكلّمين القائلين بالحُدوث انتهى...

والفرقة الثانية: اصحاب فثياغورس وهم الّذين قالوا البارى هى الأعداد والمتُولّدة من الوَحَدات لانّ قوام المُركّبات بالبسائط وهى امور كلّ منها واحد فى نفسه، ثم تلك الأمور امّا ان تكون لها جهات وراء كونها وَحَدات، او لايكون فان كان الاوّل كان مركّبة لانّ هناك تلك المأهية مع تلك الوَحَدة وكلامنا ليس فى المركّبات بل فى مباديها، وان كان الثّانى كان مُجّرد وَحَدات وهى لابدّ وان تكون مستقّلة بانفسها والّا لكانت مفتقرة الى الغير فيكون ذالك الغير اقْدَم منها وكلامنا فى المبادى المطلقة وهذا خلف.

فاذن الوَحَدات امورٌ قائمة بنفسها فان عَرَض الوضع للوَحدة صارت نقطة وان اجتمعت نقطتان حصل الخَطّ فان اجتمع خطّان حَصَل السّطح فان اجتمع السّطحان حَصَل الجسم فظهر انّ مبدء الأجسام الوَحدات ونقل عنه ايضاً انّ الوحدة تنقسم الى وحدة بالذّات مُستقلّة بنفسها غير مستفادة من الغير وهو الّذى لاتقابلها الكثرة وهو المبدء الاوّل، والى وحدة مُستفاده من الغير وهى مبدء الكثرة وليست بداخلة فيها بل يقابلها الكثرة ثم يَتألّف منها الأعداد وهى مبادى الموجودات وانّما اختلفت الموجودات فى طبائعها لإختلاف الأعداد بخواصّها.

الرّابع: ان يكون العالم مُحدَث الذّات قديم الصّفات وهو باطل لم يقل به

احد لقضاء الضرورة ببطلانه، وامّا جالينوس فالشمهورانّه كان من المتوقفين والله اعلم انتهى ما اردنا من نقل الاقوال عن القدماء.

واما الفلاسفة فالمشائون: منهم وهم الّذين فى فلسفتهم اتباع لأرَسطُو واَخَذُو ما اَخَذُوا عن مكتبه فالظاهر انّهم مُجمعُون على انّ الصّادر الاوّل هو العقل ليس الّا والمقصود منه هو العَقل الأوّل الّذى هو علّة وواسطة لسائر العقول ولمّا رأو حصول الكثرة فى العالم مع انّ المبدء واحد والواحد لايصدر منه الّا الواحد فالنَجأوُ الى صدور الواحد عنه وهو العقل، ثمّ العقل الثانى من الاوّل حتّى حَصَلت التكثرات ومجمل القول فيه: هو انّ الواحد لايصدر منه الّا واحد والمبدء واحد فاوّل ما صدر عنه هو العقل الاوّل ولماكان العقل الاوّل له ماهية ووجود لامكانيّته ففيه كثرة اعتباريّة ماهيّة ووجود، ولوُجوده اضافةٌ الى مَبدئه وبهذا الاعتبار يتّصف بالامكان الذّاتى وبعبارةٍ اخرى لمّاكان مُجَرداً وكلّ مجردٍ عاقل كان له تعقّل لذاته وتْعَقّلٌ لمبدئه فباعتبار تعقّله لمبدئه يوجد عنه العقل الثانى وباعتبار تعقله لذاته المُمكنة المُظلمة وبعبارةٍ اخرى باعتبار اضافة الوجود الى مَهّيته مَبدء الفلك الاقصى فوجوبه الغيرى مَبَدء العقل الثّانى وامكانه الذّاتى مَبده الفلك الاقصى ثمّ العقل الثانى ايضاً كذالك فباعتبار تعقله لمبدئه يصير مَنَشأ للعقل الثالث وباعتبار تعقله لذاته منشاء للفلك الثانى وهكذا الى ان انتهى الامر الى العقل العاشر فيستوفى العقول التّسعة الافلاك التسعة، واذا وصلت التوبة الى العقل العاشر وهو العقل الفعّال المُكمِّل لِلنُّفوس الناطقة فذالك العقل ايضاً ممكن كسوابقه فمن حيث ذاته الامكانيّة يصير مبدءً لوجود الهيولى فى عالم العناصر ومن حيث وجوبه الغيرى منشاء للنفوس الناطقة فهيولى العالم العنصرى واحدة فى حدّ نفسها والكثرات من جانب الموضوعات، وكذا فى جانب النّفس هذا خلاصة مرامهم فى حصول الكثرة فى العالم.

واما الاشراقيون: الّذينهم اتباع لمذهب افلاطون ورئيسهم فى المتاخرين بل مُحبى طريقتهم شهاب الدّين السّهروردى فى حكمة الاشراق فلهم فى

المقام مسلك آخر فى كيفية حصول الكثرة ادّقّ واتقّن من مسلك المشائين ونحن لم نتعرّض له لعدم أُنسِ اكثر الطّباع الى هذه الدقائق وعدم بلوغ اكثر العقول الى هذه المراحل فالذّب عنه اولى ومن اراد الأطّلاع عليه وكان من اهله فعليه بكتاب حكمة الاشراق فانّه بحر لايدرك ساحله كما لايخفى على من كان له قلب.

اذا عرفت ما تلوناه عليك وأحطتَ خُبرًا بالأقوال الواردة فى المقام والآثار المروّية عنهم عليهم السلام فلنرجع الى شرح الخطبة بغير ما شرحه الشارحون واستخراج لئالى منها لم تستخرجها المستخرجون والجمع بين الاقوال المتخالفة بما لم يجمعها السّابقون مستعيناً بالله تبارك وتعالى فنقول:

▫ **قوله**عليه السلام: **اَنشَاءَ الْخَلْق اَنشَاءَ وَابْتَدئِهِ ابْتَداً**: اشارة الى كيفية ايجاد الصّادر الاوّل فالخَلق مصدر بمعنى المفعول وهو الصادر الاوّل الّذى لاواسطة بينه وبين مُبدعه ومؤجده سواء يسمّى باسم النّور او القَلَم او اللّوح او نور نبيّنا او العقل او الماء او الهواء او غير ذالك من الأسماء التى مرّت ذكرها عند ذكر الاقوال فانّ الاسامى كثيرة والمسّمى واحد.

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ الى ذالك الجمال يشير

ولما كان الجامع بين الكلّ هو العقل لانّه الّذى يطلق عليه القلم تارةً والنّور اخرى والجَوهر ثالثاً والماء رابعاً وهكذا وهو المراد بنور نبينا عليه السلام ولذالك يسمّى صلى الله عليه وآله بالعقل الكلّ فلا اشكال فى كونه هو الّصادر الاوّل والقائلون بكون الصادر الاوّل هو العقل قد استدلّوا عليه بما حاصله: انّ المجعولات الجوهرية على ثلثة اقسام متفاوتة فى درجات الوجود:

الاوّل: وهو اعلاها هو الجوهر الّذى لافتقارَ لَه الى شيئٍ إلّا إلى الله ولا نظر له الّا اليه ولا تَوَجُّه له بما سواه.

الثانى: وهو اَوسَطُها ما لاافتقار له فى اصل الوجود الى غيره تعالى لكن يحتاج فى استكمال وجوده الى ما سواه ويكون كمال وجوده بعد اصل وجوده

الثالث: هو الّذی یفتقر الی غیره تعالی فی کلا الامرین: اعنی فی اصل الوجود وکماله جمیعا، فالاوّل هو العقل والثانی هو النفس، والثالث هو الجسم او جزئه فلابدّ ان یکون واحد منها هو الّصادر الاوّل، وبعبارةٍ اخری الّصادر الاوّل لابدّ من ان یکون ممُکناً فی حدّ ذاته والّا یلزم کونه واجباً او مُمتنعاً، لایمکن ان یکون واجباً لادلّة التوحید ولا یمکن کونه مُمتنعا لانّ المفروض وجوده وهذا یستلزم الخلف فلابدّ من کونه مُمکنا، واذا کان مُمکنا فکل ممکن امّا جوهر او عرض.

لایمکن کونه عَرَضاً لانّ العَرَض وجوده فی نفسه وجوده لموضوعه فاذا فَرَضنا عرضیّته فلابدّ له من موضوع لیقوم به فیلزم اوّلا ایجاد الموضوع ثمّ العَرَض لتقدّم کلّ معروض علی عارضه والموضوع لایکون الّا جوهراً والّا یلزم تقوّمه بغیره وهکذا فیتسَلسَل واذا کان الموضوع جوهراً مَعرُوضاً مُتقدّماً علی عارضه فهو الصّادر الاوّل فهو المطلوب واذا لم یمکن کون الصادر الاوّل عَرَضاً فلامحالة یکون جوهراً لانّ المَمکن لایخلو منهما وهو المطلوب.

ثم اذا کان جوهراً فالجوهر علی خمسة اقسام: العقل، والنفس، والجسم، والهَیولی، والُصّورة، امّا کون الّصادر الاوّل هو الهیولی او الصّورة منفردا فلا یعقل اذ الصّوُرة فی تشَخّصها محتاجة الی الهیولی والهیولی فی تَقّوُمه محتاجة الی الصّورة وقد ثَبَت فی الفلسفة تلازمهما وعدم انفکاك احدهما عن الاخر بالبراهین القطعیة فلابدّ من کون الّصادر الاوّل کلتاها معاً وهو عبارة عن الجسم اذ الجسم لیس الّا مجموع الهیولی والصّورة واذا اَنتَفت الهیولی والصّورة منفردة یبقی فی المقام الجسم والنّفس والعقل، وهذا معنی قولنا فی صدر البحث انّ الصادر الاوّل لابدّ من ان یکون واحداً منها، امّا الجسم لایمکن ان یکون الصادر الاوّل لانّه اخَس الثلاثة وجودا وذالك لاشتماله علی الهیولی الّتی وجودها فی غایه الخِسّته، بحیث قیل فی حقّها انّها بالعَدَم اَشبه من الوجود وعلی الصّورة الّتی ایضاً وجودها ضعیف جداً ضرورةً انّ الشیئی

الّذی فی وجوده یحتاج الی الهیولی، فحاله معلوم فالجسم اَخَسّ الثلاثة.

ثمّ النّفس ایضاً تتلو الجسم وذالك لانّها فی کمالها یحتاج الی غیر باریها کما انّ الجسم یحتاج فی الوجود والکمال الی غیره فاذاً هذا الموَجودا لضعف وجودهما وشدّة احتیاجهما لایلَیقان، امّا العقل فلانّه لاحتیاج له فی غیر وجوده الی المَبدَء دون کماله فهو اشَرَف الموجودات الثلاثة، وبناءً علی مقتضی قاعدة امکان الأَشرف لابدّ من ان یکون هو الّصادر الاوّل والّا یلزم تقدیم الأخَس علی الأشرَف فی الوجود وهو قبیح عقلاً علی الحکیم فثبت انّ الصادر الاوّل هو العقل وهو المطلوب.

فان قیل: سلّمنا انّه بناء علی ایجاد الّصادر الاوّل لابدّ من ان یکون هو العقل لکن ما الدّلیل علی اصل وجوده قلنا الدّلیل علیه هو الدّلیل علی اصل وجود الواجب فاذا ثبت وجوده تعالی وانّه بسَیط الحقیقة عالماً قادراً جواداً رحیماً ذا فضیلةٍ عظیمةٍ وقوّةٍ شدیدةٍ وقدرةٍ غیر متناهیةٍ فیه جمیع الفضائل والخیرات والکمالات لم یَجزَ فی رحمته وکرمه وجوده ان یُمسك عن الفیض والّرحَمْة ویضنّ بالجوُد والخیر علی العالمین فلابدّ من ان یفیض عنه المخلوقات علی النظام الافضل والتّرتیب الأجود وان یَبدء بالأَشرَف فالأشرَف کما تدلّ علیه قاعدة امکان الاشرف ولا شك انّ اشَرف الممکنات واکرم المَجعُولات هو العقل کماعلمت فهو اقرب الاشیاء الیه واوّل الصّوادر کما فی الحدیث لمّا خلق الله العقل استنطَقه ثم قال له اَقبِل فاَقبَل ثم قال له اَدبِر فاَدبَر، ثم قال وعزّتی وجلالی ما خلقت خلقاً هو احبّ الیّ منك، ولا اَکملتّك الّا فیمن اَحَبّ امّا انی ایاك آمر وایاك انهی وایاك اعاقب، وایاك اُثیب.

اقول: هذا خلاصة استدلال الفلاسفة علی کون الصّادر الاول هو العقل وهو کما تری مُتفرّع علی قاعدة امکان الأشرف وقاعدة الواحد لایصدر منه الّا واحد وفی کلتا القاعدتین لنا کلام حَررّناه فی محلّه. فبناء علی هذا المَسلك قوله ﷺ **اَنشَاَء الْخَلْق اِنشَاءً**، ینطبق علیه والمقصود عن الخلق فی کلامه هو

المخلوق المساوق مع المَجُعول والأِنشاء عبارة عن ايجاده الأِبدائى اى غير مسبوق بالمادة والمدّة وكلّ ذالك من شئون العقل كما ثَبت فى محلّه.

ثمّ انّه للعقل اعتبارات شتى بحسب مقتضيات المقام فمِن حيث انّ فى هذا الجوهر صُوَر جَميع الموجودات بعده وهو عالِمٌ بالصُّور علماً فعليّاً يسَمى عقلاً، ومن حيث انّه حقيقة الرُّوح الأعظم المشار اليه بقوله ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبّي**﴾[1]، وقوله: ﴿**اَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ**﴾[2] يسمّى روُحاً ومن حيث وساطته لتصوير العلوم والحقائق على الصُّور النفسانيّة والألواح القضائية يسمّى بالقَلَم، فان قَلَم الله ليس حديداً ولا قصباً ولا جسماً آخر وكذا لَوحَه ليس خَشَباً ولا قِرطاساً ولكونه وجوداً خالصاً عن ظُلمة التَحَجُّب والتَجَسّم وعن ظُلُمات النّقائص، والأعدام يسمّى نُوراً اذ النّور هو الوجود والظُّلمة هى العَدَم والنّور ظاهر بذاته مُظهِرٌ لغيره والعقل هكذا.

ولكونه اصلاً لحيوة النفوس العِلويّة والسِفليّة يسمّى روحاً، وهو الحقيقة المَحمَديّة والله اعلم بحقائق الامور.

وامّا القائلون بكون الصّادر الاوّل غير العقل فلا برهان لهم يَعتَمد عليه وان اَمكَن رجوع الاقوال كلّها الى هذا القول بحسب المعنى ولكنّه بعيد...

▪ المقصد الثانى

فى بيان **فَتْقَ الْاَجْواءِ وَشَقَّ الْاَرْجاءِ الى قوله**ﷺ **وَالْماءُ مِن فَوْقِهادِفيقٌ**...

بناء على ما ذكرناه من ان الصّادر الاوّل العقل فلابدّ من التأويل فى هذه الكلمات وذالك لانّ المراد منها ان كان ظاهرها على ما فَهِمَه القوم لاينطبق على ما هو المُسّلم عندنا بحسب القواعد العِلميّة فان الهَواء مثلاً ليس هناك بل هُو من لوازم عالم الطّبيعة والمادّة وهذا ظاهر فى العلوم الفَلَكيّة مع انّهﷺ قال **وَسَكّانِكَ الْهَوىٰ** وكذا الاجواء الّتى جمع لِلجَوّ وهو الفضاء الواسع بين

١. الاسراء / ٨٥.
٢. الاعراف / ٥٤.

السَّمَوات والأرض والمفروض انّ السّموات لَم يُخلق بعد فكيف يُعقل الجوّ وكذا الكلام فى الارجاء التى جمع لِلرجاء بمعنى النّاحية وهكذا الامر فى الماء والفَوق والْتّحت وسائر اللّغات المستعملة فى هذه الخُطبة فلابدّ من القول بكون المراد من هذا الالفاظ غير معانيها اللُغويّة وهذا لااشكال فيه كما لايخفى على المتتّبع البصير فى الايات القرانيّة، وفى الروايات الواردة عنهم عليهم السلام فنقول:

يمكن ان يكون المراد من فَتق الأجواء شقّ فضاء العقل فانّ العقل بعد ما خُلق لمّا كان مُمكناً مركباً من ماهيّة ووجود كانت ماهيّته مندّكة فى الوجود، فانية فيه ولذالك يسمّى بالمُجرّد لانّه مُجرّدٌ حقيقتاً كما هو الثابت المُحقّق بالبرهان فاراد الله تبارك وتعالى ايجاد الموجودات بوساطة هذا الجَوهر المُسّمى بالعقل فَشَقّه وقَسّمه الى ماهيّةٍ ووجودٍ.

▫ وقوله عليه السلام: **فَاَجْرىٰ فِيهٰا مٰاءً مُتَلاٰطِماً تَيّٰارُهُ، مُتَرٰاكِماً زَخّٰارُهُ**: اشارة الى اجراء احكام الوجود فيه فان شان الماء ان يكون سَيّالا والوجود كذالك ولذالك عبّر عنه به ولمّا كان الوجود مع قطع النّظر عن الموضوعات والماهيّات متلاطماً متراكماً فى شِدّة النورانيّة عبّر عنه بالماء المُتلاطم المُتراكم...

▫ **قوله عليه السلام: عَلىٰ مَتْنِ الرِّيحِ الْعٰاصِفَةِ ،وَالزَّعْزَعِ الْقٰاصِفَةِ الى قوله وَقَرَنَهٰا إِلىٰ حَدِّهِ**: فالغَرَض من كلمة مَتن الريح هو ماهيّة العقل فانّ وجوده عارض لماهيّته وتابع فى الافعال لمحلّه كما هو شان كلّ عارض مع معروضه وقوله عليه السلام **وَقَرَنَهٰا إِلىٰ حَدِّهِ** اى قرنت الماهية الى حدّ الوجود كما هو الحق عند المُحقّقين من الفلاسفة من اصالة الوجود واعتباريّة المهيّات فالماهيّة على التحقيق منتزعة عن حدّ الوجود...

▫ **وقوله عليه السلام: اَلْهَوٰاءُ مِنْ تَحْتِهٰا فَتِيقٌ، وَّ الْمٰاءُ مِنْ فَوْقِهٰا دَفِيقٌ** ـ: اشارة بانّ الفضاء المفروض مُنشَّقٌ من تحت الماهيّة لامن الوجود اذ لولا الماهيّة لم يكن فضاء قطعاً وامّا قوله والماء من فوقها دفيق، فالماء على ما قلنا كناية عن الوجود فالمعنى انّ الوجود من فوق الماهيّة فى شدّة الظُهور والبُروز.

▫ **قوله**عليه السلام: **ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحانَهُ رِيحاً اِعْتَقَمَ مَهَبَّهٰا**، الى قوله فسوّى منه سَبع سَمٰوات يمكن ان يكون اشارة الى تحقّق طبيعة الأفلاك والسّموات التى غير طبيعة العقل وماهيّته والتعّبير عنها بالعُقم لعَلّه لأجل كونها منحصرة فان طبيعه الفَلَك منحصرة فى نوَعه او لاعَقِب لها كما التَزمُوا به فان تلك الطّبيعة لما كانت مأمورة بتصفيق الوُجود وأخذَها للوجود الخاص بها المُعَبّر عنه بالتشخيص فلا جَرَم عَبَّر عنه بالزَبَد فانّ مَنزلة الوجود الى الماهية منزلة الزَبَد من اصل الماء كما لايخفى.

▪ المقصد الثالث

▫ **قوله**عليه السلام: **فَسَوّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ** اى فَسَوّىٰ من الزَبَدّ سَبعَ سَموات والتّعبير بالسَّبع اقتباس من القرآن العظيم حيث قال: ﴿**اللهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ وَّمِنَ الْاَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾[1] والّا فالحصر ليس بحقيقى فى السّبع بل هذه الكلمة تستعمل لِمُجَرّد الكثرة فلا ينافى كون السّموات اَكثر كما ثَبَت فى الفَلَكيّات ولا سيّمَا العصر الحاضر خلافا للقدماء حيث انّهم استخرجوا خرافاتا وهَميّة فى مباحث الافلاك كعدم الخرق والالتيام فيها والأنحصار فى السَّبع و على كلّ حال لا شَكّ فى صَحته) و صحّة سائر الاوصاف الّتى اثبتعليه السلام للسّموات من كونها بغير عَمَدٍ ولادِسارٍ وتزيّنها بزينة الكواكب وضياء الثواقب وكون الاقمار فيها وامثال ذالك ممّا لايحتاج الى تفصيل وبحث، فعلى هذا خلق السَّموات بعد خلق العُقُول...

▪ المقصد الرابع

▫ **قوله**عليه السلام: **ثُمَّ فَتَقَ ما بَيْنَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلىٰ الى آخر...**

اشارة الى خلقة الملائكة الّتى وقَعَت فى مرتبة الثّالثة على قاعدة الامكان

---

١. الطّلاق / ١٢.

الاشرف ولما كانت السَمّوات بالنسبة الى الملائكة كالارض بالنسبة الينا من حيث انّها كالأمكنة لها فلذالك لابدّ من كونها مقدّما وجود اعليهم كما هو شان المكان للجسم فَخَلق السّموات اوّلاً ثمّ وصَلَت النَوبة الى خلق الملائكة كما اشار اليه عليه السلام بقوله: ثُمَّ فَتَقَ الخ، فَخَلقُ الملائكة وقع فى المرتبة الثالثة على هذا الترتيب وفى قوله عليه السلام: ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلٰى، اشارة الى ﴿أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[1] اذا عرفت ذالك فنقول:

- قوله عليه السلام: ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلٰى، اقتباس من ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[2] وقوله عليه السلام فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، اشارة الى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] وامثال ذالك،
- وقوله عليه السلام: وَصَافُّونَ لَايَتَزَايَلُونَ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[4] و قوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً﴾ وقوله عليه السلام مُسَبِّحُونَ لَايَسْأَمُونَ، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارَ وَهُمْ لَايَسْئَمُونَ﴾[5] وقوله عليه السلام ولا فترة الابدان. و ﴿لَايَفْتُرُونَ﴾[6]
- قوله عليه السلام: وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، و ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[7]
- قوله عليه السلام: أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ و ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾[8]
- قوله عليه السلام: وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ و ﴿يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[9] و ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾،[10]
- قوله عليه السلام: وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ، و ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾[11]،
- قوله عليه السلام: وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، كقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ

---

١. الانبياء / ٣٠.
٢. الانبياء / ٣٠.
٣. الرعد / ١٥.
٤. الصافات / ١٦٥.
٥. فصلت / ٣٨.
٦. الانبياء / ٢٠.
٧. الشعراء / ١٩٤.
٨. الفاطر / ١.
٩. الانعام / ٦١.
١٠. الانفطار / ١٠.
١١. الزمر / ٧٣.

رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[1]

▫ قوله عليه السلام: بِأَجْنِحَتِهِمْ كقوله تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾[2].

وامّا الفَتق بالنّسبة الى السّموات فمعناه والله العالم ﴿إِنَّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً﴾[3] اى السّمّاء لاتمطر والأرض لاتنبُت فَفَتق الله السماء بالمَطر والأرض بالنّبات ويُويّده:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْئٍ حَيٍّ﴾[4]

و ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[5]

و ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[6]

و ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً﴾[7]

ويمكن ان يكون فتقهما اشارة الى تشخّصهما فى الوجود الخارجى وتمييز بعضها عن بعض وغير ذالك من الأحتمالات وحيث انجرّ الكلام الى هذا البحث لااشكال فى توجّه البحث الى حالات الملائكة وطبقاتهم اجمالا.

الملائكة على انواع كثيرةٍ ومراتب متفاوتة: منهم المُقَرّبون،

كقوله تعالى: ﴿لَنْ يَّسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَّكُونَ عَبْداً لِّلّٰهِ وَلاَ الْمَلاٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[8]

منهم الحاملون للعرش:

و ﴿اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾[9]

و ﴿يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ الخ﴾[10]

و ﴿الحافّينَ حَول العرش﴾

و ﴿وَتَرَى الْمَلاٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[11] منهم ملائكة العناصر

---

١. الحاقه / ١٧.
٢. الفاطر / ١.
٣. الانبياء / ٣٠.
٤. الانبياء / ٣٠.
٥. القمر / ١١.
٦. الطارق / ١٢.
٧. عبس / ٢٧-٢٥.
٨. النساء / ١٧٢.
٩. غافر / ٧.
١٠. الحاقه / ١٧.
١١. الزمر / ٧٥.

والمركّبات من المَعدن والنّبات والحيوان، ومنهم الكرام الكاتبين

كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾[1] ومنهم ملائكة الجَنة وخَزَنتها كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[2] ومنهم ملائكة النّار، كقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ وَشِدَادٌ﴾[3] اعاذنا الله منها بحّق محمّدٍ وآله.

وامّا البحث عن كَيفّية الملائكة وحقيقتها فخارج عن طور هذا الكتاب الّا انّا نذكر منه طرفاً ليتّم المقصود تبعا للشارح المُحّقق البحرانى قده قال اتّفق الكلّ على انّ الملائكة ليست عبارةً عن اشخاصٍ جِسمانيّة كثيفة تجثى وتذهب كالناس والبهائم بل القول المُحَصّل منها قولان:

الاوّل: قول المتكّلمين انّها اجسام نُورانيّة اِلَهيّة خَيّرة سَعِيدة قادرة على التَّصَرُّفات اِلسَّرَيعةٍ والأفعال الشّاقة ذوات عقولٍ وافهامٍ وبعضها اقرَب عندالله من البعَض واكَمَل درجة كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[4] والقول **الثانى** قول غيرهم وهى انّها ليست باجسام لكن منها ما هو مُجّرّد عن الجِسمّيّة وتدبير الاجسام ومنها مَن له الأمر، الأوّل دون الثانى ومنها من ليسَ بمجرّد بل جِسمّانى حالّ فى الأجسام وقائمٌ بها ثمّ فصَّلَ القول فيها بما لامزيد عليه ان شئت فراجع شرحه، قال شّارح المقاصد:

ظاهر الكتاب والسّنة وهو قوله اكثر الامّة انّ الملائكة اجَسام لَطيفة نُوُرانية قادرة على التَشَكّلات باشكالٍ مختلفةٍ كاملةٍ فى العِلم والقُدرة، على الأفعال الشّاقة شأنها الطّاعة ومَسكَنها السَّمَوات هم رُسُل الله تعالى الى انبيائه وأُمنَائه على وَحيه ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَايَفْتُرُونَ﴾[5]

و ﴿وَلَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[6] ثم قال: والملائكة عند الفلاسفة: هم العُقوُل المُجّردة والنُفوس الفَلكيّة ويخَتّص

---

١. الانفطار / ١١-١٠.
٢. الزمر / ٧٣.
٣. التحريم / ٦.
٤. الصافات / ١٦٤.
٥. الانبياء / ٢٠.
٦. التحريم / ٦.

بأسم الكَرّوبيّن مالاتكون لهم (له) علاقة بالأجسام ولو بالتّاثير وذهب اصحاب الطِلسّمات الى انّ لكلّ ملكٍ رُوحاً كليّاً يدُبّر اَمره ويَتَشَعبّ منه ارواح كثيرة انتهى.

اقول: الحق انّ الملائكة اجسام لطيفة نورانيّة اولي اجنَحةٍ مَثنىٰ وثلث ورباع او اكثر قادرين على التَشَكّل باشكالٍ مُختلفة وانّه سبحانه يوُرد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال والصُوَر على حَسَب الحِكَم والمَصالح ولهم حَرَكات صُعوداً وهبوُطاً وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء، فالقول بتَجرُدّهم وتاوُيلهم بالنُفوس الفَلكيّة والعُقول والقُوى والطّبايع كما ذهب اليه جمع من علماء الفلاسفة ليس على ماينبغى، هذا خلاصة ما اردنا ايراده فى المقام فى شرح هذه الخطبة الشريفة مع رعاية الاختصار فانّ التحقيق فى كيّفية خلق السّموات والملائكة وغيرها ونقل الاقوال فيها ليس من شان هذا الكتاب ولنختم الكلام فى شرحها فعلاً، ولعلّ الله يحدث بعد ذالك امرا.

والحمد لله ربّ العالمين.

«ومن هذه خطبةٍ له عليه السلام فى صِفة خلق آدم عليه السلام»

▫ **قوله عليه السلام: ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ مَنْ حَزْنِ الْاَرْضِ وَ سَهْلِها، وَعَذْبِها وَ سَبْخِها ،تُرْبَةً سَنَّها بَالْماءِ حَتّىٰ خَلَصَتْ، وَ لاٰطَها بِالْبِلَّةِ حَتّىٰ لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْها صُورَةً ذاتَ اَحْناءٍ وَ وُصُولٍ، وَاَعْضاءٍ وَفُصُولٍ، اَجْمَدَها حَتّىٰ اسْتَمْسَكَتْ، وَاَصْلَدَها حَتّىٰ صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَّعْدُودٍ وَاَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ، فَمَثُلَتْ اِنْساناً ذا اَذْهانٍ يُجِيلُها، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِها، وَجَوارِحَ يَخْتَدِمُها، وَاَدَواتٍ يُقَلِّبُها، وَمَعْرِفَةٍ يَّفْرُقُ بِها بَيْنَ الْحَقّ وَالْباطِلِ وَالْاَذْواقِ وَالْمَشامِ وَالْاَلْوانِ وَالْاَجْناسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْاَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْاَشْباهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْاَضْدادِ الْمُتَعارِيَةِ، وَالْاَخْلاطِ الْمُتَبايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبِلَّةِ وَالْجُمُودِ والمسائة و السّرور ـ متن...**

◁ اللّغة

(**الحَزْنِ**) بالحاء المهملة المفْتوحة وسكون الزاء والنون الشيئى الغليظ المُحَكم والسّهل بخلافه، (**عَذْبَ**) مصدر ما طاب (**والسَبْخ**) الملح (**سَنَّهٰا**) المُسنْون الطّين الرّطب او المُتّغير على قولٍ (**الصّلصال**) الطّين اليابس او المُنتن، (**لَزَبَتْ**) اللاّزّب اللّاصق، (**الاَحْنٰاءِ**) جمع حَنو وهى الجانب (**وُصُول**) جمع كثرة للوصل وهى المفاصل وجمع القلّة اوصال، (**الاَعْضٰاءِ**) جمع عضو كاليد والرّجل وغيرهما (**اَصْلَدهٰا**) اى جعلها صَلداً وهى الصّلبة الملساء (**الذِهّن**) الحفظ والفِطنته وفى الأصطلاح القوى المُدركة من العقل والحسّ الباطن، (**وَفِكْر**) بكسر الفاء وفَتح الكاف وسُكون الرّاء جمع فكرة وهى قوّة للّنفس، وباقى اللّغات ظاهر.

◁ الشّرح

من هذه الخُطبة الشّريفة ما اوَرَدهعليه السلام فى بيان كيّفية خَلق آدمعليه السلام وسُجود الملائكة له ومعصية آدم فى الجنّة وهُبوطه الى الأرض وعلّة بعثة الأنبياء وسائر الاصول المذكورة وهى من امّهات المسائل اذبها يُعرَف الانسان الّذى مدار الكلّ عليه فلامحالة يقع البحث فيها فى جهات عديدة

الجهة الاولى: فى شرح قولهعليه السلام **ثُمَّ جَمَعَ سُبْحٰانَهُ مِنْ حَزْنِ الْاَرْضِ** الى قوله **ثُمَّ نَفَخَ فِيهٰا**، وهذه الجهة تتعلّق بكيفيّة خَلق جَسْده العنُصرى المُلكى.

الجهة الثّانية: من قولهعليه السلام: **ثُمَّ نَفَخَ فِيهٰا** الى قوله واستأدى اليه وهذه الجهة تتعلق بكَيفية نَفخ الروّح فيه.

الجهة الثّالثة: فى شرح قوله واَستأدْىٰ الله الى قوله ثم اسكَن تبارك وتعالى آدم وفيها يبُحْث عن سجُودها له وكيفية الجَنّة وخروجه عنها.

الجهة الرّابعة: فى شرح قوله: ثم اَسكَن الى قوله واصَطفىٰ سُبحانه من ولده وفيها يبْحَث عن الجَنّه و خروجه عنها.

الجهة الخامسة فی شرح قوله واصطفی الی قوله الی ان بعَثَ الله سبحانه مُحمّداً وفیه یبحث عن النّبوة العامة.

الجهة السادسة فی شرح قوله الی ان بعث الی قوله ثم اختار سبحانه وفیها یبحث عن النّبوة الخاصة.

الجهة السابعة: فی شرح قوله ثم اختار لِمُحمّدﷺ لقائه الی آخر الخطبة وفیها یبُحَث عن لزوم الأمام وما یتعلق به قولهؑ ثمّ جمَعَ تبارك وتعالی من حَزن الارض وسَبخِها تربةْ سَنّها بالماء حتّی خَلَصت الی قوله **ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا**، اقول: هذه هی **الجَهَة الأولی**: فی المقام وقبل الخوض فی البحث نذکر مقدّمة لتوضیح المقال فنقول: لاشك انّ الأنسان مرُکّب من جَسَدٍ عنُصری ورُوحٍ ملکُوتیٍ ولا شك ایضاً فی انّ حسده من هذا العالم لانّ مادته اخذْت من الأرض قال الله تعالی: ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾[1]

ولا شبهة ایضاً فی انّ الرّوح لیس من هذا العالم بل هو جوهر مَلکُوتی مجرّد فی حدّ نفسه کما سنبیّنه انشاء تعالی فالبدَن العنُصری بمنزلة المَرکَب والمَحلّ للروح وتَعلّقُ الروَح به فی دار الدّنیا یکون تدَبیّریاً وهو تحتاج فی استکماله الی البدن فلامحالة یکون ایجاد البدن فی هذا العالم مُقدّماً علی ایجاد الرّوح فیه وتعَلّقها به ولاجل ذالك قدّمؑ کیفیة خلق الأبدان علی تعَلّق الرّوح الیها فقالؑ **ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ** الخ ما قال...

ونحن نشرح اوّلا عبارات الخطبة علی ظاهرها طِبقا للآیات والرّوایات ثم نعقّبه بما قیل فیها فنقول: المعنی: ثمّ انّ الله تعالی بعد خَلق السَمّوات والارض والملائکة وغیرها خَلَق جَسَداً الآدمؑ وکیفیّة خلقِ جَسَده ان اَخَذ من مُحکَم الأرض وملائمها وما طاب منها من کلّ واحد مقدارا مُعیّناً من التُّراب واَختَلطها بالماء حتّی صارت طینةً خالصة ولاَطها بالبلّة حتّی لَزبت والتّصَفت فخلق منها صورةً ذات جوانب ومفاصل ثم اَجمَدها واَصْلَدها حَتّی یَبُسَت لوقت معلوم

---

۱. طه / ۵۵.

وآجل مَمدُود.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] اعلم انّه لاشك ولا شُبهة بين المـلل والمـذاهب فـى انّ آدمعليه السلام ابُوالبَشَر خَلق الله تبارك وتعالى جَسده العُنصرى من التّـراب ولذالك سُـمّى بآدم لانّه خلق من اَدَيم والأرض.

ففى خبر ابن سلام انّه سُئل النبىصلى الله عليه وآله عن آدم لِم سُمّى آدم؟ قـالصلى الله عليه وآله لانّه خُلِق من طين الأرض واَديمها قال فآدم خلق من الطين كلّه او من طـين واحدٍ، قالصلى الله عليه وآله: بل من الطين كلّه ولو خُلَق من طينٍ واحد لما عـرف النـاس بعضهم بعضا وكانوا على صورةٍ واحدة، قال فلهم فى الدنيا مثل قالصلى الله عليه وآله التّراب فيه اَبيَض وفيه اَخضَر وفيه اَشقَر، وفيه اَغبَر وفيه اَرزَق وفيه عَـذب وفيه مِلح وفيه خَشِن وفيه لِين وفيه اَصهب ولذالك صار النـاس فـيهم لـين وفيهم خشن وفيهم ابيض وفيهم اصفر، وفيهم احمَر واسوَد واَصهَب عـلى اَلوانِ التُّراب انتهى موضع الحاجة منه[2].

وفيه ايضاً عن الكلينى قده عنه: قال اَتىٰ يهودّى اميرالمـؤمنين فـقال لِـمَ سُمّى آدم آدم وحَوّا حوّا قالعليه السلام انّـما سـمّى آدم آدم لانّـه خـلق مـن اديـم الأرض وذالك انّ الله تبارك وتعالى بعْث جبرئيل وامَرَه ان يأتـيه مـن اَديـم الارض باربع طتينات طتينة بيضاء وطتينة حَمراء وطـتينة غـبراء وطِـتينة سوداء وذالك من سَهلها وحَزنها ثم اَمرَه ان يأتيه بأَربع مياه ماءٌ عذَب وماءٌ مِلح وماء مُرّ وماء مُنتن ثم اَمرَه ان يَفرَغ الماء فى الطّين وادمه الله بيده فـلم يفضل شيئى من الطْين يحتاج الى الماء ولا من الماء شيى يحتاج الى الطّـين فجعل الماء العذب فى حَلقه وجعل الماء المالح فى عَينَيه وجعل الماء المُرّ فى اُذنَيه وجعل الماء المُنتِن فى اَنفه وانّما سُميّت حَـوّا حـوّا لانّـها خـلقت مـن

---

١. البقرة / ٣٠.

٢. بحارالانوار، ج ٥، ص ٢٧، ط كمپانى.

الحَيوان الخبر[1].

وفيه ايضاً بسنده المتّصل عن الصادق عليه السلام قال: انّ القبضة الّتى قَبَضها الله عز وجل من الطّين الّذى خُلق منه آدم اى ارسل اليها جبرئيل ان ياخذها فقالت الارض اعوذ بالله ان تاخذ منّى شيئاً فرجع الى ربّه فقال يا رب تعوّذَت بك منّى فارسل اليها اسرافيل فقالت مثل ذالك فارسل اليها ميكائيل، فقالت مثل ذالك فارسل اليها ملك المَوت فَتَّعوذت بالله ان ياخذ منه شيئاً فقال ملَك المَوت وانا اعوذ بالله ان ارجع حتّى اَقبض منك وانّما سُمّى آدم لانّه خلق من اَديم الارض.[2]

فقوله عليه السلام: ثُمَّ جَمَعَ سُبْحانَهُ الى قوله لوقت معدود اشارة الى كيفية تركيب جسد آدم واليه اشار الله تبارك وتعالى فى كتابه حيث قال: ﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ﴾[3] كما قال: وَاَصْلَدَها حَتّى صَلْصَلَتْ

واما قوله عليه السلام: لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَاَجَلٍ مَعْلُومٍ اشارة الى انّ جسده بعد التّسوية مدّة معيّنة كانت مُعطّلة على وجه الأرض لمصلحةٍ لايعلمها الّا هو ثَمَ نَفَخَ فِيه ويدلّ عليه ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾[4] وتقرير الأستدلال انّ مفهوم الأية يدلّ على انّ التسوِيَة قبلى نفع الرّوح فى الجَسَد كانت غير صالحة بوجوب السَّجدُ السّجدة بالنِسبة الى الملائكة بل الَشّرط فى تَعلُّق الأمر هو النَفَخ وهذا يدلّ على تأخير الَنفّخ عنها اذ لو كانا متقاربين لم يكن لقوله ونفختُ محلاً للذّكر...

واما الرواية فقد روى عن عبد العظيم الحسنى انّه قال كتبت الى ابى جعفر الثانى اسئله عن علّة الغائط ونَتنه قال عليه السلام انّ الله عز وجل خلق آدم وكان جَسَده طيباً وبقى اربعين سَنَة ملقى تَمُرّ به الملائكة فنقول لأمرٍ مُاخلقت وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دُبُره فلذالك صار ما فى جوف آدم

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٢٧، ط كمپانى.
٢. بحارالانوار، ص ٢٧، ج ٥.
٣. الحجر / ٢٦.
٤. الحجر / ٢٩.

خبثياً غير طيبٍ[1] وايضاً روى عن الصادق عليه السلام انّه قال: كانت الملائكة تمرّ بآدم اى بصورته وهو مُلقى فى الجَنّة من طين فتقول لأمرٍ ما خلقت[2] وهذا معنى قوله عليه السلام لوقت مَعدُود واَجَل ممَدُودٍ.

الجَهَة الثانية: فى البحث عن نَفخَ الرُّوح فِيه، قوله عليه السلام: **ثُمَّ نَفَخَ فِيهْا مِن رُوحِهِ، فَمَثُلَتْ اِنْساناً ذا اَذْهانٍ يُّجِيلُها**: اشارة الى **﴿فَإِذَا سَوَّيتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى الآيه﴾**[3] والبحث فيه يقع فى جهات:

الاوّل: اَنَّ شَرف الأنسان بالرُّوح لا بالجَسَد والدّليل عليه انّ الله تبارك وتعالى امر الملائكة بالسُّجدةِ له عليه السلام بعد نفْخ الرُّوح فى جَسَده وذالك ادّل دليل على انّ الرّوح لو لم يَتَعلّق بالجَسد لم يكن الجَسَد لائقاً لسَجَدتهم، ولأجل ذالك قبل النّفخ لم يكونوا مامورين بها وهو ظاهر...

الثانى: انّ شرف الرُّوح بسبب انتسابه اِلى الله تعالى وهذا اعنى انتساب الرّوح الى نفسه يدلّ على شرافته اوّلاً وشرَف الأنسان ثانياً، حيث نفخ فيه من روح الّذى منسوب اليه تعالى وهذا ايضاً ظاهر.

الثالث: انّ حياة الانسان بسبب الرُّوح وذالك لانّ الجَسَد قبل نفَخ الرّوح فيه لم يكن حَيّاً بل كان مُلقِى على وجه الأرض فى الجنّة ومعلوم انّ ما كان سبباً لحيٰوة الأنسان اعَلى واَشرَف، اذا عرفت انّ شرف الانسان بالرّوح لاغير فلابدّ من البحث عن حقيقة الرّوح فنقول: قال فى المُنجد الرُّوح ما به حياة الأنفس، وقال الرّاغب فى مفرداته الرّوح واحد فى الاصل وجعل الرّوح اسماء للنّفس كما قال الشاعر:

فـقلت له اَرفَعها اليك واَحيها بروُحك واَجعَلها لها فيئَه قدراً

ثم قال وذالك لكون النّفس بعض الرّوح كتَسَمية اَلنّوع باسم الجنس، نحو تسمية الأنسان بالحيوان وجْعل اسماًء للجزء الّذى به تَحْصل الحياة، والتّحرك

---

١. بحار الانوار، ص ٢٩، ج ٥.
٢. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣٠.
٣. الحجر / ٢٩.

واستجلاب المنافع واستدفاع المضّار وهو المذكور فى

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبّي[1]﴾

و ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي[2]﴾

واضافته الى نفسه اضافة ملكٍ وتخصيصه بالاضافة تشريفاً له وتعظيماً كقوله: وطهّر بيتى، ويا عبادى، وسمّى اشراف الملائكة ارواحا

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقومُ الرُّوحَ وَالْمَلائِكَةَ صَفّاً﴾[3]

و ﴿تَعْرَجَ الْمَلائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾[4]

و ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾[5].

اقول: لاخلاف ظاهراً بين الفلاسفة فيِ اصل وجود الرّوح كما نطق به القرآن وانّما الخلاف فى ماهيّته وحقيقته هل هو النفّس او غيرها...

امّا الاوّل: اعنى العلم بحقيقته وبعبارة اخرى مطلب ما الحقيقّة دون الشّارحة فلم يتسيّر لأحدٍ من البَشَر كيف والقرآن نصّ على ذالك حيث قال: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي﴾[6] فما قالوا فيه او يقال كلّ ذالك تعاريف لفظيّة وبيان مالشّارحة سواء كان عين النّفس او غيرها وحيث عبّرعليه السلام فى المقام بالرّوح تبعا لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبّي﴾

وقوله فاذا نفَخْت فيه من روُحى فنحن ايضاً نتكلّم شطراً فى بيان المراد منه وما قيل فيه وخلاصة كلامهم فى الرّوح يَدُور على طريقين استدلالى نظَرى وذوقّى وجدَانى.

امّا المُستدّلون على اثبات تَجّرد الرّوح هم الّذين قالوا باتّحاد الرّوح والنّفس النّاطقة الأنسانّية والفرق بينهما بالأعتبار لابحسب الماهية، كاكثر الفلاسفة المشّائين فانّهم لم يُفرّقوا بين الرّوح والنّفس كما هو ظاهر ونحن

---

١. الاسراء / ٨٥.
٢. ص / ٧٢.
٣. الالنباء / ٣٨.
٤. المعارج / ٤.
٥. الشعراء / ١٩٣.
٦. الاسراء / ٨٥.

ايضاً نقول به وسَنَتكلّم فيه وامّا اهل الذّوق والكَشف فمقالاتهم فيه مختلفة بحسب اختلافات كَشْفياتهم ونشير الى بعضٍ منها: قال الجنيد: الرّوح شيى استَاثَره الله بِعلمه ولا يجوز العبارة عنه باكثر من موجودٍ انتهى.

اقول: ولَعلّه اراد كونه وجوداً صرفاً كسائر الهويّات البسيطة العُقلّية الّتى هى اِنيّات مَحضَة متفاوتة بالأَشَدّ والأضعَف ولَيست لها ماهيات مُتقوّمة من جنسٍ وفصلٍ، قال ابو يزيد البسطامى طلَبْت ذاتى فى الكَونَين فما وجدتها انتهى، وغرضه انّ ذاته فوق عالم الطّبيعة وعالم المثال فلا محالة يكون من المفارقات العقَليّة، وقال ايضاً اَنسَلختُ من جِلدى فرأيتُ مَن اَنا انتهى فيكون البدنِ قِشراً وجِلداً فَهُويّة الأنسان غير جَسده، وَقال ايضاً لو انّ العَرش وما حَواه وقَعَت فى زاوية من زوايا قلب ابى يزيد لمّا اَحَسّ بها ومن المعلوم انّ السّعة بهذا المعنى ليست لِلبَدن والجسم، وقال ابن عطا خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالى: **﴿ولقد خَلَقناكم﴾** (يعنى الأرواح) ثمّ صَوّرنا كم انتهى، قال بعض آخر: الرّوح لطيف قائم فى كَثيفٍ انتهى.

وَ قال آخر: الرّوح عبارة والقائم بالأشياء هو الحىّ انتهى، وهذا يدلّ على انّ الرّوح حَىٌّ بذاته لابحياة الجسم.

وقال بعض المُفسّرين: فى تفسير **﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبّى﴾**[1] امره كلامه فصار الحَىّ حَيّاً بقوله كُن حيّاً فعلى هذا لايكون الرّوح فى الجسد ثمّ انّ اهل الشّريعة اختلفوا فى معنى الرُّوح الّذى سُئِل عنه رسول الله ﷺ فى **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوح الخ﴾**، ومَنشاء اختلافهم هو انّ كلمة (من) فى الآية ان كانت تبعيّضية اى الرّوح من جملة امر ربى فيكون قديماً بقدم امَره غير خارج من اَمره الّذى (كُن) وان كانت نَشأئية فيكون حادثاً لانّ المعنى ح انّ الروح ناشٍ من عالَم ربّى فيكون خارجاً من امره (كُن) داخلافى (فيكون).

ويمكن ان يكون منشَاء الأختلاف هو كون كلام الله قَديماً او حادثاً، وهذا

---

١. الاسراء / ٨٥.

الأختلاف بعينه واقع بين الفلاسفة ايضاً كما سياتى فى مسئلة حدوث النفس ان شاء الله تعالى.

وقال بعضهم: انّ الروح هو جبرئيل، ويشَبَه هذا القول ما روى عن علىعليه السلام انّ الرّوح مَلَك من ملائكة الله له سَبْعون الف وجه...

وقال ابن عباس: انّ الرّوح خَلْق من خلق الله صَوَرهم على صُور بنى آدم وما نزل من السَّماء مَلَك الّا ومَعَه واحد من الرّوح، وقال ابو صالح: الرّوح كَهَيئة الانسان وَلَيسُو بناس، وقال مجاهد: الرّوح على صُور بنى آدم لهم أيدٍ وأرجُل ورؤس يأكُلون الطَّعام وليَسوُا بملائكة.

اقول: لايخفى انّ اثبات الأعضاء له فى هذا القول ونظائره ليس اثبات الاعضاء الجسمانية بل المقصود اعضاء الرّوحانيّة وقُوَى مَعْنوية كما يليق بلطافة الرّوح وهذا نظير ما قاله ارسطو من انّ الانسان الحسّى انّما هو صُنَم لِلأنسان العقلى والانسان العقلى رُوحانّى وجميع اعضائه رُوحانيّة انتهى...

وقال سعيد ابن جبير لمَ يَخلق الله خَلقاً اعظَم من الرّوح غير العرش ولو شاء ان يبلغ السّموات السَّبع والأرضين السّبع فى لقمةٍ لفعل صَوَّره وخَلقَه على صورة الملائكة وصُورة وجهه على صوُرة الآدميّين يقوم يوم القيمة عن يمين العرش والملائكة معه فى صَفٍ واحدٍ وهو مِمَّن يشَفَع لاهل التوحيد ولولا انّ بَينه وبَين السّموات سَتراً من نوُر لأحترق اهل السَّموات من نوره انتهى.

وقال بعض العرفاء: الرُّوح لَم يخرج من (كُن) لانّه لو خرج منه كان عليه الذّل قيل فَمِن ايّ شيئٍ خَرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه بملاحظة الاشارة خَصّها بسلامهٍ وحَيّاها بكلامه فهى معتقة من ذُلّ كُن.

اقول: غرضه انّه ليس من الموجودات الكائنة الفاسدة الطَّبيعية فانّ كلّ كائنٍ فاسدٍ كما ثبت فى محلّه.

وقال بعضهم: الرّوح لطيفة من الله الى اماكن معروفة لايُعَبّر عنه باكثر من

موجود بايجادٍ غيره انتهى، وسئل ابو سعيد الخرّاز، عن الرّوح اهى مخلوقة؟ قال: نعم لولا ذالك ما اقرّت بالرُّبوبيّة حيث قال بلىٰ ثُم قال والرّوح هى الّتى قام بها البدن واستحقّ بها اسم الحَيوة وبالرُّوح ثبت العقل وبها قامت الحُجّة ولو لم يكن الرّوح كان العقل مُعَطّلاً لاحجّةً عليه ولاله انتهى...

وقال بعضهم: انّ الرّوح جوهر مخلوق ولكنه الطَف المخلوقات واذا حجبت الرُّوح عن مراعات السِّر اسائت الجوارح الأدب وقال بعضٌ الدّنيا والاخرة سواء عند الرّوح، وقال بعض آخر: الأرواح تجول من البَرزَخ، وتبصر احوال الدنيا والملائكة يتَحدّثون فى السّماء من احوال الآدميّين فارواحٌ تحت العرش وارواحٌ طّيارة الى الجنان والى حيث شائت على اقدارهم من السّعى الى الله ايّام الحَيوة انتهى، وفى المقام اقوال آخر وفيما ذكرناه كفاية لأولى الابصار.

اذا عرفت انّ الرّوح موجود بايّ معنى كان فلابدّ من ان تعلم انّه مجرد عن المادّة فالبحث يقع فى مقامين: الاوّل: اثبات تُجّرد الرُّوح عقلاً ونقلاً الثانى: انّه هل وجد قبل البدن او مَعَه او بَعده.

اما المقام الاوّل: اعنى تَجّرد الرّوح فَظاهراً لاخلاف بين الفلاسفة والمُتّشرعة فى تَجُرّده ونحن نكتفى بذكر اقلّ ما يمكن به اثبات المُدّعىٰ، من الدلائل العقليّة والنّقلية.

امّا الدليل العقلى على اثبات تَجّرد الرّوح: الاوّل انّا ندرك ذواتنا فدواتنا حاضرة لدى اداراكنا ولا شك فى كون الذّوات معقولة بالذّوات بالذّات، وكل معقولٍ بالذّات وجوده عين وجود المدرك بنا على اتحاد العاقل والمعقول كما ثَبَت فى محلّه فوجود المُدرَك عين وجود المُدرِك فاذن ذاتنا حاضرةٌ لذاتنا بمعنى انّه ليس موجوداً للّمادة وكل مادّيٍ موجود للمادة فنفوسنا ليست مادّية وهو المطلوب.

الثانى: انّا نعقل الصُّور المُختلفة والصُّور المُشتركه العَقليّة بين كثيرين مثلا

انّا نعقّل الانسان الكلّى الّذى يصدق على افراد كثيرة وكلّ ما يصدق على افراد كثيرة لابدّ من انخلاعه عن المادّة ولواحقها اذ هى مانعة من السّريان ومعلوم انّ هذه الصّورة المجرّدة عن المادة ولواحقها موجودة عند النّفس كما ثبت فى مبحث الوجود الذّهنى فلا محالة محلّها الّذى تقوم الصّورة به لابدّ من ان يكون مُجّرداً حتّى يَصلَح للمَحَليّة اذ لو كان غير مجرّدٍ فلابدّ من كونه ذا وضعٍ واينٍ ومقدارٍ معيّنٍ وكلّ واحدٍ منها يمنع الأشتراك وهذا خلف.

الثالث: انّ افعال النّفس غير متناهية ولا شيئى من الجِسّمانيات يقوى على افعال غير متناهية فالنّفس ليست بجسمانية بل هى مُجّردة وهذا واضح لايحتاج الى البيان.

الرابع: انّ النّفس فى فعلها غَنيّه عن المَحلّ وكلّ ما هو كذالك، فهو مجرّد فالنّفس مُجرّدة وهذا ايضاً ظاهر ولوضوح المُدغّى اعنى تجرد النّفس لانحتاج الى اطالة الكلام فهذا المقدار من الدلائل العَقليّة يكفى فى المقام وتفصيل الكلام فى الكتب الفلسفّة مع ما ذكروه من النّقض والأبرام، فمن شاء فليراجع اليها هذا كلّه بناء على انّ الرّوح والنّفس واحد والفرق بينهما بالاعتبار كما هو الحقّ فى المسئلة.

امّا الدلائل النقليّة فكثيرة ايضاً نشير الى طرف منها: روى الشّيخ ابو جعفر محمّد ابن الحسن الطوسى قده على ما نقل عنه انّه سال ابو بصير عن ابى عبدالله جعفر ابن محمّد الصادق عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال فى الجنة على صور ابدانهم لو رايته لقلت فلان.

وعن الكلينى قده عن الصادق عليه السلام انّ الارواح فى صفة الاجساد فى شجر فى الجنّة تتعارف وتتسائل الخبر، وايضاً فى الكافى عنه عليه السلام انّ ارواح المؤمنين فى حُجرات فى الجنّة يأكُلون من طعامها ويشربُون من شرابها يقولون ربّنا اقم لنا السّاعة واَنجز لنا ما وَعَدتَنا والحَق آخَرنا باوّلنا.

وروى فى التهذيب عن الصّادق عليه السلام انّه قال ليونس ابن ظبيان ما يقول

النّاس فی ارواح المؤمنین فقال یونس یقولون فی حواصل طَیرٍ خُضر فی قنادیل تحت العرش فقال﵇ سبحان الله المُؤمِن اکرَم علی الله، من ذالك ان یجعل روحه فی حوصلة طائراً خَضَریا یونس اَلمُومِن اذا قبضه الله تعالی سیّر روحه فی قالب کقالب الدّنیاً (کقالبه فی الدّنیا) فیأکُلون ویَشربون فاذا قَدم علیهم القادم عَرفوه بتلك الصُّورة الّتی کانت فی الدّنیا هذا

اقوُل: والاخبار الْمرّویّة عن الائمّة المعصومین فی هذا الباب کثیرة، والّذی یحصل لنا من مَجمُوعها هو التّجرد عن المادّة وهذا ممّا حکم به العقل والشّرع ومن هذا القبَیل ایضاً قولهﷺ خُلِقتُم للبقاء لاللفناء، فظهر ممّا ذکرنا کلّه انّ الرّوح والنّفس النّاطقة الأنسانیّة واحد لافرق بینهما الّا بالاعتبار فهی مُجَردة عن المادة ولیس بینها وبین البدن علاقة ذاتا الّا علاقة اَلتدّبیر وامّا المقام الثانی: وهو انّ الرّوح خلق قبل البدن او معه او بعده.

فخلاصة الکلام فیه هو انّ الفلاسفة اکثرهم قائلون بانّه جسمانّیة الحدوث ورُوحانیّة البقاء ومفهوم هذا الکلام عدم تقدّم الأرواح علی الاجساد بل الأرواح تحدث بحدوث الأجسام الّا انّها تبقی بعد فناء الجسم، والی هذا اشار السبزواری قده فی منظومته حیث قال:

النفس فی الحُدوث جسمانیّة وفی البقاء تکون رُوحانیّة

فعلیه النّفس مُجَردةٌ لامطلقا بل بالنَّظَر الی البقاء فقط وامّا بالنّظر الی الحدوث فغیر مجرّدٍ ومن الفلاسفة من انکر هذا والاقوال فیها مختلفة متکثرة مذکورة فی محلّها والمشهور هو الاوّل.

والّذی یظهر من الرّوایات خلاف ذالك وهو انّ الارواح خلقت قبل خلق الاجساد کقولهﷺ خلق الله الأرواح قبل الاجساد بالفی عام، ویؤیّده ثبوت عالم الذّر حیث قال الله تبارك وتعالی فی کتابه حاکیاً عنه: الست بربّکم قالوا بلی، وهذه الآیة والرّوایات المأثورة کلّها تدلّ علی سبق الأرواح علی الاجساد ولتفصیل الکلام مقام آخر، اذا عرفت هذا فقوله﵇ **ثُمَّ نَفَخَ فِیهْا مَن رُّوحِهِ**

اشارة الى انّ الانسان لم يكن انساناً قبل نفخ الرّوح فيه والى هذه الدقيقة اشار بقوله فمثلت انساناً، ومنه يستنبط: انّ انسانيّة الانسان ليست الّا بسبب ارتباطها بالمَبدء وذالك لانّ الرّوح الّذى نسبه الله تعالى الى نفسه ليس الّا ربط الحادث بالقديم وانّ الانسان لايكون انساناً الّا بهذه الجهة.

وامّا قوله عليه السلام: **ذٰا اَذْهٰانٍ يُّجِيلُهٰا**: اشارة الى انّ الانسان بعد ما صار انساناً اتّصف بكونه ذاذهنٍ الّذى بحسب اللّغة عباره عن الفِطنة والحفظ وبالنظر الى الاصطلاح عبارة عن القوى المُدركة من العقل والحسّ الباطن لست اقول انّ الانسان بعد كونه انساناً يصير ذا ذهنٍ بمعنى التّقدم والتّاخر بل اقول انّ الانسان لايخلو عنه كما لايخلو عن الفكر كما قال عليه السلام:

قوله: **وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهٰا**: فانّ الفكر بكسر الفاء وفتح الكاف وسكون الراء جمع فكرة بسكون الكاف وهى قوّة للنّفس بها تحصل الأدراكات العقليّة قال الراغب فى المفردات:

الفِكرة: قوّة مطرقة للعلم الى المعلوم والتّفكّر جوَلاَن تلك القُوّة بحسب نظر العقل وذالك للأنسان دون الحيوان ولا يقال الّا فيما يمكن ان تحصل له صوّرة فى القلب ولهذا روى (تفكّروا فى آلاء الله ولا تفكّروا فى الله) اذ كان الله منزّهاً ان يوصف بصورة، وفى اصطلاح الفلاسفة الفكر حركة من المطالب الَتصّوريّة والتَصدّيقية الى المبادى ومنها الى المقصود وان شئت قلت ترتيب امور معلومة لتحصيل امر مجهول كما قال السبزوارى قده:

الفِكر حَركةٌ الى المبادى ومن مبادى الى المراد

وعلى كلّ حال هو احدى قُوى الرّوح وفائدته التّصرف فى الأمور المجهولة الّتى تنكشف بسبب الامور المعلومة.

▫ **قوله عليه السلام: وَجَوٰارِحَ يَخْتَدِمُهٰا**: والمقصود من الجَوارح الأعضاء البَدنيّة من اليَد والرِّجل وغيرهما ولا شك انّها خادمة للرّوح فكلّ فعل من افعال الرّوح يتوقّف وجوده الخارجى على هذه الجوارح فهو: بمنزلة الْسّلْطان فى البدن

والاعضاء والجوارح كالجيش له فكما انّ السلطان اذا لم تكن له افراد من اركان دولته وجيش ينفذون اوامره لايقدر على شيئى بانفراده فكذالك الرّوح اذا لم تكن له جوارح واعضاء فى مملكة بدنه لايقدر على ايجاد فعل من الافعال فى عالم الخارج، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[1] وقوله عليه السلام: وَأَدَوَاتٍ تُقَلِّبُهَا.

الادواة: جمع اداة، واصلها الواو ولذالك ردّت فى الجمع والأداة بالفتح بمعنى الآلة وهذه هى الصّفة الرابعة التى أثبتها عليه السلام للجوارح، والفرق بين الجوارح والأدَوَات هو انّ الجوارح تطلق على الاعضاء الكاسبة او الّتى تجرح بخلاف الادوات فانّها بمعنى مطلق الآلات والأسباب فهى اعمّ من الجوارح فالأدَوَات يطلق على الجوارح وعلى الاسباب الخارجة عن الجُسْد فانّ الانسان متى شاء ان يوجد فى الخارج فعلاً من الافعال فقد يحتاج الى الاسباب الخارجية كالنجّار حيث يحتاج الى القُدوم والمِنشار وسائر الآلات ليصنع سريراً او كرسيّاً وغير ذالك وعلى اى تقدير غرَضه عليه السلام انّ الانسان كما يحتاج فى فعله الى الجَوارح المربوطة كذالك قد يحتأج الى الادوات، والاسباب خارجية كانت او غيرها.

▫ قوله عليه السلام: وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: وهذه ايضاً احدى الخواص له بعد تَعلّق الرّوح بالبدَن وهى اهمّ من اللّاتى مرّتْ ذكرها بل الخواص الأربعة المذكورة بالنسبة الى المعرفة كالمُقدّمات كيف وهى العلّة الغائية مِن الخلقة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]

و قوله تعالى فى حديث القدسى: كُنْت كَنزاً مُخفّياً فاَحبَبتُ ان أُعرَف فخلقتُ الخَلَق لِكَى أُعَرف...

والمعرفة فى الجملة المَبحُوثة عنها وان كانت ظاهرة فى الفرق بين الحق والباطل لامعرفة الله تعالى الّا ان معرفته تعالى تتوقّف عليها فاذا لم يقدر

---

١. المائدة / ٤.

٢. الذاريات / ٥٦.

الانسان على التّميز بين الحّق والباطل فكيف يقدر على المعرفة به تعالى مع فرض انّ الحقّ المُطلق ليس الّا هو...

والَحق يطلق على معان بعد ما كان اصله المطابقة والموافقة: الاوّل يـقال لموجد الشيئى بسبب ما تقتضيه الحِكمة ولهذا قيل فى الله تعالى هو الحقّ كما قال الله: ﴿ثُمَّ رُدّوا إلَى اللهِ مَولاهُمُ الْحَقِّ﴾[1]

و قال الله : ﴿فَذالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ، فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ فَاِنّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[2]

والثّانى يقال لِلموُجَد بحسب مقتضى الحكمة كما يقال فعل الله حقّ قال الله تعالى وتبارك:

﴿هُوَ الَّذى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾[3]

الى قوله ﴿ما خَلَقَ اللهُ ذالِكَ اِلاّ بِالْحَقِّ﴾[4]،

و قال الله تعالى فى القيامة:

﴿وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ اَحَقٌّ هُوَ قُلْ إى وَرَبّى إنَّهُ الْحَقُّ﴾[5]

و ﴿وَلَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾[6]

و ﴿وتبارك: اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[7]

﴿وَاِنَّهُ الْحَقِّ مِن رَبّك﴾ وغير ذالك من الآيات.

الثّالث: يطلق على الأعتقاد للشيئى المطابق لما عليه ذالك الشيئى فى نفسه كقولنا اعتقاد فلان فى البَعث والثّواب والعِقاب والجنّة والنّار حقّ كما قال الله تعالى: ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذينَ امَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾[8]

الرّابع: على الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقَدر ما يَجب وفى الوقت الّذى يجب كقولنا فعلك حقّ وقولك حقّ، قال الله تعالى:

---

١. الانعام / ٦٢.
٢. يونس / ٣٢.
٣. الانبياء / ٤٨.
٤. يونس/ ٥.
٥. يونس / ٥٣.
٦. البقرة / ١٤٦.
٧. البقرة / ١٤٧.
٨. البقرة / ٢١٣.

﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾[1]

و ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[2]

و ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَائَهُمْ﴾[3].

وامّا الباطل: فهو نقيض الحقّ وهو مالاثبات له عند الفحص عنه كما قال الله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾[4] وله ايضاً اطلاقات:

الاوّل: المعنى الّذى ذكرناه: الثّانى: قد يطلق فى الأعتبار الى المقال والفعال كما قال تعالى:

﴿وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]

و ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[6].

الثّالث: يقال للمُستقبل عمّا يَعْود بنَفعٍ دُنَيوّى او اُخَرويّ كما يقال: فلان بطّال وذو بطالة وبطل دمه اذا قتل ولم يحصل له ثار ودية وقيل للشّجاع المعترِض الموت بَطَل تَصوراً لبطلان دَمه كما قال الشّاعر:

فقلت لها لاتنكحيه فانّه لاوّل بَطَل ان يلاقِى مُجمعا

الرّابع: يقال فيمن يقول شيئاً لاحقيقة له

كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾[7]

اذا عرفت هذا فاعلم انّ المقصود من هذه العبارة اعنى الفرق بين الحق والباطل انّ الانسان ما لم يفرّق بينهما فهو ليس بأنسان واقعاً وان اطلق عليه اسم الانسان والمفرّق فى الواقع هو الرّوح لاالجَسَد، قوله عليه السلام: **وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاس:** والاوّل اشارة الى قوّة الذائقة، والثانى: الى القوّة الشّامة فبهاتين القوّتين يدرك الأنسان المَذُوقات كالحُلو والحامِض وغيرهما

---

١. يونس / ٣٣.
٢. السجدة / ١٣.
٣. المؤمنون / ٧١.
٤. الحج / ٦٢.
٥. الاعراف / ١٣٩.
٦. آل عمران / ٧١.
٧. الروم / ٥٨.

من الطُّعوم والمَشوُمات من الرّوائح الطّبيعية والرّوايح النّتِنَة وهو ايضاً مِن مِنَنَ اللهِ الّتى مَنَّ الله بها علينا، والثالث: اشارة الى الباصرة الّتى لاتدرك ما لالَون له.

فالقوة الذّائقة الّتى تدرك المَذُوتات مَظهرها اللّسان وقيل فى تعريفها الذائقة: قوّه مُنبَثَّةٌ فى العَصَب المَفروُش على جرم اللّسان تُدرك الطُّعُوم بواسطة الرّطوُبة اللّعابيّة العَدميةِ الطّعم المُتَكيفة به من خارج ...

وانّما قلنا مَظهَرها اللّسان بل قيل تتّم به لانّها تَنبعث من اللّحم الغُدَدى المُسّمى بالمَلعَبة الّذى هو تحت اللّسان وفى اصوله واَما الشّامّة:

فهى قُوّةٌ مودَّعَةٌ فى العَصَبَتين الزّائد النّاتبتَين من مَقَدّم الدّفاع الشّبهَتين بِحُلَمَتى الثّدى تدرك الرّوائح بوصوُل الهَواء المُتَكيّف بها اليها وامّا الباصرة: وهى الّتى تدرك الألوان فهى من اَعظَم الحواس وانفعها وعَرّفوها، بانّها قُوّة موُدّعة فى مُلتَقَى العَصبّين المُجوَنتَين اللّتين يَنبتان من غَور البَطنَين المُقَدّمين من الدّفاع يتيامَن الثّابت منهما يَساراً وبالعكس حتّى يَلتقيا على تقاطع صَيلّبيٍ ثم تَميد النّابت يميناً الى الحَدَقة اليُمنىٰ والنّابت يساراً الى اليُسرىٰ تدرك الأضواء والألوان اوّلاً وبالذّات وسائر المُبصَرات ثانياً وبالعَرَض.

وامّا البَحث فى كيفيّة تحقق الأبصار هل هو بالأنطَباع او بخروج الشّعاع او غير ذالك من الأقوال وكذالك البحث فى كيفية تحقق الذّوق والشّم، ونقل الاقوال فيها فخارج عن طور هذا الكتاب.

▫ قوله عليه السلام: **وَالْاَجْنَاسِ مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْاَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْاَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْاَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْاَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبِلَّةِ وَالْجُمُودِ وَالْمَسَائَةِ وَالسُّرُورِ.**

هذه كلّها صفات الأنسان من حيث اصل الخلقة فقوله عليه السلام: **مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْاَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ** اشارة الى تخمير جَسده بها فانّ اجزاءِ بدنِه منها اَبيض كالعِظام والشّحم ومنها اَحمَر كالدّم واللّحم ومنها اَسوَد كالشّعر، وحَدَقة العَين، هذا بحسب اختلاف اجزائه، وهذا الاختلاف ايضاً ثابت لافراد نوع الانسان

من السَّعيد والشَّقى والطَّيب والخَبيث وكلّ ذالك مستندا الى اختلاف الموادّ لاالوجود كما هو ثابت فى محلّه كذا قال الخوئى فى شرحه.

اقول: لعلّ المراد من قوله عليه السلام **مَعْجُوناً** الخ هو الموادّ التراتبيّه الّتى مَرَّت ذكرها فى كيفيّة خلق جسد آدم عليه السلام ولمّا كان الجسد مخلوقا من التراب وهو على ما قال عليه السلام فى رواية رويناها من اربع طينات طينةٌ بيضاء، وطينةٌ حَمراء وطينةٌ غَبراء وطينةٌ سَوداء فلا جَرم يكون منشاء اختلاف الالوان فى الانسان هو هذا وهذا ظاهر والى هذا اشار بقوله**مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوانِ الْمُخْتَلِفَةِ** ولا ربط له بالسّعادة والشقاوة وكذا اجزاء البدن من اللَّحم والعَظم وغيرهما.

وامّا الحديث الّذى رواه قده عن تفسير القمى بعد شرحه لهذه الكلام فخارج فعلا عن مورد البحث وسياتى فى باب الجَبر والتَّفويض معنى الحديث. وامّا قوله: **وَالْأَشْباهِ الْمُؤْتَلِفَةِ** : فيمكن ان يكون المراد منها الأتلافات الواقعة بين اجزاء البدن مع تشابه بعضها ببعض كالعِظام والأسنان مثلا، واللَّحمَ والشَّحم حيث انّها ليست بمتضادة.

▫ **وامّا قوله عليه السلام: وَالْأَضْدادِ الْمُتَعادِيَةِ** : فالمقصود بها الاضداد الّتى جمعت فى بدن الانسان وقد فَسَّرها عليه السلام **مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبِلَّةِ وَالْجُمُودِ** فانّها متّضادة وهذا من العجائب والمراد بالبلّة والجمود الرّطوبة واليُبوسة وقوله عليه السلام: **وَالْأَخْلاطِ الْمُتَبايِنَةِ**: الطبايع الّتى هى الّتى تحصل بها المزاج كالسّوداء والصِّفراء والبَلغَم والدَّم هذه هو الاضداد المذكورة فانّ مَنشَاء الصّفراء هو الحَرّ ومنشاء البَلغم هو البَرد ومنشاء الدَّم هو البلّة ومنشا السَّوداء هو الجُمود وعلى كل حالٍ فكلامه عليه السلام من اوّل الخطبة الى هنا، فى بيان كيفية جَسده العنصرى ثم نفخ الرّوح فيه مع الأوصاف الّتى ذكرت للروح والمجموع من حيث هو خلق الانسان.

فالروح فى جسد الانسان من ناحية الشّمال والبَلغم من ناحية الصَّبا والمُرّة من ناحية الدَّبور والدَّم من ناحية الجُنوب فلزِمَه من ناحية الرّيح حُبّ النساء وطوُل الامل والحِرص ومن ناحية البَلغم حُبّ الطّعام والشّراب والبّر والحلم

والرّفق ومن ناحية المُرّة الغَضب والسّفة والشّيطنة والتجبّر والتّمرد والعَجَلة، ومن ناحية الدّم حبّ الفساد واللّذات وركوب المحارم والشّهوات هكذا وردَت الروايَة.

وامّا قوله عليه السلام: **وَالْمَسائَةِ وَالسُّرُورِ**: فهما ليسا من اصول الجَسد بل هما من صفات النفس لانّهما من الكيفيّات النَفسانيّة والسُّرور يحصل:

بادراك الكمال والاحساس بالملائمات والقهر والغلبة على الغير بالأستيلاء والخروج عن الآلام وتَذَكّرُ الملّذات وسبب المَسائَة مقابلاتها.

وامّا تفصيل الأعضاء والجَوارح فى بدن الانسان وشرح قوى الجسد والرّوح ووظيفة كل واحدٍ منها وعجائب الخلقة الّتى اُودِعت فى هذا الموجود كما قال الله تعالى فيه: فتبارَكَ الله اَحسَن الخالقين، فَتَركناه، مخافة التّطويل والملالة وسنشير الى بعض منها فى تضاعيف مباحث الكتاب انشاء الله تعالى.

▫ **الجهة الثانية: قوله عليه السلام: وَاَسْتَأْدَى اللهُ سُبْحانَهُ الْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ ،وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ اِلَيْهِمْ: فِى الْاَذْعانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُضُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقالَ سُبْحانَهُ: اُسْجُدُوا الْآدَمَ فَسَجَدُوا اِلاّ اِبْلِيسَ، اَعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ ،وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَهُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصالِ ،فَاَعْطاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقاقاً لِلسُّخْطَةِ وَاسْتِتْماماً لِلْبَلِيَّةِ، وَانْجازاً لِلْعِدَةِ، فَقالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ اِلىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.**

◁ **اللّغة**

(**اَسْتَأْدَى**) فعل ماض من الأستيداء بمعنى طلب الأداء. (**الْاَذْعانِ**) مصدر باب اَذعَنَ الشَّيئى اَعتقدبه، (**اَلسُّجُودِ**) مصدر من سجد بمعنى ذَلَّ وتواضَعَ (**والخُشُوعِ**)، الخُضوع وهو لايكون الّا بالقلب، (**اِبْلِيسَ**) مشتقّ من الأبلاس وهو اليأس والبُعد لبُعده عن رَحمة الله، (**اَعْتَرَتْهُم**) اى عَشيتهم (**الْحَمِيَّةُ**) الأنفة، (**اَسْتَوْهَنَ**) و الوَهن، الضَعف، (**النَظِرَةِ**) بفتح النون وكسر الظاء الإمهال، (**السَّخْطَ**) الغَضب وباقى اللّغات ظاهر...

◁ المعنى

انّ الله تبارك وتعالى بعد خلق آدم طَلَب من الملائكة اداء الأمانة الّتى اودَعَها فيهم قبل خلق آدم بالعَهد والميثاق والوصيّة اليهم وتلك الأمانة المُودَعة عبارة عن الأذعان والأعتقاد بالتّواضع والتّذلّل لآدمعليه السلام والخُضوع والخُشوع فى مقام شرافته فقال الله تعالى فى كتابه مخاطباً لهم: **﴿اُسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلّا اِبْلِيسَ﴾**[1] ومن تبعه مِن لأبالسِة فانّهم غَشيتهم الأنفة وهو كناية عن التّكبُر والتّبختر وغلبة الشّقاوة والتّعزُر بخلقة النّار واستيهانهم الصّلصال كلّ ذالك من الأمور المَوهوُمة التى مَنعَتهم عن الطاعة والأنقياد فاَعطاه الله تعالى الأمهال لِمصلَحةٍ او مصالح فقال تعالى: **﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾**[2] الى يوم الوقت المعلوم.

◁ الشرح

▫ قولهعليه السلام: وَاَسْتَأدَى اللهُ سُبْحانَهُ الْمَلائِكَةَ الى قوله لتكرمته اشارة الى و قول الله تعالى: **﴿وإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيهامَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنّي أَعْلَمُ ما لاتَعْلَمُونَ﴾**[3]

و **﴿وإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ ،فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾**[4]

و **﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾**[5] فالوَديعة والعَهد والوَصيّة من الله تعالى الى الملائكة انّه تعالى عَهدَ اليهم واَوصاهم قبل خلق آدم بانّه لابدّ لهم من السّجود له بعد

---

١. الاعراف / ١١.
٢. الاعراف / ١٥.
٣. البقرة / ٣٠.
٤. الحجر / ٢٩ـ٢٨.
٥. ص / ٧٢-٧١.

استوائه ونفخ الرّوح فيه وهذه هى الأمانة والوديعة التى اودَعَها فيهم والى ما ذكرناه اشارﷺ بقوله**فِي الْاَذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُضُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ** ومن هذه الفقرات يستنبط امور:

الاوّل: انّ هذا العَهد والميثاق والوصيّة منه تعالى اليهم كان قبل خلق آدمﷺ فلزمهم الوفاء به وهذا يدلّ على انّ كلّ عهدٍ وميثاقٍ اذا كان موافقاً لِلشّرع يجب الوفاء به ولا يليق بالعاقل المُكلّف التّخلّف والنّقض لقُبحه عقلاً وشرعاً امّا عقلاً فمعلوم وامّا شرعاً فلانّ المُؤمن اذا وَعَد وَفا وقولهﷺ المُومنوُن عند شروطهم والتّوبيخ منه تعالى لابليس لعدم وفائه بالعَهد، وهذا كلّه يدلّ على اثبات المطلوب.

الثانى: انّ ابليس كان من الملائكة بناء على هذه الايات فانّ **﴿وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ثم قوله فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيس﴾** يدلّ على كونه منهم والّا يلزم كون الاستثناء منقطعاً وهو كما ترى وهو احد الاقوال فى المَسئله

الثالث: انّ المراد بالسّجود فى المقام معناه اللّغوى اعنى التّذلّل والتّطامُن لابمعناه الأصطلاحى المعروف عند المتشرّعة وهو وَضع الجهة على الارض بقصد العبادة فانّ هذا لايليق الّا بجنابه تعالى كما سنفصّله انشاء الله

الرابع: انّ ابليس له جنودٌ وذُريّة كما صرّح بهﷺ فى قوله وجُنوده، وهذا ايضاً مويّد بالعقل والنقل.

الخامس: انّ علّة عصيانه وترك سجوده لهﷺ لجهات اربعة ١ـ اعتراء الحَميّة ٢ـ غَلَبة الشّقوة ٣ـ اَلتّغرّر بخلقة النّار ۴ـ استيهانهم الصَّلصَال.

السادس: انّ الله تعالى اعطاه النّظَرة: ١ـ استحقاقاً للسّخطة ٢ـ استتماماً للبلّية ٣ـ انجازاً للعدة.

السابع: **﴿اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ[1]﴾** الى الوقت المعلوم، وكذا قولهﷺ انّك من المنظرين الخ ولابدّ لنا من التّكلم فى هذه الجهات حسب ما يقتضيه المقام

١. الاعراف / ١۵.

لتوضيح المرام فنقول:

امّا البحث فى المقام الاوّل: فلا شك انّ الوفاء بالعَهد والوَعد ممّا حَثَّ اليه الشّرع ويدلّ عليه آيات كما فى سورة البقرة

﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾[1]

و **﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾**[2]

و **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾**[3]

و **﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعدِ﴾**[4]

و **﴿وَالَّذِينَهُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾**[5]

و **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَاتَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَاتَفْعَلُونَ﴾**[6]

وامثال ذالك من الآيات والروايات مضافا باستقلال العقل بقبح التَخَلُّف عن العهَد ولاجل ذالك صار الشّيطان مَذمُوماً مَطرُوداً حيث انّه وجميع الملائكة كانوا متعهدّين بذالك والشيطان تَخَلَّفَ عنه فكلّ من كان كذالك فهو من اتباعه الى يوم القيمة.

قال رسول الله ﷺ: **اَقرَبكم غَداً منّى فى المَوقف اَصدَقكم لِلحديث واداءِ الامانة واَوفَاكم بالعَهد الحَديث**[7] وقال ﷺ ايضاً المؤمنُون عند شُروطهم الرّوايات به كثيرة تاتى فى مَوضعها انشاء الله.

وامّا البحث فى المقام الثانى: وهو انّه كان من الملائكة اَم لَم يكُن منهم فاِعلَم انّهم اختلفوا فى كونِ ابليس قبل الطّرد واللّعن انّه كان من الملائكة ام لا، فمنهم من يقول بالاوّل ومنهم من لايقول به وقبل نقل الاقوال فيه وتحقيق الحقّ لابدّ من ذكر الآيات:

---

١. البقرة / ١٠٠.
٢. البقرة / ١٧٧.
٣. الاسراء / ٣٤.
٤. مريم / ٥٤.
٥. المؤمنون / ٨.
٦. الصّف / ٣-٢.
٧. بحارالانوار، ج ١٦، ص ١٤٣.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]

و ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[2]

و ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[3]

و ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[4]

و ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ [illegible]﴾[5]

واستدلّ من يقول بانّه من الملائكة بدليلين نقلّيّ وعقلّيّ.

امّا الدلّيل النّقلى فهو عبارة عن تلك الايات المذكورة فى الكتاب وتقرير الاستدلال هو إنّ الله تعالى استثناه من الملائكة والأستثناء يفيد اخراج ما لولاه لَدخلَ او لَصَّح دُخوله فى المُستثنَىٰ منه وذالك يوجب كونه منها فان قيل لعلّ الأستثناء فى كلامه تعالى مُنقطع وهو شايع فى كلام العرب كما قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[6]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[7] وغير ذالك من الآيات ولَيكُن ما نحن منه من هذا القبيل، قلنا الأستثناء المُنقطع على خلاف الاصل ولا يصار اليه الّا لضرورةٍ ولا ضَرورة فى المقام.

وامّا العقل فلانّه لو لم يكن منهم لما كان الامر اعنى قوله اسجدُوا شاملاً له وعليه فَتركه للسُّجود ليس إستكباراً ومعَصية ولَمَا استَحقَ الذّم والعقاب والمفروض انّه ليس كذالك بل ذمّه الله تعالى فى موارد كثيرة لتركه السُّجُود فيلزم ان يكون الامر متناولاً اه كسائر الملائكه وهو يقتضى كونه منهم مضافاً

---

١. البقرة / ٣٤.
٢. الحجر / ٣١-٣٠.
٣. الاعراف / ١١.
٤. الاسراء / ٦١.
٥. ص / ٧٤-٧٣.
٦. الزخرف / ٢٧-٢٦.
٧. الواقعة / ٢٦-٢٥.

الى انّ قوله تعالى: ﴿ابىٰ واَستَكبر﴾ عقيب قوله ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدُوا﴾ من قبيل تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعِلّية وهو يفيدنا اَن الاستكبار والاِباء عن السَّجدة انّما وقع بسبب مخالفة الامر وهذا واضح.

حُجّة القائلين بكونه من الجنّ وانّه ليس من الملائكة ايضاً تنحلّ الى عقليّ ونقليٍ. امّا الحَجّة العقليّة: لاشك انّ الملائكة مَعصوُمون عن الذّنب ومخالفة الامر فلو كان ابليس منهم لكان مَعصُوماً وحيث ليسَ فليسَ الثانية انّ الملائكة رسل لقوله تعالى: ﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾[1]

ومعلوم انّ رُسُل الله مَعصوُمون لقوله تعالى: ﴿اَللهُ اَعلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَه﴾[2] وحيث انّ ابليس لم يكن معصُوماً فليس منهم.

واما الْحُجة النَقليّة: فلقوله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ اِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[3]

وهذه الاية تَدّل صريحاً على انّه من الجنّ وليس من الملائكة، وثانياً لانّ الله تعالى قد اَثبَت له، ذُرّيّة حيث قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾[4]

وقول اميرالمؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة الّا ابليس وجنوده ايضاً يحمل على قول بعضٍ على ذُريّته وعلى ايّ تقدير لاخلاف فى ثبوت الذُّرية له والملائكة ليست لهم ذُرّية وهذا ايضاً يدلّ على اِنّه غيرهم جنساً وهو المطلوب.

وثالثاً: فلما روى الزُّهَرى من عروة عن عايشة عن النبى صلى الله عليه وآله انّه قال خُلِقت الملائكة من نورٍ وخُلِقت الأجّنة من مارجٍ من نارٍ وهذا ايضاً يدلّ على مغايرته لهم.

اقول: هذا ما وَصَل الينا من الأقوال والدلائل نقلاً عن تفسير الكبير للفخر الرازى وفى تفاسير العامّة اقوال آخر لاحاجة لنا فى ذكرها بعد ما كان الحقّ هو انّه منهم بدليل الآيات وحمل الايّة الدالة على انّه من الجنّ على الاجتنان

---

١. الفاطر / ١.
٢. الانعام / ١٢٤.
٣. الكهف / ٥٠.
٤. الكهف / ٥٠.

والأستتار والملائكة كلّهم كذالك لأستتارهم عن العُيون ولهذا سمّى الجنين جنيناً لاجتنابه ومنه الجنّة لكونها ساترة مستترة وحمل الاستثناء على المُنقطع خلاف الظّاهر مضافاً الى انّ الشّايع بين النحاة انّ الأستثناء المنقطع هو ما كان من غير جنسه والمتصل من جنسه والاصل فيه الاتّصال وانّما يصار الى غيره بدليلٍ وحيث ليس فَلَيس وليس فى هذا البحث كثير فائدة بعد الاتّفاق على اصل وجوده وإبائه وامتناعه عن السّجدة، نعم روى عن مجاهد انّه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المَعصية ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكّان الارض وكان سكّان الأرض من الملائكة يُسمّون الجنّ ولم يكن من الملائكة اَشدّ اجتهاداً ولا اكثر علماً منه فلمّا تَكبَّر على الله تعالى وأبى السّجود لآدم وعصاه لَعنَه وجَعَله شيطاناً وسمّاه ابليس ولنعم ما قيل:

اذا لَم يَكن عَونٌ مِن الله لِلفتى فاَوَّل ما يجنى عليه اجتهاده

وكنّا وليلى فى صُعودٍ من الهَوى فلمّا توافَينا ثَبَّتْ وزلَّتِ

وامّا البحث فى المقام الثّالث اعنى كيفيّة سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

فاعلم انّ السُّجُود على ما قال الراغب فى مفرداته اصله التّطامن والتذلّل وجعل ذالك عبارة عن التذلّل للّه فى عبادته وهو عامّ فى الانسان والحيوان والجماد وذالك ضربان سجود باختيار وليس ذالك الّا لِلأنسان وبه يستحق الثّواب وسجود تسخير وهو للأنسان والحيوان والنّبات وعليه فقوله تعالى؛

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعاً وَّكَرْهاً﴾[1] ثم قال:

و **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِى السَّمٰواتِ وَما فِى الْاَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَّالْمَلٰئِكَةُ وَهُمْ لايَسْتَكْبِرُونَ﴾**[2] ينطوى على نوعين من السّجُود التّسخير والأختيار و **﴿وَّالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾**[3] فذالك على التّسخير الى آخر ما قال، ثم قال وخَصَّ السُّجودَ فى الشّريعة بالرُّكن المعروف من الصّلوة انتهى ما اردنا نقله عنه.

١. الرعد / ١٥.
٢. النحل / ٤٩.
٣. الرحمن / ٦.

اذا عرفت هذا فاعلم انّ السُّجود المَبحوُث عنه ليس من قبيل السّجدة المَعروُفة فى الصَّلواة وهى وَضع الجَبهة على الأرض فان هذه السَّجدة لاتجوز لغيره تعالى اجماعاً اذ هو تبارك وتعالى مُستِحقّ للمَعبوُديّة وما سواه على الأطلاق محتاجون اليه ساجِدون له: **﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾**[1] واذا لم تكن السجدة بهذا المعنى فالمقصود بها ما هو؟

قيل: أُمِرُ و بأَن يتخذوه قبلة كما انّ الناس مأمورون باخذ الكعبة قِبلة فى صَلَواتهم، وقيل أُمِرَ وبالتذلّلُ لآدم والقيام بمصالحه ومصالح اولاده فاستمروا الّا ابليس، وَقيل انّ السّجدة لهعليه السلام كانت تعظيماً له وتحيّة له كالسّلام منهم عليه، وقيل انّ السّجدة بمعناها المَشهُور ولا اشكال فيها اذا كان بأمرٍ منه تعالى وقيل غير ذالك.

اقول الحق فى المقام هو القول الثالث اعنى: غَرَضهم من السَّجدة لهعليه السلام تعظيمه وتكرِيمِه كما يدلّ على هذا المعنى قول علىّ (والخشوع لتكرمته) وهذا يدلّ على شَرَفه وفَضيلته على جميع الملائكة كما عليه المذهب، خلافاً لِلعامة حيث ذهبوا الى عكسه واَستَدّلوا عليه على ما فى تفسير الرازى بما هو اوهَنَ البُيوت وسنشير الى بعضها فى شرحه قولهعليه السلام واَستَوهنوا الى آخره امّا البحث فى المقام الرابع وهو كونه ذا ذرّيةٍ وجنودٍ، فلا خلاف فيه ظاهراً بعد دلالة الاية عليه صريحاً وهو **﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾**[2]

و **﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ،وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ الخ﴾**[3]

و **﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ،تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾**[4]

و **﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾**[5]

و **﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾**[6].

---

١. النحل / ٤٩.
٢. الكهف / ٥٠.
٣. الشعراء / ٢١٠.
٤. الشعراء / ٢٢٢-٢٢١.
٥. الصافات / ٧.
٦. الصافات / ٦٥.

وقال رسول الله ﷺ **على ذروة كلّ بعيرٍ شيطاناً فأمتَهِنوها لأنفسكم وذَلِّلوها واذكُروا اسم الله عَليها كما اَمرَكم الله**[1] وايضاً قال رسول الله ﷺ **اَكثرِ ومن الدّواجِن فى بيوتكم تنشاغَل بها الشّياطين عن صِبيانكم**[2] وهذه الايات والرّوايات تدلّ على ان للشّيطان ذريّة واعوان ولهذا قال الّا ابليس وجنوده.

امّا البحث فى المقام الخامس اعنى الجهات التى لأجلها لم يَسجُد ابليس له وهو قوله اعتراء الحَمية الى قوله واَستَوهنوُا الصَّلصال الاوّل اعترتهم الحَميّة، والمعنى انّه وَردَت عليهم الحَميّة وهى قوّة الغَضَب وشدّته يقال حميت على فَلان اى غضبت عليه كما قال الله تعالى (حَمّية الجاهلية) وروى المجلسى قده فى البحار عن هشام عن الصادق عليه السلام انّه قال: لمّا خلق الله آدم قبل ان ينفخ فيه الرّوح كان ابليس يَمَرّ به فيضر به برجله فيدّب فيقول ابليس، لأمرٍ مَا خُلِقَت انتهى...

ولاجل تلك الحَميّة الباطلة غَلَبت عليه الشَّقوة والتَعَزُّز بخلقة النّار واستيهانه الصَّلصال كما قال عليه السلام قوله عليه السلام وغَلَبت عليهم الشَّقوة وتَعزُّز النّار واَستَوهَنوُا الصَّلصال، وهذه الصفات من لوازم الحميّة وهذه الجهات تشير الى الايات القرانيّة امّا الاولى: اعنى اعتَرَتهم الحميّة فاشارةٌ الى ما قال الله تعالى حكاية عن ابليس:

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3]

امّا الثّانية اعنى قوله عليه السلام **وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمِ الشِّقْوَةُ** فاشارة الى ما قَالَ **﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾**[4] والتَّكبر دليلٌ على الشّقاوة وخبث الطّينة والى الثّالث اعنى قوله عليه السلام تَعَزّر وبخلقة النار فاشارة الى

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص٦١٦.
٢. بحارالانوار، ج ١٤، ص٦١٦.
٣. الحجر / ٣٣-٣٢.
٤. الاعراف / ١٣.

قوله تعالى حيث قال: ﴿قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1]

وقال الله تعالى ايضاً حكايةً عنه: ﴿ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[2]

وامّا الرّابع: وهو قوله عليه السلام: واَستوهَنوُا الصَّلصال فاشارة الى قوله حكاية عنه: ﴿اَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[3] وخلاصتة الكلام انّ الشيطان استدّل فى الواقع على عَدم سجوُده بأمورٍ واهية كلّها ليس بشيئى بل مذمومٌ مَدحُور ولذالك صار من المَطرودين والملعونين الى يوم الدين.

وامّا استدلاله على تَمُرده ومعَصيته بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[4]، فَلَيْس فى محلّه وحيث بلغ الكلام الى هنا فلا بأس بالاشارة الى ضعف استدلاله عقلاً وانّه لم يفهم ما قال ولم يَعرف الأنسان لامن حيث مادّته ولا من حيث روحه اذ لو عرفه لم يبادر الى ما قال فى مقام الأفتخار على آدم مضافاً الى انّ كون النّار خير من طينٍ مَحَلّ كلامٍ بل منع بل التُّراب والطِّين اشرَف من النار بوجوه كثيره وبعبارةٍ اخرى لاوجه لعدم سُجُوده لِآدم واستدلاله باطل ونحن نثبت فضل آدم عليه من حيث المادة فضلاً عن الرُّوح فنقول لاشك عقلاً ونقلاً فى انّ جسد آدم مخلوق من تراب وهذا لاكلام فيه، وكذا لاريب فى كون خلق ابليس من نارٍ كما اَعتَرف به وباهىَ بها فى مقام الفَخر وقال خلقتنى من نار وخلقته من طينٍ ونحن نقول التُّراب اَفضَل من النّار بوجوه:

الاوّل: انّ التراب شأنه التّواضع وشان النار التَكبُّر ولذالک قال آدَم ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا اَنْفُسَنا﴾[5] و هو آية التّواضع وذالك لاقتضاء ذاته وامّا ابليس قال انا خير منه وهو آية التَكبُّر وهذا ايضاً مقتضى ذاته ولا شك فى انّ مايقتضى التّواضع اشرَف وافضَل ممّا يقتضى التَكبُّر لانّ التّواضُع مَمدوحٌ عقلاً وشرعاً والتكبُّر

---

١. الاعراف / ١٢.
٢. الاسراء / ٦١.
٣. الاسراء/ ٦١.
٤. الاعراف / ١٢.
٥. الاعراف / ٢٣.

مذمومٌ فالتراب خير من النار وهو المطلوب.

الثانی: انّ التراب وإن كان ظُلمانيّاً بحَسَب الظاهر والنّار نورانيّة ظاهراً الّا انّ التراب شانه سَتر العُيوب لظُلمته والنّار شانها اظهار العيوب ولذالك لايرى ما فی باطن التّراب ويُرىٰ ما فی باطن النار ولاشك انّ السّاتِر اشرَف من غير الساتِر ولذالك وصف الله نفسه بانّه ساتر العيوب فالُترّاب اشرَف من النار وهو المطلوب.

الثالث: انّ التراب غالب على النّار كما هو المشهور ولذالك غلب دولة آدم على دَولة ابليس وصَيَّره من المَطرودين وابليس لم يقدر على محو صَفوته وَصَولته والغالب اَشرَف من المغلوب فالتراب اَشرَف من النار وهو المطلوب

الرابع: انّ الْترّاب صار مظهرا لقدرته تعالى ومحّلا لصفاته ومرآتا لذاته كما قال تعالى: **﴿إِنّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**[1] والنار صارت مَطرُودة مُتمرّدةً ملعونةً لحضرته ومحّلاً لَغَضَبه وكلّ ما هو مظهر لَرَحمته اَشرَف ممّا هو مظهر لَغَضبه فالتّراب اَشرَف من النّار.

الخامس: انّ التّراب سبب لزيادة الشيئی كما قال الله تعالى: **﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾**[2].

والنّار لَيسَت كذالك بل تُعدم الأشياء وتُفنيها ومعلوم انّ المُبقِی اَولىٰ واَشرَف من المُفنی فالتّراب خيرٌ من النّار.

السادس: انّ التراب طاهِرٌ ومُطهّرٍ قال الله تبارك وتعالى: **﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾**[3] والماء ايضاً كذالك قال الله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾**[4] والطِين الّذی هو مَنشَاءٌ لتركيب جسد آدم مرّكب منهما فهو طاهر والنّار وان كانت فی حدّ نفسها طاهرة الّا انّ فی مُطهّريتها اشكال وعلى القول بها لايبقى لِلنجّس او المُتنجِّس عين ولا اَثَر بخلاف الماء والتّراب حيث انّهما

---

١. البقره/ ٣٠.
٢. البقره/ ٢٦١.
٣. المائدة/ ٦.
٤. الفرقان/ ٤٨.

مع اتّفاق الكلّ على مُطهّريتهما لايُفنيان الموضوع فالتراب اَشرَف من النّار وهو المطلوب.

السابع: انّ النار صوُرتها حَسَنة نوُرانية وسيرتها قَبيحة ظُلمانيّة بخلاف التّراب فانّه بالعكس الا ترى انّ النّار مُفنيته والتُّراب مُثمِرة، فهى المنافق ظاهره انيقٌ و باطنه كثيف فهى كالزّانية او الحَيّة والتّراب كالمؤمن باطنه اَحسَن من ظاهره فالتّراب اَشرَف من النّار.

الثامن: انّ النّار وان كانت مُضيئة الّا ان اولادها والمتولّدات منها مُتصّفةٌ بالأسَودّية كما هو شان كل مَحرُوقٍ والتُّراب بالعكس حيث انّه فى الظاهر ليس بمضيئٍ الّا انّ اولاده وآثاره كلّها مُضيئة مُتجلّية كاالنّباتات والمعادن والأنسان وهو ظاهر وكلّ ما هو اثره احسن واَفيَد فهو احسَن، واَشرف، فالتّراب اشرف كما قيل.

تفكَّر فِى نباتِ الأرض واَنظُر الى آثـار مـا صَـنَع المَـليكُ
ففى رأسِ الزَّبَرجَد شـاهِدات بـــانّ الله لَـــيس له شَـريك

التاسع: من خواصّ النّار انّها اَكوُلة فكل ما تَجده تَأكله ومع ذالك عمرها قليل لانّها اذا لم تجد شيئاً تاكله تَمُوت وتُفنى وهذا بخلاف التّراب حيث انّه لايأكل شيأً بل يُنمِى الأشياء ومع ذالك عمره كثير وبعبارة اخرى النّار تاكل الاشياء والموجودات والتُرّاب يوصل الغذاء الى الموجودات ـ وبينهما فرق كثير فانّ ما نفعه اكثر فهو اشرف من غيره.

فظهر ممّا ذكرناه انّ التراب فى حدّ نفسه اعلى واَشرَف من النّار ولذالك اختاره الله تعالى لخلق آدم دوُن النّار هذا كلّه بالنسبة الى مادّة جُسد آدم الّذى قال فيه ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1]، وامّا روُحه فلا كلام لنا فيه اذ معلوم انّه منستب الى الحقّ جلّ ثناه وشانه والأنتساب دليل على عظمته وشرفه كما مرّ، والشيطان لم يعلم انّ الامر بالسُجّود منه تعالى الى الملائكة باعتبار روُح

١. الاعراف / ١٢.

آدم لاباعتبار جَسَده والدليل عليه قوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[1] مع انّ الامر لو كان باعتبار جَسَده ايضاً وقع فى محلّه كما استدللنا عليه فضلاً عن روحه فالانسان من حيث المجموع ومن حيث كلّ واحدٍ من الرّوح والبَدَن لايقاس بابليس بل بكلّ واحدٍ من الملائكة المقرّبين كما قال الصادق عليه السلام: انّ الملائكه لَخُدّامِنا وخُدّام شِيعتنا هذا.

امّا البحث فى المقام الّسادس: قوله عليه السلام: فاَعطَاه الله النَّظَرة استحقاقاً لِلسخطّة، واستتماماً للبلّية، وانجازاً للعدة، وهذه جهات يشير بها الى علة امهال الشيطان الى يوم الوقت المعلوم وتسّلطه على اولاد آدم وفيه ابحاث:

الاوّل: قوله عليه السلام: **اِسْتِحْقاقاً لِلّسُّخْطَةِ**، استحقاقاً مصدر من استحقّ الشيئى منصوب على انّه مفعول له لفعله المحذوف وتقديره استحقَّ استحقاقاً والسّخطة: الغَضَب الشّديد المُستَحق لِلعقوبة وهو من الله تعالى اِنزال العقوبة قال الله تعالى: ذالك بانّهم اتّبعوا ما اَسخَط الله، وقوله: اَن سَخِطَ الله عليهم وقوله كمن باء بسَخطٍ من الله كذا قال الراغب فى مفرداته وقال فى المنجد: السَّخط والسَّخط والسُّخط ضدّ الرضى، وقيل انّه لايكون الّا من الكبراء والعُظماء انتهى.

فعلى هذا يصير معنى الجملة: انّ الله تعالى اعطاه النَّظرة، لانّه مُستحق لأنزال العقوبة فيرجع المعنى الى انّ الامهال له عقوبة فى حقه فانّه يستحق للعقوبة، فانْ قيل كيف يكون الأمهال له عقوبة فى حقّه مع انّه حياة والحيوة لاتكون الّا رحمة فلو كان مُستحقاً للعقوبه يبنغى موته لاحياته مع تَسلّطه على اولاد آدم واغوائه ايّاهم، قلنا: هذا بعينه عقوبة له فانّ مُجرّد الحيوة ليس رحمة ولا مجرد القدرة والتَمكّنُ على شيئى شَفَقة، الا ترى انّ الله تعالى قال فى عدّةٍ من الناس:

﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا**

١. الحجر / ٢٩.

إثماً»[1] فَالحياة والقدرة والثّروة وامثال ذالك من النّعم انّما تكون نعمةً اذا صَرِفت فى طاعة الله لافى معصيته، وامّا العمر فاذا فرضنا انّه فى معصيّة الله فلا شك انّه نقمة لصاحبه بالعَرَض وان كان نعمةٍ بالذّات والشّيطان لَمَا اَمهَله تعالى الى يوم الوقت المعلوم وفى هذه المدة الطّويله شُغله الاِغواء والاِضلال وسوق عباده الى عصيانه فكلّ ساعةٍ مضى من عمره يَحصّل لنفسه عقوبة زائدة على ما مضى فهذا الأمهال عين انزال العقوبة آناًفآناً.

الثانى: قوله عليه السلام: **وَاسْتِئْماماً لِّلْبَلِيَّةِ:** والكلام فى هذه الجملة من حيث الاعراب كالجملة السابقة والبَليّة المُصيبة، الأختبار، جمع: بلايا قال فى المنجد: البَلوَى والبَلوة والبليّة والبلّية المُصيبة، الاختبار، وهذه هى الجهة الثانية لِأعطائه المُهلة الى يوم الوقت المعلوم، ومعنى الجملة يصير هكذا: انّ الله تعالى اَمهَله لأستحقاقه العذاب ولانّه متمّم للأختبار والأمتحان وتوضيح ذالك انّ عباد الله بسبب الشّيطان يُختَبرون ويُمتَحنوُن كما قال الله تعالى:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجٰاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّٰابِرِينَ»[2]

و **«وَنَبْلُوَّنكُمْ بِالشَّرِّ والْخَيْرِ فِتْنَةً»**[3]

و **«وَلِيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً»**[4] والآيات فيه كثيرة والّروايات به متظافِرة ولولا وجود الشيطان واغوائه وتَسلّطه على اولاد آدم لم يعلم حال الشّقى من السّعيد ولا المُحسن من المُسئى وفيه سِرٌّ عظيم منه يعلم مصلحة وجود الشيطان وانّه ليس بشَرٍّ مَحضٍ كما عليه الفلاسفة اذ شرّ المَحض لَم يوُجَد، فان قيل: هو تعالى عالم السرّ والخفيّات وهو يعلم حال العباد فلا يحتاج الى اختبارٍ وابتلاءٍ بسبب الشيطان.

قلنا: الاختبار راجع الينا اتماما لِلحُجّة لااليه تعالى لَنَعلم اَيّنَا مُحسِن واَيُّنا مُسئِئ وهذا منه عين اللُّطف وفى هَذا بحث يجيئى فى موضعه انشاء الله تعالى.

---

١. آل عمران / ١٧٨.
٢. محمّد / ٣١.
٣. الانبياء / ٣٥.
٤. الانفال / ١٧.

قوله عليه السلام: **إِنْجازاً لِلْعِدَةِ**: والاعراب فيه ايضاً كسابقيه والاٰنجاز مصدر من اَنجَز الشئى اذا وَفىٰ به فالأنجاز الوَفاء قال فى المنجد: نَجز نَجزاً الحاجة قضاها بالوَعد والعِدة، الوَعد.

وحاصل معنى الجملة انّ الجهة الثّالثة لأمهاله هو الوفاء بالوَعد الّذى وَعدَه وذالك لانّ الشيطان قبل الطَّرد واللّعن كان من العابدين له تعالى وبذالك استَّحق لِلثّواب فأستجاب له تعالى بالأمهال انجازاً لوَعدٍ وَعدَه فانّه ليس بظلّامٍ للعباد، وقيل فى المقام وجوه اخر لافائدة فى ايرادها: امّا البحث فى المقام السابع وهو قوله عليه السلام: **فَقَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**: فهو اشارة الى ما قال الله تعالى حكاية عنه حيث: ﴿**قَالَ أَنْظِرْ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**﴾[1] والاَنظار الى يوم الوقت المعلوم بوجوه الثلاثة المتقدّمة على وفق المصلحة التامة كما سيتضح ان شاء الله تعالى.

▫ **قوله عليه السلام: ثُمَّ اَسْكَنَ سُبْحانَهُ اٰدَمَ دٰاراً اَرْغَدَ فِيهٰا عَيشَتَهُ ،وَ اٰمَنَ فِيهٰا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ اِبْلِيسَ وَ عَدٰاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفٰاسَةً عَلَيْهِ بِدٰارِ الْمَقٰامِ وَمُرٰافَقَةِ الْاَبْرٰارِ، فَبٰاعَ الْيَقينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالْاِغْتِرٰارِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحانَهُ لَهُ فِى تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ اِلىٰ جَنَّتِهِ ،وَاَهْبَطَهُ اِلىٰ دٰارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنٰاسُلِ الذُّرِّيَةِ.**

◁ اللّغة

(**السُكّون**) الاطمينان والمَسكن المنزل، (**اَرْغَدَ**) الرَّغدّ فى الْلّغة النَفْع الواسع الكثير، (**عَيشَتَهُ**) بكسرِ العين وفتحِها مصدر عاش وهو الحياة وما يلزمها من الطعام والشراب والخَبز وغيرها، (**مَحَلَّتَهُ**) منزله، (**اَغْتَرَّهُ**) الاغترار الغفلة (**نَفٰاسَةً**) النّفاسته، قرينة من الحَسد (**وَالْعَزيمَةَ**) عزيمه بالعين المهملة والزاء الأهتمام والجَّدِ الوَهن، الضّعف: (**الْجَذَلِ**) بفتحتين مصدر جَذَل اذا

١. الاعراف / ١٥.

فرح، (الْاِغْتِرارِ) الغَفلَة وفی بعض النّسخ الاعتزاز بـالعين والزاء والراء يـقال اعتز بفلان ای عَدَّ نَفسَه غريزة به.

◁ المعنی

ثم بعد خلق آدم بِالشَّرح الّذی مرّ ذكره ونَفخ الرّوح فی جسده وسُـجود الملائكة له اَثبَته واَسكنَه فی الجَّنة التی كانت اكثَر نفعا لحياته وبقائه من حيث النِّعم الّتی موجودة فيها مع انّها مضافا علی وفور نعِمَه مأمونة من كلّ آفةٍ وبليّةٍ لكن الله تعالی حَذّرَه من ابليس ومكائده لعداوته لآدم حيث انّه صـار سـبباً لطَرده ولَعنه ومع الوصف فاَغتَّره ابليس حسداً عليه لكونه فی الجنة مأنوساً مع الأبرار والاخيار فـباع آدم يـقَينه بـالشّك والأهـتمام بـالضّعف ويـدّل الفَـرَح والسُّرور بالخوف والعزة والشّرافة بالنّدامة والحِرمان، ثمّ بعد النّدامة تاب الی الله تعالی من هذه الغفلة فَقبِلَ توبَتَه ولَقّاه الله تعالی كلمات رحـمته ووَعـدَه المقام والرُّجوع الی الجنّة ثانياً بعد ما اَهبَطه الی دار البَليّة وتناسل الذرّية اعنی الدّنيا لانّه محل البلاء وكثرة النّسل.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ اَسْكَنَ سُبْحانَهُ اٰدَمَ دٰاراً اَرْغَدَ فِيهٰا عَـيشَتَهُ ،وَ اٰمَـنَ فِـيهٰا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ اِبْلِيسَ وَ عَداٰوَتَهُ**: اشارة الی **﴿وَقُلْنٰا يٰا اٰدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلاٰمِنْهٰا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمٰا وَلاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّٰالِمِينَ﴾**[1]

وقال فی سورة الاعراف: **﴿يٰا اٰدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاٰ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمٰا وَلاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّٰالِمِينَ﴾**[2] ثم الكلام يقع فی مقامات:

المقام الاوّل: اَلجنَّة الَّتی اَسكَن الله تعالی آدم فيها ما هی الثانی المقصود من الرَّغَد والعَيش والأمنَ فيها ما هو، الثّالث: فی تحذيره من ابليس وعداوته.

---

۱. البقرة / ۳۵.

۲. الاعراف / ۱۹.

امّا المقام الاوّل: فاشار عليه السلام اليه بقوله **ثُمَّ اَسْكَنَ سُبْحانَهُ اٰدَمَ دارا** لاشك انّ المراد بهذه الدار التى اَسكنها آدم وزوجته عليها السلام هى الجنّة، وانّما الكلام فى انّ هذه الجنّة هى الجنّة الخِلد الّتى وعدُ المُتّقون، ام غيرها فقال بعض بالاوّل وفريق بالثانى وبعض فَصَّل واختار قولا ثالثاً وخلاصة الاقوال بين علماء العامّة على ما نقل فى تفسير الرّازى اربعة:

القول الاوّل: انّ هذه الجّنة كانت فى الأرض وحَمل الأِهباط فى الآية الشريفة على الأنتقال من بقعةٍ كما فى قوله تعالى: اِهبطوا مصراً وبه قال ابوالقاسم البلخى وابو مسلم الاصفهانى واحتجّا عليه بوجوه ستّه

الاوّل: انّ هذه الجنّة لو كانت دار الثّواب لكانت جنّة الخلد ولو كان آدم فيها لما لَحِقه الغُرور من ابليس بقوله: **﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاٰيَبْلىٰ﴾**[1]

ولمّا صحّ قوله: **﴿ما نَهٰكُما رَبُّكُما عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إلاّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ﴾**[2]

الثانى: انّ من دَخَل هذه الجنّة لايخرج منها لقوله تعالى: **﴿وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ﴾**[3]

الثالث: انّ ابليس بعد امتناعه من السُّجود لُعن وطُرِد فما كان يقدر مع غضب الله على ان يصل الى جنّة الخلد.

الرابع: انّ الجنّة التى هى دار الثّواب لايفنى نعميها لقوله تعالى: **﴿أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها﴾**[4]

ولقوله تعالى: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خالِدِينَ فيها الى ان قال عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾**[5] اى غير مقطوع فهذه الجنّة لو كانت هِىَ التى دَخلَها آدَم لَما فُنيتَ لكنّها تفنى لقوله تعالى: **﴿كُلُّ شَيْئٍ هالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ﴾**[6] ولَمّا خرج منها آدم عليه السلام لكنّه

---

١. طه / ١٢٠.
٢. الاعراف / ٢٠.
٣. الحجر / ٤٨.
٤. الرعد / ٣٥.
٥. هود / ١٠٨.
٦. القصص / ٨٨.

خرج منها وانقطعت تلك الرّاحات.

الخامس: انّه لايجوز فى حكمته تعالى ان يبتدئ الخَلق فى جنة يخلّدهم فيها ولا تكليف لانّه تعالى لايعطى جزاء العاملين من ليس بعاقِلٍ ولانّه لايهمل عباده بل لابدّ من ترغيبٍ وترهيبٍ ووعدٍ ووعيدٍ، السّادس: لانزاع فى انّه تعالى خلق آدم فى الارض ولم يذكر فى هذه القصّة الى السماء ولو كان تعالى قد نقله الى السّماء لكان ذالك اولى بالذّكر لانّ نقله منها اليها من عظم النِّعم فدّل ذالك على انّه لم يحصل وذالك يوجب ان المراد من الجنّة غير الجنّة الخلد.

القول الثانى: انّ تلك الجنّة كانت فى السماء السابعه وَ الدّليل عليه قوله تعالى: اهبطوا منها ثمّ انّ اِهباط الاوّل كان من السماء السابعة الى السماء الأولى، والاِهباط الثّانى كان منها الى الارض وهو قول الجبائى

القول الثالث: وهو قول الجمهور منهم انّ الجنة المبحوثة عنها هى دار الثّواب والدّليل عليه انّ الألف واللّام فى لفظة الجنّة لايفيدان العموم لانّ سكون جميع الجنان محال فلابدّ من صرفها الى المعهود السابق والجنّة الّتى هى المعهودة المعلومة بين المسلمين هى دار الثواب فوَجَب صَرف اللفظ اليها.

القول الرابع: انّ الكلّ ممكن والأدّلة النقليّة ضَعيفة ومتعارضة فوجب التوقّف وترك القطع والله اعلم انتهى هذا خلاصة اقوال العامة فى الجنّة التى اسكن الله آدم فيها، ويظهر من بعض الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام انّها جنّة الخلد ومن بعض آخر انّها جنة الدّنيا.

فقد روى عن الكافى والعلل عن الصّادق عليه السلام **انّها كانت من جنان الدّنيا تطلع فيه الشّمس والقمر ولو كان من جنان الخلد ما خرج منها ابداً ومثلها ما عن على ابن ابراهيم القمى فى تفسيره عن ابيه رفعه اليه** عليه السلام. والّذى يدل على انّها جنة الخلد.

امّا اوّلاً فقول على عليه السلام **وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ اِلىٰ جَنَّتِهِ**، ولا يخفى دلالته على جَنّة

الخلد فانّها هی الّتی یرجع آدم الیها

امّا ثانیاً، فما روی العلّامة المجلسی قده فی المجلد الخامس من کتاب بحار الانوار عن مفضّلٍ عن ابیعبدالله علیه السلام قال ابو عبدالله ان الله تعالی خلق الأرواح قبل الأجساد بالفی عام فجعل اعلاها واشرفها ارواح محمّد وعلّیٍ وفاطمه والحسَن والحسین والائمة بعدهم صلوات الله علیهم فعَرضها علی السّموات والارض والجبال فغَشیها نوُرهم فقال الله تبارك وتعالی للسّیموات والأرض والجبال هولاء احبّائی واولیائی وحُجَجی علی خلقِی وائمة بَریَّتی ما خَلقتُ خلقاً هُو اَحَبّ اِلَیّ منهم لَهُم وَلِمَن تولّاهُم خَلقت جنَّتی ولِمَن خالَفهم وعاداهم خلقتُ نارِی فَمَن ادّعیٰ منزلتهم منّی ومحلّهم من عظمتی، عَذَّبته عذاباً لااُعذّبهِ احَدا من العالمین وجَعَلته من المُشرکین فی اَسفَل دَرَكٍ من نارِی ومن اَقَّر بولایتهم ولَم یَدَّع منزلَتهم مِنّی ومَکانهم من عَظَمنی جَعلتهم مَعَهم فی روضات جنانی وکان لهم فیها ما یشاؤن عندی، وساق الحدیث الی ان قال علیه السلام...

فلمّا اَسکَن الله آدم وزَوجتَه الجَنَّة قال لهما کلامنها رغداً حیث شئتما ولا تقربا هذه الشّجرة یعنی شَجرَة الحِنطة فتکونا من الظالمین فَنَظرا الی منزلةِ محمّدٍ وعلیٍ وفاطمة والحسن والحسین والائمة بعدهم فوجَداها اشرَف منازل اهل الجنة فقالا یا ربّنا لمن هذه المَنزلة فقال الله جل جلاله اِرفعا رؤسَکما الی ساق العَرش (ساق عرشی) فَرفعا رَؤسَهما فَوَجَد اسمَ محمّدٍ وعلیٍ وفاطمة والحسن والحسین والائمة بعدهم صلوات الله علیهم مَکتوُبة علی ساق العرش بنورٍ من نور الجبّار جل جلاله فقالا یا ربّنا ما اکرم اهل هذه المنزلة، علیك الی ان قال علیه السلام قال الله تعالی: اهبطا من جواری فلا یجاور، فی جنّتی من یعصینی فَهَبطا موکّلین الی انفسهما فی طلب المعاش الی آخر الخبر بطوله ج ۵ ص ۴۶.)

فهذا الخبر یدلّ علی المقصود ولا سیّما آخر الخبر وهو قوله اِهبطا من

جوارى الى قوله مُوَكّلين فانّ الجنّة الّتى هى فى جواره تعالى هى جَنّة الخلد لاغير كما هو ظاهر، وفى هذا الباب روايات اخر لاحاجة لنا بذكرها ومن شاء فليراجع الى مظانّها فانّا اَعرَضنا عن ذكرها وعن التّحقيق فى جنّة آدم لقلّة نفعه بعد وضوح اصل الموضوع.

المقام الثّانى: فى شرح قوله عليه السلام **اَرْغَدَ فِيهٰا عَيشَتَهُ ،وَ اٰمَنَ فِيهٰا مَحَلَّتَهُ لَمَّا** اَسكَن الله تعالى آدم وحَوّا فى الجَنّة خاطبهما بقوله: **﴿كَلاٰمِنْهٰا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمٰا﴾**[1] وهذا الخطاب يتضمّن اصلين:

الاوّل: تَعيُّش آدم وحوّا من ناحية جَسَدهما فانّ الجَسَد العُنصرى يحتاج الى الغذاء والشّراب والهَواء وغيرها وهى له موجودة فى الجنّة فانّ فيها كلّ ما تشتهيه الانفس وتَلذّ الاعين والأصل الثانى: تَعيّش روحه وهو اَمن محَله ومَسكَنه وبهذا يتمّ العيش اذ الانسان مادام لايأمَن فى محلّه مسكَنَه لاعَيشَ له وان كانت اسباب التَّعيّش الجسمى كلّها موجودة، ومن المعلوم انّ الجنّة مامونة من كلّ الافات والبليّات كما قال الله تعالى:

﴿اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ اٰمِنِينَ﴾[2]

فالآفات والبليّات من لوازم المادّة والمادّيات فى هذه الدنيا، كما قال عليه السلام: الدّنيا دارٌ بالبلاء مَحفُوفة وبالغَدر مَعروُفة الخ وفِى هذه الجملة اشارة الى انّ الله تعالى قدّ اتم نعمته على آدم وحوّا وبذالك تمّت الحُجّة عليها ولِلّه الحُجّة البالغة.

وامّا المقام الثالث: وهو قوله عليه السلام: **وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدٰاوَتَهُ** فاشار عليه السلام به الى قوله تعالى حيث قال مخاطباً لهما، **﴿فَقُلْنٰا يٰاٰدَمُ إِنَّ هٰذٰا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاٰ يُخْرِجَنَّكُمٰا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقىٰ﴾**[3]

و **﴿وَنٰادٰايهُمٰا رَبُّهُمٰا أَلَمْ أَنْهَكُمٰا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمٰا إِنَّ الشَّيْطٰانَ لَكُمٰا**

---

١. البقره / ٣٥.
٢. الحجر / ٤٦.
٣. طه / ١١٧.

عَدُوٌّ مُبِينٌ»[1] وفيه اشعار بانّ آدم وكلّ من يحذوُ حذوه بعد علمِه بعداوةِ الشّيطان وتذكرة الله تعالى بها لاينبغى له الغفلة والدّخول فى المعصية فانّ فيها ندامة وحَسرة كما لايخفى كما قال الله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ لَايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ»[2] واما عداوة ابليس فمعلوم كما قال الله تعالى حكاية عنه بعد طرده ولَعنه حيث قال:

«أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ»[3]

«قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ»[4]

وقال فى موضع آخر: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[5]: «قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»،[6] وغير ذالك من الآيات.

وبهذه الآيات تظهر عداوته لِآدم واولاده الى يوم القيمة اعاذنا الله من شرّه بمحَمّدٍ واله الطّاهرين.

□ **قوله عليه السلام: فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالْاِغْتِرَارِ نَدَماً، متن**

فالضمایر فی قوله: فَاغْتَرَّهُ وفی قوله عَدُوُّهُ و فی قوله علیه کلّها ترجع الی آدم عليه السلام والمقصود انّ ابليس لَعنَه الله لَمّا تَرَك السّجود لِآدم وصار من المَطرُودين حَسَد عليه لعُلوِ مقامه ورفعة شانه حيث انّ الله تعالى خلقه بيدَىَ قدرته ونَفَخ فيه من روحه وامر الملائكة بالسّجود له وأحلّه فى محلّ الأمن والامان وأسكَنه فى دار المقام ومصاحبة الأبرار والأخيار اعنّى الجَنّة التى عبارة

---

١. الاعراف / ٢٢.
٢. الاعراف / ٢٧.
٣. الاعراف / ١٥-١٤.
٤. الاعراف / ١٦.
٥. ص / ٨٢.
٦. الحجر / ٣٩.

عن مقام القُرب وبسبب هذه الجهات حَسَد عليه ابليس وفَعَل ما فَعَل وخلاصة القول فيه على ما يظهر من الأخبار والآثار عن الائمة الاخيار انّ الله تعالى لمّا قال مخاطباً لادم وحوّا وَقُلْنَا: **﴿يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَتَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[1]

و **﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا﴾**[2]

و **﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾**[3].

وقال الصّادق عليه السلام حين سئل عن تفسير هذه الاية: انّ الله عز وجل لمّا لَعنَ ابليس بأبائِه واكرم الملائكة بسجوُدهم لآدم وطاعتهم لِلّه عز وجل اَمرَ بحوّا وآدم الى الجنّة وقال: **﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ... فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[4] ولا تقْربا هذه الشجرة شَجرَة العلم شَجرَة علم مُحمّدٍ وآل محمدٍ اَثرَهُم الله تعالى به دون سائر خلقه فقال الله تعالى: ولا تقَربا شَجرة العلم فانّهما لمُحمّدٍ وآل محمدٍ خاصّة دون غيرهم لايتناول منها بامر الله الّا هم ومنها ما كان يتناوله النّبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين وبعد اطعامهم المسكين واليَتيم والأسير حتّى لم يحسّوا بعدُ بجوعٍ ولا عَطَشٍ ولا تَعَبٍ ولا نَصَبٍ وهى شَجرةٌ تمايَزت من بين اشجار الجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعاً من الثّمار والمأكول وكانت هذه الشَجرة وجنسها تحمل البُّر والعِنَب والتّين والعنّاب وسائر انواع الثّمار والفَواكه والأطعَمة فلذاك اختلف الحاكون بذالك الشَّجَرة فقال بعضهم هى بِرّة وقال آخرون هى عِنَبة وقال آخرون هى تِينَة وقال آخرون هى عَنابة وقال الله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة تلتمسان بذالك درجة مُحمّدٍ وآل محمّد فى فضلهم فانّ الله عز وجل خصّهم بهذه الدّرجة دون غيرهم وهى الشجرة الّتى من تناول باذن الله أُلهِمَ عِلمُ الاوّلين والاخرين من غير تَعلّمٍ ومن تناول منها بغير اذن الله خَابَ من

---

١. البقرة / ٣٥.
٢. البقره/٣٦.
٣. الاعراف / ٢٤.
٤. الاعراف / ١٩.

مراده وعصىٰ ربّه فتكونا من الظالمين بمعصيتكما والتماسكما درجةً قد أُوثِر بها غيركما اذ ارمُتُما بغيرٍ حكم الله ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ عن الجنّة بوسوسته وخديَعته وايهامِه وغُروره بان بَدَاء بآدم فقال ما نَهيكما ربّكما عن هذه الشّجرة الّا ان تكونا ملكين، ان تناولتما منها تَعلَمان الغَيب وتقدران على ما يقدر عليه من خَصَّه الله تعالى بالقُدرة او تكونا من الخالدين لاتموتان ابداً (وقاسمَهما) حَلَف لهما ﴿اَنّي لَكُمَا لَمِنَ النّاصِحِينَ﴾[1] وكان ابليس بين لِحيَي الحَيّة ادخَلَته الَجنّة وكان آدم يظنّ ان الحيّة هى التى تخاطبه ولم يعلم انّ ابليس قد افتَقَر بين لَحيَتَيها فَرَدّ آدم على الحيّة ايّتها الحيّة هذا من غرور ابليس كيف يَخوُننا ربّنا ام كيف تعظّمين الله بالقَسَم به وانت تنسبينه الى الخيانة وَسُوء النظر وهو اكَرم الأكرمين ام كيف اَرومُ اَلتَّوصل الى ما مَنعَى منه ربّى واتعاطاه بغير حكمه.

فلمّا آيَسَ ابليس من قبول آدم منه عاد ثانية بين لَحيَى الحَيّة فخاطب حوّا من حيث يوُهمها انّ الحيّة هى الّتى تخاطبها وقال يا حوّا ارايتَ هذه الشَّجرة الّتى كان الله عز وجل حَرَّمها عَليكما قد اَحلَّها لكما بعد تحريمها لما عرف من حُسن طاعتكما له وتَوقير كما ايّاه وذالك انّ الملائكة المُوكلّين بالشَّجرة الّتى معهم الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لايدفعونك عنها ان رُمتْما فاعلما بذالك انّه قد احلّ لك والبُشرى بانّك ان تناولتها قبل آدم كنت انت المُسلّطة عليه الاَمرِة النّاهية فوقه فقالت حوّا سَوف اُجرُّبَ هذا فرامت الشَّجرة فأرادت الملائكه ان يَدفَعوها بحرابها فاوحى الله اليها انّما تدفعون بحرابكم من لاعقلٍ له يَزجره وامّا ما جعلته مُمَكّناً مُميّزاً مختاراً فَكِلوُه الى عقله الّذى جَعلُته حُجّةً عليه فان اطاع استحقّ ثوابى وان عَصانى وخالف امرَى استحقّ عقابى وجزائى فَتركوها ولم يتعرّضوا لها بعد ما هَموُا بمنعها بحرابهم فظنّت انّ الله نهاهم عن مَنعها لانّه قد احلّها بعد ما حرّمها فقالت

---

١. الاعراف / ٢١٠.

صدقت الحيّة وظَنَّت انّ المخاطب لها هى الحيّة فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئا فقالت لادم اَلَم تعلم انّ الشَّجرة المحرّمة علينا قد اُبيحت لنا تناوُلت منها فلم تَمنَعنى املاكها ولم انكر شيا من حالى فلذالك اَغتَّر آدم وغَلَط وتناول فاصابهما ما قال الله تعالى فى كتابه **﴿فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ﴾** بوسوسة وغروره فاخرَجهما ممّا كانا فيه من النعم انتهى. موضع الحاجة من الحديث وسياتى بقيته الخبر فى شرح قوله عليه السلام بَسَط الله الى قوله فاهبط.

اقول: هذا الحديث الشريف الّذى صَدرَ عن مَعدن العلم والحكمة ومنبع الحقائق والعصمة يكفينا فى بيان كيفية خروج آدم وحوّا عن الجنّة واغترارهما بما قال اَبليس لهما وفيه فوائد لايخفى على المتامل...

□ وامّا قوله عليه السلام: **فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ** الخ: فاشارة الى نتيجة الغفلة والاغترار بما قال له ابليس وخلاصة ما فرّع عليه السلام على هذه الدّاهية اربعة:

الاوّل: فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ اى باعَ آدم يقينه بالشّك الّذى حصل له من وسوسة ابليس بوسيلة الحواء والمراد بيقينه يقينه الحاصل له من قوله تبارك **﴿اَنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[1]، وقوله **﴿لاٰتَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾**[2] وامثال ذالك ولا ينبغى للعاقل ان باع اليَقين بالشك ولذالك قال الامام الصادق لاتنقض اليقين بالشك، ولكن تنقضه بيقين آخر، كما فى الاستصحاب.

ويمكن ان يكون المراد فباع يقينه بشك ابليس وهذا ايضاً من المحتمل وكلاهما مذمومان عقلا.

والثانى: وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، اى باع العزيمة والأهتمام والاجتهاد بوَهنه اى بوهن آدم اَو بوهن الشّيطان كالجملة السابقة وكلاهما ايضاً مذمومان

الثالث: وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً: اى استبدَلَ آدم السُّرور والفَرَح بالوَجَل والخَوف لانّه فى اوّل الامر قبل وسوسة الشيطان كان مَسرُوراً بدخوله الجنّة ومرافقة الابرار وبعد الوسوسة وخروجه منها كان خائفاً لايعلم بقبول توبته

---

١. الاعراف / ٣٣.

٢. البقره / ٣٥؛ الاعراف / ١٩.

وعدمه على انّه بعد قبوله ايضاً الخوف باق له ولأولاده فانّ فراق الجنّة شديد والوصول اليها ثانياً عَسيرٌ وعدم العلم بانّه هل يمكن دخول الجنّه ام لااشدّ واَعسر...

الرّابع: قوله: وَبِالْاِغْتِرارِ نَدَماً، وهذا ايضاً اشارة الى انّ آدم بسبب اغتراره بوسوسة ابليس حَصل له النّدامة الابديّة كما تدّل عليه توبته وبكائه على خطيئته كما

□ قال عليه السلام: ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ اِلىٰ جَنَّتِهِ ،وَاَهْبَطَهُ اِلىٰ دارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَناسُلِ الذُّرِّيَةِ متن.

اى بعد ما عصى آدم ربّه كما قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[1] مَنَّ الله عليه بثلثه اشياء كلّ واحد منها من اكبر نعم الله عليه وهو انّه تعالى بَسَط اى وَسّع له فى توبته ولقّاه كلمة رحَمَته ووَعدَه الرّجوع الى الجنّة الّتى اَخرجه الله منها وبعد ذالك كلّه (هَبط الى دار الدنيا فقوله: فاهبط الخ تفريع على جميع ما تقدّم من بدو خلقته الى زمان وقوع وسوسة ابليس ايّاه فالكلام يقع فى اربع مقامات:

امّا المقام الاوّل: قوله عليه السلام ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، ولنرجع الى بقيته الحديث فنقول قال الامام عليه السلام:

وقلنا يا آدم ويا حَوا ويا ايّتها الحيّة ويا ابليس اهبطوادَ بعضكم لبعضٍ عَدُوّ، آدَم وحَوّا وَوَلدهما عدّو لأبليس والحَيَّة وابليس وحيّة واولادهما اعدائكم ولكم فى الارض مُستقّروَ وَمنزل ومقرّ للمعاش ومتاعُ منفعة الى حين الموت قال الله تعالى فَتلَّقى آدم من ربّه كلماتٍ، يقولها فقالها فتاب الله عليه بها انّه هو التّواب الرّحيم.

التّواب القابل اِلتّوبات والرّحيم بالتّائبين، قلنا هبطوا منها جميعاً كان اَمرَ فى الاوّل ان يَهبطا وفى الثانى اَمرَهم ان يهبطوا جميعاً لايتّقدم احدهم الاخر

---

١. طه / ١٢١.

والهُبوط انّما هو الهُبوط لادَم وحوّا من الجنّة وهبوط الحيّة ايضاً منها فانّها كانت من اَحسَن دَوّابها وهُبوط ابليس من حواليها فانّه كان مُحَرَّماً عليه دخول الجنّة ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾[1] ياتيكم واولادكم من بعدكم هدى يا آدم ويا ابليس ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُداىَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا يَحْزَنُونَ﴾[2].

لاخوف عليهم حين يخاف المخالفون ولا يَحزَنوُن اذا يَحزَنوُن، فلمّا زَالت من آدم الخطيئة اِعتَذَر الى ربِّه عزَّ وجل وقال ربِّ تُب عَلَيّ واقبِل مَعذرتى واَعدِنى الىمَرتَبتى واَرفَع لَدَيك دَرَجتى فلقد تَبيَّنَ نقص الخطيئة وذلّها فى اعضائى وسائربَدنى.

قال له تعالى: يا آدم امّا تذكر امرى ايّاك ان لم تَدعونى بمحمّدٍ وآله الطيّبين عند شدائدك ودواهيك وفى النّوازل تنهظلك قال يا ربّ بلى قال الله عَزَّ وَجلّ فيهم وبمحمدٍ وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم خصوصاً فادعنى اُجبك الى ملْتَمسكِ وازدك فوق مرادك.

فقال آدم يا ربّ وقد بلغ عندك من مَحلّهم انّك بالتّوسِل اليك، بهم تقبل توبتى وتغفر خطيئتى واَنا الّذى اَسجَدت له ملائكَتِك وابَحَته جنتك وزوّجته حوّا اَمَتكَ واَخدَمتَه كرام ملائكتك.

قال له تعالى: يا آدم انّما امرت الملائكة بتعظيمك بالسُّجود لك اذ كنتَ وِعاءً لهذه الانوار ولو كنتَ سَئَلتَنى بِهم قبل خَطيئتك ان اَعصِمكَ منها وان اُفَطِنَّكَ لِدواعِى عَدوّك ابليس حتّى تَحتَرز منها لكنتُ قد جعلتُ ذالك ولكن المعلوم فى سابق علمى يجرى موافقاً لعِلمى فالآن فادعُنى بهم لأُجيبك فعند ذالك قال آدم اللّهم بجاه محمدٍ وآله الطيبين الطاهِرين بجاهِ محمّد وعلىٍ وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلِهم لمّا تَفضَّلت بقبول توبتى وغفران ذِلّتى واعادتى من كِرامتك الى مَرتبتى قال الله عزّ وجل قد قبلتُ توبَتك واقبلت رضوانى عليك وصرفّت الآئى ونَعمائى عليك (اليك) واَعدَئكَ

---

١. البقره / ٣٨.

٢. البقره / ٣٨.

الى مَرتَبتك من كراماتى ووَفَرُت نَصيبَك من رحماتى فذالك قوله عزّ وجل: ﴿فَتَلَقىٰ اٰدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ﴾[1]، قال له تعالى: لِلّذين اهبَطَهم من آدَم وحَوّا وابليس والحَيّة ولكم فى الارض مستقرّ مقام فيها تعيشوُن وتَحتّكم لياليها وايّامها الى السّعى فى الآخرة فطوبى لمن يروضها لدار البقاء ومتاع الى حين، لكم فى الأرض مَنَفعة الى حين موتكم لانّ الله تعالى منها يخرج ذُروعكم وثماركم وبها ينزّهكم ويُنعمكم وفيها ايضاً بالبلايا يمتحنكم يُلذّذكم بنَعم الدّنيا تارةً لتذكر نعيم الاخرى ويدخله الخالص ممّا ينقصق نعيم الدنيا ويبطله ويزهدّ فيه ويصفره ويحقره ويمتحنكم تارةً ببلايا الدّنيا الّتى قد يكون فى خلالها الزّحمات وفى تضاعيفها اَلنَقَمات المُحجَفة تدفع عن المبتلى بها مكاره ليحذركم بذالك عذاب الأبَد الّذى لايَشوُبه عافية ولا يقع فى تضاعيفه راحة ولا رحمة وقلنا اهبطوُ قد فسر مكارهها.

ثم قال عز وجل ﴿وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰياٰتِنا﴾[2] الدّالات على صدق محَمّدٍ على ما جاء به من اخبار القرون السّالفة وعلى ما ادّاه الى عباد الله من ذكر تفضيله لعلّيٍ وآله الطيّبين خير الفاضلين والفاضلات بعد محمدٍ سيّد البريّات اولئك الدافِعوُن لصدقِ محمدٍ فى ابنائه والمُكذّبون له فى تصديقه لاوليائه على سيّد الاوصياء والمُنتَجَبين من ذُريّته الطّيبين الطّاهرين انتهى.

هذا الحديث الّذى نقلناه بطوله مشتمل على حقائق الأسرار ودقائق الايجاد ومع ذالك اَحسَن شرح لقوله عليه السلام ثم بَسَطَ الخ، وبالجملة مُوضح لكيفية خروج آدم من الجنّة وحيث ان قصة آدم وخروجه منها وهُبُوطه الى الارض ممّا لاينكر ولا يمكن الخدشته فيها بوجه من الوجُوه لدلالة القرآن عليها صريحاً ولا يمكن الاعتماد على التّواريخ المَسطورة الّتى لاتوافق مذهب اهل البيت فرجوع الامر اليهم اولى واستماع القصّة منهم احرى فانّ اهل البيت ادرى بما

١. البقره / ٣٧.
٢. البقره / ٣٩.

فی البیت، کیف وهذا من القضایا الّتی وقعت قبل التاریخ فکلّ ما قیل فیه او یقال من غیر طریق اهل البیت یضرب به علی الجدار ولهذا تَمَسکنا فی شرح الجملات وتوضیح المشکلات وبیان اصل المطلب بذیل عنایتهم صلواة الله علیهم.

▫ **ثم انّ قوله**ﷺ: **ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحانَهُ لَهُ فِی تَوْبَتِهِ**، فقد اشار الیه الصادقﷺ فی الحدیث کما علمت.

واما المقام الثانی: وهو قوله **وَلَقّاهُ کَلِمَةَ رَحْمَتِهِ**، ایضاً عرفت انّ المقصود من کلمة الرحمة الّتی لقاها الله تعالی ایّاه الأنوار الخمسة.

واما المقام الثالث: وهو قوله **وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ اِلیٰ جَنَّتِهِ** فقد اشار الیه الصادقﷺ حیث قال فطوبی لِمَن یروضها لدار البقاء.

والمقام الرابع: وهو قوله **وَاَهْبَطَهُ اِلیٰ دارِ الْبَلِیَّةِ، وَتَناسُلِ الذُّرِّیَةِ** .

فاشار الیه ایضاً کما عرفت، وقد اشار الی المقام الاول **﴿فَتابَ عَلَیْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحیمْ﴾**[1]

والی المقام الثانی بقوله: **﴿فَتَلَقّیٰ اٰدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ﴾**[2]

والی المقام الثالث: بقوله: **﴿وَلَکُمْ فِی الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ اِلیٰ حِینٍ﴾**[3]

و **﴿یا اَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعی اِلیٰ رَبِّکِ راضِیَةً مَرْضِیَّةً فَادْخُلی فِی عِبادی وَادْخُلی جَنَّتی﴾**[4]

والی المقام الرابع: اشار بقوله: **﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمیعاً﴾**[5].

تَنبیهٌ عَرَشی: فی هذه الخطبة اعنی قصة خلق آدم الی هنا، فوائد یجب التنبیه علیها:

الاولی: انّ آدم وحوّا علیهما السلام خُلقا فی اوّل الامر والبَشَر من نسلهما

---

۱. البقره / ٥٤.
۲. البقره / ۳۷.
۳. البقرة / ۳٦.
٤. الفجر / ۳۰-۲۷.
٥. البقرة / ۳۸.

وجُدوا فما قال اَلطبّيعيوُن كَداروين ومَن يَحذوُ حَذوه فى كيفية نسل البشر وانّه نَشَاء من الحيوانات بالتّكامل لاوَجه له. امّا او لافلانّ القرآن اَصدَق قائلٍ والله تعالى اَنطَق ناطقٍ واَصدَق صادقٍ وكذا الائمة المعصومون بل جميع الكتب المنزلة كالتّورايةِ والأنجيل والزّبور بانّ آدمﷺ مَبدَء نَسل البَشَر بالشَّرح الّذى مرّ ذِكره فلا يمكن للعاقل ان اَعرَض عن جميع الكتب المَنَزلة السّماويّة واَلتزم بأوهام وخرافاتٍ صَدرَت من افكار غير مستقيمةٍ ووساوس شيطانيّة وتلك الأوهام وان كانت غير قابلة للبحث عنها بل صَرف القلم عنها اولى لانّها فى الحقيقة من الاباطيل الّا انّه لمّا اَنجَز البَحث الى خلقة آدمﷺ لاباس بذكر ما قاله دَروين ومن قَلدَّه ومَن تَقدَّمه تَتميماً للفائدة وتكميلاً للبحث، فنقول: قال فى دائرة المعارف فى شرح حاله ومذهبه:

دَروِين شارل روبيرت دروين الطَبيعى الأنجلزى المشهور وهو صاحب الرّاى القائل بان الأنسان مُتسَلسل من سُلالةٍ حيوانيّةٍ وانّ كلّ الكائنات له اصل واحد او اصول قليلة ثم قال: ليس دَروين اوّل من قال هذه المقالة وانّما هو اوّل من استطاع ان يدعمها دعماً علمياً، ولد فى سنة ١٨٠٩ وتوفى فى سنة ١٨٨٢ ـ م، مذهب دروين ويقال له مذهب النَشوء والارتقاء هو المذهب القائل بانّ الأحياء الارضّية كلّها نَشئَات بالتَّسَلِسُل من اصلٍ واحداً واصولٍ معدودةٍ، وَلَيسَ دَروين اوّل من ظهر بهذه المقالة سبقه اليها الاساتذة الفريسنون ماييه ولا مارك وآتيين جوفرواسان هيلير وانّما فضل دروين ينحصر فى تاسيس هذا المذهب على قواعد علميّة مَتينة فَنسُب اليه دون غيره اَصبَحت نظرية التَسَلسُل عقيدة لدَىَ العُلما الّا افراداً منهم وليس اجماعهم عليها لانّها اَصبَحت من المعلومات المُمِكن اثباتها بالحسّ ولكن لانّها اقرب لِحَلِّ المعاضِل العِلميّة ثم قال: اَسَّس دروين مذهبه على نواميس اربعة كلها طَبيّعيته وهى:

١ـ ناموس تنازع البقاء ٢ـ ناموس الأنتخاب الطّبيعى ٣ـ ناموس المُطابقة ٤ـ ناموُس الوِراثة.

امّا ناموس تنازع البقاء: فمعناه انّ الأحياء الارضيّة كلها متنازعة فى البقاء وكلّ منها عاقل على توفير وجوده وان عدا على وجود غيره.

امّا ناموس الانتخاب الطّبيعى: فمعناه انّ نتيجة هذا التنازع كلّه بقاء الأَصلَح للبقاء وهلاك غير الأصلَح او زيادة ضعفه كان الطبيعة تنتخب الاقوى والأكمَل فتبقيه وتلاشى الأضعَف والأنقَص وتبيده ليكون نتيجة ذالك الارتقا بمعناه الأَعم.

وامّا ناموس المُطابقة: فمعناه انّ لِنَوع الأَغذية وطرق الوصول اليها دخلاً كبيراً فى اِحداث الأختلافات بين الانواع مثلاً المعروف عن الاسد اَلآن انّه حيوان اَكلة اللُّحوم مفترس له انيابٌ حادّة وبرائِن قويّة لاضطراره لتمزيق فريسته بأنيابه واظفاره فلو اوجدت الأسد الافامن السّنين متوالية فى وسط لايمكنه من الافتراس ويجبره على تعاطى الأغذية النباتيّة اضطّر بحكم الضرورة لتعاطيها فتَبطل وظيفة انيابه الحادّة واظفاره الماضيّة متضعف على توالى الأحقاب وتضمر وتوجد فيه الآت اخرى اَصلَح لمعيشة الجَديدة ظاهراً وباطناً كان يتغيّر ظاهراً شكل اسنانه وتطول امعائه لتحاكى امعاء اكالة الحشائش من الحيوانات الى غير ذالك من التّنوعات ولو فرض اِنّ تلك النباتات لاتتسنّى له الّا بخوض نهرٍ او بالتّعلق على الأشجار تخلّقت فيه على توالى الأحقاب اعضاء تناسب السّباحة او التّسلق الخ...

وامّا ناموس الوِراثة: فَمعناه انّ الصّفات العَرَضيّة الّتى تحدث فى الآباء بواسطة اختلاف الاحوال والاوساط المعيشية تنتقل الى الابناء فتنشاء تلك الابناء مختلفة فيما بينها ولا يزال هذا االاختفاء يقوى على مَرّ الآصال والقرون حتّى تستحيل تلك الاختلافات العَرضية الى اختلافات جوهريّة توهم الرائى فى مبدئها توالت عليها الحُقب حَتى ازدادت تَأصلاً فى الكائن الحَى ونَمَت فيه فأَدته الى مبانية الاصل الّذى نشاء منه تمام المبانية حتّى انّ الرائى لهما يظنّهما من نوعين مستقلين وهما من نوع واحد.

كما نرى ذالك بين الحمار والحصان فانّهما على مقتضى مذهب دروين من نوع واحد وانّما اختلف الحمار عن الحصان هذا الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الّذى عاش فيه الحمار والجهاد المعيشى الشديد الّذى يلى به، ثمّ قال صاحب دائرة المعارف: اذا تقرّر كلّ هذا فهل مذهب دروين صحيح وهل الانسان مُترَّق من القَرِد وهل بينه وبين الكلاب قرابة قريبة كما يقول انتهى ما قاله فى مذهب داروين بالفاظه، ثم قال: اكبر الأعتراضات على هذا المذهب تنحصر فى ثلاثة امور:

اوّلاً: عَدَم مشاهدة ايّ ارتقاءٍ من ايّ نوعٍ كان فى الاحياء الأَرضيّة من عهد الوف عَديدة من السِنيّين.

ثانياً: عدم وجود الصّور المتّوسطة بين الأنواع اللازمة لمذهب التَسَلْسل كأْن يوجد مثلا حيوان ارقى من القرد رتبةٌ واحدةٌ وادنى من الانسان رتبة واحدة ايضاً.

وثالثاً: طول الزّمان اللّازم لحصول التّرقى بين الاحياء فانّ عمر الارض كما قالوا لايكفى لاِحداث كلّ ما يرى من هذه الاشكال المختلفة غاية الاختلاف انتهى ما اردنا نقله عن دائرة المعارف فريد وجدى ج ۴ حرف (درو)، اقول: اذا عرفت اساس مذهبه وانّه مبتن على اركان اربعة:

فاعلم انّ هذه الاعتراضات الثلاثة الاخيرة الّتى عبّر عنها صاحب كتاب دائرة المعارف باكبر الاعتراضات غير واردة عليه اصلاً فضلاً عن كونها اكبر الاعتراضات وذالك لانّ مدار الاعتراضات كما ترى على وجدان الأرتقأ او عدم وجود الصّور المتوسطة او عدم كفاية عمر الارض لاحداث كلّ ما يرى من هذه الاشكال المختلفة وكلّها ليس بشيئى، امّا الاعتراض الاوّل فلانّ عدم مشاهدة الارتقاء لايدلّ على عدمه مطلقاً اذ نفى الخاص لايستلزم نفى العام. وامّا الاعتراض الثانى فلانّ عدم وجود الصّور المتوسطة بين الانواع ليس بصحيح اذ يمكن وجوده ونحن لانعلم به وعدم الوِجدان لايدلّ على عدم الوجود وامّا

الاعتراض الثالث: فلانّ عُمر الارض لايكفى لاحداث كلّ ما يرى قولٌ بلادليل بل تَحَكّمْ بَحت وذالك لانّا لانعلم عُمر الأرض حتّى ندّعى بمثل هذا الادّعاء وهذا يليق بمَن يَعلَم دقيقاً عُمر الارض ثم القول بانّه يكفى اولا يكفى بل الحقّ فى الجواب عن اصل الاشكال هو ان يقال.

امّا ناموس تنازع البقاء: فلا اشكال فيه ولا يدلّ على مدعاه اصلاً وذالك لانّ تنازع البقاء امر واقع مَحسُوس بعد الوجود وبعبارة اخرى الموجودات باعيانها وصورها على ما هى عليها مشمولة لهذا القانون ونحن لانـنكره بل نويّده وذالك لانّ الموجودات الأرضيّة من الجماد والنبّات والحيوان والانسان على الترتيب كلّ سافلٍ منها يَتحرّك نحو العالى فالجماد يتحرك الى النبات والنّبات الى الحيوان والحيوان الى الانسان والانسان الى الانسان الكامل وهو الى الله تعالى انّا لله وانّا اليه راجعون.

الا ترى انّ الانسان ياكل الحيوان وهو ياكل النّبات والنّبات ياكل الجماد كلّ ذالك بحسب ترتيب الخِلقة ولا سيما على القول بثبوت الحركة الجوهرية فان المقصود منها نيل الموجود الى كماله المترقّب وكمال كل شيئى بحَسَبه فكمال الجماد بان يصير نباتاً اذ هو اَشرَف منه وكمال النّبات ان يَصير حيواناً وكمال الحيوان ان يصير انساناً وكمال الانسان ان يصير عالماً عقلياً يضاهى عالم الحسى ويستغرق فى جمال الحقّ وصفاته ويصل الى مقام الفَناء فى الله وهذا امر مُسلَّم غير مَردُودٍ عندنا وسائر العقلاء والفلاسفة والمُتَشرعة فان اراد بقانون تنازع البقاء هذا التنازع فهو لااشكال فيه بل يدلّ على التوحيد الحقيقى ولا ربط له اصلاً بخلق البشر وانّه كيف نَشاءَ من انسانٍ او حيوانٍ، وسِرّه هو انّ البحث فى انّ الانسان فى بدو خلقه كيف وُجد وقانون التنازع يجرى بعد وجود الموجودات على صورتها ولا كلام لنا فيه وهذا ظاهر وان اراد منه غير هذا فعليه البيان...

وامّا ناموس الانتخاب الطبيعى: فجوابه يعلم ممّا ذكرناه فى جواب تنازع

البقاء اذ مدار ناموس الانتخاب الطبيعى على انّ نتيجة هذا التنازع بقاء الأصلَح الخ، وذالك لانّا نقول لااشكال فيه كما مرّ الّا ان البحث ليس فيه اذ هذا القانون وكذا القانون السابق فى كيفية تعيش الموجودات بحسب قانون الخِلقة ونظام الطّبيعى ولا ربط له بما نحن فيه اصلا.

وامّا ناموس المطابقة: فنقول: هذا ايضاً خارج عن البحث، ولا يدلّ على مدّعاه اذ مداره على انّ الأسَد مثلاً او كلّ حيوانٍ اذا فَرَضنا تغيير مَسيره فلابدّ من ان يتغيّر اوصافه وخصوصياته من الأنياب والمخالب والظّفر وغيرها فنوع الاغذية وطرق الوصول اليها له دخل فى احداث الاختلاف بين الانواع وليس الامر كذالك.

امّا اوّلا: انّ الأسَد مثلاً فى بَدو تَولُّده ووجوده له انياب حادة، وهكذا كلّ اسد فى كل زمان فانّه لم يُوجَد فى العالم اسَدٌ ليست له انياب، وهذا دليل على انّ الخالق المتعال اَوجَده كذالك وخَلَق له اللّحوم المناسب لها وهذا كما فى الطفل فانّه قبل تولّده جَعَل الله تعالى لَبنه فى ثَدى امّه فلا يمكن ان يقال لو فرضنا عدم اللّبن فى العالم واحتياج الطِفل الى اكل اللُّحوم من اوّل الامر او الخُبز او النّبات او غيرها فلابدّ له من تحصيل الاسنان ليقدر على اكلها، فانّ الفرضيات ولا سيما الفرضيات الّتى تستحيل عادةً او عقلاً لاتصلح لان تكون اصلاً ودليلاً لأِن يبُتنى عليه الفرع، فقوله ولو فرض ان تلك النباتات لاتتسنّى له الّا بخوض نحر (نهر) او بالتسلّق على الاشجار تخلّقت فيه على توالى الاحقاب اعضاء تناسب السباحة ـ او التّسلق.

نقول فى جوابه هذا فرض نظير انّا فرضنا انّ الماء لايوجد فى العالم فلابدّ للانسان والحيوان والنبات من تغيير الجسم فانّ الاجسام الموجودة لايمكن لها التّعيش بدون الماء ففى صورة عدم الماء او تبديل الماء بالنار مثلاً ان تتبدّل الاجسام بالاجسام الناريّة حتّى يحصل التناسب وهل هذا الّا هذيان.

وامّا ناموس الوراثة: فنحن ايضاً نقول به اجمالاً بالنسبة الى الصّفات وامّا انّ

الصّفات العرضية الّتى تحدث فى الاباء بواسطة اختلاف الاحوال والاوساط تنقل الى الابناء حتّى تستحيل الى اختلافات جوهريّة فَمردوّد عقلاً فانّ العرض لايصير جوهر او بالعكس اذ انقلاب الماهيّة محال على ما بيّن فى الفَلسفة كيف والأعراض قائمة بالمحال والجواهر بنفسها فلا يمكن ان يصير العرض جوهراً نعم لايبعد كون الاعراض من لوازم الذّات بحيث لايمكن انفصالها عنه وهذا غير صيرورتها جوهرا.

فالقوانين الاربعة المذكورة على فرض صحّة بعضها لايدلّ على المُدعا وبعض آخر منها كالاخيرين لايعقل اصلاً فكلّ ما فَرّعُوه عليها باطل فلابدّ له من اقامة برهان آخر يتمّ به غرضِه وحيث ليس فليس وفى هذا القدر كفاية لاولى الدّراية ومن اراد التَفضيل فَعَليه بمظّانه انتهى...

الثانية: وانّ الله تعالى بعد ما خلق آدمعليه السلام خلق حوّا ولكن وقع الاختلاف فى كيفية خلقها، فمن الروايات ما يدلّ على انّها خلقت من اضلاع آدم، مثل ما روى فى البحار عن اميرالمؤمنينعليه السلام **قال خلقت حوّا من قصير اجنب آدم والقصير هو الضّلع الاصغر وابَدَل الله مكانه لحماً انتهى، وباسناده عن ابيه عن آبائه قال خلقت حوّا من جنب آدم وهو راقد**[1] وعن ابى على الواسطى قال قال ابو عبداللهعليه السلام **انّ الله خلق آدم من الماء والطّين فهمة آدم فى الماء والطين وخلق حوّا من آدم فهمة النساء فى الرجال فحصّنوهنّ فى البيوت**[2]

وباسناده عن ابيعبداللهعليه السلام **قال سئلته عن قول الله تبارك وتعالى هو الّذى خَلَق من الماء بَشَراً فَجَعَله نَسَباً وَصِهراً قالعليه السلام ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العَذب وخلق زوَجَته من سنخه فَبَرأها من اَسفَل اضلاعه فجرى بذالك الضلع بينهما سَبَب نَسَبٍ ثمّ زوّجها ايّاه فجرى بسبب ذالك بينهما صهراً فذالك قوله نسباً وصهراً يا اخا بنى عجل ما كان من نَسَب**

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣١.
٢. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣١.

الرّجال والصّهر ما كان بسبب النساء[1] ومن الرّوايات ما يدلّ على خلافه.

١ـ منها: ماورواه فيه ايضاً باسناده من وَهَب قال انّ الله تعالى خلقها من فَضل طينةِ آدَم على صورته وكان القّى عليه النغاس واراه ذالك فى منامه وهى اوّل رؤيا كانت فى الارض فاَنتَبه وهى جالسة عند راسه فقال عز وجل يا آدم ما هذه الجالسة قال الرُّويا الّتى اَريَتنى فى منامى فآنَس وحَمِد الله تعالى فاوحى الله تعالى الى آدم انّى اَجمَع لك العِلم كلّه فى اربع كلمات واحدة لى، وواحدة لك، وواحدة فيما بينى وبينك، وواحِدة فيما بينك وبين الناس. فامّا الّتى لى فَتَعبدنى ولا تُشرك بِى شيئاً، وإمّا الّتى لك فأجزِيك بعملك اَحوَج ما تكون اليه، واَمّا الّتى فيما بَينى وبَينَك فَعَليك الدعاء وعَلىّ الأِجابة، وَامّا الّتى فيما بَينَك وبَينَ النّاس فَتَرضى لِلنّاس ما تَرضىٰ لِنفسك[2]

٢ـ ومنهاً ما رواه بسنده عن ابى جعفر الباقر عليه السلام حين سئل فى ايّ شيئى خَلَق الله حوّا فقال عليه السلام ايّ شيئٍ يقول هذا الخلق قلت يقولون انّ الله خَلقَها من ضلعٍ مِن اَضلاع آدم، فقال كَذبوُا كان يعجز اَن يَخلقها من غير ضِلعه، فقلت جعلت فداك يابن رسول الله من ايّ شيئٍ خَلقَها؟ فقال اَخبَرنى ابى عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تبارك وتَعالى قبض قبضة من طينٍ نخلطها بيمينه وكلتا يَدَيه يَمين فخلق منها آدم عليه السلام وفَضَلت فَضلَةً مِن طينٍ فَخَلق منهاحَوّا[3].

اقول: والحَقّ فى المقام هو القول الثانى، والرّوايات الاولى انّما صَدرَت تقيّه كما عرفت فى الخبر الأخير حين سَئَل الأمام السائِل عن قول الناس وجوابه الامام قال كذبوا فهذا اوّل دليلٍ على انّهم قائلون به مع انّ العقل ايضاً يؤيّد القول الثّانى اذ قول الاوّل مستلزم لعَجزه تعالى كما اشار اليه الامام عليه السلام.

وعلى ايّ تقدير لاخلاف فى اصل الموضوع وهو العُمدة فلا اشكال فى

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣٠.
٢. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣١.
٣. بحارالانوار، ج ٥، ص ٣١، ط كمپانى.

المقام بان يقال كيفية خلق حوّاعليها السلام وكيفيّة خلق آدم لافرق بينهما فكما انّه تعالى خلق آدم فكذالك خَلَق حوّا والحمدلله رب العالمين.

٣ـ وثالثها: فى انّ كيفية النّسل منهما كيف كانت وفيها ايضاً اختلفت الروايات والأقوال، فمن الرّوايات الواردة فى المقام، مارواه الثّمالى عن على ابن الحسينعليه السلام قال سمعته يقول ويُحدِّث رجلاً من قريش، قال لمّا تاب الله على آدمعليه السلام واقَعَ حَواء ولم يكن غَشيها منذخِلق وخُلقتِ إلّا فى الأرض وذالك بعد ما تاب الله عليه قال عليه السلام: وكان آدم يُعظّم البيت وما حَوله من حُرمة البيت وكان اذ ارادان يُغشّى حَوّا خَرَج من الحَرَم وأخرَجها مَعه فاذا جاز الحَرم غَشيّها فى الحِلّ ثم يغتسلان منه إعظاما لِلحَرَم ثم يرجع الى فناء البيت.

قال فولد لآدم من حوّا عشرون ولدا ذكرا وعشرون انثى فولدله فى كلّ بطنٍ ذكرٌ وأُنثى فاوّل بَطنٍ وَلَدت حَوّا هابيل ومَعَه جارية يقال لها اقليما قال وَوَلَدت فى بطن الثانى قابيل، ومعه جارية يقال لها لوزا وكانت لُوزا اجمل نبات آدم قال فلما اَدرَكوا خاف عليهم آدم الفتنة وقال ارايد ان انكحك يا هابيل لوزا وانكحك يا قابيل اقليما قال قابيل ما اَرضى بهذا اَتُنكِحنى اخت هابيل القَبيحة وتُنكح هابيل اختى الجَميلة، قال آدم فانا اَقرع بينَكما فان خَرَج سَهمك يا هابيل على لوزاء وخَرَج سَهمَك يا هابيل على اقليما زوجت كلّ واحد منكما الّتى اخرج سَهمَه عليها قال فرضيا بذالك فاقترعا، قال فَخَرج سَهم هابيل على لوزاء وخرج سَهم قابيل على اقليما اخت هابيل فَزوَّجهما على ما خَرَج لهما من عندالله قالعليه السلام ثم حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذالك قال فقال له القرشى فاولداهما قال: نعم فقال القرشى فهذا فِعل المَجوُس اليوم فقال على ابن الحسين انّ المجوس انّما فعل ذالك بعد التَّحريم مِن الله ثم قال على ابن الحسين لاتنكر هذا اليس الله قد خَلقَ زوجة آدم منه ثم احَلَّها له فكان ذالك شريعة من شرائعهم ثمّ اَنزَل الله التَّحريم بعد ذالك انتهى[1]

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٦١، ط كمپانى.

اقول: ويظهَر من هذه الرواية وامثالها انّ كيفية بدء النسل بينهما كانت بسبب تزويج الذكور والأناث من بطنين كل واحد منهما مع الاخر وهذه الرواية ونظائرها محمولة على التّقية اذ العامة يقولون بمفادها مع انّ العقل ايضاً يأباه ولنا روايات اَصَحّ منها تدلّ على خلافها:

فمنها: مارواه فى البحار ايضاً بسنده المتّصل عن زرارة يقول: سئل ابو عبدالله عن بدء النّسل من آدم كيف كان وبدء النّسل من ذرّية آدم فانّ اناسا عندنا يقولون انّ الله تعالى اوْحىٰ الى آدم ان يزّوج بناته بنيه وانّ هذا الخلق كلّه اصله من الأخوة والأخوات فقال ابو عبدالله تعالى عن ذالك علوّاً كبيراً، يقول من قال هذا بانّ الله عزّ وجلّ خلق صفّوة خلقه واحبائه وانبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال وقد اخذ ميثاقهم على الحلا الطّهر الطّاهر الطّيب، فوالله لقد تبيّنت ان بعض البهائم تنّكرت له اخته فلمّا نزاعليها ونزل كشف له عنها فلمّا علم انّه اخته اَخرَج عُزمُو لَه ثم قبض عليه باسنانه حتّى قطعَه فخرّميتا وآخر تنكرت له امّه ففعل هذا بعينه.

فكيف الأنسان فى انسيّته وفضله وعلمه غير انّ جيلا من هذا الخلق الّذى ترون رغبوا عن علم اهل بيُوتات انبيائهم واخذوا من حيث لم يُؤمَروا بأخذه فصار والى ما قد ترَون من الضّلال والجَهل بالعلم كيف كانت الاشياء الماضية من بدء ان خلق الله ما خلق وما هو كائن اَبَداً ثمّ قال: ويح هؤلاء ايَنْ هم عَمَّا لم يختلف فيه فقهاء اهل الحجاز ولافقهاء اهل العراق انّ الله عز وجل اَمرَ القَلَم فجَرى على اللّوح المَحفوُظ بما هو كائن الى يوم القيمة قبل خلق آدم بالَفى عام وان كَتَب الله كلّها فيما جرى فيه القلم فى كلّها تحريم الأَخوات على الإخوَة مع ما حَرَّم وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الاربعة المشهورة فى هذا العالم التّوراية والأنجيل الزّبور والقرآن اَنزَلَها من اللّوح المَحفوُظ على رسله صلوات الله عليهم اجمعين، منها التّوراية على موسى والزّبور على

داود، والأنجيل على عيسى والقرآن على محمدٍ، وعَلَى النبيّين ليس فيها تحليل شيئى من ذالك حقّاً ثمّ انشاء يحدّثنا كيف كان بدء النّسل من آدم وكيف كان بدء النّسل من ذريّته؟

فقال عليه السلام: انّ آدم وُلِد له سَبعوُن بطناً فى كلّ بطنٍ غلام وجارية الى ان قتل هابيل فلمّا قتل قابيل هابيل جَزَع آدم على هابيل جزعاً قَطَعه عن اتيان النّساء فبقى لايستيطع ان يغشّى حوّا خمُسْمائة عام ثمّ تخلى ما به من الجَزَع عليه فَغشّى حوّا فوَهَب الله له شيثاً وحَدَه ليس معه ثانى واسم شيَث هبة الله وهو اوّل وصّيٍ اَوحى الله اليه من الآدميين فى الأرض ثم وُلِد له من بعد شيث يافث فليس معه ثانى فلمّا ادركا واراد الله عزّ وجل ان يبلغ بالنّسل ماترون وان يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عز وجل من الاخوات على الاخوة اَنزَل بعد العصر فى يوم الخميس حَوراء من الجَنّة اِسمها بَركة فامَر الله عز وجل آدم ان يزّوجها من شيث فزوّجها منه ثم نَزَل بعد العصر من الغَد حوراء من الجنّة اسمها مَنزلة فامر الله عزّ وجل ان يُزَوجها من يافث فَزوَّجها منه فولد لشيث غلام، وولد ليافث جارية فامر الله عز وجل آدم حين ادركا ان يُزوّج بنت يافث من ابن شيث ففعل ذالك فولد الصَّفوة من النَبيّين والمرسلين ونسلهما ومعاذ الله انّ ذالك على ما قالوا من الاخوة والاخوات[1]

ومارواه فيه ايضاً عن كتاب المختصر بسنده عن معاوية ابن عمّار، قال سئلت ابا عبدالله عن آدم ابى البشرا كان زوّج ابنته من ابنه؟ فقال معاذ الله والله لو فعل ذالك آدم لما رَغب عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان آدم الّا على دين رسول الله فقلت هذا الخلق من ولد مَن هُم ولم يكن الّا آدم وحوّا لانّ الله تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾[2]، فأخبَرنا انّ هذا الخلق من آدم وحوّا فقال صدق الله

---

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٦١-٦٠.

٢. النساء / ١.

وبلّغت رسله وانا على ذالك من الشاهدين فقلت فَفسِّر لِي يابن رسول الله.

فقال عليه السلام: انّ الله تبارك وتعالى لمّا اَهبَط آدم وحوّا الى الارض وجَمعَ بينهما فولدت حوّا بنيّاً فِسَمّاها عناقا فكانت اوّل من بقر على وجه الأرض فسَلّط الله عليها ذئباً كالفيل ونسراً كالحِمار فقَتلاها ثمّ ولدله اثر عناق قابيل ابن آدم فلمّا اَدرَك قابيل ما يدرك الرجل اَظهَر الله تعالى جنّيته من ولد الجانّ يقال لها جهانه فى صورة انسيّة فلمّا راها قابيل وَقَعها فأوحَى الله الى آدم ان زوّج جَهانة من قابيل فَزَوّجها من قابيل ثمّ ولد لآدم هابيل فلمّا اَدرَك هابيل ما يدرك الرّجال اَهبَط الله الى آدم حوراء واسمها تَرَك الحوراء فلمّا راها هابيل وقَعَها فاوحى الله الى آدم ان زوّج تركاً من هابيل ففعل ذالك فكانت تَرك الحوراء زوجة هابيل ابن آدم، ثمّ ساق الحديث والحديث طويل الى ان قال: وان هابيل يوم قتل كانت امرئته ترك الحوراء حُبلى فولدت غلاماً فسمّاه آدم باسم ابنه هابيل وانّ الله عزَّ وجَل وهَبَ لِآدَم بعد هابيل ابناً فسمّاه شَيث ثم قال ابنى هذا هبة الله فلمّا ادرك شيث ما يدرك الرّجال اَهبط الله على آدم حوراء يقال لها ناعمة فى صورة انسيّة فلمّا راها شَيث وقَعها فاوحى الله الى آدم ان زوّج ناعمة من شيث فَفَعل ذالك آدم فكانت ناعمة الحوراء زوجة شيث فولدت له جارية فسمّاها آدم حَورية فلمّا ادركت اوحى الله تعالى الى آدم ان زوج حوريّة من هابيل ابن هابيل ففعل ذالك آدم فهذا الخلق الّذى ترى من من هذا النّسل وهو **«يا ايها النّاس اتّقوا»**[1] انتهى ما اردنا نقله منه.

اقول: القول الاوّل وهو تزويج احدهما من الاخر قول العامة والقول الثانى قول الخاصّة والروايات من طرق الشّيعة فى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية، والحمد لله ربّ العالمين.

ورابعها: انّ آدم وحوّا بعد ما اخرجهما الله عن الجنّة واهبطا الى الارض فأينَ أهبِطا، والآثار فيه ايضاً مختلفة ونحن ننقل شطرا منها فمنها: مارواه فى

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٦٢، ط كمپانى.

الكافى بسنده عن ابيعبدالله قال: انّ الله عز وجل لَمّا اصاب آدم وزوجته الخَطيئة اَخرَجهما من الجنّة واهبَطَهما الى الارض فهبط آدم على الصّفا واهبَطَت حوّا على المَروَة وانّما سُمّى صَفا لانّه شق له من اسم آدم المُصطَفى وذالك لقول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً الخ﴾[1].

وسُمّيت المَروة مروَة لانّه شقّ لها من اسم المرئة فقال آدم ما فرّق بينى وبينها الّا لانّها لاتحلّ لى وكانت تحلّ لى هبطت معى على الصّفا ولكنّها حُرّمت علّى من اجَل ذالك وفرّق بينى وبينها.

فمكث آدم مُعتزلاً حوّاء فكان يأتيها نهاراً فيتحدّث عندها على المَرَوة فاذا كان اللّيل خاف نفسه ورجع الى الصّفا فيبيتْ عليه ولم يكن لادم انس غيرها ولذالك سُمّين النسا ومن اجل انّ حوا كانت اَنساً لادم الى آخره، ومنها ما روى عن كتاب سَعد السّعود انّه فى صُحف ادريس اَمرَ الله الملائكة فحَمَلت آدم وزوجته حوّا على كرسىّ من نور وادخَلوهُما الجنّة فوضعا فى وَسَط الفِردوس من ناحية المَشرق ثم ذَكر حديث اقامة آدم خمس ساعات من نهار ذالك اليوم فى الجنّة واكله من الشَّجرة وذكر حديث اخراجه عن الجنّة وهبوط آدم بارض الهِند على جبل اسمه ياسم على وادٍ إسمه نهيل بين الدهلج والمندل بلدى الهند وهبطَت حوّا بجدّه ومعانية الله جلّ جلاله لهما الى آخر الحديث بطوله.

ومنها: ما روى فى البحار ايضاً باسناده عن وهب قال كان مهبط آدم على جبل فى شرقى ارض الهند يقال له ياسم ثمّ اَمرَه ان يسير الى مكة فطوى له الأرض فصار على كلّ مفازة يمرّ به خطوة ولم يقع قدمه فى شيئى من الارض الّا صار عمرانا فبكى على الجنّة مائَتَى سنة فعزّاه الله بخيمةٍ من خيام الجنّة فوضعها له بمكة فى موضع الكعبة وتلك الخيمة من ياقوتة حَمراء لها بابان شرقى وغربى من ذهَبٍ منطومان معلّق فيها ثلث قناديل من تبر الجنّة

١. آل عمران / ٣٣.

تلتهب نورا ونزل الركن وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنّة وكان كرُسيّاً لآدم يجلس عليه وانّ خيمة آدم لم تزل فى مكانها حتّى قبَضَه الله ثُمّ رفَعَها الله اليه وبنى بنو آدم فى موضعها بيتا من الطّين والحجارة ولم يزل مَعمُوراً واَعتَق من الغرق ولم يخربه الماء حتّى اَتبَعث الله ابراهيم[1].

وخَامسها: فى معنى الشَّجَرة المَنهيّة وكَيفية مَعصيته، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلاٰ تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿عَصىٰ اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ﴾[3] امّا الكلام فى الشَّجرَة المَنهيّة فالرّوايات فيها ايضاً مُختلفة فبعضها يدلّ على انّ الشّجرة شَجَرة الحِنطة وبعضها يدلّ على انّها شجرة العنّاب وبعضها على غيرها.

روى العلاّمة المجلسى قده فى البحار بسنده عن احمد ابن سليمان عن الهروى عن الرضا عليه السلام قال قلت للرضا يابن رسول الله اَخبِرنى عن الشَّجَرة الّتى اَكَل منها آدم وحَوّا ما كانت فقد اختلف النّاس فيها فَمنهم من يروى انّها الحنطة ومنهم من يروى انّها العنب ومنهم من يروى انّها الحنطة ومنهم من يروى انّها العنب ومنهم من يروى انّها شجرة الحَسَد فقال كلّ ذالك حقّ قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها فقال: يا ابا صلت انّ شجرة الجنّة عمل انواعاً فكانت شجرة الحِنطة وفيها عَنِب ولَيسَت كَشَجَر الدّنيا.

وانّ آدم لمّا اَكرَمه الله تعالى ذكّره بأسجاد ملائكَته له وبادخال الجنّة قال فى نفسه هل خَلَق الله بشَراً افضَل منى فَعلِم الله عَز وّجل ما وقَعَ فى نفسه فناداه ارفَع رَاسَك يا آدم فانظر الى ساق العرش (سَاق عرشى) فَرَفع آدم رأسَه فَنَظَر الى ساق العرش فَوَجد عَليه مكتوباً لااله‌الّاالله مُحمدٌ رسول الله على ابن ابيطالب اميرالمؤمنين وزوجة فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّد شباب اهل الجنّة فقال آدم يا ربّ من هولاء...

---

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٥٧.
٢. البقره/ ٣٥؛ الاعراف / ١٩.
٣. طه / ١٢١.

فقال عز وجل: من ذريّتك وَهُم خَيرٌ منك ومن جميع خلقى، ولولاهم ما خَلقتُك ولا خلقتُ الجَنّة والنار ولاالسماء والارض فإيّاك ان تنظر اليهم بعين الحَسَد فَأخرجك عن جَوارى فَنَظر اليهم بعين الحَسد وتَمَنّى منزلتهم فتَسلط الشّيطان عليه حتّى اَكَل من الشَجرة التى نهِىُ عنها وتَسلّط على حَوّ النِظَرها الى فاطمة عليها السلام بعين الحَسَد حتّى اَكلَت من الشَّجرة كما اكل آدم فاخرجهما الله عز وجل عن جنّته واَهبَطهما عَن جَوارِه الى الأرض[1]

وفيه ايضاً سَئَال الشّامى اميرالمؤمنين لم صار ميراث الذّكر حَظ الانثيين فقال عليه السلام: لانّ الحَبّات الّتى اكلها آدم كانت ثلاثة فبادرت اليها حوّا فاكلت منها حبّة واطمَعَت آدم جبتّين فَمِنَ اجَل ذالك وَرث الذَّكر مِثل حَظّ الأنثيَين وهى السّنبلة.

وعن الصّادق عليه السلام: كيف صار ميراث الذّكر مثل حظ الانثيين فقال لانّ الحَبّات الّتى اكلها آدم وحوّا فى الجنّة كانت ثمانيّة عشر اكَلَ منها آدم اثنى عشر حَبّة واكلت حوّا ستّاً فلذالك صار الميراث للذّكر مثل حَظِ الأنثيين انتهى.

وانا اقول: فى الباب روايات كثيرة الّا انّ الرواية التى رويناها عن الرضا فيها كفاية وَحَلٌّ لهذه المشكلات.

وامّا الكلام فى معصية آدم فنقول: لاخلاف فى تحقق العصيان عنه عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿وَعَصىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ﴾[2]

إلّا انّ البحث فى انّ تلك المَعصية بايّةِ كيفيّة صَدرَت عنه عليه السلام بعد الأتفاق فى مذهبنا على انّ الانبياء مَعصوُمون مكرَمُوّن لايعَصوُن الله ابداً كما سَنَحقّقه انشاء الله تعالى ولابدّ لنا اوّلاً فى تحرير محلّ النزاع، ثمّ قول الَحّق فيه: اعلم: انّ الاختلاف الواقع فى المقام اعنى عصمة الانبياء وعدمها يرجع الى اقوال اربعة: الاوّل: ما يقع فى باب العقائد والأعتقادات الثانى: ما يقع باب التّبليغ ونشر

---

١. بحارالانوار، ج ٥، ص ٤٥، ط كمپانى.
٢. طه / ٢١.

الاحكام الى النّاس الثالّث: ما يقع فى الاحكام الشّرعية والفُينا الرّابع: ما يَقَع فى اعمالهم وسيرتهم فى حياتهم.

امّا القسم الاوّل: اعنى العقائد فقد اَجمَعت الأُمّة من العامّة والخاصّة على عصمة الأنبياء قبل النبوّة وبعدها عن الكُفر والضَّلال الّا الأرازِقة من الخوارج حيث جَوَّزوا عَليَهم الذّنب وكلّ ذنبٍ عندهم كُفْر فلزمهم تجويز الكفر عليهم بل حكى عنهم انّهم قالوا يجوز ان يبعث الله نبيًا علم انّه يكفر بعد نبوّته.

امّا القسم الثانى: وهو العِصمة وعَدمها فى باب تبليغ الاحكام فقد اَتّفقت الأُمّة بل جميع ارباب المَلل والشرايع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتّحريف فيما يتعلق بالتّبليغ عَمداً وسَهواً سوى القاضى ابوبكر الباقلانى فانّه جوّز ما كان من ذالك على سبيل النّسيان وفَلتَات اللّسان من دون عَمدٍ

امّا القسم الثالث: وهو ما يتعلّق بالفُتيا فأجمَعوُا ايضاً على انّه لايجوز لهم الخطاء فيه عَمداً وسَهواً الّا شرّ ذمةٌ قليلة من العامّة.

واما القسم الرابع: وهو العِصمة فى الأفعال وعدمها فيها فهو معركة الآراء بينهم ومحصّل الاقوال فيه خمسة.

القول الاوّل: ما ذهب اليه اصحابنا الأماميّة رضوان الله عليهم وهو انّه لايصدر عنهم الذّنب اصَلاً لاصغيرةً ولا كبيرةً ولا عَمداً ولا سَهواً ولا نسياناً ولا لخطاءٍ فى التاويل ولا لِلأسهاء من الله سبحانه وخالف فيه اثنان:

الاوّل: الصدوق (قده) والثانى: شيخه محمّد ابن الحسن الوليد رحمه الله حيث جوّزا الأسهاء لا السَّهو الّذى يكون من الّشيطان وكذا القول فى ائمة الطاهرين.

القول الثانى: انّه لايجوز عليهم الكبائر دون الصّغائر فيجوز عليهم عدم العِصمة فى الصَغائر الّا الصغائر الخَسيسة المُنّفِرة كَسرقةِ حبّةٍ او لقمةٍ وكلّ ما ينتسب فاعله الى الدِّنائة والضِعَة وهذا قول اكثر المعتزلة.

القول الثالث: انّه لايجوز عليهم الاتيان بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد

لكن يجوز على هذا التأويل او السَّهو وهذا القول اختاره ابو على الجبائى

القول الرابع: انّه لايقع منهم الذَّنب الّا على جهة السَّهو والخطاء.

لكنّهم ماخوذون بما يقع منهم سهواً وان كان مَوضْوعاً عن اُمَمهم لقوّة معرفتهم وعلوّ رتْبتهم وكثرة دلائلهم وانّهم يقدرون من التّحفظ على ما لايقدر عليه غيرهم وهو قول النّظام وجعفر ابن مبشّر ومن تبعهما.

القول الخامس: انّه يجوز عليهم الكبائر والصّغائر عمداً وسَهواً وخطأً، وهو قول الحَشويّة وكثير من اصحاب الحديث من العامّة هذا خلاصة الاقوال فى العصمة وعدمها فيهم، ثمّ اختلفوا فى وقت العصمة على ثلاثة اقوال.

الاوّل: انّه من وقت ولادتهم الى ان يلقوا الله سبحانه وهو مذهب اصحابنا الامامية رضوان الله عليهم اجمعين.

الثانى: انّه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النّبوة وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: انّه من وقت النّبوة وامّا قبلها فيجوز عليهم صدور المَعصية وهو قول اكثر الأشاعرة ومنهم الفخر الرازى وبه قال ابو هذيل وابو على الجبائى من المعتزلة، اذا عرفت هذا فلنرجع الى المقصود: لاشك انّه بصريح القرآن وتظافر الرّوايات صَدرَ عن ابنيا آدم عليه السلام ذنَبٌ ومعصية وبِسَبَبه خَرَج من الجنّة وهَبَط الى الأرض، امّا على القول الاخير، فلا شك انّه يحمل على معناه الحقيقى اعنى الذّنب الواقعى والمَعصية الحقيقة اذ على مذهبهم لااشكال فيه على الأنبياء وامّا على مذهب الاماميّة وهو الحق الحقيق بالأتّباع فلا يمكن الذهاب الى ما ذهبوا اليه فانّهم عليهم السلام مُبَرّؤُن مُنَزَّهون عن العصيان والذّنب والدّليل على ما ذهبنا اليه من وجوه نشير الى بعض.

الاوّل: انّه لو كانت الانبياء وكذا الائمة غير معصومين عن الكذب والكُفر والبُخل وسائر الصّفات المَذمؤمة، سواء تَعلّق بالأعتقادات او بالأفعال او بالأحكام لايمكن الاعتماد على قولهم وفعلهم وحكمهم لاحتمال الخلاف

وحيث سُلِب الاعتماد فلا يجب اتباعهم منهم عقلاً وعَليه بَطلَت دائرة النّبوة وهو بديهى البطلان والمقدمات كلّها جليّة غير خفيّة.

الثانى: انّه لو اَمرَنا الحكيم باتّباعهم والحال هذه يلزم تقديم المفضول على الفاضل وهو قبيح عقلاً توضيحه انّ الامر لو كان كذالك فلا يبعد وجود من هو اَفضَل منهم اذا المفرَوض انّ العصمة غير مشروطة وقبَحه واضح، بديهى البطلان **الثالث**: انّه لو صَدرَ عن النّبى ذنب لزم اجتماع الضّدين وهو محال فصدور الذّنب عنه محال، امّا الصغرى: فلانّه يلزم وجوب متابعته وعدم وجوب متابعته وهما ضدّان والدّليل على الاوّل ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾[1] وللاجماع على وجوب متابعته والدّليل على الثّانى انّه مُذنِب كما هو المفروض ومتابعة المذنب حَرام فكيف يمكن الجمع بين الوجوب والحُرمة وكيف يَحكم الحَكيم به...

امّا الكبرى: وهى استحالة اجتماع الضّدين فَغَنّىٌ عن البرهان.

الرابع: انّه لو صَدرَ عنه ذنب لَوَجبَ منعه وزجَره والأنكار عليه لعمُوم اَدلّة الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر وهو مستلزم لأِيذاء النّبى وايذائه حرام فمَنعه وزَجَرهُ حرام فصدور الذّنب عنه غير جائز وهو المطلوب.

امّا الاوّل: فظاهر واما الثانى: اعنى ايذائه حرام فلقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾[2]

الخامس: انّه لو اقدَمَ على الفسق لزم ان يكون مَردوُد الشّهادة لقوله تعالى: ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[3] وللاجماع على عدم قبول شهادة الفاسق فيلزم ان يكون النّبى اَدوَن حالاً من احاد الامّة مع انّ شهادته عليه السلام تقبل فى الدّين القويم وهو شاهد على الكلّ يوم القيمة كما قال الله تعالى: ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[4] فَصدُور الفسق عنهم يوجب رَدّ شهادتهم

۱. آل عمران / ۳۱.
۲. الاحزاب / ۵۷.
۳. الحجرات / ٦.
٤. البقرة / ۱٤۳.

وهو مخالف للقرآن فيلزم ان لايصدر منهم فسق وهو المطلوب.

السادس: يلزم ان يكونوا دَونُ منزلةً واقلّ درجةً من عصاة الامّة وكيف يلتزم به عاقل فضلاً عن عالم.

السابع: انّه يلزم عليهم استحقاقهم اللّعن والتّوبيخ والعَذاب واللّوم لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَّعْصِ اللهَ وَرَسُولَه وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَه عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**[1] و **﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمِينَ﴾**[2] وهو باطل بالاجماع والضرورة من الدّين.

الثّامن: انّهم كانوا يأمُرون النّاس بطاعة الله والأجتناب عن معصيته فاذا فرضنا انّهم لم يُطيعوا الله حق طاعته وعَصَوا لَدَخلوا تحت **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[3] واللّازم باطل بالأجماع فالملزوم مثله.

التّاسع: انّه تعالى حكى عن ابليس قوله: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾**[4]

فَلَو عَصىٰ نَبيٌّ لَكَان مِمَّن اغواه الشّيطان ولم يكن من المُخلصين مع انّهم من المُخلصين لقوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ، وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾**[5] واذا ثَبَت وجوب العصمة فى البعض يثبت فى الكلّ لعدم القول بالفصل.

العاشر: انّه يلزم عليهم فى صورة المَعصية دخولهم فى حزب الشّيطان مع انّه تعالى قال فى كتابه: **﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[6] فلا يقول به الّا الخاسرون.

---

١. النساء / ١٤.
٢. هود / ١٨.
٣. البقرة / ٤٤.
٤. ص / ٨٣-٨٢.
٥. ص / ٤٧-٤٥.
٦. المجادلة / ١٩.

الحادیعَشر: انّ الانبیاء اَفضَل من الملائکة کما حَقّقنّاه فی محلّه وسیاتی الکلام فیه فی هذا الکتاب انشاء الله تعالی والدلیل النقلی علیه ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ اٰدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرٰاهِيمَ وَآلِ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ**﴾[1] واَفضَلّیتِهِ البَعض تدلّ علی افضلیّة الکلّ لِلاجماع المُرکّب ولو صَدرت المعصیة عن النّبی لأمتَنَع کونه اَفضَل لقوله تعالی: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ**﴾[2]

الثّانی عشر: انّه لو کان عاصیاً لکان من الظّالِمین وقد قال تعالی وتبارك: ﴿**لاٰيَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ**﴾[3].

قال الرازی فی تفسیره انّ العَهد فی الآیة: اِمّا عَهد النُّبوة واِمّا عَهد الاِمامة، فان کان عهد النُّبوة ثَبَت المَطلُوب وان کان عَهد الاِمامَة فکذالك لان کلّ نبیّ لابدّ ان یکون اماماً یؤتَّم به ویُقتَدیٰ به، فالایة علی جمیع التّقادیر تدلّ علی انّ النّبی لایکون مُذنِباً وهو المطلوب.

الثالث عشر: قال الله تعالی فی کتابه: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلّٰا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[4] والأنبیاء من ذالك الفریق بالأتّفاق وقد ذکروا فی اثبات المدّعی وجوهاً اخر وفیما ذکرناه کفایة، اذا عرفت ذالك وثَبتَت عصمتهم من الفِسق بایّ معنی کان وانّهم مُنزّهوُن عن کلّ معصیةٍ فِعلیّاً کان اَو قَولیاً او اعتقادیّاً فما معنی الایة الشّریفة حیث قال ﴿**وَعَصىٰ اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ**﴾[5] وایُّ شیئٍ اُرید من عصیانه فی هذا المقام فنقول: اعلم انّ اعتقادنا فی الأنبیاء والرسل والائمة والملائکة صلوات الله علیهم انّهم مَعصوُمْون مُطّهَروُن من کلّ دَنَسٍ وانّهم لایُذنبون ذنباً.

لاصغیرة ولا کبیرةً ولا یَعصَون اللّه ما اَمرَهم وَهُم بأمره یَعمَلون ومن نَفَیٰ عنهم العِصمَة فی شیئٍ من احوالهم فَقد جِهلهم واعتقادنا فیهِم انّهم

---

١. آل عمران / ٣٣.
٢. ص / ٢٨.
٣. البقرة / ١٢٤.
٤. سبأ / ٢٠.
٥. طه / ١٢١.

مَوصوفون بالكمال والتّمام والعلم من اوائل اُمورهم الى آخرها لايوُصَفون فى شيئٍ من احوالهم بنقصٍ، ولا جهلٍ.

فعلى هذا قَضيّة آدَم فى الجَنّة وكذا سائر الانبياء كما قال الله تعالى فى يوسف ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[1]

وفى يونس: ﴿وَذَاالنُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[2]

وفى محمّدﷺ: ﴿حيث قال وَتُخْفِي فِي نَفسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[3]. وامثال ذالك من الآيات الّتى تُوهِّم تجويز الخَطئية عليهم عن بعض الجهات فلابدّ من حَملها على خلاف ظاهرها حتّى لاتنافى عصمتهم...

فمن الوجوه المُحتَملة فى قضيّة آدم حمل العصيان فى قوله تعالى: وَعَصى آدم، على تَرك الأُولى او المَكرُوه قبل البِعثة، وامّا بعد البِعثَة فلا كَما يدلّ على هذا المعنى مارواه فى البحار عن ابى الصَّلت الهَروى عن الرّضاؑ قال: لمّا جَمعَ المأمون لِعلّى ابن موسى الرّضا اهل المقالات والمِلَل من اهل الإسلام والدّيانات من اليَهوُد والنّصارى والمَجوُس والصابئين فَلَم يَقُم اَحَد الّا وقد اَلزَمه حُجَّته كانّه قد القِمَ حَجَراً فقام اليه على ابن مُحمد بن الجُهم، فقال له يابن رسول الله اَتَقُول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال فما تَعمَل فى قول الله عزوجل ﴿وعَصَى آدم رَبَّه فَغوىٰ﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَذَاالنُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِباً﴾[4]

وقوله فى يوسف لَقَد هَمَّت به وهَمَّ بها وهكذا فى نظائرها من الآيات الى ان قال:

فقال مولانا الرضا: ويحَكَ يا على اتّق الله ولا تَنسِب الى اَنبياء الله الفَواحش ولا تتاولّ كتاب الله عَزّ وجل برَايك فاِنّ الله عَزّ وجَلّ برأيك فاِنّ الله عَزّ وجل

---

١. يوسف / ٢٤.
٢. الانبياء / ٨٧.
٣. الاحزاب / ٣٧.
٤. الانبياء / ٨٧.

يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1]

ثم قال امّا قوله عزّ وجل فى آدم وعَصَى آدم ربَّه فَغَوىٰ فانّ الله عَز وجل خلق آدَم حجّةً فى اَرضه، وخَليفةً فى بلاده ولم يَخلقهُ لِلجنّة وكانت المعصية من آدم فى الجنّة لافى الأرض لتتّم مقادير الله عَزَّ وجل فلمّا اهبَط الى الأرض وجُعِل حُجةً وخليفةً عُصَم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ اٰدَمَ وَنُوحاً وَاٰلَ اِبْرٰاهِيمَ وَاٰلِ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[2] وكذا ـ ما روى على ابن محمّد الجُهم قال حَضرتُ مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المامون يابن رسول الله صلى الله عليه وآله اَليسَ من قولك انّ الانبياء مَعصومُون قال بلى قال فما معنى قوله عزَّ وجل: ﴿وَعَصىٰ اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ﴾[3] فقال عليه السلام: انّ الله تبارك وتعالى قال لأَدَمُ: ﴿اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[4] وقال عليه السلام: ما قال وساق الحديث الى ان قال ولم يكن آدَم وحَوّا شاهدا قبل ذالك من يحلف بالله كاذباً فَدَلاّهما بغُرورٍ فأكَلامنها ثقةً بِيَمينه بالله وكان ذالك من آدم قبل النبوّة ولم يكن ذالك ذنبٌ كبيرٌ استَحَقّ به دخول النّار وانّما كان من الصَّغاير المَوهوُبة الّتى تجوز على الانبياء قبل نُزوُل الوحى عليهم فلمّا اَجتَباه وجَعَله نبيّاً كان مَعصُوماً لايذنب صغيرةً ولا كبيرةً، قال الله عز وجل ﴿وَعَصىٰ اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ ثُمَّ اجْتَبٰاهُ رَبُّهُ فَتٰابَ عَلَيْهِ وَهَدىٰ﴾[5]

و قوله: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ اٰدَمَ وَنُوحاً وَّ اٰلَ اِبْرٰاهِيمَ وَ اٰلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[6] والحديث طويلٌ اخذنا موضع الحاجة منه.

اقول: هذان الحَديثان ايضاً لايوافقان اصول المذهب لِأنّهما يدّلان على جواز الصغائر قبل البعثة ونحن لانقول به فانّ الانبياء عليهم السلام كما قرّرناه مَعصومُون من حين تولّدهم الى آخر عُمرهم فعلى هذا لايبعد حملهما على

---

١. آل عمران / ٧.
٢. آل عمران / ٣٣.
٣. طه / ١٢١.
٤. الاعراف / ١٩.
٥. طه / ١٢٢-١٢١.
٦. آل عمران / ٣٣.

التَقيّة ولا سيّما فى مجلس المامون وعلماء المخالفين او فى جواب سئوالهم فانّهما قرينتان على ما قلنا على انّ هذا مذهب جمع من العامّة المُعبّرين عنهم بالمُعتزلة الّا ان يُحمَل قوله عليه السلام الصّغائر المَوهوبة على ترك المَندوبة وارتكاب المكروه من الفعل دون الفعل القبيح كما نقل هذا المعنى عن الطبرسى فى حاشية الأحتجاج.

والشّارح الخوئى بَعد نقله الرّواية وما قال الطّبرسى فى حلّ الاشكال قال ما هذا لفظه، وفيه: انّ ما ذَكَره وان كان مقتضى اصول المذهب الّا انّ تأويل الرّواية به غير ممكنٍ لانّ الصغائر بالمعنى الّذى ذكره لاَختصاصَ لها بما قبل نُزول الوحى جَسماً ورَدَ فى الرّوايات (فى الرّواية) ولا تجب العِصمة عنها بعد النّبوة ايضاً كما يفهمه قوله عليه السلام فلمّا اجتباه الله وجَعَله نبيّاً كان معصُوماً لايذنب صغيرةً انتهى.

اقول: ما ذكره قده فى جواب الطَّبَرسى لاَنفهَم معناه وذالك لانّ قوله فلمّا اَجتَباه الخ اَدّل دليلٍ على صدق ما قاله الطبرسى فاِنَّ مَفهومَه يدلّ على انّ الانبياء قبل النُبوّة لااشكال لهم فى ارتكاب الصغيرة بالمعنى الّذى ذكره الطَّبَرسى واَمّا بعده ففيه اشكال وهو قده اَعلَم بما ارادَ من الأشكال عليه وكيف كان فالاَولى حَمل الرّواية على اَلتقيّة وحَمل المَعصية فى قوله تعالى: وعَصى آدم، على ترك الأولى بالنّسبة اليه فانّ حَسَنات الأبرار سيّئات المقرّبين فاذاً لااشكال فى كون ترك الأولى بالنّسبة الى النّبى معصيته وبالنّسبة الينا غير معصية فانّ مقام النّبى ورَفعَة شأنه وجَلالة قَدره اَعلى واَعظَم واَشرَف مِمّا يُتصوّر والأشكال فى المقام ونظائره إنّما نَشَاء مِن حَملِ لفظِ المَعصية وغيرها على ما يصدق علينا وليس الامر كذالك هذا وعليه فَالنّهى فى قوله تعالى: ولا تَقربا، ايضاً لَيس نَهى تحريم بل نَهى تَنزيهٍ كما لايخفى...

الفائدة السّادسة: فى مَعنى التّوبة له عليه السلام والكلمات الّتى بها قُبلت توبته كما

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] امّا التّوبة فى الشّرع على ما قال الراغب تَرك الذّنب لقُبحه والنّدم على ما فرط منه والعَزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما امكَنَه ان يتَدَارك من الأعمال بالإعادة فمتى اَجتَمَعت هذه الاربع فقد كمل شرائط التّوبة انتهى كما انّها فى اللّغة الرُّجوع عَمَّا فَعَل والنّدَم عليه والعَزم على عدم اتيانه ثانياً.

فَلمَّا فَعَل آدم بِوَسوَسة ابليس ما فَعَل نَدم مِن فعله فَعَزم على التّوبة حتّى تدارك مافات منه بسبب ارتكابه المكروُه او تركه الأولى والله تعالى قَبِلَ توبته بسبب كَلمات تَلَقَّى آدم منه تعالى وفى تفسير الكلمات وجوه:

الاوّل: انّ المراد بها: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]

الثّانى: انّ المراد بها اللّهم لااله‌الّاانتَ سُبحانك وبحمدكَ ﴿رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[3] إنّك خَيرُ الغافرين اللّهم لااله‌الاّانت سُبحانك وبحَمدك ربّ انّى ظَلَمتُ نَفسى فتُب عَلَىَّ انّك انتَ التّواب الرَّحيم.

الثّالث: قيل المراد بها سبحان الله ولا اله الّا الله والله اكبر.

الرّابع: قيل المراد بها انّ آدم رأى مكتُوباً على العَرش اسماءً مكرمةً معظّمةً فَسأل عَنها فقيل له هذه اسماء اَجِلَّةِ الخَلق عندالله مَنزِلةً، والاسماء محمّد وعلى وفاطمه والحسن والحسين عليهم السّلام فتوسّل آدم الى ربّه بهم فى قبول توبته ورفع منزلته فتاب عليه‌اى تاب آدم فتاب الله عليه، اى قَبِلَ توبته وقيل اى وَفَّقه لِلتّوبة وهَدَاه اليها انّه هو التّواب اى كثير القبول للتوبة وفى رواية اخرى فلمّا اراد الله عز وجل ان يتوب عليهما جائهما جبرئيل فقال لهما اِنّكما اِنّما ظَلَمتُما اَنفسَكما بتمنّى منزلة مَن فَضّل عليكما فجزاء كما ما قد عُوقِبتما به من الهُبوُط من جوار الله عز وجل الى ارضه فَسَلا ربّكما بحق الاسماء الّتى

---

١. البقرة / ٣٧.
٢. الاعراف / ٢٣.
٣. القصص / ١٦.

رأيتماها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما...

فقالا: اللّهم انّا نَسئَلُك بحق الأكرمين عليك محمّد وعلى وفاطمة، والحسن والحسين والأئمة إلّا تُبتَ عَلَينا وَرَحمتَنا فَتاب الله عليهما ﴿**اِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ**﴾[1] فلم تَزَل انبياء الله بعد ذالك يحفظون هذه الأمانة ويُخبروُن بها اوصيائهم والمُخلصين من اُمَمهم فيأبوُن حَمَلها ويَشفَقوُن من ادعائها وَحَملها الانسان الّذى قد عرف، فاصل كل ظلم منه الى يوم القيمة وذالك قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[2].

وفى رواية اخرى عن ابن عباس قال لمّا خلق الله تعالى آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه عَطَس فالَهَمه الله تعالى الحمد لله ربّ العالمين فقال له ربّه يرحمك ربّك فلمّا اَسجَد له الملائكة تداخله العُجب فقال يا ربّ خَلَقتَ خلقاً اَحَبّ اليك مِنّى فلم يَجب ثم قال الثّانيّة فلم يجب ثمّ قال الثالثة فلم يجب ثمّ قال الله عز وجل نِعم ولولاهم ما خلقتك فقال يا ربّ فأرينَهم فاوحى الله عز وجل الى ملائكة الحُجُب اَن إرفَعوُا الحُجَب فلمّا رفُعت إذاً آدم بخمسة اشباح قدام العرش فقال يا ربّ مَن هولاء قال يا آدم هذا محمّد نبّى وهذا علىّ اميرالمؤمنين ابن عم نبىّ ووصيّه وهذه فاطمة ابنة نبىّ وهذان الحسن والحسين ابناء علىٍّ وولد ابنّي ثم قال يا آدم هُم وُلدِك فَفَرح بذلك فَلمّا اَقتَرف الخَطيئة قال يا ربّ اسئلك بحقّ محمدٍ وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين لَمّا غَفَرت لى فَغفر الله له بهذا الّذى قال الله عز وجل فَتلّقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه فَلَمّا هَبَط الى الارض صاغَ خاتماً فنَقشَ عليه محمّد رسول الله وعلى اميرالمؤمنين ويكنّى بابى محمّد.

الفائدة السابعة: اختلفوا فى عمر آدم عليه السلام حين وفاته، فروى العامّة عن ابى هُريرة عن النبى صلى الله عليه وآله انّه قال كتب له الف سنة فوهب ستّين لداود ثم رجع،

---

١. البقره / ٣٧٥.

٢. الاحزاب / ٧٢.

وعن ابن عباس انّه وهب من الألف اربعين فجَحَد فاكمل الله لادم الف سنة ولد او دمائه سنة ورَوُو مثل ذالك عن جماعة منهم سعيد ابن جبير ورو وعن ابن عباس انّه قال كان عمره تسعمائة وستا وثلثين سنة واهل التوراية يزعمون انّ عمره تسعمائة وثلثون سنة.

وقال المسعودى توفّى يوم الجمعة لست خلون من نيسان فى السّاعة الّتى كان فيها خَلقَه وكان عُمره تسعمائة وثلثين سنة، ونقل عن سعد السعود من صحف ادريس مرضه عليه السلام عشرة ايام بالحِمىٰ ووفاته يوم الجمعة لاحدى عشر يوماً خَلَت من المُحرّم ودفنه فى غار فى جبل ابى قبيس ووّجهه الى الكعبة وانّ عمره من وقت نفخ الروح فيه الى وفاته الف سنة وثلثين وانّ حوّا ما بقيت بعده الّا سنة ثمّ مرضت خمسة عشر يوماً ثم توفيّت ودُفنت الى جنب آدم عليه السلام وقال السيد (ره) وجدت فى السِّفر الثّالث من التوراية انّ حَيواة آدم كانت تسعمائة وثلثين سنة...

وقال محمّد ابن خالد البرقى ره انّ عمر آدم كان تسعمائة وستاً وثلثين سنة، وعلى ايّ حال لما ماتَ عليه السلام وجهزّوه قال جبرئيل عليه السلام تقدّم يا هبة الله فَصَلِّ على ابيك فَتَقدم وكَبّر عليه خَمساً وسَبعين تكبيرة فَحَضَرت الملائكة، ثمّ اَدخَلوه حُفرَته صلوات الله عليه هذا خلاصة ما اردناه ايراده فى المقام فى شرح كلمات اميرالمؤمنين عليه السلام فى قصّة آدم ولولا مخافة التّطويل وضَعف عقول اكثر الناس عن درك الحقائق لَكَشَفتُ عن الحُجُب استارها واَقتَنيت من الأشجار اَثمارها ولكنّى ارى السُّكوت اَولىٰ والإكتفاء بظواهر الالفاظ اَحرى والأفتِقاء بقوله كَلِّم النّاس على قدر عقولهم، انسب وانقىٰ ولنعم ما قيل:

وربّ جوهر علم لَوالوج به لقيل لى انت ممّن تعبد الوثنا

والحمد لله ربّ العَالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين.

▫ قوله عليه السلام: وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ اَنبِيَاءَ اَخَذَ عَلَى الْوَحِي مِيثَاقَهُمْ، وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ اَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ اَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ اِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْاَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَن مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ اِلَيْهِمْ اَنْبِيَائَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمُ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةِ :مِن سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَّرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَّوْضُوعٍ، وَمَعَايِشِ تُحْيِيهِمْ ،وَاجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَاَوْصَابٍ، تُهْرِمُهُمْ، وَاَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِن نَّبِيٍّ مُرْسَلٍ، اَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ،اَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ، اَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لاَتُقَصِّرُ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِن سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَن بَعْدَهُ ،اَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ عَلَى ذَالِكَ نُسَلَتِ، الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ ،وَخَلَفَتِ الْاَبْنَاءُ.

◁ اللّغة

(الاَصْطَفَاء) الاختيار، (وُلْدِهِ،) بضم الواو وسكون الام وكسر الدّال، جمع وَلَد بفتح الواو والدّال، (الْاَنْدَادَ،) جمع نِدّ، (وَاجْتَالَتْهُم) الأحتيال من الحيلة والمَكر، (والأَقْتِطَاع) من القطع (وَاتَرَ،) قال فى المنجد وَاتر وتاراً ومواترةً الاشياء تابَعها بعد فترة تقع بينها الكتب ارسل بعضها فى اثر بعض (والإستيداء) طلب الاداء (يُثِيرُّو) التّثيير فى اللغة التّقليب يقال اثار والأرض اى قَلَّبوُها لِلزّارعة،(اَوْصَابٍ) جمع وَصب بمعنى المَرَض (غَابِرٍ) اسم فاعلٍ من غَيرٍ والغابر الباقى يقال هو غابر بنى فلان اى بقيّتهم وباقى اللّغات واضح:

◁ المعنى

ثم بعد فراغه عليه السلام عن كَيفيّة خلقَ السّموات والارضين وكيفية خلق الملائكة وابينا آدم الى اَن هَبَط الى الأرض شَرَع فى بيان معنى تناسل الذّرية واصطفائه

الأنبياء منهم فقال عليه السلام: ثم اختار الله سبحانه من ولد آدم عليه السلام أَنبيا أَخذ الله تبارك وتعالى على الوحى ميثاقهم وعلى تبليغ الرّسالة بما يُوحىٰ اليهم امانتهم وذالك لانّ اكثر النّاس بدّلوا عهد الله وميثاقه اليهم فجهلوا حق الله تعالى واتّخذو الأمثال مَعَه وصاروا مشركين لانّ الشياطين أَخذوهم بالحيلة وسدّوهم عن طريق المعرفة، وقَطَعوا طُرق الوصول الى الله تعالى، فَبَعث فى الناس انبيائه ورسله واحداً بعد واحدٍ ليطلبوا منهم الميثاق الفِطرى ويُذكّروهم النِعَم المَنسيّة ويَتّموُا عليهم الحُجّة بسبب التّبليغ ويُقلبّوا امراض قُلوبهم ويُظهِرو عقولهم ويُريهِم الآيات المُقدّرة السّماويّة والارضيّة والنّعم الّتى سَببٌ لمعاشهم والموت الّذى لابدّ لهم منه وامراض تضعفهم والحوادث المتتابعة عليهم ولم يَخل الله سبحانه فى زمان من الأزمنة خَلقَه من الأنبياء والكُتُب المَنزلة كل ذالك لطفاً منه تعالى ورحمةً له علينا ولا تضرّ بذالك كثرة المُنكِرين لانبيائه فانّهم عليه السلام كل سابقٍ منهم قد أَخبَر عن لاحقه وكلّ لاحقٍ عَرَّف مَن قَبله على هذا المنوال مَضى الايّام والليالى والدُّهور وعليه مَضَت الاباء وخَلفت الأنبياء والمقصود انّه سبحانه بمقتضى لُطفه وَكَرمِه قد مَنَّ على العباد بأرسال الأنبياء، وإنزال الكتب السّماوية لِأرشادهم وهدايتهم على الطّريق كما سيظهر لك ان شاء الله

◁ الشّرح

قوله عليه السلام: **وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ أَنبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحِى مِيثَاقَهُمْ، وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**، فى هذه الفَقَرات من الخطبة الشّريعة اشار عليه السلام الى عدّة اصول:

الاصل الاول: إصطفائه جَلَّ وعَلا من وُلد آدم انبياء وفيه اشارة الى انّه لابدّ من ان يكون النّبى انساناً ولا يمكن كونه مَلَكاً وذالك لانّ النبى واسطة بين الخالق والمخلوق فلابدّ من كونه مأنوساً مع النّاس مَحشُوراً مَعهم، وهذا لايمكن بدون السّنخية الّتى هى المَدار فى كلّ شيين إرتَبَط احدهما مع الاخر

ظاهراً وباطناً ولا شبهة فی انّ الانسان وان کان له روُح ملکُوتی الّا انّه من حیث الجسم العنصری مادّی مُلکیّ فلو کان النّبی والرّسول الّذی اُرسِل الیهم مَلَکاً لایمکن تحصیل الغَرض منه وهذا ظاهر...

الاصل الثانی: انّ فیه اشارة الی شَرف آدم وعَظَمته حیث اختار الله سبحانه انبیائه وسفرائه الی خلقه من نَسلِه ولمّا کان الانبیاء اشرف الموجودات فمن کان سبباً لهم ومُقتضیاً لوجودهم لایخلُوا من العظمة والشَّرف.

الأصل الثّالث: کلمة مِن فی قوله علیه السلام **مِنْ وُلْدِهِ**، تَبعیضَیّة او نَشَّائیة والاَوّل اَولی واَظهَر وَعَلیهَ فلَیس کلّ واحدٍ من اولاد آدم مُستحِقّاً لِلرّسالة والنبوّة وهو کذالك بل النبوّة والرّسالة تلیقان ببعضٍ دون بعضٍ ویدلّ علیه **﴿لایَنالُ عَهْدِي الظّالِمینَ﴾**[1] قوله علیه السلام: **اَخَذَ عَلَی الْوَحِی مِیثاقَهُمْ**، وهو یدلّ علی انّ الانبیاء قبل الوجود بینهم وبین الله تعالی عَهدٌ ومیثاق علی الوَحی وهو مطابق لمذهب الامامیّة وغیرها من الفِرَق الأسلامیة وغیر الإسلامیة حیث انّ ارباب المِلل مُتفِقوّن علی انّ النّبی لابدّ من ان یکون من قِبَل الله تعالی ولا دَخَل لعامّة النّاس فی تعیینه فعلیه لابدّ للنّبی ان یکون مؤیّد اَمن عند الله مرتبطاً به کما قال الله تعالی الله: **﴿اَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسالَتَه﴾**[2].

وَاَخذُ المیثاق منهم علی الوَحی ومن النّاس کلًّا علی التَّوحید یدلّ علی ثبوت عالم الذَرّ ضَروُرة انّ اَخذ المیثاق کان قبل وجود کلّ موجودٍ فانّ کلّ انسان یَعلَم علماً وجدانیّاً انّه لم یوُخَذ عنه المیثاق فی الدّنیا واذا لم یکن فی الدّنیا فلابدّ من کونه قبل وجودِه فی هذا العالم وهو المطلوب. وقد دَلَّ علی ثُبوت عالم الذّر العَقل والنَّقل، امّا العقل فانّه لایجد مانعاً من ثبوته وتحقّقه بعد ما ثبت خلق الارواح قبل الأجساد بآلفَی عام کما مرّ واذا لَم یَجِد مانعاً ولم یدلّ دلیل عقلیّ علی استحالته فیبقی علی وجه الإمکان وهو ظاهر.

ولمّا اشار علیه السلام الی عالم الذّر فی هذه الخطبة فی موارد کثیرة فلابدّ لنا البحث

---

۱. البقرة / ۱۲٤.

۲. الانعام / ۱۲٤.

عنه وتحقيقه بحسب ما يقتضيه المقام، فانّ عالم الذّر ممّا أنكره كثير من المسلمين وأثبته آخرون وهو فى الحقيقه من مشكلات الاخبار والايات ومعضلاتها نسئل الله تعالى ان يجرى على لساننا ما فيه له صلاح ورضى فنقول:

اختلف الاصحاب فى ثبوت عالم الذّر وعدمه وقبل الخوض فى المقصود نقدّم امُوراً:

الاوّل: انّ الذّر على ما قال فى المُنجد صغار النّمل كالهباء المُنتشرة فى الهواء وَالواحدة ذَرة، فعلى هذا الذّر جمع ذرّة سُمّى عالم الذّر به، لانّ الذّرات هناك كالهَباء المُنتَشرة فى الهَواء على ما سياتى **الثّانى**: ان كلامنا فيه يقع فى مقامين: الاوّل بالنسبة الى الأنبياء والأوصياء والثّانى بالنسبة الى سائر النّاس الثالث: فى اثباته عقلاً ونقلاً والاقوال الواردة فيه فنقول:

امّا الدّليل العقلى عليه فقد مرّ آنفاً شطراً منه وتفصيله ياتى انشاء الله تعالى وامّا النّقل فكَثيرٌ من الآيات والاخبار الواردة دالة عليه كما لايخفى على المُتتبّع فيها، امّا اخذ الميثاق فى عالم الذّر بالنّسبة الى الأنبياء فيدلّ عليه قوله تعالى فى سورة آل عمران حيث قال:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيّينَ لَمَا اٰتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْتَصُرنَّهُ قالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلى ذالِكُمْ اِصْرِي قالُوا أَقرَرنا قالَ فَاشهَدُوا وَأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلّىٰ بَعْدَ ذالِكَ فَأولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾[1].

وقال فى سورة الأحزاب: **﴿وَاِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيّينَ ميثاقَهُمْ وَمِنْكَ، وَمِنْ نُّوحٍ وَّإِبْراهيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَاَخَذْنا مِنْهُمْ مّيثاقاً غَليظاً﴾**[2]

تفسير: قوله: **﴿واذ اخذ الله ميثاق النّبيين﴾**، قال الطّبرسى قده روى عن اميرالمؤمنين وابن عباس وقتادة انّ الله تعالى اَخذ الميثاق على الأنبياء قبل

١. آل عمران / ٨٢-٨١.
٢. الأحزاب / ٧.

نبيّناﷺ على الاوّل والاخر لتومننّ به اى بما جاء به الاخر وقال الصّادقؑ تقديره واذا اَخَذ الله ميثاق اُمم النّبيين بتصديق نبيّهم والعَمَل بما جائهم به وانّهم خالفوه بعد ما جاؤا وماوَفَوا به وتَركوُا كثيراً من شريعته وحَرّفوا كثيراً مِنها.

ولَتنصرنّه اى بالتّصديق والحُجَّة وانّ الميثاق اخذ على الانبياء لياخذوه على اُمَمهم بتصديق محمّد اذا بُعِث ويأمركم بنصره على اعدائه إن اَدركوُه وهو المروّى عن عليّ، واَخَذتُم عَلى ذالكم إصرى، اى قبلتم على ذالك عَهدى، وقيل معناه واَخذتُم العَهد بذالك على اُممِكم قال الله ما شهد بذالك على اُمَمكم وانا مَعَكم من الشّاهدين، عَلَيكم وعلى اُمَمكم عن عليٍّ وقيل قال الله للملائكة اَشهدُوا عليهم وقد روى عن عليٍ ؑ انّه قال: لم يَبعَث الله نبيّنا آدم وَمَن بَعدَه إلّا اَخَذ عليه العهد على ان بَعَث الله محمداً وهُو حَيّ ليؤمَننّ به ولَينصُّرنه واَمره بأن يأخذ العَهد بذالك عَلى اُمَمهم (على قومه).

وقال فى تفسير قوله تعالى: واذ اَخَذنا من النبيّين ميثاقهم الخ، اى اذكُرُ يا محمّد حينَ اَخَذ الله الميثاق من النَبيّن خصُوصاً بان يصدّق بعضهم بعضاً ويَتبع بعضهم بعضاً وقيل اخذ ميثاقهم على ان يَعبدُوا الله ويَدعُوا الى عبادته وان يصدّق بعضهم بعضاً وان يَنصحُوا لقومهم منك ومن خصّ هؤلاء بالذكر لانّهم اصحاب الشّرايع واَخَذنا منهم ميثاقاً غليظاً شديداً على الوفاء به بما حملوا من اَعباء الرسالة وقيل على ان يُعلِنُوا انّ محمداً رسول الله ويَعلِن محمداً ان لانبىّ بعده انتهى.

وامّا قوله (تعالى) فى سورة الاعراف: **﴿وَإِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي اٰدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غٰافِلِينَ﴾**[1]

وقال فيها ايضاً: **﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثٰاقُ الْكِتٰابِ أَنْ لَايَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ**

١. الاعراف / ١٧٢.

وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾[1]

وفی سورة المائدة: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2]

عن رفاعه قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام فی قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ الخ﴾، قال عليه السلام: نِعَم أَخَذ الله الحُجّة على جميع خلقه يوم الميثاق هكذا وقَبضَ يده. وعن ابی بصير قال: قلت لأبیعبدالله كيفَ اجابوا وهم ذَرّ قال جَعَل فيهم ما اذا استَألَهم اجابوه يعنی فی الميثاق، قال المجلسی قده فی بيانه لهذا الحديث ای تَعَلَّقت الأرواح بتلك الذَرّ وجعل فيهم العقل وآلة السَّمع وآلة النُّطق حتّی فَهموا الخطاب واجابوا وهم ذَرّ انتهی.

وعن زرارة قال سئلت ابا عبدالله عن قول الله عزّ وَجل واذ اخذ ربّك من بنی آدم، قال عليه السلام: كان محمّد عليه وآل السلام اوّل من قال بلی قلت كان رَؤيَته معاينَةً قال ثبَتَت المعرفة فی قلوبهم وأنسَوا ذالك الميثاق وسيذكرونه بَعدُ ولولا ذالك لم يَدر أَحَدَ مَن خالقهُ ولا مَن يَرزقه.

وعن ابی بصير عن ابی عبدالله فی قول الله: (﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[3] قلت قالوا بألسنَتهم قال نعم وقالوا بقلوبهم قلت وایّ شيئٍ كانوا يومئذٍ صنع منهم ما اكتفی به.

وعن زرارة قال سَئلتُ ابا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾[4]، قال عليه السلام أخرَج الله من ظَهر آدم ذُرّيته الی يوم القيامة فخرجوا كالذّر فعرّفهم نفسه واراهم نفسه ولولا ذالك ما عرف احدٌ ربّه وذالك: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ.[5]﴾

وعن ابی حمزة الثمالی عن ابی جعفر عليه السلام قال الله تبارك وتعالی: هبط الی

---

١. الاعراف / ١٦٩.
٢. المائدة / ٧.
٣. الاعراف / ١٧٢.
٤. الاعراف / ١٧٢.
٥. لقمان / ٢٥.

الأرض فی ظللٍ من الملائکة علی آدم وهو بوادٍ یقال له الرّوحاء وهو وادٍ بین الطائف ومَکةً قال فمَسح علی ظهر آدم ثم خرج بذریّته وهم ذرّ قال فخرجوا کما یخرج النّحل من کُورها فاَجتَمعوُآ علی شفیر الوادی فقال الله لِاَدم انظر ما تری فقال آدم اری ذَرّاً کثیراً علی شفر الوادی فقال الله یا آدم هولاء ذُریّتِك اَخرَجتُهم من ظهرك لِآخِذَ علیهم المیثاق لی بالرّبوُبیّة ولمحمّدٍ بالنّبوة کما اخذه علیهم فی السّماء قال آدم یا ربّ، وکیف وَسعَتهم ظَهری قال الله تعالی: یا آدم بلطف صنعی ونافذ قدرتی قال آدم: یا ربّ فما ترید منهم فی المیثاق قال ان لایشرکوا بی شیئاً قال فَمَن اطاعك منهم یا ربّ فما جزاوئه؟ قال الله: اسکنه جنّتی قال آدم فَمن عَصاك فما جَزاوئه قال اسکنه ناری قال آدم: یا ربّ لقد عَدَلَت فیهم، ولیعصینك اکثرهم ان لم تعصمهم...

اقول: والروایات فی هذا الباب کثیرة قریبة المضامین من حیث المعنی وفیما ذکرناه کفایة لاولی الألباب الّا انّها من مشکلات الأخبار، ومُعضلاتها لمنافاتها ظاهراً الإستطاعة والأختیار ولهذا تراهم فیها مختلفین ومن حیث الاراء مُتشّتتین، فالأخباریّون قالوا: بانّا نَؤمِنُّ بها مُجملاً ونعترف بالجهل عن حقیقة معناها وعن انّها من ایّ جَهَةٍ صَدرت وَنَرُدّ علمَه الی الائمّة علیهم السلام.

وذهب بعض العلماء الی انّها مَحمولة علی التّقیة لموافقتها لروایات العامّة ولِمَاذهبت الیه الأشاعرة وهم جلُّهم ولمخالفتها ظاهراً لما مرّ من اخبار الأختیار والاستطاعة.

وذهب آخرون: الی انّها کنایة عن عِلمه تعالی بما هم الیه صائرون فانّه تعالی لمّا خَلقَهم مع علِمِه باحواله فکانّه خلقهم من طنیاتٍ مختلفة.

وقال بعضهم انّها کنایة عن اختلاف استعداداتهم وقابلیّاتهم وهذا اَمرٌ بَیّن لایمکن انکاره فانّه لاشبهة فی انّ النّبیﷺ وابا جهل لیسا فی درجة واحدة مِن الاستعداد والقابلیّة وهذا لایستلزم سقوط التّکلیف، فانّ الله تعالی کَلّف

النّبی ﷺ حسب ما اَعطَاه من الأستعداد لتحصيل الكمالات وكَلَّف ابا جهل حِسب ما اعطاه من ذالك ولم يكلّفه ما ليس فی وسعه ولم يجبره على شيئٍ من الشَّر والفساد.

والقول الاخر: انّه كَلَّف الله تعالى الأرواح اولاً فی الذَّرو اَخَذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشّر بأختيارهم فی ذالك الوقت وتفرع اختلاف الطّينة على ما اختاره باختيارهم كما دلّ عليه بعض الاخبار السّابقة فلا فساد فی ذالك ولا يخفی ما فيه وفی كثير من الوجوه السّابقة. قال المجلسی قده بعد نقله هذه الاقوال وترك الخوض فی امثال ذالك المسائل الغامضة الّتی تعَجُز عقولنا عن الاحاطة بكنهها اولى ولا سيّما فی تلك المسئلة التی نهی اَئِمتنّا عن الخوض فيه ثم قال قده: ولنذكر بعض ما ذكره فی ذلك علمائنا رضوان الله عليهم اجمعين وما ذكره مخالفوهم.

فمنه: ما ذكره الشّيخ المفيد (قده) فی جواب المسائل السّروية حيث سُئِل ما قوله ادام الله تأييده فی الأخبار المَرويّة عن الائمة الهادية عليهم السلام وخلق الله الارواح قبل الأجساد بألفی عام (قبل آدم) واخراج الذّرية من صُلبه على صُور الذّر ومعنی قول رسُول الله صلى الله عليه وآله الأرواح جُنوُد مُجنَّدة فما تعارَف منها ائتَلَفت وما تناكَر منها اختَلف الجواب وبالله التّوفيق...

انّ الاخبار بذكر الأشباح مختلفة الفاظها وتتباين معاينها وقد بَنَت الغلاة عليها اباطيل كثيرة وصَنّفوُ فيها كتباً لغواً فيها وهزواً فيما اَثبَتوه منه فی معاينها واضافوا ما حَوَته الكتب الى جماعةٍ من شيوخ اهل الحق وتخرّصو الباطل اليهم...

من جملتها كتاب الأشباح والأظِلَّة نَسبوُه فی تاليفه الى محمّد ابن سنان ولَسنَا نعلم صحّة ما ذكروه فی هذا الباب وانّه كان صحيحاً فانّ ابن سنان قد طُعِنَ عليه وهو مُتَّهم بالغُلُّو فان صَدقوا فی اضافة الكتاب اليه فهو ضلال الضّال عن الحق وان كذبوا فقد تحمّلوا اَوزار ذالك، والصّحيح: من حديث

الاشباح الرّواية الّتى جائت من الثّقات بانّ آدم راى على العَرش اشبّاحاً يَلمَع نوُرها فسَئَل الله تعالى منها فاوحى الله اليه انّها اشباح رسول الله ﷺ واميرالمؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم وأعلَمه انّه لولا الاشباح الّتى راها ما خَلقَه ولا خلق سماءً ولا ارضاً.

والوجه فيما اَظهَره الله تعالى من الأشباح والصّور لادم ان دلّه على تعظيمهم وبتجيلهم وجَعَل ذالك اجلالاً لهم ومقدّمة لما يَفترضه من طَاعتهم دليلاً على انّ الدّين والدّنيا لايتمّ الّا بهم ولم يكونوا فى تلك الحال صُوراً مجيبتهً ولا ارواحاً ناطقةً لكنّها كانت على مثل صوُرهم فى البَشَّرية يدلّ على ما يكونوا عليه فى المُستقبل فى الهِيئَة والنّور الذى جَعَله عليهم يدلّ على نور الّذين بهم وضياء الحقّ بحجبهم وقد روى انّ اسمائهم كانت مكتّوبة اذ ذاك على العَرش وانّ آدم عليه السلام لما تاب الى الله عَزّ وجل وناجاه بقبول توبته سَئلَهم بحَقّهم عليه وَمَحلّهم عنده فاجابه وهذا غير منكرٍ فى العقول ولا مضارّ لِلشّرع المنقول وقد رواه الصّالحون الثقات اَلمأمونُون وسلم لروايته طائفة الحقّ ولا طريق الى انكاره والله ولىّ التوفيق انتهى...

ثمّ فَصّل قده فى الجواب بما لامزيد عليه كما نقله فى البحار ومن شاء فليراجع اليها الى ان وصلت نوبة الجواب بحديث خلق الأرواح وحديث انّ الارواح جَنود مُجَنّدة فقال قده ما هذا لفظه.

فصل: فامّا الخبر بانّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بالَفَى عام فهو من اَخبار الاحاد وقدروتَه العامّة كما روته الخاصّة وليس هو مع ذالك ممّا يقطع على الله بصحّته وانّما نقله رواته لحسن الظَّن به وان ثبت القول فالمعنى فيه انّ الله تعالى قَدَّر الارواح فى علمه قبل اختراع الاجساد واخترع الاجساد واخترع لها الأرواح فالخلق للارواح قبل الاجساد خلق تقدير فى العلم كما قَدَمناه وليس بخلقٍ لذواتها كما وَصَفناه والخلق لها بالأحداث والأختراع بعد خلق الاجسام والصّور الّتى تُدّبرها الارواح ولولا انّ ذالك كذالك لكانت الأرواح

تقوم بانفسها ولا تحتاج الى الالات يعتملها ولكنّا نعرف ما سَلف لنا من الأحوال قبل خلق الاجساد كما نعلم احوالنا بعد خلق الاجساد وهذا محال لاخفاء بفساده ثم قال قده:

وامّا الحديث بانّ الارواح جُنوُده مُجنَّدة فما تعارف منها اَئتَلف، وما تناكر منها اختَلَف فالمعنى فيه انّ الارواح الّتى هى الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتحاذل بالعوارض فما تعارف منها باتفاق الرّأى: والهَواى ائتَلَف ما تناكر منها بمبانية الرّاى وَالهَوى اختلف وهذا موجود حسّاً ومشاهد وليس المراد بذالك انّ ما تعارف منها فى الذّر ائتَلَف كما يذهب اليه الحَشويّة كما بيّناه من انّه لاعلم لِلانسان بحال كان عليها قبل ظهوره فى هذا العالم ولو ذكر بكلّ شيئى ما ذكر ذالك فوضح بما ذكرناه انّ المراد بالخبر ما شرحناه والله الموفّق لِلصّواب انتهى، ثم قال المجلسى قده بعد نقله ما نقلناه ما هذا لفظه.

اقول: طَردِ ظواهر الأيات والأخبار المُستفيضه بامثال تلك الدلائل الضَعيفة والوجوه السَّخيفه جُرأة على الله وعلى ائمةِ الدّين ولو تَامَّلت فيما يدعوهم الى ذالك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت انّ بامثالها لايمكن الأجتراء على طرح خبرٍ واحدٍ فكيف يمكن ترك تلك الاخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الاية الكَريمة بها وبامثالها وسياتى الاخبار الدّاله على تقدم خلق الأرواح على الاجساد فى كتاب السّماء والعالم وسنتكلّم عليها هناك انتهى.

اقول: قد علمت ممّا ذكرنا ونقلناه انّ المفيد قده مخالف لعالم الذّر وتَقَدُّم خلق الارواح على الاجساد بالمعنى المُتعارف الّذى فَهمِه غيره وقد وافقه على ذالك تلميذه علم الهدى قده واَنكَر الذَّر المَعهوُد اَشَدّ انكار، ونحن ننقل من كلامه قده ما هو موضع الحاجة لنا فنقول: قال المجلسى ره نقلا عنه ما هذا لفظه.

ومنها: ما ذكره السيّد المرتضى قده فى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾[1] حيث قال: وقد ظَنَّ بعض من لابصيرَة له ولا مَظَنة عنده انّ تاويل هذه الآية انّ سبحانه استَخرَج من ظهر آدم جميع ذريّته وهم فى خَلق الذّر فَقَرّرهم بمعرفته وأَشهَدهم على انفسهم وهذا التّاويل مع انّ العقل يبطله ويحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه لانّ الله تعالى قال واذ اخذ ربّك من بنى آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم وقال وذُرياتهم ولم يقل ذريّته ثمّ اَخبَر تعالى بانّه فعل ذالك لئلا يقولوا يوم القيمة انّهم كانوا عن ذالك غافلين او يعتذر ويشرك آبائهم وانّهم نَشَاءُوا على دينهم وسُنَّتهم وهذا يقتضى انّ الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانّها انّما تناولت من كان له آباء مُشركون وهذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذريّة بنى آدم فهذه شهادة الظاهر يبطلان تاويلهم.

وامّا شهادة العقول فمن حيث لاتخلوا هذه الذُريّة التى اَستخرجت من ظهر آدم وخوُطبت وقُرّرت من ان يكون كاملة العقول مَسبُوقة بشروط التّكليف او لاتكون كذالك فان كانت بالصّفة الاولى وجب ان يذكر هولاء بعد خلقهم وافشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال وما قَرَّرُوا به واستَشهَدُوا عَلَيه لانّ العاقل لايَنسىٰ ما جَرى هذا المَجرىٰ وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لايجوز ان يتصرّف احَدنا فى بلَدٍ من البلدان، وهو عاقل كامل فيَنسىٰ مع بُعد العَهد جميع تصرّفه المتقدّم وساير احواله، وليس ايضاً لتخلّل المَوت بَعد الحالين تأثير لانّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذِكر لكان تخلل النّوم والسُّكر والجُنون والاغماء بين احوال العقلاء يُزيل ذكرَهم لِما مَضى من احوالهم لانّ سائر ما عدّدناه ممّا ينفى العلوم ويجرى مجرى الموت فى هذا الباب وليس لهم ان تقولوا اذا جاز فى العاقل الكامل ان ينسى ما كان عليه فى حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه وذالك انّما اوجَبنا ذكر العقلاء لمّا اَدعَوه اذ اكمَلتْ عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقل ولو كانوا بصفةِ الاطفال فى تلك الحال لم

---

١. الاعراف / ١٧٢.

توجب عليهم ما اوجَبنَاه على انّ تجويز النّسيان عليهم ينقض الغرض فى الآية وذالك انّ الله تعالى اَخبَرنا بانّه انّما قَرّرهم واَشهَدهم لئلا يدّعُوا يوم القيمة الغفلة عن ذالك وسقوط الحُجّة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحُجّة عنهم وزواله وان كانوا على الصّفة الثانية مِن فَقد العلم وشرائط التكليف قَبُحَ خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذالك عبثاً قبيحاً تعالى الله عنه ثم قال قده:

فان قيل قد اَبطَلتُم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصّحيح عندكم، قلنا فى الاية وجهان:

احدهما: ان يكون تعالى اِنّما عَنى بِها جماعة من ذريّة بنى آدم خَلقَهم وبَلغَهم واَكمَل عُقولهم وقَرّرهم على اَلسُن رُسُله عليهم السّلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأَقَرّوا بذالك واَشهَدهُم على اَنفسَهم به لئلا يقولوا يوم القيمة اِنّا كُنّا عن هذا غافلين او يعتذر وبشِرك آبائهم فانّما اَتىٰ من اَشتَبه عليه تاويل الاية من حيث ظنّ اسم الذّرية لايقع الّا على من لم يكن كاملاً عاقلاً وليس الامر كذالك لانّا نُسمّى جَميع البَشَر بانّهم ذريّة آدم وان دَخَل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى:

﴿جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ اٰبَائِهِمْ وَ اَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ وَالْمَلاٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّنْ كُلِّ بَابٍ﴾[1] ولفظ الصّالح لايطلق الّا على من كان كاملاً عاقلاً فَان اَستَبعدوُنا وتأويلَنا وحَملَنا الاية على البالغين فهذا جوابهم.

الجواب الثّانى: انّه تعالى لِمّا خَلقَهم ورَكّبَهُم تَركيباً يدّل على معرفته ويَشهَد بقُدرته وَوجوُب عبادته واَراهُم العَبر والآيات والدّلائل فى غيرهم وفى اَنفسهم كان بمنزلة المُشهِد لَهُم على اَنفسهُم وكانوا فى مشاهدة ذالك ومعرفته وظهوره فيهم على الوَجه الّذى ارادَه الله تعالى وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المُقرّ المُعتَرف وان لم يكن هناك اِشهادُ واعترافٌ

---

١. الرعد / ٢٣.

عَلَى الحَقيقة ويجرى ذالكَ مجرى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[1]

وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على اَنفسهم بالكُفر ونَحن نعلم انّ الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنَتهم وإنّما لمّا ظَهَر مِنهم ظُهوراً لايَتمكّنوُن مِن دَفعه كانوا بمنزلة المُعترفين به ومثل هذا قَولهم جوارِحى تَشهَد بنِعمتِك وحالِى معترفة بأحسانك وما روى عن بعض الحكماء سل الأرض مَن شَقَّ اَنهارَك وغَرسَ اَشجارك وجَرَّ ثَمارِك فإن لِمَ تُجبك حواراً اجابتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة فى النَّظم والنَّثر يُغنى عن ذكر جميعها القدر الّذى ذكرناه منها انتهى...

اقول: نَقلنَا مذهب السيّد قده وتفسيره للآية الشّريفة بطوله وتفصيله لتعلم انّه مِن اَشدَّ المُخالفين فى هذا المِضمار ونَحنَ نتكلم فيما قاله السيّد واستاده قدهما بقدر وُسعنا وبضاعَتنا فانّ المقام مِمّا زَلَت فيه الأقدام ثم نَنْقِل ما قاله العامّة فى تفسير الآية وعالم الذّر فانّ البحث حقيق بالتَّحقيق والتَّدقيق ولَم نَرَ مِن عُلمائنا الماضين والموجودين من حقّقه حقّ التحقيق واَخرَج الماءَ الصّافى من بين الأحجار والرَّمل والطِّين فنقول امّا ماقاله المفيد قده فمجرّد استبعادِ ولم يأت قده بدليلٍ دَلَّ على امتناعه فانّه قده قال فى الآية بالمجاز فى اللّغة وجوابه انّ المجاز على خلاف الأصل والوضع وانّما يصار اليه حيث لايمكن حمل اللفظ على المعنى الحقيقى وما نحن فيه ليس كذالك فانّه لامانع من حمله على الحقيقة عقلاً ونقلاً فالقول بالمجاز بالتَّقريب الّذى ذكره قولٌ بلا مُحصَّل ولا اَقلَّ مِن الشَّك فى كون المراد منه معناه الحَقيقى او المجازى وفيه الأخذ بالأصل مُسلّمٌ.

وامّا قوله قده فى خبر خَلق الأرواح قبل الاجساد بانّه خبر واحد، لايقطع

---

١. فصّلت / ١١.

بصحّته الى آخر ما قال، ففيه اَمّا اوّلاً انّ الخبر الواحد حجّة ولا سيّما اذا كان مُؤيداً بالعَقل والنَقل كهذا الخبر، وثانياً انّ الخبر وان كان من حيث اللّفظ واحد الا انّه من حيث المعنى مُتظافر بل مُتواتر كما سَتَعلم انشا الله وقوله قده لولا انّ ذالك كذالك لكانت الأرواح تَقُوم بانفسها الى آخر ما قال، لايلزم من خلق الأرواح قَبل الأجساد وعَدَم احتياجها الى الآتٍ يَعتملها وبعبارةٍ اخرى نحن نقول بانّ الأرواح تقوم بأنفسها قبل تعلّقها بالأبدان لانّها جواهر لااعراض كما اَعترف بجَوهريّتها فى الجواب الآتى فلسائلٍ ان يَسئَل عنه ان كانت الأرواح جواهر بسيطة فايّ مانع عن تقوّمها بنفسها اَلَيس معنى الجوهر على ما قيل فى تعريفه هو الموجود الّذى لا فى الموضوع والعَرَض هو الموجود الذى فى الموضوع فَعَليه لاباس بتقوّمُها بأنفسها.

امّا احتياجها الى الآلات فانّما هو فى هذه الدّنيا بعد تعلّقها باالأجساد العُنصريّة للوصول الى الغايات الّتى لايمكن البلوغاليها، الّا بتوسط الآلات البَدَنيّة وهذا امر آخر لارَبَط له بما نحن فيه فانّ الشيئى لامانع من كونه جوهراً قائماً بالذّات فى حدّ نفسه ومحتاجاً الى شيئٍ آخر فى تَحصيل الكمال نعم لو قلنا بعُروضها على الأجسام فلا يمكن القول بجَوهريّتها ولم يَقُل به اَحَد فانّها لَيسَت بعارضةٍ على الأبدان بل لها علاقة تدبيريّة بأبدانها ما دامَت فيها كما حُقّق فى محلّه وبالجملة كلامه قده متناقض كما لايخفى...

وامّا قوله قده: فى الخبر الثانى اعنى الارواح جُنوُد مجنّدة الخ.

فايضاً مَخدُوشٌ من وجوهٍ عَديدة فانّ ما ذكره مجرّد استحسان واستخراج ليس الّا والتزام الحَشوّية به لايوجب بطلانه ما لم يدلّ دليل عليه، وايّ اشكال فى صحّة قول الحَشوّيه نعم لو وَصَل الينا من الشّارع دليل على مخالفة الحَشويّة وغيرها على الاطلاق لَصَّح ما ذكره قده او كان فى المقام خبران متعارضان ولَم يَدلّ دليل على ترجيح احدهما تَمَسّكنا بقوله عليه السلام خُذ بما خَالَف العامّة، والمقام ليس من هذا القبيل مضافاً الى انّ الخبر معتضد باخبارٍ

كثيرة وسنشير الى بعضٍ منها.

وامّا استبعاده قده لأجل انّ الامر لو كان كذالك لوَجَب ان يكون الإنسان فى هذا العالم مُتذكّراً مُتوجّهاً اليه فجوابه ظاهر فانّ الانسان مادام فى هذه الدّنيا مَحجوُبٌ بغواشى المادّة واسيرٌ فى سلاسِل الشَّهوية لايمكن له الفرار من حكومة المادة وقواها ولواحقها فَعِلّة عدم تَذَكّره هذه الغفلة النّاشِئة من قِبلِها ولهذا قال رسول الله ﷺ: الناس نيام اذا ماتوا اَنتَبهوُا وهذا ايضاً ظاهر...

وامّا ما قاله السيّد المرتضى قده ايضاً لامحصل له وانّما هو مُجرّد استبعادٍ تبعاً لِأستاذه قدهما ولست اَدرى ايَ مانعٍ مَنَع عن حمل الاية على ظاهرها والوجهان اللّذان ذكرهما فى تأويل الآية من قبيل توجيه الكلام بما لايرضى صاحبه وذالك لانّ قوله فى الوجه الاوّل ان يكون تعالى انّما عنى بها جماعة من ذريّة بنى آدم خَلقَهم وبَلغَهم واَكمَل عُقولهم الى آخره فلقائلٍ ان يقول مخاطباً له قده مِن اَين عَلمتُم وظَهَر لكم انّ الله تعالى انّما عنى بها جماعة من ذريّة بنى آدم مع تلك الشرائط فان دلّ على هذا التبعيض كلمة من، فهو اوّل الكلام اذ يمكن ان تكون كلمة مِن نَشائِية وان لم يكن التّبعيض مُستفاد منها فايّ دليلٍ دَلَّ عليه مضافا الى انّه لو تَمَّ ما ذكره قده من انّه تعالى خلق جماعَة ثم بَلغَهم واَكمل عقوُلهم فايّ مانعٍ من اجراءِ هذا الاصل بالنّسبة الى الكُلّ واختصاصه ببعضٍ دون بعض لادليل عليه، وبعبارةٍ اخرى حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لايجوز واحد فانّ حَمل الاية على البالغين المُكلّفين كما ذَهَب اليه دون غيرهم نقول له فَليَكُن كُلّهم بالغون مكلّفون اَو ما شِئتَ فَسَمِّه وَإن حُملت على غيرها فكذالك ايضاً...

وامّا جوابه الثّانى: فَخُروُجٌ عن طور البحث اذ لم يقل اَحَدٌ بانّ الآية دَلّت على انّ الذُّرية فى الآية هى الصُّور العَينيّة الخارجيّة حتّى يقال له ليس الامر كذالك فأستدلاله بالاية الشَّريفة ثم استَوى الى السَّماء الخ، ثمّ قوله قده وان لم يكن منه تعالى قول فى الحقيقة ولا منهما جواب فى حَيّز المنع بالنّسبة الى

مورد البحث فانّ ما ذَكَره قده معلوم لاكلام لأحدٍ فيه وانّما البحث فى دِلالة الآية على ثبوت الذَّر وعَدمها لافى كيفية جواب الذّرات اذ معلوم انّ القول بكلمة بلى منهم بحَسَب شأنهم فى عالم المُجردات لا بحسب شانهم بعد تَعلّقهم بالأجساد وهذا ظاهر.

وامّا اقوال العامة: قال الفخر الرازى فى تفسير تلك الاية وجهان مشهوران: الاوّل وهو مذهب المُفسّرين واهل الأثر ما روى مسلم ابن يسار الجهنى إنَّ عُمر سُئِل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله ﷺ وسلم سئل عنها فقال ﷺ انّ الله خَلَق آدم ثم مَسَح ظَهرَه ثم فأستَخرج منه ذريّةً فقال خَلقت هولاء للجنّة وبعمل اهل الجنّة يعلمون ثمّ مَسَح ظَهرَه فأستَخرَج ذرّيةً فقال خُلِقت لِلنّار وبعَمَل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فَفيمَ العَمَل فقال رسول الله إنّ الله اذا خُلق العَبد لِلجنّة استَعمَله بعَملٍ اهل الجنّة حتّى يموت على عمل من اعمال اهل الجنّة فيدخل الجنّة واذا خُلِق العَبد لِلنّار استَعمَله بعَمل اهلِ النّار حتّى يموت على عَملٍ من اعمالِ اهل النّار فيدخل النّار...

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لَمَّا خَلَق الله آدم، مَسَح ظَهرَه فسَقَط مِن ظَهره كلّ نسمةٍ مِن ذُريّته الى يوم القيمة، وقال مقاتل انّ الله مَسح صَفحة ظَهر آدم اليُمنىٰ فَخَرج منه ذرّيةٌ بيضاء كَهيئة الّذى تَتحرَّك ثمّ مَسَح صَفحَة ظَهره اليُسرى فَخرَج مِنه ذريّة سوُد كَهَيئة الذّر فقال يا آدم هولاء ذريّتك، ثم قال لهم ﴿اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ﴾[1] فقال للبيض هولاء فى الجنّة برَحمتى وهم اصحاب اليمين وقال لِلسُّود هولاء فى النّار ولا ابالى وهم اصحابُ الشّمال وهم اصحابُ المَشئَمة ثمَّ اعادهُم جميعاً فى صلب آدم فاهل القُبور مَحبوُسوُن حتّى يخرج اهل الميثاق كلّهم من اصلاب الرّجال وأرحام النّساء وقال تعالى فيمَن نَقضَ العَهد الاوّل وما وَجَدنا لأكثرهم من

١. الاعراف / ١٧٢.

عَهدٍ وهذا القول قد ذهب اليه كثير من قدماء المفسّرين كسعيد ابن المسيّب وسعيد ابن جبيبر والضّحاك وعَكرمة والكلبى ثم قال: واما المعتزلة فقد اَطبقوا على انّه لايجوز تفسير هـذه الايـة بـهذا الوجـه واحـتجّوا عـلى فسـاد هـذا القول بوجوه:

الوجه الاوّل: انّه قال من بنى آدم من ظُهورهم فقوله من ظهورهم يَدلُّ مِن بنى آدم فَلَم يذكر الله إنَّه اَخَذَ من ظَهر آدم شيئاً.

الوجه الثانى: انّه لو كان كذالك لما قال من ظُهورهم ولا من ذريّاتهم بل قال من ظَهره وذُريّته.

الوجه الثالث: انّه تعالى حكى عن اولئك الذّرية انّهم قالوا انّما اَشرَك آباؤنا من قبل وهذا الكلام لايليق بأولاده لانّه عليه السلام ما كان مُشركاً.

الوجه الرّابع: إنّ اَخَذ الميثاق لايمكن الّا من العاقل فلو اَخَذ الله الميثاق من اولئك لكانوا عقلاء ولو كانوا عقلاء وأعطوُا ذالك الميثاق حال عقلهم يوجب ان يتذكّروا فى هذا الوقت فانّهم اُعطوا الميثاق قبل دخولهم هذا العـالم لِاَنّ الأنسان اذا وَقَعت له واقعةٌ عظيمةٌ مُهيبَة فانّه لايجوز مع كونه عاقلاً انّ يَنساها نسياناً كليّاً لايتذَّكَر منها شيئاً لابالقَليل ولا بالكثير وبهذا الدليل يبطل القـول بالتّناسُخ فانّا نقول لو كانت ارواحنا قد حَصَلت قبل هذه الاجساد فى اجسادٍ اخرى وجب ان ستَذكّر الآن انّا كنا قبل هذا الجَسَد فى اجسادِ اخرى وحيث لم نَتَّذكر ذالك كان القول بالتّناسُخ باطلاً فاذا كان اعتمادنا فى ابطال التّناسخ ليس اِلّا على هذا الدليل وهذا الدليل بعينه قائم فى هذه المسئلة وجب القول به.

الوجه الخامس: انّ جميع الخلق الّذين خَلقَهم الله مِن اولاد آدم عليه السلام عَـدَد عظيم وكَثرَة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلك الذّرات تبلغ مبلغاً عظيماً فى الحَجميّة والمقدار وصُلب آدم عليه السلام على صِغَره يبعدان يَتَّسع لهذا المجموع.

الوجه السادس: ان البُنية شرط لحصُوُل الحَيوة والعقل والفهم اذ لو لم يكن كذالك لَم يَبعُد فى كلّ ذرّةٍ من ذرّات الهَباء ان تكـون عـاقلاً فـاهماً مُـصنِفاً

لِلتّصانيف الكثيرة فى العلوم الدّقيقة وفتح هذا الباب يُفضى الى التزام الجهالات واذ اَثبَت انّ البُنيَة شرط لحصول الحَيوة فكلّ واحدٍ من الذّرات لايمكن ان يكون فاهماً عاقلاً الّا اذا حَصَلت له قدرة من البَنية والجُثّة واذا كان كذالك فجموع تلك الاشخاص الّذين خَرجوُا من الوجود من اَوّل تَخليق آدم الى آخر فناء الدّنيا لاتَحويهم الدّنيا فكَيف يمكن ان يقال اِنّهم بأسرهم حَصَلوا دفعة واحدةً فى صلب آدم عليه السلام.

اقول: دلائل المعتزلة لاتنحصر بما ذكرناه بل نقل الرازى فى تفسيره سِتّة دلائل اُخرى اَعرَضنا عن ذكرها حَذَراً عن الأطناب ومن شاء فليُراجع الى تفسيره او المُجلّد الثالث من بحار الانوار باب الطِّنية والميثاق، ثُمّ قال الرّازى، الثّانى فى تفسير هذه الآية قول اصحاب النَّظر واَرباب المَعقولات انّه اَخرَج الذرّة وهم الأولاد من اصلاب آبائهم وذالك الاخراج انّهم كانوا نطفة فاَخرَجها الله تعالى فى ارحام الامّهات وجَعلَها عَلَقة ثم مُضغَة، ثُمّ بَشراً سَوياً وخَلقاً كاملاً ثم اَشهَدهم على اَنفسهم بما رَكِبَ فيهم من دلائل وحدانيّته وعجائب خلقه وغرائب صُنعه فبِالأشهاد صاروا كانّهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول باللّسان ولذالك نظائر منها **﴿قالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً اَوْ كَرْهاً قالَتا اَتَيْنا طائِعينَ﴾**[1]

ومنها قال له تعالى: انّما اَمرنا لشيئٍ اذا اَردناه ان نقول له كن فيكون اقول: ثم اطال الرّازى المقالة بما لامزيد عليها ونحن لانحتاج الى ذكرها والاعتراضات الّتى اَوردها عليها وذالك لانّ غَرَضنا من ذكر الاقوال العامّة الاطلاع عليها لِمَن ارادها والّا فكلّ ما ذكره الرازى ليس بقابل للقبول.

امّا الوجه الاوّل: الّذى ذكره فلان الاحاديث المَرْوية عن ابى هريره الكَذّاب لايمكن الأعتماد عليها وكذالك سائر رواته فى الاسناد ولذالك ترى حَديثه الاوّل بل كلّهم تنادى بالجَبر وهو موافق لمذهب الاشاعرة القائلين بالجبر

١. فصّلت / ١١.

والرّازى منهم ولا نحتاج فى اثبات الموضوع الى هذه الاحاديث المَجعوُلة وهذا ظاهر على المُتتّبع الخَبير، اذا عرفت دلائل كلّ واحدٍ من النّاقين لعالم الذّر والمُثبتين له فنقول:

اعلم انّه ان قلنا بانّ الأرواح خُلِقت قبل الأجساد فلا اشكال فى ثبوت عالم الذّر وان لَم نَقُل به لايمكن اثباته وذالك لانّ اخذ الميثاق منّا لايخلو حاله من وجهين:

الاوّل: ان نقول به بعد تَعلّق الرُّوح بالبَدن، الثانى: ان نقول به قبله.

امّا القول الثانى: فهو يثبت المطلوب، وامّا القول الاوّل فلا سبيل اليه وذالك لانّ اخذ الميثاق لو كان بعد تَعلّق رُوحنا ببدننا فلابدّ من ان يكون فى هذا العالم او قريب منه حينَ تَعلّق الرّوح بالبدن فى الرَّحِم وهذا وان كان ممكناً الّا انّه لم يقل به احدٌ فاذا انتفى القول الاوّل فلابدّ من الألتزام بالقول الثانى وهو الآخَذ قبله وهو المطلوب، وان شئت قلت الشُّقوق المُحتَملة فى المقام ثلثة لارابع لها، نفى اخذ الميثاق مطلقاً اخذ الميثاق قبل تَعلُّق الرُّوح بالبدن اخذه بعد تعلق الرّوح بالبدن.

امّا الشقّ الاوّل: فلا يمكن القول بـه لانّـه مُستلزمٌ لطرح الآيـة الشـريفة والروايات الواردة الكثيرة فى المقام كاستَسمع.

اما الشّق الثانى: فهو المطلوب.

اما الشقّ الثالث: فلم يقل به احد مع انّه ايضاً مخالف لظاهر الآية والروايات فاذن لابدّ من القول بثبُوته قبل تعلّق الأرواح بالأبدان وهو المطلوب. اذا عرفت هذا فلابدّ لنا من البحث فى تقدّم الارواح على الاجساد اوّلاً ثم اثبات عالم الذّر ثانياً فيَقع البحث فى مقامين المقام الاوّل فى تقدّم الأرواح وعدمه والمقام الثانى فى ثبوت عالم الذّر وعدمه.

امّا المقام الاوّل: فتارةً نَبحثُ عنه من طريق الفَلسَفة وتارةً من طريق الرّوايات المأثورة. امّا البحث الاول: فاعلم انّه قد اختَلَفت الفلاسفة فى تقدم

الارواح على الاجساد وعَدمه فالمشّائون منهم وهم اتباع ارسطو ذهبوا الى عدم تقدم الارواح على الاجساد الّا قليلاً منهم.

والأشراقيّون وهم اتباع افلاطون ذهبوا تبعاً لأستادهم الى تَقدّم الارواح على الاجساد ثُمّ كل واحد منهما استدلّ على اثبات مذهبه بما لامزيد عليه ونحن نشير اشارة اجمالية الى اقوالهم ودلائلهم ثم نقضى بينهما بالحق مُويّداً بالعَقل والنَّقل وبالله التوفيق وعليه التّكلان.

مَذهَبُ المشائين فى النّفوس هو انّها جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء وقبل الخوض فى اصل المقصود نقدم اموراً لابدّ من ذكرها:

الاوّل: ان الرّوح والنّفس لافرق بينهما الّا بالاعتبار فمن حيث تجرّده عن المادّة وعُلُوّ مقامه وصدوره عن المَبدَء الأعلى وانّه الصادر الاوّل والقلم الاعلى يسمّى بالرّوُح ومن حيث تنزّله الى الأبدان العُنصريّة وتعلّقه بها يسّمىٰ بالنّفس فتلك الجوهر المُجرّد فى مقام عُلوّه يُسمّى بالرّوح وفى مقام تنّزله بالنّفس.

الثانى: اختَلَفوُا فى انّ النُّفوس قديمة او حادثة ووَجهَ الضَّبط فى استيفاء الاقوال هو انّ النفوس امّا قديمةٌ او حادثةٌ والقائل بالحدوث امّا ان يقول بحدوثها قبل حُدوث البَدَن واما ان يقول بحُدوثها مع حدوثه وهو قَول اَكثر الحكماء والمُتكلّمين وَإمّا ان يقول بحُدوثها مع حُدوث البَدَن بمعنى انّ حُدوُثها حُدوث البَدن وهو قَول صدر المتالّهين الشيرازى.

والقائل بالِقَدم إمّا ان يقول بقِدمهما الذّاتى وهو قول من يقول بانّ النّفس هى الاِلٰه، وإمّا ان يَقوُل بالقِدَم الزّمانى والحدوث الذّاتى فهو إمّا ان يقول بقَدمِها فى هذه السّلسلة العَرضِيّة كما يقول به التّناسِخيّة او بالقَدم فى السّلسلة الطُوليّة وهو ايضاً تارةً يقول بالقَدم فى السّلسلة الطوُليّة بما هى نُفوس جُزئيّة، او بالقِدَم فيها بما هى عقل كلّى وهذا الأخير هو ما ذَهَب اليه افلاطون فالأقوال فى المَسئَلة تبلغ سَبعَة:

الأوّل: انّها حادِثة قبل حُدوث البَدن الثّانى: انّها حادثة مع حُدوث البَـدن الثّالث: انّها حادِثة بحُدوث البَدن بمعنى انّ حدوثها حُدوثه هذا على رأى من قال بأنّها حادِثة، امّا على القول: بِقَدمها فالأقوال تنحصر فى اربعة:

الاوّل: القول بِقَدمها ذاتاً الثّانى: القول بقدمها زماناً وحدوُثها الذّاتـى فـى السّلسلة العَرضيّة الثّالث: القول به فى السّلسلة الطوُليّة بما هى نفوس جزئيّة الرّابع: القول به السّلسلة الطوُلية بما هى عقول كليّة، اذا عَرَفت ضَبط الاقوال فيها فاعلم انّه بناء على القول الاوّل وهو حُدوثها قبل حدُوث البَدن يـمكن القول بثبوت عالم الذّر والعَهد والمـيثاق كـما لايـخفى، وامّـا عـلى القـولَين الأخيرين فى ظرف حدوثها لايمكن القول به وهو ظاهر، وامّا على القول بِقَدم النّفوس فعلى القول الاوّل لايمكن اذ عليه النّفس هو الإله تعالى الله عنه وامّا عَلَى القولِ الثّانى والثّالث والرّابع فلا اشكال فيه فالمُحَصّل هو انّ القائل بثبوت الذّر لابدّ له لتصحيح مَبناه من القول بتقدم الأرواح على الأبدان إمّا حادثاً وإمّا قديماً زماناً لاذاتاً فنقول:

امّا الفلاسفة المشّائون: وهم اَتباع اَرسطو فظاهراً لاخلاف بينهم فى كون النفس حادثاً بحدُوث البَدَن باقياً بـعد فـناء البـدن كـاهو شأن كـون الشـيئى جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء واليه اشار السبزوارى قده:

النّفس فى الحُدوث جِسمانيّة وفى البَـقاء تكوُن روُحـانيّة

قال الصّدر الشيرازى (قده) فى سفر النّفس من الأسفار ما هذا لفظه، وامّا ارسطاطاليس ومن تَاخّر عنه من المَشّائين فـقد اتّـفقوا عـلى حـدوث هـذه النّفوس وهذه احدى المسائل الّتى اَشتَهرانّه وقع الخلاف فـيها بـين هـذين الحِكيمَين ونحن وَجهَنّا قولَيهما فى قدم النّفُوس وحدوثها على وجه يتوافق مَغزاهما ويَتّحد معناهما كما اَشرنا اليه انتهى...

واستَدَلّوُا على مَذهبهم بأُمور:

الاوّل: انّها لو كانت موجودة قبل الأبدان فامّا ان كانت واحـدة، او كـثيرة،

وعلى الاوّل امّا ان تَتكثّر عند التَعلّق اَوَلا فإن لَم تتكثّر كانَت النّفس الواحدة نفساً لكلّ بَدنٍ ولو كان كذالك لكان ما عَلِمَه انسان عَلِمه كلّ انسان وما جَهِلَه جَهِلَ كلّ انسانٍ وذالك محال، وان تَكَثَّرت لامادّة له فلا يقبل الأنقسام والتَجزيّة، وان كانت قبل البدن مُتكثّرة فلابدّ وان يمتاز كلّ واحد منها عن صاحبه امّا بالماهية او لوازمها او عوارضها والاوّل والثّانى محالان لانّ النفوس الإنسانيّة مُتحدّةٌ بالنّوع فيتساوى جميع افرادها فى جميع الذّاتيات ولوازمها فلا يمكن وقوع الامتياز بها وامّا العوارض اللّاحِقة فَحدُوثها انّما تكون بسبب المادّة وما فيها ومادّة النّفس بوجهٍ هى البدن وقبل البدن لامادّة فلا يمكن ان يكون هناك عوارض مختلفة فَثَبت انّه يمتنع وجود النفس قبل البَدَن لاعلى نَعتِ الاتّحاد ولا على نَعتِ الكَثرة، فاذن القَول بِقَدمها باطل وهو المطلوب.

الثّانى: ما ذكره ابو البركات على حُدوث النّفس وحاصله انّ النّفس لوكانت موجودة قبل البدن فلا تخلوا امّا ان تكون متعلّقة بأبدانٍ اُخرىٰ او غير متعلّقة بها، والاوّل باطل لأستلزامه التّناسخ المُستحيل والثّانى باطل لانّ النّفس لابدّ من ان تكون مُتَعلّقة بشيئٍ والّا تكون عَقلاً لانَفساً، فَأذن لابدّ من ان تكون النّفس غير موجودةٍ قبل البدن فهى حادثة بحُدوثه وهو المطلوب، ثم انّ القائلين بحدوث النّفس بحدوث البدن اختَلفوا ثانياً على ثلاثة اقوال:

الاوّل: انّها جسمانية الحدوث وروحانية البقاء بمعنى انّها فى الحدوث غير مُجردّةٍ بل جسمانيّةٍ وفى البقاء تكون روحانيّة، كما نقلناه عن السبزوارى قده وهذا قول كثير من الفلاسفة المتاخرين بل اكثرهم ذهبوا اليه.

الثانى: انّها رُوحانيّة الحُدُوث والبقاء بمعنى انّها مجرّدة ذاتا، لافعلاً والّا لكانت عقلاً اذا العقل مجرّد ذاتاً وفعلاً فلو كانت النّفس ايضاً كذالك لما كان بينهما فرق وهذا القول نسب الى ارَسطُو واتباعه من المشّائين القائلين بانّها مُجرّدة ذاتاً لافعلاً.

الثالث: انّها روحانيّة الحدوث وجسمانيّة البقاء عكس القول الاوّل وهذا

قول بعض التّناسخيّة.

القول الرّابع: وهو الّذى قال به الصّدر الشّيرازى وأبدَعه ثم اعرَضَ عنه وذهب الى القول الاوّل وانّها جسمانيّة الحدُوث وروحانيّة البقاء وفى كلّ واحدٍ من الاقوال شكوك واعتراضات مذكورة محلّه، هذا خلاصة اقوال القائلين بحدوث النفس بحدوث البدن وعليه لاسبيل الى القول بعالم الذّر والعَهد كما هو ظاهر.

وامّا افلاطون فقد ذهب الى انّ النفوس الإنسانيّة قديمة لاذاتا، اذ لاقديم ذاتا سوى الله تعالى بل زماناً المساوق مع الحدوث الذاتى الّذى لَم يَسبقه زمان بل مَسبوُق بالعلّة فَقَط وتَبعه على هذا القول كثير من عُلماء الفلاسفة الأشراقيين والمَشائيين واستدّل عليه بوجوهٍ ثلاثة:

الاوّل: انّ كل ما يحدث فانّ له مادة مُخصّصة تكون بأستعدادِها سَبباً لان يَصير أولى بالوُجود بَعدان لم يكن فلو كانت النُّفوس حادثة لكانت مادّية والتّالى باطل فالمقدم مثله.

الثّانى: انّها لو كانت حادثة لكان حدوثها بحدوث الابدان، لكنّ الأبدان الماضية غير متناهية فالنفوس الماضيّة الّتى بازائها غير متناهية لكن النفوس بعد الأبدان باقية بالاتفاق فالنّفوس الحاصلة فى هذا الوقت غير متناهية لكنّها اى نفوس غير متناهية موجودة بالفعل محال لكونها تقبل الزيادة والنّقصان مع انّ كلّ ما كان كذالك فهو متناه فأذن ثَبَت انّ النُّفوس الموجودة بالفعل متناهية فحُدوث الابدان ليس سبباً لحدوث النّفوس عن عِللها لايتوقّف على حدوث البدن واستعداد المادّة فهى قديمة.

الثّالث: انّها لو كانت حادثة لكانت غير دائمةٍ اذ كل كائنٍ فاسد وكل ما هو أبدىّ فهو أزَلّى وقد ثَبت انّها باقيّة أبَديّة كما سَيجىء بيانه فهى اذن ازليّة، قال الصدر الشّيرازى قده فى الأسفار ما هذا لفظه، ما مرّ من الكلام يكفى لاثبات انّ هذه النفوس (النّفوس البَشريّة) حادثة بِحدوُث الأبدان اذ قد ظهر انّها متجدّدة

مُستحيلة من اَدنَى الحالات الجَوهريّة الى اعلاها ولو كانت فى ذاتها قَديمة لكانت كاملة الجَوهر فِطرةً وذاتًا فلا يَلحقها نقصٌ وقُصوُر ولَو لَم يكن فى ذاتها ناقصة الوجود لم تكن مُفتقرة الى الآت وقُوىً بعضها نباتية وبعضها حَيوانيّة ثم قال قده: وايضاً لو كانت قديمة لكانت مُنحصرة النَّوع فى شَخصها ولم يكن يَسنَح لها فى عالم الأبداع الإنقسام والتّكثُر لانّ تكثّر الافراد مع الإتحاد النَّوعى انّما هو من خواصِ الأجسام، والجسمانيّات المادية والّذى وجوده ليس بالإستعداد والحركة والمادّة، والانفعال فحقّ نوعه ان يكون فى شخصٍ واحد والنُّفوس الإنسانيّة متكثّرة الاستعداد (الاعداد) متحدة النّوع فى هذا العالم كما سيجئى فيستحيل القول بانّ لهذه النفوس الجزئية وجوداً قبل البدن فضلاً عن ان تكون قَديمة انتهى...

اقول: وقد ظَهَر لَك ممّا ذكرناه على سبيل الأجمال انّ البحث فى النّفس الناطقة الإنسانية الّتى هى مرتبَة التَّنَزُّل من الرُّوح الّذى قيل فيه ونَفَختُ فيه من روُحى و **﴿يَسئَلونَك عن الرّوح قل الرّوح من امر ربّى﴾** وفى النّفس قال رسول الله ﷺ من عَرَف نَفسَه فقد عَرَف ربّه وغير ذالك من الاثار يَدوُر على امرين الّقِدَم والحُدُوث ونَعنى بالقِدَم القَديم الزّمانى وان شئتَ فعبّر عنه بالحُدوث الذّاتى ولتفصيل الكلام فى هذا المِضمار مقام آخر فانّ كتابنا موضوع لشرح كلامه عليه السلام لاالتحقيق المطالب العقليّة.

امّا البحث فى تَقدّم الأرواح خَلقاً من طريق الرّوايات والآيات فنقول البصائر، بسنده عن ابى عبدالله عليه السلام **قال جاء رجل الى اميرالمؤمنين عليه السلام فقال: والله يا اميرالمؤمنين انّى لَاُحِبّك، فقال عليه السلام: كَذِبتَ، فقال الرّجل سُبحان الله كانّك تَعرف ما فى قَلبى، فقال على عليه السلام: انّ الله خَلَق الأرواح قبل الأبدان بالَفى عامٍ ثمّ عَرضَهم عَلينا فَاَين كنت وَلَم اَرَك**[1]

ومنه عن عمارة قال **كنتُ جالساً عند اميرالمؤمنين عليه السلام إذ اَقبَلَ رجل فَسَلَّم**

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢٥.

عليه، ثم قال يا اميرالمؤمنين عليه السلام والله انى لأُحبّك فَسَاله ثم قال عليه السلام: له انّ الارواح خُلقت قبل الأبدان بألفَى عام ثم اَسكَنت الهواء فما تعارف منها ثُمَّ ائتلف هيهنا وما تناكر منها ثمَّ اختلف هيهنا وانّ روحى انكَرَ رُوحك[1].

الكشى: بسنده عن الصادق عليه السلام عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال خَلَق الله الأرواح قَبل الأجساد بألفَى عامٍ ثمّ اَسكَنها الهَواء فما تعارف منها ثَمَّ ائتَلَف هيهنا وما تناكر ثَمَّ اختَلَف هيهنا[2].

البصائر: عن بعض اصحابنا بسنده عن جابر عن ابى جعفر عليه السلام قال قال اميرالمؤمنين عليه السلام انّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الاجساد بألفَى عام فَلمَّا رَكّب الأرواح فى ابدانها كَتَب بين اَعينهم مؤمنٌ او كافرٌ وما هم به مُبتَلوُن وما هم عليه من سَيِّيء اعمالهم وحُسنها فى قدر أُذُن الفارة ثمّ اَنزَل بذالك قراناً على نَبيّه فقال انّ فى ذالك لآياتٍ لِلمتوسّمِين، وكان رسول الله هو المُتوسّم واَنا بَعده والائمة من ذُريّتى هم المُتوسَّمون[3].

العِلل: بسنده المتصل عن عبدالله ابن الفضيل الهاشمى قال قلت لابى عبدالله لاىّ علّةٍ جَعل الله عز وجل الأرواح فى الابدان بعد كونها فى ملكوته الأعلى فى اَرفَع مَحّلٍ؟

فقال عليه السلام: انّ الله تبارك وتعالى علم انّ الارواح فى شَرَفها وعُلوّها متى ما تُرَكت على حالها نَزع اكثرها الى دعوى الرُّبوبيّة دونه عَزَّ وجل فَجَعلها بقدرته فى الأبدان الّتى قَدَّر لها فى ابتلاء التَّقدير نظراً لها ورحمةً بها واَحوج بعضهم الى بعضٍ وعلّق بعضهم على بعضٍ ورَفَع بعضَهم على بعضٍ ورفع بعضهم فَوق بعضٍ درجات وكفى بعضها ببعض وارسل اليهم رُسله واتَّخذ عليهم حُجّة مبشّرين ومُنذرين يأمرُون بتعاطى العُبوديّة والتّواضع لِمَعبوُدهم بالانواع الّتى تَعبَّدهم بِهَا ونَصَب لهم عقوبات فى العاجل

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢٥.
٢. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢٥.
٣. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢٥.

وعقوبات فى الآجل ومَثوُبات فى العاجل ومَثوُبات فى الآجل لِيُرّغبِهم فى ذالك فى الخير ويُزَهِّدهم فى الشَّر وليدّلهم بطلب المعاش والمكاسب فيَعمَلوُا بذالك انّهم بها مَربوُبوُن وعبادٌ مخلوقون ويُقبِلوا على عبادته فَيَستَحقُّوا بذالك نعيم الأبد وجنّة الخلد ويأمنوا من النّزوع الى ما ليس لهم بحق

ثم قال عليه السلام:

يابن الفضل انّ الله تبارك وتعالى اَحسَنَ نظر العبادة منهم لانفسهم الا ترى انّك لا ترى فيهم الّا مُحبّا لِلعلّو على غيره حتّى انّه يكون منهم لمن قد نَزع الى دعوى الرُّبوبيّة ومنهم من نَزَع الى دعوى النبّوة بغير حَقّها ومنهم من نَزع الى دعوى الإمامة بغير حقّها وذالك مع ما يرون فى انفسهم من النَّقص والعَجز والضَّعف والمَهانة والحاجة والفقر والالام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم يابن الفضل انّ الله تبارك وتعالى لايفعل بعباده الّا لاَصلح لهم ولا يظلم الناس شيأً ولكنّ الناس انفسهم يظلمون[1].

اقول: فى هذا الحديث الشريف لمعات من النّور ونكات دقيقة لاتخفى على المُتَامل فيه: امّا الأوّلى: فلانّه عليه السلام بَيَّن سِرّ هُبوط الأرواح وتعلّقها بالابدان بخلاف ما قال الحكماء فانّ الحكماء قالوا بانّ علّة تعلق الأرواح بالاجساد وصولها الى كمالات وغايات لايمكن لها الوصول اليها الّا بالقوى البَدَنيّة والآلات الجسمانيّة ولاجل هذا ذهبوا الى امتناع خلق الأرواح قبل الاجساد كما عرفت من الصّدر الشّيرازى حيث قال:

اذ قد ظهر انّها مُتجدّدة مُستحيلة من اَدنَى الحالات الجوهريّة الى اعلاها الى آخر ما قال ونقلناه فكلامه صريح فى انّها ناقصة الوجود مفتقرة الى الالآت والقُوى، وكلامه عليه السلام مشعر بانّ الامر ليس كذالك بل سبب تعلّقها بالاجساد هو انّه تعالى علم انّ الارواح لَشَرَفها وعُلوّها متى ما تُركت على حالها نَزَع اكثرها الى دعوى الرّبوبيّة الى آخر ما قال عليه السلام فى الحقيقة جواب عن استدلال القائلين

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢٦.

بانّها حَدثَت مع حدوث البدن لاجل الاستكمال.

والثّانية: فقد اشار اليه الى انّها لَيسَت علىٍ حدٍّ سواء بل التفاوت والتّمايز ثابت بينها من حيث المقام وهذا ايضاً ردٌّ على مَن قال بان الأرواح قبل التّعلق بالأبدان لَيسَت بمُتفاوتة ولا مُتمايزة فى حدّ انفسها.

والثّالثة: انّ ارسال الرّسل وانزال الكُتُب والثّواب والعقاب فى العاجل والآجل كلها ببَرَكة الارواح ولأجلها لاللبدن العنصرى ففى الحقيقة ليس الانسان الّا روحه الّذى تعلق ببَدنه وهو فصله الاخير كما تقرر فى محلّه.

والرّابعة: اشار عليه السلام :بانّ الانسان يطلب العُلّو لِروحه والسِّفل لجسمه وهذا ايضاً ظاهر واصلٌ مَتين وباقى النكات ظاهر. و فى كتاب الأختصاص باسناده عن احمد ابن محمّد ابن عيسى بسنده المتّصل عن إصبغ ابن نباتة قال كنت مع اميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ قال يا اميرالمؤمنين انّى والله لَاَحبّك فى الله واُحبّكَ فى السِّر كما اُحِبُّكَ فى العَلانية واُدينُ الله بولايتك فِى السِّر كما اُدينُ بها فى العلانية وبيَد اميرالمؤمنين عوُد فَطَاطَاء رأسَه ثمّ نَكَث بالعوُد ساعة فى الأرض ثُمّ رفعَ رأسَه اليه فقال: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله حَدثّنى بألف حديثٍ لكلّ حديثٍ الفِ بابٍ وانّ ارواحَ المؤمنين تَلتقى فى الهَواء فَتَشَّم وتَتَعارف فَما تَعارف منها ائتَلَف وما تَناكر منها اختَلَف وبحقّ الله لقد كذبتَ فما اعرف فى الوجوه وَجهك ولا اِسمَك فى الأسماء ثمّ دخل عليه رجل آخر، فقال يا اميرالمؤمنين والله انّى لَاُحِبّكَ فى الله واُحِبّكَ فى السِّر كما اُحِبّكَ فى العلانية قال فَنكث بعوُده الثانيّة الى الارض ثم رَفع رأسه اليه فقال لَه صدقَت إنّ طينَتَنا طينة مَخزوُنة اَخذَ الله ميثاقها من صلب آدم فلا يَشذّ منها شاذّ ولا يدخل منها داخل من غيرها، إذهَب فاتّخِذ لِلفقر جلباباً فانّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يا على ابن ابى طالب، والله الفَقَر اَسرَع الى مُحبيّنا من السّيل الى بَطن الوادى[1].

---

١. بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٢٦.

والروايات فى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وانّى اَتَعجّبُ من المفيد قده ومن تابعه كيف يَسعَه القول بانّ رواية خلق الأرواح خبر واحد لايقطع بصحّته مع انّه كما ترى متظافرة بل مُتواترة معنى وان لم تكن لفظاً وكيف امكن له ولِلسّيد قده هما غَضُّ النَظَّر عن هذه الرّوايات الصّحيحة الكثيرة المويّدة بالآية الشريفة والقول بانكار عالم الذَّر وهذا امر عجيب.

قال بعض المتكلمين: النفوس الأنسانية سواً جَعلناها مُجرّدةً وماديّةً حادثةً عندنا لكونها اثراً لِقادر المختار وانّما الكلام فى انّ حدوثها قبل حدوث البدن لقوله ﷺ خَلق الله الأرواح قبل الاجساد بألفَى عام، او بعده لقوله تعالى بعد ذكر اطوار البدن ثم انشأناه خلقاً آخر، اشارة الى افاضة النفس ولا دلالة فى الحديث على انّ المراد بالأرواح النّفوس البشَريّة او الجواهر العلويّة ولا فى الاية على انّ المراد احداث النّفس او احداث تعلّقها بالبدن وامّا الفلاسفة: فمنهم من جَعَلها قديمة ومنهم من جَعلَها حادثة وذهب ارسطو وشيعته الى حدوثها انتهى.

اذا عرفت ما تلوناه عليك وتدبّرت فيه حق التَدَبُّر فاسمع ما اقول لك وبالله التوفيق.

المقام الثانى: فى ثبوت عالم الذَّر، قوله: واَخَذ على الوحى ميثاقهم اشارة الى عالم الذَّر او عالم الارواح والمُجرّدات حيث انّ هذا الميثاق لم يكن فى عالم المادّة والطّبيعة ولمّا كان ثبوته متوقّفا على سبق الارواح فقدَّمنا الحديث فيه والّذى اقول فى المقام هو القول بسبق الارواح على الاجساد خلافاً للمفيد والمرتضى قدهما وتبعاً لأكثر علماء المذهب بل كلّهم غيرهما ومن تبعهما للرّوايات الدّالة على تقديمها ولا سيّما انّ الآثار مويّدة بالآية الشّريفة وصريح العقل والوجدان لاِلمَا ذَهَب اليه افلاطون فانّ دَابنَا ليس تطبيق الآيات والرّوايات على كلماتهم ومُستخرجاتهم بل الامر بالعكس وحيث انّ مذهب افلاطون وجدناه مطابقاً لِلنُّصوص فاخذنا به وطَرحنا مذهب المشائين

القـائلين بـحدوث الأرواح بـحدوث الأبـدان وان كـان كِـلا المـذهَبين فـى اصل حدوث الارواح متّفقاً إلّا انّ افلاطون يقول بحدوثها الذاتـى او القـديم الزمانى والمشّائون بحدوثه الزمانى المسبوُق بالعدم نعم، لو قـلنا بـالتّفصيل والفرق بين الأرواح والنّفوس النّاطقة البَشَرية من جـهة انّ الارواح جـواهـر مجرّدة عِلويّة والنّفوس جواهر غير مُجَردّة مادِّية فيخرج بحث النفوس فعلاً عن كلامنا وتخصيص البحث بالارواح والقائل بهذا التفصيل قليل والحمد لله ربّ العالمين.

وامّا الوحى: فهو على ما قال الراغب فى الاصل عبارة عن الاشارة السَّريعة ولتضمنه هذه السرعة قيل اَمرٌ وَحىٌ وهو يكون بـالكلام عـلى سـبيل الرّمـز والتَّعريض وقد يكون بصَوتٍ مجرّدٍ عن التركيب وباشارةٍ بـبعض الجـوارح وبالكناية كما قال الله تعالى عن ذكريّا:

﴿فَخَرَجَ عَلىٰ قَومِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوحىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكرَةً وعَشِيّاً﴾[1]

ثم قال: ويقال للكلمة الآلهيّة الّتى تُلقىٰ الى انبيائه واوليـائه وَحـىَ وذالك اَضرَبُ حَسَبما دَلَّ عَليه **﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلّا وَحياً﴾**[2]

وذالك امّا برسولٍ مشاهَد تُرى ذاتُه ويُسمَع كلامه كتبليغ جبرئيل عليه السلام لِلنَبى فى صورةٍ مُعيّنة واما بسماعِ كلام من غير معاينةٍ كسُماع موسى كلام الله، وامّا بالقاءٍ فى الرَّوع كما قال صلى الله عليه وآله: انّ روح القُدُس نَفَث فى رَوعى، وامّا بالهامٍ نحو: **﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرضِعِيهِ﴾**[3] وإمّا بـتَسخيرٍ: نـحوِ **﴿وَأَوحَـىٰ رَبُّكَ إِلَـى النَّحْلِ﴾**[4] او بمنامٍ كما قال عليه السلام انقَطَع الوَحى وبَقيتَ المبشّرات رُويا المؤمِن.

▫ **قوله عليه السلام: وَ عَلى تَبْلِيغِ الرِّسالَةِ اَمانَتَهُمْ**: يعنى انّ الله تعالى قد اَخَذ عنهم فى عالم الذّر العهد والميثاق على الوَحى منه تعالى اليهم حتّى يكونوا واسطة بين الخالق والمخلوق وكذالك اَخذ عليهم العهد والميثاق على تبليغ الرسالة

---

١. مريم / ١١.
٢. الشورى / ٥١.
٣. القصص / ٧.
٤. النحل / ٦٨.

امانتهم والامانة عبارة عن الدّين والاحكام الشّرعية والنّواميس الالهيّة الّتى لاتتّم الّا بتعيُّنهم الوَحى والامام بعدهم لحفظها ونشر احكامها ولعلّه عليه السلام اشار به الى **﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ الخ﴾**[1]

و **﴿اَلْيَومَ أَكمَلتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسلامَ ديناً﴾**[2]

هذا بالنسبة الى نبيّنا وهكذا الامر بالنسبة الى تمام الانبياء سلام الله عليهم اجمعين. قوله **لَمّا بَدَّلَ اَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ اِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْاَنْدادَ مَعَهُ، وَاجْتالَتْهُمُ الشَّياطِينُ عَن مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبادَتِهِ**،متن...

اقول: هذا الّذى ذكره بالنّسبة الى الجملة السابقة وهى قوله وعلى تَبليغ الرسالة امانتهم، بمنزلة العلّة والمُقتضى فكانّه قيل له عليه السلام لاىّ شيئى بَعَث الله انبيائه ورُسُلَه فاجاب عليه السلام بقوله **لَمّا بَدَّلَ**الخ فهو بمنزلة البرهان الاِنّى الّذى هو العلم من المعلول بالعِلّة، فَبعثةُ الأنبياء معلولة لقوله عليه السلام **لَمّا بَدَّلَ** الخ...

فعلى هذا التقرير فالصّواب لَمَا بالتّخفيف وكسر اللّام لا لَمّا بِالتّشديد وفتح اللام حتّى تكون بمنزلة العِلّة ومُفيدها لامفيدة للزمان فانّ لَمّا بالتّشديد تأتى للزمان وعليه فالمعنى يصير هكذا...

انّ الله بعث انبيائه فى زمان اكثر خَلقِه جَهِلُوا حَقّه الخ وهذا مشعر من حيث المفهوم بأنّ قبل هذا الزمان لم يكن فيهم انبياء وهو مخالف للروايات الدّالة على انّ الأرض منذ خلقت لاتخلو من حجّة لولا الحجة لساخت الارض باهلها وقوله عليه السلام كُنت نبيّاً وآدم بين الماء والطّين وامثال ذالك...

اللّهم الّا ان يقال المقصود انّ الله تعالى علم بانّ المخلوقات بعد خلقهم تَتَّصفوُن بهذه الصّفات ولذالك قَدَر لَهُم انبياء فوجود الانبيا لهم من باب اللُّطف والرَّحمة، وعلى اىّ تقدير لَمّا ثبت انّ الله تعالى لايفعل فعلاً عبثاً فلابدّ من بعثة الانبياء من ان يكون مسبوقا بالغرض وهو ليس الّا ارشاد النّاس وهدايتهم الى الصراط المستقيم وهذا لايعقل فى حقّ من عرف حقّه وادّى

---

١. المائدة / ٦٧.

٢. المائدة / ٣.

وظيفته وَوَحّده وبالجملة قام بطاعته وعبادته كما هو حقّه بل البعثة لمن هو ليس كذالك والّا يلزم ان يكون للأنبياء ايضاً انبياء وهو كما ترى وبالجملة فى هذا الفقرات على ما ذهبنا اليه من تخفيف لِما حتّى تكون علة بعثة الانبياء اشارة الى اصول كليّة اربعة الّتى صارت بمنزلة العلّة لبعث الانبياء...

الاوّل: انّهم بدّلُوا عَهدالله اليهم وذالك العَهد هو العهد الّذى اخذ منهم فى عالم الذّر حيث قال **﴿اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ﴾**[1] فلمّا نَسوه فى الدّنيا وجهلوا حقّه تعالى عليهم لاجرم عَصَوه وتركوا اَوامره وارتَكبُوا نواهيه واوّل من ارتكب هذا وسَلَك مسلَك الخلاف من بنى آدم هو قابيل الّذى قتل اخاه هابيل ظلماً وعدواناً ثم تبعه على الخلاف كثير من ذرّيته ونسله وبعض اولاد آدم وهو الّذى اَسّس اساس الظُّلم والجَور فى سطح الارض من اولاد آدم ولولا فَعَل ما فَعَل لكنّا غير هذا ولكن لامَرَدّ لقضاء الله ولذالك رُوى عن الصادق عليه السلام (انّه قال انّ اَشَدَّ الناس عذاباً يوم القيمة لسبعة نفر اَوّلَهم ابن آدم الّذى قَتَل اخاه ونُمرُود الّذى حاجَّ ابراهيم فى ربّه واثنان من بنى اسرائيل هَوَدا قَومَهم ونَصراهم، وفِرعَون الّذى قال انا ربّكم الأعلى، واثنان من هذه الأمّة:)

وذالك لان هولاء السَّبعَة اَسنَسو اساس الظُّلم والجَور والعُدوان والكفر والشِّرك وغير ذالك وقد روى بطريق العامّة عن النّبى صلى الله عليه وآله **انّه قال ما من ظلمٍ او ما مِن قتلِ نفسٍ الّا كان على ابن آدم الاَوّل كِفلٌ منها فالمقصود من العَهد فى كلامه عليه السلام انّما هو الميثاق فى عالَم الذّر وهو دليل على ثبوته والّا لم يكن عَهد حتّى قيل بَدّلوه، قوله عليه السلام فَجهِلوُا حَقّه الفاء للتّفريع فكانّها نتيجة لنكث العَهد وتبديله اذ لازم ذالك عدم الوفاء بحقوق الواجبة عليه فمن لم يراع العَهد لاحَقَّ عنده حتّى يراعيه.**

قوله عليه السلام: **وَاتَّخَذُوا الْاَنْدادَ مَعَهُ**: وهذا معطوف على قوله: فَجهِلوُا حَقّه لاعلى قوله **لَمّا بَدَّلَ اَكْثَرُ** الخ، وذالك لانّ كلامه مُشعر بانّ تبديل العَهد من

---

١. الاعراف / ١٧٢.

النّاس صار سبباً لأربعة اشياء: اوّلها الجَهل بحقّه تعالى وثانيها اتّخاذ الأنداد مَعَه وثالثها صيرورتهم طعمة للشياطين ورابعها اعراضهم عن العبادة، فاتّخاذ الأنداد من التّوالى الفاسدة المترتبة على تبديل عهد الله اعنى معرفته وطاعته بمعصيته وشِركِه والأنداد جمع ندٍّ وهو المِثل والمقصود اتّخاذها الناس إلهة لَهُم وادّعائهم بانّها خالقة لهم فاتّخاذ الأنداد انّما هو بزَعمهم الفاسد لاواقعاً وحقيقتاً اذ ليس له تعالى ضِدّ ولانِدّ، ولا شبيه وهو ظاهر فكلّ ندٍّ مثلٌ وليَس كلّ مثلٍ ندٌّ...

وفى هذه الجملة اشار عليه السلام الى قوله تَعالى:

﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً﴾[1]

و **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً﴾**[2]

و **﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً﴾**[3] وامثال ذالك من الآيات.

وقيل اوّل من جَعَل لله نِدّا فى هذا العالم من افراد البَشَر ايضاً قابيل بعد ما ارتَكَب القتل، وذالك لانّه بعد قَتل اَخيه ذَهَب طَريداً شَريداً فَزَعاً مَذعوراً لايأمن مَن يراه وذَهَب الى عَدَن من اليَمَن فاتاه ابليس وقال انّما اَكلَتَ النّار قُربان هابيل لانّه كان يَعبُدها فانصِب اَنت ايضاً ناراً تكوُن لَك ولِعَقِبَك فبنىٰ بيت نارٍ وهو اَوّل مَن نَصَب النّار وعَبدَها واَتّخذ اولاده الات اللّهو من اليراع والطنبور والمزامير وانهَمكوُ فى اللّهو وشُرب الخمر وعبادة النار والزّنا والفَواحش حتّى غَرقَهُم الله فى ايّام نوح بالطُّوفان، والى ذالك اشار عليه السلام: بقوله **وَاحْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينَ** الى قوله **عن عِبادَتِهِ** وذالك لانّ جَهلهم بحق الله واتّخاذ الأنداد والأعراض عن الحقّ وعدم عبادته كلّ اولئك بسَبَب الشّيطان واغوائه قابيل ومن تابَعَه الى يوم القيمة ومَنشَاء كلّ المعاصى انّما هو الإعراض عن الحَقّ وقَطع رابطة العُبوُديّة، كما قال الله تعالى حكاية عنه: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ**

---

١. البقرة / ٢٢.
٢. البقرة / ١٦٥.
٣. فصّلت / ٩.

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] وقد اَكَدَّ القَولَ فيه فى موارد كثيرة من كتابه المجيد،

فقال عزّ من قائل: ﴿وَأَوفُوا بِالْعَهدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[2]

و ﴿وَمَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾[3]

و ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى اٰدَمَ﴾[4]

و ﴿أَلَمْ أَعهَد إِلَيْكُمْ يَا بَنِي اٰدَمَ أَنْ لاٰتَعْبُدُو الشَّيْطَانَ﴾[5]

و ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ﴾[6].

والايات الدّالة على الوفاء بالعَهد كَثيرة سواء كان العَهد بين النّاس او بَينهم وبَين الله بل الثّانى اَهَمّ واَعظَم، واذا كان الأمر كذالك، فَمَن لايفى بعَهده الّذى عاهِده الله عليه فهو من اتباع الشّيطان وهذا لاكلام فيه وهذا اَوجَب واَقتَضى ان اَرسَل الله رَسله الى النّاس حتّى اَرشَدُ وهم ويذكّر وهم ولذالك عَقَّب عليه السلام قوله بقوله **فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ اِلَيْهِمْ اَنْبِيائَهُ، لِيَسْتَأدُوهُمْ مِيثاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ** متن...

ولمّا كانت جهات الأربعة المذكورة مُقتضية لإرسال الرُّسل منه تعالى لطفاً على عباده فَرَّع عليها بَعثَهم وقال فَبَعث فيهم رسله وهذا اشارة الى لزوم النّبى فى كلّ عصرٍ وزمان والبَحث فى النبّوة يقع تارة بمعناها العام وتارةً بمعناها الخاصّ وهذه الجملة اشارة الى الاوّل وقوله عليه السلام (الى ان بَعَث الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم) اشارة الى الثانى ونحن نتكلم فى المقامين بحسب ما يقتضيه المقام لانّهما من الأمور المُهمّة فنقول:

البَحث عن النّبوة العامة يقع من جهات: الجهة الأولى: فى لزومها عقلاً الجهة الثانية: فى لزمها نقلاً الجهة الثّالثة: فى فوائد البِعثة والاثار المُترتبة على

---

١. ص / ٨٣-٨٢.
٢. الاسراء / ٣٤.
٣. التوبة / ١١١.
٤. طه / ١١٥.
٥. يس / ٦٠.
٦. الاحزاب / ١٥.

وجود النّبی عاجلاً وآجلاً.

امّا البحث فی الجهة الأولی: وهو اثبات النبوّة عقلاً فیتوقّف علی مقدمات خَمسَة لابدّ من معرفتها.

المُقدّمة الأُولی: انّ لنا خالقاً صانعاً قادراً علی کل شیئٍ.

المقدّمة الثّانیة: انّ الخالق مُتعالٍ عن التّجسیم والتّعلیق بالموادّ والاجسام وعَن اَن یکون مُدرَکا بالبَصَر او الحِسّ بأحدِی الحَواسّ خلافاً لِلکرامیة ومن یَحذُو حَذوهم.

المقدّمة الثّالثة: انّه تعالی حکیم عالم بوجوه الخَیر والمَنفعة والنّظام وطریق المصلحة لِلخلائق فی المَعیشة والقوام والبقاء.

المقدّمة الرّابعة: انّ له تعالی وسائط واسباب فی ایجاب التاثیر والخَلق والتّدبیر والایجاد لامتناع مباشرة الافعال بمزاولة المواد والکثرات علی الواحد الحقّ المُقدّس المُتّبری عن صفات الاجسام والخلائق خلافاً لِلأشاعرة النافین لِلعلّة والمعلُول المُثبتین لِلأرادة الجُزافیة المُنکِرین لترتیب الوجود القائلین بخلق الأعمال وسائر الأمور الجزئیّة منه تعالی بلا واسطه منه وترتیب فینّسد علی طریقتهم اثبات النبوّة وافتقار الخلق الی النبی سیّما علی تجویزهم رؤیة الخلق له تعالی...

المُقدّمة الخامسة: اِنّ الناس محتاجون فی معاشهم ومعادهم الی مَن یُدّبر اُمورَهم حتّی لایَختّل النّظام فیحتاجون الی النّبی فانّه هو المُدّبر لأمورهم ولا یمکن لغیره هذا المَنصَب کما سَیتضح لك انشاء الله تعالی. وبعد تمهید هذه المُقدّمات فوجود النّبی ضَروَری لایمکن فی نظام الکلّ ترکه، وهو المطلوب.

امّا البحث فی المُقدّمة الأولی: فقد مَرَّ تفصیله فی شرح قوله علیه السلام **اَوَّل الدِّینَ مَعْرِفَته** الخ، وامّا البحث فی المقدمة الثّانیة: فقد مَرَّ ایضاً شرحه وقلنا انّ لازم التّجسیم والتّعلق بالموادّ هو الإمکانیّة وهی تنافی الواجبیة

وامّا المقدّمة الثّالثة: وهی انّه عالم بوجوه الخیر والمَنفعة الخ فقد مَرَّ ایضاً

شرحه فی الخطبة الاولی وقلنا انّه مُنزّه عن الجهل لانّه فَقد کمالٍ یحتاج الیه فی رفع نقصه وهو ملازم للإمکانیّة فواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جمیع الجهات بل هو عِلمٌ کلّه وقدرةٌ کلُّها الی آخرها کیف وهو مُعطِی الکمالات ومُعطِی الشّیئ لایکون فاقده.

وامّا المقدمة الرّابعة: فَتستدعی التکلم فیها اجمالاً، وخلاصة الکلام فیها انّ الواجب واحد اَحَد بسیط فی شدّة النّورانیة والبهاء بل هو فوق ما لایتناهی بما لایتناهی شدّةً ومُدّةً وعِدّةً والمَخلوقات کلّها بالنسبة الیه تعالی موجودة بوجود ظِلّی تَبَعی بل عند المقایسة لاوجود لها حقیقتاً کما قال الله تعالی:

﴿یا أَیُّهَا النّاسُ أَنْتُمَ الْفُقَراءُ إِلَی اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنیُّ﴾[1].

و **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَیٰ رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً﴾**[2]

وان شئتَ قلت هی: **﴿کَسَرابٍ بِقیعَةٍ یَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً﴾**[3]

این التّراب، وربّ الارباب واَین النّور من الظُلمة واین الوجود الأزلی الأَبَدی السّرمدی الدّائم من الوجود التّبَعی الظِّلی الفانی **﴿کُلُّ شَیئٍ هالِکٌ إِلاّوَجْهَهُ﴾**[4]

فعلی هذا لابدّ منه تعالی فی الإیجاد والخلق والتّدبیر والتّاثیر من وسائط هم اَشرَف الموجودات واَقرَبهم به تعالی شَرفاً ومنزلةً من سائر الخلق، فانّ المخلوقات من حیث القُرب والبُعد من المبدء لَیسَت علی حدّ سواء فانّ قاعدة امکان الأَشرَف تقتضی التّفاوت والأمتیاز فکل موجودٍ یکون وجوده اَقوَی واَشَدّ وحَیثیّة مادتة وماهیّته مغلوبة لوجوُده فهُو اَشرَف ومن کان بالعکس فهو بالعکس ولذالك تَری الفلاسفة یقولون بانّ الواجب اَشرَف من العُقول والعُقول اَشرَف من النُّفوس والنُّفوس اَشرَف من الأجسام، وهکذا حتّی تَصلَ النَّوبة الی هَیولی عالم العناصر الّتی هی اَحسَن الاشیاء فی سلسلة

---

۱. فاطر / ۱۵.
۲. الفرقان / ٤٥.
۳. النور / ۳۹.
٤. النّور / ۳۹.

التّرتيب النُّزولى.

ولابدّ لهذه الوسائط من ان تكونوا كاملين فى العقل العملى والعقل النَّظَرى وذا عَيْنَين عينٌ الى الله تعالى وعينٌ الى الخلق بمعنى انّ تَوَجّهم الى الحَقّ لايوجب غَفلَتهم عن الخلق وتوجّهم الى الخلق لايعرِضُهم عن الحَقّ فيَرون الحَقّ وهى بعينها رؤية الخلق ويَرَون الخق وهى بعينها رُؤيَة الحق كما قال عليه السلام: مَا رَأيتُ شيأً الّا ورايتُ الله قَبلَه وبَعده، ومَعَه ولَهُم يَدَين فبِأحدى اليَدين يأخذوُن الفَيض منه تعالى وبالاخر يُرشِحون على العباد والموجودات وهذا هو الانسان الكامل الّذى لايقاس بأحدٍ من الموجودات على ترتيب مراتبهم ومقاماتهم كما قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[1]

واما المقدمة الخامسة: فاعلم انّ الأنسان مدَنى بالطّبع يحتاج فى تعيّشه وتَدبير اموره ومعاده الى مُدَبرٍ يُعلِمه طريق المَعيشة فى الدّنيا والنّجاة من العذاب الاليم فى العُقبى وذالك لانّ الانسان لايمكن له التّعيش منفرداً كغيره من الحيوانات حيث انّه يتوَلى كل واحد من الحيوانات امر معاشه من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته وهذا ظاهر.

فالانسان لابدّ له من الأستعانة والأستمداد من افراد نوعه فيكون هذا يَزرع لهذا وهذا يَطحَن لذالك وهذا يَخيط لغيره وهو يَتعلّم من غيره وهكذا الامر فى كلّ الافراد حتّى اذ اجتَمَعوُا كان اَمرهم مكفيّاً ولهذا اضطَّروا الى عقد المُدُن والإجتماعات لِلمعاملات والمناكحات وسائر المعاونات والمشاركات وبالجملة لابدّ فى وجود الانسان وبِقائه من المشاركة وهى لاتتّم الّا بالمعاقدة ولابدّ لها من سُنّةٍ وقانون عدلٍ ولابدّ للسُّنة والعدل من سانٍ ومُعدّلٍ ولا يجوز للحكيم ان يترك النّاس واهوائهم وآرائهم فى ذالك فيختلفون فيَرى كل واحدٍ ماله عدلاً وما عَليه ظُلماً وجَوراً.

ولابدّ من ان يكون هذا السّان والمُعدِّل بَشَراً لامَلَكا لانّ المَلَك لايراه النّاس

---

١. البقرة/٢٥٣.

ما لَم يَتَجَسَّم لانّه رُوحانّى الذّات لايتمثّل إلّا من طريق الباطن لاهل النبوّة مضافا الى عدم السِنخيّة بين البَشَر والمَلَك وهو يوجب عدم الأنس من الجانبين الى الاخر، ولو فَرَضنا تَجَسُّمه لسائر الخلق ايضاً كجبرئيل فى سورة دِحية كان ملتبساً عليهم كالبَشَر البتة كما قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَّلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُونَ﴾**[1]

فإذن لابدّ من ان يكون لِلّسان خصوصية زائدة على النّاس بحيث لم تكن تلك الخُصوصيّة لغيره من افرادهم حتّى يستشعر النّاس فيه امر لايوجد لهم فيتَميَّز به منهم فيكون له المُعجزات الّتى اَخبَرنا بها وحاجة الناس الى هذا الانسان اَشَدّ واَقوىٰ من كثير من المنافع الّتى لاضَرورة لها للبقاء بل من كلّ المنافع فانّ الاجتماع اذا لم يكن فيه عَدل ولا سُنّة ولا ملَكات انسانيّة توجب راحتهم عنِ التّالّمات الرُّوحيّة والمَضرّات البَدَنيّة التى تُوجب هَرجاً ومَرجاً فَعَدَمها اَولى مِن وُجودها فأذِن لابدّ عقلاً من وجود انسان كامل فى الإنسانيّة فى الإجتماع لاِصلاح الأمور الدُّنيويّة والأُخرويّة ثمّ انّ ما ذكرناه من لُزومه فى الاجتماع بالنسبّة الى معاشهم وبقائهم وحياتهم، وامّا بالنّسبة الى الأمور الاخروية فوجوده اَلزَم وذالك لانّ الانسان فى حَدّ نفسه لايَعلم من الآخرة شيئاً اذ كلّ المَراحل بعد الموت مِمّا هِى غائبة عن حَواسّنا ولا يمكن بالعقل ولا بسائر القُوى ادراكها مع انّ المفروض وجودها وتحقّقها ولابدّ للبَشر الوصول اليها والرُّكون عليها فاذا لم يكن فى دار الدّنيا من يُخبره بحقيقتها وكيفيّتها وطريق الوصول الى منافعها، والاحتراز عن مضّارها بسَبَب اعمال يرتكبها الإنسان فى الدّنيا فالشّقاوة والهلاكة له قطعيّة وهى امرٌ لابدّ من التّجَنُّب والأحتراز عنه وهو لايمكن الّا من طريق الأرشاد من سفير الله تعالى الّذى اَخبَره تعالى بكلّ ما يقع بعد نشأة الحياة...

فاذا تَمَهَّدت لك هذه المُقدّمات فقد دَرَيت انّه واجب على الله تعالى بحكم

---

١. الانعام / ٩.

قاعدة اللُّطف والرَّحمَة ان اَرسَل رسُولاً او نَبيّاً فى كلّ زمان ودَورة ولا محالة يكون له المعجزات والكرامات حتّى لايكذّبوه ضُعفاء العقول الّذين مدار تشخيصَهم فى الواقعيات على المَحسُوسات ومن هنا يعلم لزوم المُقدمات بأجمعها.

فانّ المقدّمة الخامسة بعد ما ثَبتَت ثَبت باقيها وذالك لانّ هذا الانسان الّذى نَسّميه بالرّسول والنّبى لابدّ له من بيان اوصاف الحقّ تبارك وتعالى وارائة طرق المعرفة اليه وانّه خالق للعالم وصانع ليس فى صنعه له شريك فهذه هى المقدمة الاولى ثمّ لابدّ له من تنزيهه عن التَجَسُّم والتّركيب والتَّعلق بالمَوادّ وغيرها وعن عدم كونه مَحسُوساً بالحَوّاس الظّاهرة والباطنة وغير ذالك حتّى يكون بَرئياً عن مشابهة المخلوقات ومجانسة المَصنُوعات وهذه هى المقدمة الثّانية.

ثم انّه حَكيمٌ عالمٌ بوجوه الخير ومنافعه فى نظام الكل وسبيل المصلحة للخلائق فى المَعيشة والقوام والبقاء والدّوام وهذه هى المقدمة الثّالثة ثمّ انّه لابدّ له من وسائط فى التاثير والأيجاد والتَبليغ فى دار الوجود فهذه هى المقدمة الرّابعة، هذا فى القَوس الصُّعودى وامّا فى القَوس النُّزَولى فنقول: بعد ما ثَبتَ انّ للعالم خالقاً صانعاً حَكيماً عَليماً بدلائل التَّوحيد اعنى المقدّمة الأولى يثبت له علمه بالنّظام الأحسَن وتقديره المَعيشة للعباد وبقائهم وهذه المقدمة الثّانية ثم معرفته بعدم كونه مَحسُوسا او جسماً او غيرهما وهى المقدمة الثّالثة، ثم بعد معرفته تلك المُقدّمة يعرف انّه مُنزهٌ عن مشابهة المخلوق وهذه مقدمة الرّابعة، ثم بعد ذالك يعرف انّه لابد فى الوجود من انسان كاملٍ له معجزات وكرامات بها يمتاز عن سائر الافراد وبعد وصوله الى هذه المقدمةٌ فيعلم علماً قطعياً انّ النبىﷺ او الرّسول لابدّ من وجوده فثبت المطلوب.

الجهة الثانية: فى اثبات وجوده نقلاً، وهو تارةً من طريق الايات واخرى

من طريق الاثار، امّا الآيات فكثيرة منها:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]

و ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2]

و ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾[3]

و ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[4]

و ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[5].

و ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾[6]

و ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً﴾[7]

و ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[8]

وامّا الآثار: فمنها: مارواه ثقة الاسلام قده في كتابه الكافي بسنده عن هشام ابن الحكم عن ابن عبدالله عليه السلام انّه قال لِلزّنديق الّذي سَئَله مِن اَينَ اُثْبِتَ الانبياء والرّسل؟ قال عليه السلام: إنّا لَمّا اَثبَتنا اَنّ لَنا خالقاً مُتعالياً عنّا وعن جميع ما

---

١. البقرة / ٢١٣.
٢. آل عمران / ١٦٤.
٣. الاسراء / ٩٤.
٤. يونس / ٧٤.
٥. النّحل / ٣٦.
٦. الاسراء / ١٥.
٧. الجنّ / ٧.
٨. البقرة / ١٢٩.

خُلِق وكان ذالك الصّانع حَكيماً مُتعالياً لم يَجُز ان يشاهده خَلقُه ولا يُلامسوُه فيباشِرهم ويُباشِرونه ويُحاجّهم ويُحاجّونَه ثَبَت انّ له سُفراء فى خَلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ويَدّلوُنَهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفى تركه فنائهم فثَبَت الآمِرون والنّاهُون عن الحكيم العليم فى خَلقه والمُعبَرون عنه جَلَّ وعَزَّ وهم الأنبياء وصَفوَته مِن خَلقه حُكماء مُودّبين بالحِكمة مَبعوُثين بها غير مشاركين لِلنّاس على مشاركتهم لهم فى الخلق والتّركيب فى شَيئى من احوالهم مُوَيّدين عند الحكيم العليم بالحِكمة، ثم ثَبَت ذالك فى كلّ دهرٍ وزمانٍ فما اَتَت به الرّسل والانبياء من الدّلائل والبَراهين، لكيلا يخلو ارضَ الله من حُجّةٍ يكون مَعَه علم يدلّ على صدق ـ مقالته وجواز عدالته[1].

ومنها: ما رواه قده ايضاً بعد الحديث المذكور بسنده عن منصور ابن حازم عن ابى عبدالله عليه السلام، قال قلت لابيعبدالله انّ الله اَجلّ واكرم من ان يعرف بخلقه بل الخلق يُعرَفون بالله قال عليه السلام: صَدَقت، قلت: من عرف انّ له ربّاً فقد ينبغى له ان يعرف انّ لذالك الرَّب سَخَطاً ورضاً وانّه لايعرف رضاه ولا سخطه الّا بوحيٍ او رسوُلٍ فمَن لَم يأته الوَحى، فقد ينبغى ان يطلب الرُسل فاذا لَقيهم عَرف انّهم الحُجّة واَنَّ لَهُم الطّاعة المُفترِضة الحديث.

ومنها: مارواه ايضاً فيه بسنده عن ابانِ ابنِ تغلب قال قال ابو عبد الله عليه السلام الحُجّة قَبل الخَلق ومَع الخَلقَ وبَعدَ الخَلق، ومنها: ما رواه عن الباقر عليه السلام قال: والله ما تَرَك الله ارضاً منذُ قَبضَ الله آدم الّا فيها امام يُهتَدىٰ به إلى الله وهو حُجّة على عباده ولا تَبقَى الأرض بغير امامٍ حجةٍ لِلّه على عباده.

الجهة الثّالثة: فيما يَترَتّب على وجود الرَّسول والنَّبى ومن قام مقامهما عاجلاً واَجلاً، اعلم انّ الانسان كما يَتركّب من روح وبَدنٍ والرُوح من عالم المُجرّدات والبَدَن من عالم الطَّبيعة ولكلٍّ منهما خَواصّ وآثارٌ فالأنسان

١. اصول كافى، باب الاضطرار الى الحجة.

الكامل من كان مُكمِّلاً كلاهما معاً ولا ينبغى له ترك البَدن بالكُليّة والأهتمام بجانب الرُّوح فَقط ولا بالعكس...

فكذالك من حيث العَمَل له نشئاتان نَشاَءة الدّنيا ونشأة الاخرة، ولابدّ لِلأنسان الواجد لِلشّرائط مِن اَن يتوَجَّه اليهما معاً فلا يصلح له ترك الدّنيا بالكليّة لاجل الاخرة ولا ترك الاخرة لاجلِ الدّنيا فالانسان الحائز لمقام السّعادة الأبديّة هو مَن جَمعَ بينهما مُعرِضاً عن الأفراط والتَّفريط كما سِنُحقّقه فى الفصول الاتية فى هذا الكتاب انشاء الله تعالى فَلِلانبياءِ عليهِم السّلام حَظٌّ وافرٌ بالنِّسبة الى تأمين السّعادَتين بل لولا وجود الانبياء لَما حَصَل هذا المقام لِاحدٍ وقد اَخطَاء من ظَنَّ انّه يمكن له البلوغ الى غاية القُصوىٰ والكمال المُترقّب فى النَّشاتَين بدون الانبياء والأوصياء ولمَ يعلَم انّ اَلتَوصُّل بهذا المقام لايتصَور الّا بمتابعتهم والأتيان بما اَمرُو به والتَّرك لِما نَهَو عَنه كما قال الله تعالى: قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونى **«يُحْبِبْكُمُ الله»**[1] فَيتَرتّب على وجود الانبياء وبعثَتهم فوائد كثيرة:

الفائدة الأولى: هى الّتى قلنا فى علّة بعثتهم من انّهم لو لم يكونوا اَختَل اَمر الدّنيا ولزم الهَرج والمَرج حيث لم يكن طريق الى اصلاح الناس الّا قوانينهم ولا لِأخلاقيّاتهم الّا اخلاقهم الا ترى انّ الناس قبل بعثة كلّ نبىّ كانوا حيارى لايدرَوُن ما يَقُولون وما يَفعَلون مَثلَهم كَمَثَلَ الغَريق يشبّث بكلّ حشيش كما سنَفصّل فى ذالك الكلام فى النّبوة الخاصة انشاء الله تعالى، ومن تَاَمَّل فى التّواريخ يعلم صدق ما قلناه وصحّة ما اَصلّناه، ولهذه الدّقيقة ترى انّ الله تعالى قدمَنَّ على عباده بارسال الرّسل وانزال الكتب واىّ فائدةٍ اَعظَم من اِرشاد الإجتماع الى سواء السبيل واعراضهم عن الصّفات الرّذيلة والمُهلكات المُوبِقة فانّ الانسان بالفطرة اسيرٌ للشَّهَوات الحَيوانيّة ولا يلتفت الى الصّفات المَلكُوتيّة فلو لم يَردَعه رادعٌ عنها صارَ مُنهمكاً فيها بحيث يصير اَضَلّ من

---

١. آل عمران / ٣١.

البَهائم وذالك الرّادِع هو الله تعالى بسبب الانبياء والعُقول المُصدِّقة لهم...

الفائدة الثانية: إنّ الأنبياء مُفسّرون للقوانين الآلهيّة الموضوعة لِلنّاس ومُجريوُن لها والقوانين لابدّ منها للإجتماع ولا يمكن للبَشر وضع هذه القوانين حتّى لايحتاجون الى الأنبياء وذالك لانّ الانسان من جميع الجهات محدودٌ متناهٌ فَمُدرَكاته ايضاً محدودة فكلّ ما يُدركه بعقله لايكون الّا مَشوُباً بالوَهم ومع ذالك لايتجاوز عن حُدود المَحسوُسات، فالقانون الّذى يضعه لايكون جامعاً وافياً بتمام الشُئون وتوضيح ذالك: كلّ فرد من افراد الانسان اذا شاء ان وَضَع قانوُناً لِلنّاس مُنفرداً او بمعونة الشَريك او الشُركاء فلابُدَّ لهم من المطابقة والتّحليل فى الجامعة حتّى حَصَل لهم العلم او الظَّنَ باحتياجاتهم لتنظيم المعاش واستقرار العدالة والصُّلح بينَهم وعلى هذه المُقدّمة يَجعَلِ قانوناً لَهُم والقُوّة المُجرية تُجرِيه ومع هذا يُعلَم بخَطائه او خَطائهم بعد زمانٍ قليلٍ فتلحق به تَبصرة مثلاً وبعد ايّام او شُهورٍ او سَنَوات يُعوَّض بالكُليّة ويُقنِّنَ قانوناً آخر مقامه وهكذا الأمر والدَّليل عليه ما نشاهده فى هذا الزّمان فى المِلَل الرّاقِية والممالك الكبيرة المُقتدرة المُتّجددة حيث انّهم صار وحيارى ولَا يَدرون ما يَصنَعوُن حتّى يَنضَبِط الأمر واستَقام الأجتماع فانّ الأخلاق الرّذيلة من القتل والزّنا والفَحشاء والسّرقة وساير المنكرات فى كلّ يوم بل فى كلّ ساعة اكثر من يوم القَبل والمحابِس مَملوَّة من المُتجاوزين وليس هذا الّا مِن جهة انّ القوانين الموضوعة لاتَفى بالغَرَض ولا تَقدر على استقرارِ النَّظم فيما بين الاجتماع وانّى اَعلَم علماً قطعيّاً انّ الفَساد والفَحشاء والمُنكرات لاتُعدَم الّا باجراء القوانين الالهيّة فمادام الحال على هذا المنوال فالأمر كما ترى.

وكيف لايكون كذالك والقانون الاجتماعى على فرض تماميّته وصحّته يمكن ان يُصلِح الاجتماع فى الظّاهر وامّا فى الواقع فَليسَ وافياً قطعاً مع انّ المعاصى كثيراً ما تقع فى الخَلَوات ولا يعلم حال العاصى احد الّا الله تعالى فعلى هذا وضع القانون من شُئون الحق المُتعال والمُجرى له الأنبياء وفائدته

اصلاح الافراد فی الظّاهر والباطن والجَلوة والخَلوة، وبالجملة کونه انساناً واقعیاً وهذا من اَهَمّ المنافع علی وجود الأنبیاء.

الفائدة الثّالثة: انّ الانبیاء یَسُوقُون العباد الی الله تعالی وصفاته والی الاخرة ونعیمهما وعذابها لَیهلِکَ من هَلَک عن بیِّنةٍ ویَحیی من حَیَّ عن بینةٍ فالأنسان کما یحتاج فی دنیاه الی نظم وصفاءٍ وصُلحٍ، وبقاءٍ یحتاج فی امر آخرته ایضاً الی ناصحٍ مشفقٍ صادقٍ حتّی لایصرف تمام عمره فی امور الدّنیا غافلاً عن الاخرة ومقاماتها ودَرَکاتها ولَمّا لم یکن لهذا المقام من له اهلیّة الّا الانبیاء فوجود الأنبیاء لازم واجب.

الفائدة الرّابعة: اتمام الحُجّة علی العباد فانّ الانسان مکلّف بتکالیف کَلَّفه الله تعالی بها کما قلنا واَثبَتنا فی الخُطبة الاولی فی شرح قوله علیه السلام **اَوَّلُ الدِّین مَعْرِفَته**، وانّ شُکر المُنعِم واجب عقلاً وشَرعاً والشّکر الحقیقی عبارة عن صَرف العبد جمیع ما اَنعَمه الله فی مَوضعه وهذا لایمکن الّا بدلالة الأنبیاء وارائتهم الطّریق له ولأجلٍ هذا قال الامام علیه السلام: انّ لِلّه علی الناس حُجَتین: حُجّة ظاهرة وحجّة باطنة، امّا الحجّة الظّاهره فهی الانبیاء والرّسل وامّا الحُجّة الباطنة فهی العقول فبالعقل وبعثة الانبیاء قد تَمَّت الحُجّة علی الناس فی یوم القیمة وهذه فائدة عظیمة وفوائد کثیرة اخری لم نذکرها لانّه علیه السلام قَد اَردَف قوله هذا بذکر الفوائد المُترتّبة علی بعثتهم بما لامزید علیه فقال علیه السلام بعد قوله: **وَوَاتَرَ اَلَیْهِمْ اَنْبیائَهُ لِیَسْتَأدُوهُمْ** الخ ونحن نَتَکلم انشاء الله فی شرح کلماته علی قدر ما یَسعَه المقام.

▫ **قوله علیه السلام: وَوَاتَرَ اَلَیْهِمْ اَنْبیائَهُ**: هذه الجملة اشارة الی: تتابع الأنبیاء وکثرتهم وتواترهم بحسب مُقتضیات الأزمان فاَوَّلهم اَبُونا آدم وآخرهم نَبیّنا محمّد صلی الله علیه وآله والمشهور من الرّوایات انّ عددهم صلوات الله علیهم مائة الف واربعة وعشرین (۱۲۴۰۰۰) الف نبیٍّ ورسولٍ ولابدّ للمُؤمن ان یُؤمِن بکلّ الأنبیاء فالأنکار بواحدٍ منهم فی حکم انکار جمیعهم کما قال تعالی فی کتابه:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1] ولا يخفى انّ الانبياء على كثرتهم لَيسوُا على حدٍّ سَواء من حيث الفَضيلة والمَنقَبة والقُرب الى الله وبعده وسعة دائرة نبوّتهم ورسالتهم كما قال تعالى:﴿تِلْكَ الرُّسل فَضَّلْنا بَعْضَهمْ عَلى بَعضٍ﴾[2]

فقد رُوى عن مولانا الرضاعليه السلام عن ابائه قال قال النبىصلى الله عليه وآله: خلق الله عزَّ وجلّ مائة الف نبيٍ واربعة وعشرين الف نبيٍ أنا أكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة الف وصّيٍ واربعة وعشرين الف وصىّ، وعلىٌّ أكرَمهم الخبر[3]

وعن ابى ذر رَحِمه الله تعالى قال قلت: يا رسول الله كم النَبيون؟ قال: مائة الف واربعة عشرين (عشرون) الف نبىّ، قلت كم المرسلون منهم؟ قالعليه السلام ثلثمائة وثلثة عَشَر جَمًّا غَفيراً قلت مَن كان اوّل الأنبياء قال آدم، قلت: وكان من الانبياء مُرسلاً؟ قال نعم خَلقَه الله بيده وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رِوحَهَ[4] ثم قال: يا اباذر اربعة من الانبياء سريانيّون: آدم، شيث، أُخنوخ وهو ادريس وهو اوّل من خَطَّ بالقَلَم ونوح واربعة من العَرَب: هُود، صالح، شعيب، ونَبيّك محمّد واوّل نبىّ من بنى اسرائيل: موسى وآخرهم عيسىٰ وستمائه نبى، قلت: يا رسُول الله كم انزَلَ الله تعالى من الكتاب؟ قالصلى الله عليه وآله: مائة كتاب واربعة كتب أنزَل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وانزل التّوراية والأنجيل والزبور والفرقان[5]

اقول: وساداة الأنبياء خمسة: وهم اصحاب الشّرايع وهم أُولوالعزم من الرُّسل: نُوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمّد، وههيهنا سئوال وهو انّه لِأيّة علّةٍ كَثرة الانبياء فَهلّا يكون النّبى الواحد مَبعُوثا الى الخلائق الى يوم القيمة مع انّ

---

١. البقرة / ٤.
٢. البقرة / ٢٥٣.
٣. البحارالانوار، ج ٥، ص ١٠-٩.
٤. السجدة / ٩.
٥. البحارالانوار، ج ٥، ص ١٠-٩.

المفروض انّ اعراضهم واحدة وهى الدعوة الى الله تعالى.

قلت: لااشكال فى وَحدَة الغرض وانّما العِلّة فى كثرتهم هى المقتضيات بحسب كلّ زمان ودوُرةٍ واجتماعٍ فكلّ زمانٍ يقتضى نبيّا لايصلح لزمان قبله وزمان بعده لنكتةٍ لابدّ لنا من الاشارة اليها: وهى انّه لاشك لَدَى العقلاء وارباب البصيرة انّ الانسان من اوّل ساعةٍ خَلقَه الله تعالى ونَفَخ فيه من روحه فى صراط الكمال والبلوغ الى مدارج العالية كما هو شئان كلّ موجود فى هذا العالم لاسيّما بناء على الحَرَكة الجوهرية اذ عليها فالموجودات دائماً فى الحَرَكة والسكون والقرار ليس من شانها ومعلوم انّ الحَركة من النّقص الى الكمال لابالعكس كما ثبت فى محلّه وهذا السّير التّكاملى فى الموجودات لأُجله فهو رأس هذا القاعدة ورئيسها كيف وهو خُلِق لِأجِل الوصول الى الغايات والبلوغ الى الكمالات وبعث الرّسل وانزال الكتب له لاجل وصوله الى هذا الغَرض فعلى هذه القاعدة لابدّ له من التَّرَقي من النّقص الى الكمال ومعلوم انّ حصول تلك النّتيجة له تَدريجى لادَفعِى لاستحالة الطَّفَرة فكلّ نسلٍ من افراد البشر مُعِدّة لكمال النّسلِ الاخر فالانسان القَرن المتقدّم بالنسبة الى القرن المتاخّر كَدَوران الطّفُوليّة بالنّسبة الى الشبابيّة الا ترى انّ البشر فى هذا القرن لايقاس بالإنسان القَرن المُتقدّم فضلا عن انسان القَرن الاوّل، بل الاطفال فى زماننا هذا من حيث الذّكاء وسُرعة الانتقال والفَهم لا يقاسون بِنا فِي دَوران طفوليّتنا فَضلاً عن الأطفال القرن السّابق وهذا بديّهى محسُوس لايحتاج الى دليل فانّ اكتشافات البَشَر صارت مُحيّرة للعقول الضَّعيفة والّا فالعقول الكاملة قد علمت بانّ البَشَر فوق هذا كما قال علىﷺ:

اَتَزعم انّك جِرمٌ صَغير وفيك انطَوَى العَالم الاَكبرُ

اذا عرفت هَذا المعنى فى الانسان فقد علِمَت انّه بناءً على هذه السّيرة لابدّ من ان يكون كلّ نبيٍ فى كلّ زمانٍ مناسبا لأفراد تلك الزّمان من جميع الجهات ولمّا كان الانسان متفاوتاً بالنسبة الى الأزمنة فكذالك الانبياء فكيف يمكن

«وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ»[1] ولا يخفى انّ الانبياء على كثرتهم لَيسوُا على حدٍّ سَواء من حيث الفَضيلة والمَنقَبة والقُرب الى الله وبعده وسعة دائرة نبوّتهم ورسالتهم كما قال تعالى:**«تِلْكَ الرُّسل فَضَّلْنا بَعْضَهمْ عَلى بَعضٍ»**[2]

فقد روُى عن مولانا الرضا عليه السلام عن ابائه قال قال النبى صلى الله عليه وآله: خلق الله عزّ وجلّ مائة الف نبيٍ واربعة وعشرين الف نبيٍ اَنا اَكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة الف وصّيٍ واربعة وعشرين الف وصىّ، وعلىٌّ اَكرَمهم الخبر[3]

وعن ابى‌ذر رَحِمه الله تعالى قال قلت: يا رسول الله كم النَبيون؟ قال: مائة الف واربعة عشرين (عشرون) الف نبىّ، قلت كم المرسلون منهم؟ قال عليه السلام ثلثمائة وثلثة عَشَر جَمًّا غَفيراً قلت مَن كان اوّل الأنبياء قال آدم، قلت: وكان من الانبياء مُرسلاً؟ قال نعم خَلقَه الله بيده **وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحَهَ**[4] ثم قال: يا اباذر اربعة من الانبياء سريانيّون: آدم، شيث، اُخنوخ وهو ادريس وهو اوّل من خَطَّ بالقَلَم ونوح واربعة من العَرَب: هُود، صالح، شعيب، ونَبيّك محمّد واوّل نبىّ من بنى اسرائيل: موسى وآخرهم عيسىٰ وستمائه نبى، قلت: يا رسُول الله كم انزَلَ الله تعالى من الكتاب؟ قال صلى الله عليه وآله: مائة كتاب واربعة كتب اَنزَل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وانزل التّوراية والأنجيل والزبور والفرقان[5]

اقول: وساداة الأنبياء خمسة: وهم اصحاب الشّرايع وهم اُولوالعزم من الرُّسل: نُوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمّد، وههيهنا سئوال وهو انّه لِأيّة علّةٍ كَثرة الانبياء فَهلّا يكون النّبى الواحد مَبعُوثا الى الخلائق الى يوم القيمة مع انّ

---

١. البقرة / ٤.
٢. البقرة / ٢٥٣.
٣. البحارالانوار، ج ٥، ص ١٠-٩.
٤. السجدة / ٩.
٥. البحارالانوار، ج ٥، ص ١٠-٩.

المفروض انّ اعراضهم واحدة وهى الدعوة الى الله تعالى.

قلت: لااشكال فى وَحدَة الغرض وانّما العِلّة فى كثرتهم هى المقتضيات بحسب كلّ زمان ودوْرةٍ واجتماعٍ فكلّ زمانٍ يقتضى نبيّا لايصلح لزمان قبله وزمان بعده لنكتةٍ لابدّ لنا من الاشارة اليها: وهى انّه لاشك لَدَى العقلاء وارباب البصيرة انّ الانسان من اوّل ساعةٍ خَلقَه الله تعالى ونَفَخ فيه من روحه فى صراط الكمال والبلوغ الى مدارج العالية كما هو شئان كلّ موجود فى هذا العالم لاسيّما بناء على الحَرَكة الجوهرية اذ عليها فالموجودات دائماً فى الحَرَكة والسكون والقرار ليس من شانها ومعلوم انّ الحَركة من النّقص الى الكمال لابالعكس كما ثبت فى محلّه وهذا السّير التّكاملى فى الموجودات لأجله فهو رأس هذا القاعدة ورئيسها كيف وهو خُلِق لِأجل الوصول الى الغايات والبلوغ الى الكمالات وبعث الرّسل وانزال الكتب له لاجل وصوله الى هذا الغَرض فعلى هذه القاعدة لابدّ له من التَّرَقى من النّقص الى الكمال ومعلوم انّ حصول تلك النّتيجة له تَدريجى لادَفعِى لاستحالة الطَّفَرة فكلّ نسلٍ من افراد البشر مُعِدّة لكمال النّسلِ الاخر فالانسان القَرن المتقدّم بالنسبة الى القرن المتاخّر كَدَوران الطّفُوليّة بالنّسبة الى الشبابيّة الا ترى انّ البشر فى هذا القرن لايقاس بالإنسان القَرن المُتقدّم فضلا عن انسان القَرن الاوّل، بل الاطفال فى زماننا هذا من حيث الذّكاء وسُرعة الانتقال والفَهم لا يقاسون بِنا فِى دَوران طفوليّتنا فَضلاً عن الأطفال القرن السّابق وهذا بديّهى محسُوس لايحتاج الى دليل فانّ اكتشافات البَشَر صارت مُحيّرة للعقول الضّعيفة والّا فالعقول الكاملة قد علمت بانّ البَشَر فوق هذا كما قال علىؑ:

اَتَزعم انّك جِرمُ صَغير وفيك انطَوَى العَالم الاَكبرُ

اذا عرفت هَذا المعنى فى الانسان فقد علِمَت انّه بناءٌ على هذه السّيرة لابدّ من ان يكون كلّ نبيٍ فى كلّ زمانٍ مناسبا لأفراد تلك الزّمان من جميع الجهات ولمّا كان الانسان متفاوتاً بالنسبة الى الأزمنة فكذالك الانبياء فكيف يمكن

للنّبى الواحد ان يكون مَبعُوثاً الى جميع افراد الإنسان من البَدو الى الختم فالقانون الّذى يستفيد منه الانسان فى هذا الزمان لم يمكن الأستفادة منه لافراد البشر فى زمن ادريسِ النّبى مثلاً فكما انّ بين افراد الأُمم فَرق مِن حيث العلم والدَّرك فكذالك فرق بين انبيائهم فلا يمكن ان يكون الشّيخ الرّئيس ونصير الدّين الطُّوسى والفخر الرازى والعَلاّمة الحلّى وامثالهم من النَوابغ من امّة ادريس النّبى وهود، وصالح وغيرهم بل من امّة عيسى وموسى ولذالك قال رسُول الله فى حق علماء اُمّته: علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل، وهذا هو السِّر فى تكثير الانبياء وتفاوتهم من حيث الفَضل والكمالات المعنوية، وسياتى لهذا البحث زيادة تحقيق انشاء الله.

▫ **قوله**عليه السلام: **لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ**، : وهذا هو الفائدة الأولى المُترتبة على ارسال الرسل قد اشار اليه اميرالمؤمنين عليه السلام والمعنى: انّ بعثة الانبياء وتواتر هم لأجل فوائد كثيرة مُترّتبة عليها احدَها انّ الانبياء بُعِثوا لِطَلب اداء الميثاق من النّاس الّذى فُطِروا عليه فى عالم الذّر والمَقصود من هذا الميثاق هو التَّوحيد الّذى اشار اليه الحق سبحانه حيث قال اَلستُ بربّكم قالوا بلى، والى هذا المعنى اشار فى موضع آخر من كتابه حيث قال: **﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾**[1]

فانّ المفسرين قالوا بانّ الفِطرَة فى الاية الشريفة الّتى فطر الناس عليها هى فِطرَة التّوحيد وهو شاهد على ما ذكرنا واليه اشار رسُول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: كلّ مولودٍ يوُلَد على الفِطرة، فالإنسان على هذه الطّبيعة مفطورة على التوحيد لو لم يَمنَعها مانع بعدُ، فالأنبياء عليهم السلام و خلفاؤهم طَلَبُوا اداء الأمانة الّتى اَودَعها الله فى فطرتهم وفيه اشارة الى انّ التوحيد وجميع مواعيد النبوّة ليس على خلاف طبيعة البَشَر وفطرته بل هو مقتضى جبلّتهم وطِينتهم فتامّل.

١. الروم / ٣٠.

▫ قوله عليه السلام: **وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ**: وفيه اشارة الى فائدة اخرى تترتّب على ارسال الرسل وهى تَذَكُّر الانبياء نِعَم الله تبارك وتعالى لِلنّاس وقد اشار عليه السلام بقوله الى ما قال الله تعالى مخاطبا لبنى اسرائيل:

﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[1]

و **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾**[2]

و **﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَى عَشَرَ نَقِيباً﴾**[3]

و قوله تعالى: **﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[4] وامثال ذالك من الايات...

وفائدة التَذَكُّر تنبيه المخاطب وايقاظه من نوم الغَفلَة واتمام الحُجّة عليه فالأنبياء وَظيفَتهم ايقاظ النّاس و ارشادهم نحو المعبُود بتَذكير نِعَم الله تعالى حَتّى يَترَتّب عليه وجوُب شكرِ المُنعم اذ لاتكليف مع الغفلة والنّسيان.

▫ قوله عليه السلام: **وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ**: وهذه فائدةً اخرى مُترَتبة على إرسال الرّسل وهى عبارة عن الأحتجاج لهم بسبب التَّبليغ وذالك من اَعظَم الفوائد وفيه اشارة الى ما قال الله تبارك و تعالى:

﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5]

و **﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[6]

و **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾**[7].

وقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وآله انّه قال نحن المُجادِلون فى دينِ الله على لسان سَبعين نبيّاً.

والآيات والاخبار فى احتجاجات الأنبياء على اُممهم كثيرة جداً ونحن

---

١. البقرة / ٤٧.
٢. المائدة / ٧.
٣. المائدة / ١٢.
٤. الاعراف / ٦٩.
٥. العنكبوت / ٤٦.
٦. النحل / ١٢٥.
٧. البقرة / ٢٥٨.

نشير الى طرف منها فى موضعه انشاء الله تعالى.

▫ **قوله**ﷺ: **وَيُثيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ الْعُقُولِ**، : وهذه فائدةٌ رابعة مُترّتبة على ارسال الرّسل وهى انّهم عليهم السّلام بُعثوا لِإيقاظ العُقول واظهار دفائنها وفيها اشارة الى انّ العُقول تحتاج الى مُنَبهٍ ومُذَكّرٍ لولاه لم يمكن لها البلوغ والوصول الى غاياتها وهو كذالك وقد شُبّهَ مُدرَكات العقول بالجواهر القَيمّة المذخوُرة تحت اراضى الأبدان فكما انّ الجَوهر المستوُر تحت الارض لايمكن الوصول اليه الّا باثارة الارض ـ وتقليبها والتّفيّش فيها كما هو المَشهود المحسُوس فكذالك دفائن العقول لايمكن الوصول لأحدٍ اليها الّا بعد التّذكر والتّنبيه الّذى فى الحقيقة تثيرٌ وتَقليبٌ لها وعليه فالاحتمال فى قوله**ﷺ**: **دَفائِنَ الْعُقُولِ** من حيث الأدب لايخلو من وجهين:

الاوّل: ان تكون اضافة الدّفائن الى العقول بيانيّة فالمعنى يصير هكذا الانبياء عليهم السلام بُعثوا لِتثيير دفائن الّتى هى عبارة وبيان من العقول اذا العقول فى ابدان الناس مدفونة كما انّ الجواهر مَدفُونة تحت الارض.

الثانى: ان تكون الإضافة فيها تَبعيضيّة بمعنى انّها بتقدير كلمة من المفيدة لِلتّبعيض دون البيان كما فى الصُّورة الأولى فيصير المعنى: انّ الانبياء يُثيّر والدّفائن من بعض العقول المُستَعدّة القابلة لاكُلّها، وذالك لانّ بعض العقول لاجل كونها مَشُوبة بالأوهام الباطلة والاراء الكاسدة الفاسدة لاتصلح للأستفاضة ولا تكون قابلة لِأدراك الحقائق، ويَظهَر سِرّ اَنَّ الأفراد كلّهم لِمَ لايَستفيدوُن من الانبياء والأيات والمَواعظ فانّا نرى انّها متفاوتة فى الأستفاضة وعَدمها وشِدّتها وضَعفها وليس هذا الّا بحسب القابليّة.

▫ **قوله**ﷺ: **وَيُرُوهُمُ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةِ :مِن سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَّرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَّوْضُوعٍ، وَمَعَايِشِ تُحْيِيهِمْ ،وَاجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَاَوْصَابٍ، تُهْرِمُهُمْ، وَاَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**، متن...

وهذه هى الفائدة الخامسة المُترّتبه على ارسال الرّسل وقد اشارﷺ فيها الى

انّ الانبياء عليهم السلام يُذكّرُون لِلنّاس الايات الالهيّة والمقصود بها اعمّ من الآيات التّكوينيّة والتّشريعية الّا ان التّكوينيّات لما كانت اَقرَب الى الحِسّ والدّرك بالنّظر الى اكثر النّاس خَصّ الآيات فى المقام بها وذالك لانّ الشيئَى المَحسوُس لايمكن انكاره وكلّ ما ذكره اشارة الى الآيات الكَريمة القرانيّة وكلمة (من) فى قوله من سقفٍ بيانيّة ويمكن ان تكون للتّبعيض لانّ الآيات لَيسَت منحصرةً بما ذكره فى المقام بل هو بعض الآيات كما هو ظاهر...

▫ **فقوله**ﷺ: **مِن سَقْفٍ**: اشارة الى ما قاله فى كتابه الكريم:

﴿وَجَعلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَّ هُمْ عَنْ اٰياتِها مُعْرِضُونَ﴾[1]

و **﴿اَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنٰاها وَزَيَّنّٰاها وَمٰالَها مِنْ فُرُوجٍ﴾**.[2]

و **﴿تَبْصِرَةً وذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾**[3]

و **﴿وَالسَّماءِ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزٰانَ﴾**[4]

و **﴿أَفَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾**[5]

و **﴿اللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَّجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْاٰياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾**[6].

فقوله ﷺ من سقف اشارة الى انّ السّماء بمَنزلة السَّقف لنا لانّه فوقنا وكلّ فوقٍ يطلق عليه السَّقفِ، وامّا قوله ﷺ: **وَمِهٰادٍ تَحْتَهُمْ مَّوْضُوعٍ**، فالمقصود بها الاَرضين السُّفلى فانّ المَهاد جَمع مَهدٍ والمَهد عبارة عمّا تُهيّئ للصبّى ليسكن فيه قال الله تعالى: **﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾**[7] والمهاد جمعه وهى لمكان المُمَّهد المؤطاء: يقال مَهَدْتُ لك كذا، اى هيأته وسَوّيته قال الله تعالى: **﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمهِيداً﴾**[8] فقوله ﷺ: وَمِهٰادٍ الى آخره اشارة الى ما قال الله تعالى:

---

١. الانبياء / ٣٢.
٢. ق / ٦.
٣. ق / ٨.
٤. الرّحمن / ٧.
٥. الغاشية / ١٨-١٧.
٦. الرّعد / ٢.
٧. مريم / ٢٩.
٨. المدّثر / ١٤.

﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فيها سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]

و ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى﴾[2]

و ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً﴾[3]

وفى هذا الجمله اشارات رائقة ونكات فائقة ينبغى التنبيه عليها:

الاوّل: انّ التّعبير عن الأرض بالمَهد اقتباساً من القرآن لعلّه اشارة الى انّ الارض ليسَت بمتحركه كما قال به بعض من لاخُبرة له من الماضين فإنّ علماء الهَيئة كانوا فى سابق الزّمان مُتفّقين على سكوُن الأرض وحركة الشّمس حَولها والهيئة الجديدة أثبتَت خلافَه بالدّلائل الحِسيّة القَطعيّة وعليها فالشّمس ساكنة والأرض مُتحرّكة حولها مثل سائر الكواكب وسُرعة حركة الارض فى هذا المدار فى كلّ ثلثين كيلومتر ونصفاً وفى كلّ دقيقةٍ (١٨٣٠٠٠٠) كيلومتر وفى كلّ ساعةٍ ثانيةٍ (١١١٨٠٠٠٠٠ كيلومتر) ولها حركتان حَركةٌ من الغَرب الى الشرق حَول مِحوَرِها وتتّمها فى مدّة اربعة وعشرين ساعات وفائدتها تكوين اللّيل والنّهار وحَرَكةٌ حَول مِحوَر الشّمس تتّمها فى مدّة ثلثمائة وخمس وستّين يوماً (٣٦٥) فتقطع فى اليوم الواحد على هذا الحساب أكثَرَ من نصف ميليون فرسخ هذا...

وهذه الحَرَكة الثّابتة اليوم لها قد أثبَتها القرآن وكلامه عليه السلام المقتبس منه لانّ المَهد فى القرآن وكلامه عليه السلام الّذى عُبّر عن الأرض به مراراً يدُلّنا على انّ الارض لَيسَت بساكنة بل مُتحرّكة كمّا انّ المَهد ايضاً كذالك، الا ترى انّ الشّيئى الّذى لايَتحرّك لايطلقون عليه المَهد فالحَرَكة مأخُوذة فى مَفهومه ولهذا خَصُّوا المَهدِ بالصّبى فانّه يحتاج فى اطمينانه وسكونه وقراره الى حَرَكة المَسكَن الّذى يسكن فيه وبهذا الاعتبار نُعبّر عنه بالمَهد فالتّعبير عن الأرض بالمَهد ادلّ

---

١. الزّخرف / ١٠.
٢. طه / ٥٣.
٣. النّبأ / ٦.

دليلٍ على حركتها والّا لم يكن لهذا الأستعارة وجه كما لايخفى.

الثّانى: ما قال عليه السلام مَهداً بصيغة المفرد بل قال مهاداً بصيغة الجمع وذالك يدّل على انّ الارض لَيسَت بواحدة، بل هى اكثر وهو حقّ كما عرفت مراراً من الايات والآثار والسّماء ايضاً كذالك...

الثّالث: قوله عليه السلام: تحتَهم موضوُع يدلّ على انّ الله تعالى جَعل الأرضَ كذالك فانّ الوَضع يحتاج الى الواضع والواضع ليس الّا الله كما شَرحناه اجمالاً فى الخُطبة الاولى فراجع، وامّا قوله عليه السلام **وَمَعايِشِ تُحْيِيهِمْ** الى آخر ما قال عليه السلام: ففيه اشارة الى سائر النِعَم الّتى قد اَنعَم الله بهَا علينا وهى اربعة:

الاولى: المشار اليها بقوله: ومعايش تحييهم، وذالك لانّ الأرض وان كانت دار قرارٍ لنا الّا لابدّ لنا مِن الأعاشته عليها والأعاشته لاتمكن الّا بامور يمكن لنا التَوَصل اليها اذ الأرزاق موُجبة لادامة الحيات والله تبارك وتعالى قَد منّ عَلَينا بعد خلق الأرض بجَعلِ الموُجبات للاِعاشة من الغَذاء والمَاء والهَواء وسائر ما نحتاج اليه فيها وكم من نعمةٍ ومنَفَعةٍ قد جَعَلها الله تعالى فيها بحيث لايحتاج البَشَر الى غيرها و هذا من العجائب.

الثّانية: المشار اليها بقوله عليه السلام **وَاجالٍ تُفْنِيهِمْ**، هى ايضاً من اكبر النِّعم فانّ الاجال الّتى توجب فناء السّاكنين عليها لَو لَم نُقَدّر لهم لم يمكن لهم التَعيُّش فيها وذالك لانّ الآجال سبَبَ للموت وفيه بقاء الأجتماع فى الواقع اذ لو لم يكن بين الموجودات فناء ودُثور من اوّل خَلق الأرض الى آخرها كيف يمكن لهم تَعيُّش وحياةٌ بل كانوا مُضطرّين من اَكل بعضَهم بَعضاً مضافاً الى انّ كُرَة الأرض ما كانَت كافيَة لتلك الجمعيّته اَبَداً، وثانياً الأجال توجب انتقال المقامات العالية والاملاك من بعضٍ الى بعضٍ وفيه فوائد كثيرة وهكذا وقد اشار عليه السلام بهما اعنى المعايش والاجال الى ما قال الله تعالى فيهما.

فمن الاوّل:

﴿اَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطيفٌ خَبيرٌ﴾[1]

و ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجري فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ﴾[2]

و ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَأَخْرَجْنا مِنْها حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[3]

و ﴿وَجَعَلْنا فيها جَنّاتٍ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنابٍ وَفَجَّرْنا فيها مِنَ الْعُيُونِ﴾[4]

و ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾[5]

و ﴿سُبْحانَ الَّذي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمِمّا لايَعْلَمُونَ﴾[6]

و ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ﴾[7]

و ﴿وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ﴾[8]

و ﴿وَلَهُمْ فيها مَنافِعُ وَمَشارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾[9]

و ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[10]

و ﴿وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾[11]

ومِنَ الثّاني:

﴿فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[12]

و ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْئٍ وَأَنْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَديثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[13]

---

١. الحجّ / ٦٣.
٢. الحجّ / ٦٥.
٣. يس / ٣٣.
٤. يس / ٣٤.
٥. يس / ٣٥.
٦. يس / ٣٦.
٧. يس / ٧١.
٨. يس / ٧٢.
٩. يس / ٧٣.
١٠. يس / ٨٠.
١١. البقرة / ١٦٤.
١٢. الاعراف / ٣٤.
١٣. الاعراف / ١٨٥.

و ﴿وَلَو يُعَجِّلُ اللهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[1]

و ﴿وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلَى ظَهرِها مِنْ دابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصيراً﴾[2] والآيات فيها كثيرة

وقوله عليه السلام **وَأَوْصابٍ، تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْداثٍ تَتابَعُ عَلَيْهِمْ**، هذان ايضاً من لوازم السُّكون فى الأرض والأوصاف جَمع وصَب والوَصب السُّقم اللاّزم على ما قال الراغب فى مفرداته، والمعنى انّ الله تعالى جعل بقدرته الكاملة البالغة فيهم الأمراض والأسقام الّتى تُهرمهم لانّ المَرَض سَبَب لفتوُر البَدن ونقصانه والهَرِم ليس الّا الفُتوُر فى البَدن وذالك مُقدّمة لِلموت والفَناء، وكذالك الاحداثاً المُتتابعة، فانّها ايضاً سَبَب لِلضَّعف ولذالك ترى انّ كل من كان المَرَض والحوادث عليه اَغلَب واكثر كان عُمره اَقلّ ومن كان بالعكس بالعكس وهذا ظاهر...

▫ **وفى قوله عليه السلام: مِن سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ** الى قوله **وَأَحْداثٍ تَتابَعُ عَلَيْهِمْ** اشارة الى انّ الاوصاف المذكوره الأربعة اعنى: مَعايش تُحييهم وآجالٍ تُفنيهم، واوصابٍ تهرمهم، واحداثٍ تَتابع عليهم، من لوازم المَوجودات الّتى جعلت على الاَرض وتحت السّما فالموجودات التى ليست بساكنه على الارض لاتتصّفون بهذه الصّفات كاالملائكة والموجودات المَلأ الأعلى وهو كذالك فانّ الملائكة وان كانت لها ايضاً معايش وآجال واحداث الّا انّها لَيسَت كمعايشنا واحداثنا وآجالنا وهو ظاهر، ولما كانت الموجودات السّاكنة فى الارض مخلوقة من حيث البدن منها سواء كانت انساناً او حيواناً او نباتاً او جماداً فلابدّ من ان يكون معيشتها فيها طبقا لقانون السِنّخية وامّا الملائكة فلَيسَت لهم سنخيّة مع الارض وما فيها ولذالك قال الله تعالى فى حق الأنسان:

﴿وَ مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفيها نُعيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرىٰ﴾[3]

---

١. يونس / ١١.
٢. فاطر / ٤٥.
٣. طه / ٥٥.

▫ وقوله عليه السلام: **وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحانَهُ خَلْقَهُ مِن نَّبِيٍّ مُرْسَلٍ، اَوْ كِتابٍ مُنْزَلٍ ،اَوْ حُجَّةٍ لاْزِمَةٍ، اَوْ مَحَجَّةٍ قائِمَةٍ**، متن...

وهذا ايضاً معطوف على قوله عليه السلام: **فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ**، والمقصود انّ الله تعالى لما اقتضى لطفه ورحمته ارسال الرّسل لِعِلل مَرَّت ذكرها فلابدّ من كون لُطفه شاملاً لجميع الخَلائق ولا يخَتَّص بزمانٍ دُون زمانٍ ودَورةٍ دُون آخرى لِقبح التَرجيح بلا مُرجّح ولعُموم لُطفه يلزم انّ لايَخلُ الله خلقَه حَياراى وذالك لايتمّ الّا بواحدٍ ممّا ذكره عليه السلام **مِن نَّبِيٍّ مُرْسَلٍ، اَوْ كِتابٍ مُنْزَلٍ** الخ على مقتضى التَرتيب الّذى قد ذكره عليه السلام.

فانّ النّبىّ المُرسَل فى المَرتَبة الاولى والتّقيد بكونه مُرسلاً اشارة الى انّه لابدّ من كونه صاحب شريعةٍ وكتابٍ وذالك لايكون الّا فى المُرسلين، دونَ الأنبياء فَقَط اذ الانبياء فى الحَقيقة كانوا مُروّجين لشرايع المُرسلين، كما هو ظاهر ثمّ فى المَرتَبة الثانيّة بعد مَوت النّبى تصل النّوبه الى الاستضائة من كتابه الباقى بعده او حجّة لازمة على الخلق، والمقصود بها وجود الأوصياء او مَحَجَّة قائمة والمقصود بها الشرايع كما قال سبحانه.

«وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهاجاً»[1]

▫ وقوله عليه السلام: **«وشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً»**[2] كلّ ذالك اتماماً للحجّة وتَتميماً للنِعمَة اذله الحُجّة البالغة على خلقه ونشير الى بعض الروايات الواردة فى المقام تائيداً لما ذكره عليه السلام وتنبيهاً للغافلين.

فمنها ما اشار الى قوله عليه السلام: **مِن نَّبِيٍّ مُرْسَلٍ**، وقَد مرّ الكلام فيه فى بحث لزوم النّبى عقلاً ونقلاً، ومنها ما اشار الى قوله او كتابٍ مُنزَلٍ روى القمى فى تفسيره عن الباقر عليه السلام **انّه قال انّ الله عز وجل قد اَرسَل رُسُله بالكتاب وبتأويله فَمَن كَذَّب بالكتاب او كَذَّب بما اَرسَل به رُسلَه من تاويل الكتاب فهو مُشرك.**

وعن حارث الأعور **قال دَخلتُ على اميرالمؤمنين عليه السلام، فقلت: يا**

١. المائدة / ٤٨.
٢. الشورى / ١٣.

اميرالمؤمنين انّا اذا كنّا عندك سَمِعنا الّذى تَشُدّبه دِيننا واذ اَخرَجنا من عندك سَمِعنا اشياءً مُختلفةً مغمُوسةً لانَدرى ما هى قال عليه السلام او قد فَعَلوها قال قلت نعم، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اتانى جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد سَيَكُون فى اُمّتك فِتنَة قلت فما المُخرج منها؟ فقال كتاب الله فيه بيانِ ما قَبلكم من خَبرٍ وخَبَر ما بعدكم وحُكم ما بينكم وهو الفَصل لَيس بالهَزل من وَليه من جبّارٍ فعمل بغيره قصَمَه الله ومن التَمَس الهُدى فى غيره اَضَلّهُ الله وهو حَبلِ الله المَتين وهو الذِّكر الحكيم وهو الصِّراط المستقيم لاتزيغه الأَهوية ولا تَلبسه الألسنة ولا يخلق على الردّ، ولا ينقضى عجائبه ولا يَشبع منه العلماء هو الَّذى لم تَكنه الجنّ اذا سَمِعه اذ قالوا إنّا سَمِعنا قراناً عجباً يَهدى الى الرّشد من قال به صَدَّقَ ومن عَمَل به اَجرَ وَمَن اَعتَصم به هُدى الى صراطٍ مُستقيم هو الكتاب العزيز الذى لايأتيه الباطل من بَين يَدَيه ولا من خَلفه تنزيلٌ من حكيم حَميد[1].

وعن داود ابن فرقد قال سمعتُ ابا عبدالله يقول: عَليكُم بالقرآن فما وَجَدتم آية نجابها من كان قبلَكم فاعمَلوُا به وما وَجدتموُه مِمّا هَلَك من كانَ قبلكم فأجتنبوه[2]

وعن عمرو ابن قيس عن ابى جعفر عليه السلام قال سمعته عليه السلام يقول انّ الله تبارك وتعالى لَم يَدع شيئاً تحتاج اليه الامّة الى يوم القيمة الّا اَنزَله فى كتابه وبَيّنه لرسوله وجَعَل لكلّ شيئٍ حدّاً وجَعَل دليلاً يدلّ عليه وجَعَل على من تَعدّى ذالك الحَدّ حداً[3] والرّوايات الواردة فى فضل القرآن كثيرة نذكر شرطاً منها فى محلّه ان شاء الله تعالى.

ان قلت ما ذكرتَه وما لم تذكره انّما وَردَ فى فضل القرآن ولزوم التَّمسك به بعد النّبى ولَيس كلامه عليه السلام فيه بل كلامه مُطلَق بالنسبة الى الانبياء والكُتب

---

١. تفسير البرهان، باب فضل القرآن، ج ١.
٢. تفسير البرهان، ج ١.
٣. تفسير البرهان، ج ١.

المُنزلة عليهم الباقية بعدهم فلابدّ من اثبات التّمسُّك بها بعدهم وانتم لاتقولون به وبعبارةٍ اخرى كلامه عليه السلام مُشعرٌ بحجّيته الكتاب بعد النبى صلى الله عليه وآله مط فعليه لااشكال فى التّمسك بسائر الكتب المنزلة قلنا ليس الامر كذالك.

امّا اوّلا: فما ثَبَت فى حقّ القرآن وَحده من الفَضل ولُزوم التَّمسك به ثابت فى سائر الكتب السَماوية ايضاً لعدم القول بالفَضل وبالأجماع من الامّة ولمّا كان مدار كلامه عليه السلام فى النّبوة العامّة فِعلاً لَم يقيّد البحث بالقرآن وَحده لانّ الكلام ليس فى النُبوة الخاصّة مضافاً الى انّه اشارة الى انّ المؤمن لابدّ له من الايمان بها كما آمَن به كما قال الله تعالى:

﴿وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيكَ وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْاٰخِرَهُم يُوقِنُونَ﴾[1] وهذا لاكلام فيه وانّما لم تُؤمَر باتباعها فى الحال لانّ النبوّة الخاصة قد اَبطَل الشّرايع المُتقدّمه وكتابه ناسخ لِكتُبها فَبعَد بعثة النّبى صلى الله عليه وآله لايمكن الأخذ بها فخروُجها عن مورد البحث خروج تَخصّيصىّ لاتَخصُّصى كما سيَتَّضح لك انشاء الله فى النّبوة الخاصّة فانتظر...

و ثانياً: فلانّ كلامه عليه السلام لَيس فى لزوم العَمَل والتَمسّك بالكتاب بعد النَّبى او عَدمه بل الكلام فى انّه لابُدّ من ان يكون بعد النَّبى المُرسَل من كتاب يُقتَدىٰ به وهذا امرٌ عامٌ يشمل جَميع الكُتب اذ لااشكال فى كونها حجّة لازمة.

و ثالثاً: على فَرض التَّسليم فالكُتُب المُنزَلة يجب الاتباع بها فى زمانها لأهل زمانها ما لم يَدلّ دليلٌ على عَدم جواز الاخذ بها بالنَّسخ والنبوّة بعدها وحيث دَلَّ دليل فلا وهو عليه السلام لَم يَقُل انّها حُجّةٌ عَلينا فى هذا الزّمان وعلى كلّ تقديرٍ فالمقصود بقوله عليه السلام او كتابٍ مُنزَلٍ، وجود كتابٍ اِلَهىٍ فى كلّ زمانٍ لأهل ذالك الزّمان حتّى يُستضاء به وَيُهتدىٰ بنوُره، وهذا واضح...

ومنها ما اشار الى قوله عليه السلام **اَوْ حُجَّةٍ لاٰزِمَةٍ،: قال العَبد الصّالح** عليه السلام **انّ الحُجّة لاتقوم لله على خلقِه الّا بأمامٍ حتّى يُعرَف**[2] وقال الصّادق عليه السلام: **الحُجّة**

١. البقرة / ٤.

٢. اصول كافى، باب الحجة.

قبل الخَلَق ومَع الخلق وبَعد الخلق[1] وايضاً قال الصّادق عليه السلام: انّ الارض لايخلوُ الّا وفيها امام كيما إن زاد المؤمنُون شيئاً ردَّهم وان نقصوُا شيئاً اتّمه لهُم[2] وعن الصّادق عليه السلام قال: مازالت الأرض الّا وفيها للهِ حُجّة يَعرف الحَلال والحَرام ويَدعُوا النّاس الى سبيل الله[3] وعن الحسين ابن العلاء عن ابيعَبدالله عليه السلام قال قلت له تَبقى الارض بغَير امام قال لا[4] وعنه عليه السلام: قال انّ الله لم يَدعَ الأرض بغير عالمٍ ولولا ذالك لم يُعرَف الحقّ من الباطل[5] وعنه عليه السلام قال انّ الله أَجَلّ واَعظَم من ان يَترُك الأرض بغير امامٍ عادلٍ[6] وعنه عليه السلام قال لو بَقَيت الأرض بغير امام لساخت[7] وعن الباقر عليه السلام قال لو انّ الامام رُفع من الأرض ساعةً لماجَت بأهلها كما يَموُج البَحر باهله[8] وعن الصادق عليه السلام انّه قال لو لم يَبقَ فى الأرض الّا اثنان لكان احدهما الحُجّة[9] والروايات فيها كثيرة اُنظر كتاب الحُجّة من الكافى والبحار وغيرهما فعلى هذا المقصود من قوله عليه السلام **اَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ**، هو الامام المَعصُوم الّذى هُوَ حُجّة على عباده...

وقال الشّارح المُعتزَلى فى شرح هذه الجُملة ما هذا لفظه: ومنها ان يقال الى ماذا يُشير بقوله او حجّة لازمة هل هو اشارة الى ما تَقوله الاماميّة من انّه لابدّ فى كلّ زمانٍ من وجود امامٍ معصُومٍ، الجواب: انّهم يفسّرون هذه اللّفظَة بذالك ويمكن ان يكون المراد بها حجّة العَقل.

اقول: لااَتَعجَّبُ من ابن ابى الحديد فى هذا التفسير الّذى يَضحَك به الثّكلى فإنّه وامثاله لايرى الحَقَّ فى عين ظُهوره كما لايرى الخَفاش نور الشّمس بعد طُلوعها لالبُخلٍ من الشّمس بل لنقصانٍ فيه وهو هكذا...

وذالك لانّ المراد بها لو كان العَقل ما احتاج عليه السلام الى ذكره فانّ العَقل فى اولاد

---

١. اصول كافى، باب الحجة.
٢. اصول كافى.
٣. اصول كافى.
٤. اصول كافى.
٥. اصول كافى.
٦. اصول كافى.
٧. اصول كافى.
٨. اصول كافى.
٩. اصول كافى.

آدم موجودٌ دائماً فلا وجه لتَخصيصه بالذّكر بعد الأنبياء والكُتُب المُنزَلة اللّذينَ هما حُجتان بلاخلاف فحيث انّ كلامه فى الحُجَج الثّابتة لِلنّاس من قبل الله تعالى فكَيف يمكن القول به وثانياً ما ذكره عليه السلام على التّرتيب يُشعر بكون كلّ واحدٍ منها نائباً عن الآخر والعقل ليس كذالك إلّا على مَذهبه الفاسد اذ لو كان العَقل بنفسه كافياً فايّ احتياجٍ الى ارسال الرُّسل وإنزال الكُتُب كما هو ظاهر على المُنصِف المتامّل.

واما ما اشار الى قوله **اَوْ مَحَجَّةٍ قائِمَةٍ**. فقوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً﴾[1]

و **﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً﴾**[2] وذالك لانّ المَحَجّة طريقة عدلٍ يَقِفوُن النّاس عَليها ولايَميلوُن النّاس عنها يَميناً ويَساراً على ما قيل والدّين كذالك والشَّرع نهج الطَّريق الواضح وسَمّيت الشَّريعة شريعة تشبيها لها بشريعة الماء من حيث انّ من شَرع فيها على الحقيقة المَصدوُقة رَوىَ وتَطّهر ولذالك قال الله تعالى فى حق اهل البيت:

﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3]

و **﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾**[4] جمع شارع وشارعة الطّريق جَمعها شوارع ومُلَخّص الكلام انّ قوله عليه السلام **اَوْ مَحَجَّةٍ قائِمَةٍ**، اشارة الى قوانين الالهية الّتى وضعت لأرشاد النّاس وهدايتهم الى طريق مستقيم كما يقال: **﴿اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّالِّينَ﴾**[5] ومن هنا فسّر الطريق المستقيم علىٌّ واولاده عليهم السلام المَحجّة القائمة بالحقّ تطلق بحسب اشتراك العلمى الصّناعى على معنيين:

الاوّل، الدِّين والشَّرع كما قلنا، والثانى: الائمة المَعصومُون عليهم السلام الّذينهم

---

١. المائدة / ٤٨.
٢. الشورى / ١٣.
٣. الاحزاب / ٣٣.
٤. الاعراف / ١٦٣.
٥. فاتحة الكتاب / ٦-٥.

حقيقة الشّرع ومصداقه الاتّم فى الخارج فمن اراد ان ينظر الى اصل الدّين المستقيم فلينظر الى علىٍ واولاده وان شئتَ قلت قوله عليه السلام ولَم يَخل الله سبحانه خَلقه الى قوله او مَحَجّةٍ قائمةٍ فى الحقيقة لايفيد الّا امرين: وجود الرّسول: وجود الامام،

امّا وجود الرّسول والنّبى فهو مستفاد من صريح قوله عليه السلام **مِن نَبِيٍّ مُرْسَلٍ،**

وامّا وجود الامام فيستفاد من قوله او كتاب مُنزَل الى آخره والثلاثة تشير الى وجود الامام ولزومه، امّا الكتاب المُنزَل وان كان فى الظاهر القرآن والتّوراية والأنجيل وساير ما أنزَله الله على أنبيائه الّا ان حقيقتها لَيسَت الّا وجود الأنسان الكامل الّذى نُعبّر عنه بالأمام والدليل على صدق هذا المُدّعىٰ قوله عليه السلام مُشيراً الى القرآن الكريم الّذى رَفَعه النّاس يومَ الصّفين على رؤس الأسنان ايّها الناس هذا كتاب الله الصّامِت وانا كتاب الله النّاطِق.

وفى رواية هذا كلام الله الصّامِت وانا كلام الله النّاطِق، والمعنى واحد فهذا اَدَلّ دليلٍ على انّ المراد بالكتاب فى الواقع هو الأنسان الكامل وظاهر الكتاب اشارةً الى حقيقة وجوده كما سَيَظهر لك انشاء الله تعالى وامّا قوله عليه السلام **اَوْ حُجَّةٍ لِأَزِمَّةٍ،** ليست الّا الامام كما شرحناه والحُجّة وان كانت ظاهرة فى الشّرع والدّين الّا انّ حقيقة الشّرع والدّين ايضاً ليست الّا المعرفة بوجود الامام فَظَهر صحّة ما قلنا من انّ مراده عليه السلام اثبات وجود الرّسول والامام وهو المطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: رُسُلٌ لاتُقَصِّرُ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاٰ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِن سٰابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَن بَعْدَهُ ،اَوْ غٰابِرٍ عَرَّفَهُ مَن قَبْلَهُ عَلٰى ذٰالِكَ نُسَلَتِ، الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْآبٰاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنٰاءُ.** متن...

والمَقصوُد انّ الرُّسل المَبعوُثين فى كلّ زمانٍ لاتضرّ بوظائفهم المُفَوّضة اليهم من جانب الله تعالى لأرشاد النّاس وهدايتهم وتبليغ احكام الدّين قِلّتهم وقلّة ناصريهم ولا كثرة المخالفين المُكذّبين لهم وذالك لانّ النّبى والرّسوُل مَامورٌ من جانب الله تعالى لأرشاد الخلائق وهو يَعصمُه من شَرّ الأشرار وكيد الفجّار كما قال الله تعالى فى حق النّبى يوم الغدير:

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

فانّا نَرى الانبياء عليهم السلام كلّ واحدٍ منهم بُعِثَ فى زمان كانت اعدائه كثيرة ومعاوثوه قليلة كما قال الله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] ومع ذالك لم تَضُرّ بدَعوتهم واداء وظيفتهم والقيام بحقوُقهم وهذا امر عام كلّىّ لااستثناء فيه بالنّسبة الى جميع الأنبياء فهذا آدم ابوالبشر اوّلهم مع انّ افراد زمانه اولاده لاغير وقتل قابيل هابيل عداوةً منه لآدم حيث انّه ظَنَّ او تَيَقّن بانَّ هابيل اَحَبّ الى ابيه منه فيمكن ان يكون هُو وصيّه فَفعل ما فَعَل، وهذا نوح نبّى الله بقى فى قومه ثلثمائة سَنَة يَدعوُهم إلى الله فلَم يُجيبوه فَهَمّ ان يَدعُوا عَليهم وكانوا يرمونه بالحِجارة واستّهزَواه، وسَخروا به الى ان دَعا عَليهم فَفَعل الله بهم ما فَعل واليه اشار بقوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ اَفَلاتَتَّقُونَ﴾[3]

إلى ان قَال الله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأنجَيناه، والَّذين مَعه فى الفُلك وَاَغرقنَا الّذينَ كَذَّبوا بآياتنا انّهم كانوا قوماً عَمين﴾ الى آخر الآيات، وهذا ادريس النّبى قبله حيث قال يا ربّ بَعثتنى الى جبّارٍ فَبلّغتُ رسالَتك وقَد توَعّدنى هذا الجبّار بالقَتل بل هو قاتلى إن ظَفَربى فاَوحى اليه ان تَنَّحِ عَنه واُخرج من قَريته وخَلّنِى وايّاه الى آخره...

وهذا هُودعليه السلام وقومه وهذا صالح وقومه وهكذا الأمر بالنّسبة الى ابراهيم ولوُط ويَعقوب ويوُسف ومُوسى وعيسىٰ الى ان وَصَل الامر الى نبيّنا صلى الله عليه وآله حتّى انّه صلى الله عليه وآله قال ما أوذى نبيٌّ بمثل ما اوذيتُ وسيأتى فى طِىّ مباحث الكتاب انشاء الله تعالى شرح احوالهم مع ابناء زمانهم حسب ما يقتضيه المقام.

وفى ذالك تنبيه على انّ المُؤمن فى طريق الحَقّ يجب ان يكون ثابتاً غير مُتزلزلٍ ولا يَعبأ بمَن يُخالفه فى الحَقّ وهذا رَمزٌ الى سرعة العمل والنّيل الى

---

١. المائدة / ٦٧.
٢. سبأ / ١٣.
٣. المؤمنون / ٢٣.

الهدف كما قال تعالى مخاطباً لسيد البَشَر: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[1]

وايضاً كلامه عليه السلام يُشعِرُ بانّ الأنبياء لأتقيّة لهم وهو كذالك فانّ التَقيّة تنافى الدّعوة الى الله كما قال الله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]

و ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3]

وقال الله تعالى عن نَبيّه: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[4]

و ﴿لاَتَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْاَعلىٰ﴾[5] وامثال ذالك وبهذا يظهر لك الفَرق بين الرّسوُل والأمام بالنَّظر الى التقيّد حيث انّها واجبة على الأمام والأمّة و ليست بواجبة على الرّسول والنّبى وسرّه انّ الرّسول صاحب الدّعوة والامام حافظها ومُروّجها فتَجب التَقية عليه وعلى الأمّة اذا لم توجب الكفر والخُروج عن الدّين كما سياتى ان شاء الله.

وامّا قوله عليه السلام من سابقٍ سَمّىٰ له من بعدَه الى آخره يعنى انّ السابق من الأنبياء قد اَخبَر لاحِقَه ولاحقه قد اخبر عن صدق سابقه وحقّاً نبّتِه وقد اشار الله تعالى اليهما فى كتابه الكريم.

امّا الاوّل فكما قال الله تعالى حكايةً عن المَسيح: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اِسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[6] حيث اَخبَر المَسيح عليه السلام عن نُبوّة نبيّنا مُصرّحا بأسمه وهذا يدلّ على حقّانيّتِه فى نُبوّته، والِى الثّانى فكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[7] حيث انّ الله تعالى صَدّق نبوّة انبياء السَّلف وكُلّما جاوابه. ولا شك انّ تصديق الله هو تصديق الرّسول وغَرَضه عليه السلام من ايراد تلك الجملة الاشعار بانّ الانبياء وان كانوا كثيرين بالنَّظر الى عَددهم الّا انّهم من حيث المقصد والغاية واحد لاتكثّر فيهم وذالك لانّ غرض الكُلّ الدَّعوة الى الله تعالى ولاجل ذالك وَرَد انّ من اَنكَر واحداً منهم كَمَن اَنكرهم

---

١. هود / ١١٢.
٢. البقرة / ١١١.
٣. المائدة / ٦٧.
٤. التوبة / ٤٠.
٥. طه / ٦٨.
٦. الصّف / ٦.
٧. البقرة / ٤.

جميعاً ولولا اتّحادهم من حيث الغَرَض والمَقصد لما كان كذالك...

▫ قوله عليه السلام: **عَلىٰ ذٰالِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورِ وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ متن**. اى على هذه القاعدة والنّمَط الّذى شَرحناه وفصّلناه مِن إصطفاء الله سُبحانه من وُلد آدم أنبيائه وتَواترهم الى آخر ما قال عليه السلام الى هذا المقام قد انفَصَل قرنٌ عن قرنٍ، اى امّة عن امّة فانّ القَرن القوم قال الله تعالى ولقد اهلكنا القُرون مِن قَبلكم اى الأقوام والأمَم والغَرض انّ انفصال امّة عن امّةٍ انّما هو بنَبيّها، وهو كناية عن مُضيّها ومُضىّ الزّمان وعلى ذالك مَضَت الاباء وخَلفَت الأبناء وفى الكلّ اشعارٌ بانّ مضىّ الزمان كان على هذه الوُتيرة والأُسلوب والنّظام...

ومنها: الجهة السادسة

▫ قوله عليه السلام: **إِلىٰ أَن بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَإِتْمَامَ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ ،كَرِيماً مِّيلاٰدُهُ ،وَأَهْلُ الْاَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِّلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَاَهْوَاءٌ مُّنتَشِرَةٌ ،وَطَرَائِقُ مُتِشِتِّةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ ،اَوْ مُلْحِدٍ فِى اسْمِهِ، اَوْ مُشِيرٍ اِلىٰ غَيْرِهِ، فَهَدٰاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاٰلَةِ، وَاَنقَذَهُمْ بِمَكٰانِهِ مِنَ الْجَهٰالَةِ ـ متن:**

◁ اللّغة

(**الأِنْجاز**) مصدر اَنجَز الشَيئى قَضىٰ به فالأنجاز لِلشّيى قضاوئه (**لِعِدَتِهِ**) الوَعد، (**السمّة**) العَلامة، (**مِيلاٰدُهُ**) الميلاد محلّ الولادة من الزّمان والمكان، (**والمُلْحِدِ**) هو العادل عن طريق الحقّ، (**الاِنْقاذ**)، النّجاة، من الوَرطَة وخلاصه.

◁ المعنى

ثُمّ بَعد شَرح ما مضى مِن خلقِ السّموات والملائكة وكيفيّة خلق آدم واصطفائه عن وُلده انبياء شَرَع فى كَيفية بعثه النّبى صلى الله عليه وآله وميلاده وسائر ما وقع فى زمانه فقال عليه السلام: **بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدٍ** لِوَعدِه جَلَّ جلاله واتماماً لنبوّته صلى الله عليه وآله

والحال انّه قد اَخَذ من الأنبياء ميثاقه بان يُصدّقوه على النُّبوة وعلامات النبوّة ايضاً فيه موجودة فهوﷺ **كَرِيماً مِيلادُهُ** لانّه وُلِد بمكة المُكرّمة فى بيت الشَّرَف والكرم وهو بيت هاشم واهل الأرض حين بَعَثه كانُوا مِلَلا مُتَفرقةً من يهودٍ او نصارى او مَجوُس او غيرها فطائفة مِن النّاس كانت من المُشبِّهين وطائفةٌ من المُلحِدين فَهداهم النّبىﷺ من الضَّلالة ونَجّاهم من ظُلُمات الجَهل والغَواية...

اقول: فى هذا الفَقَرات من الخطبة اشارعليه السلام الى جهات عديدة وقبل الشُّروع فيها لابُدَّ لنا من اثبات النُّبوة الخَاصّة وقبل الخوض فيها نشير الى بعض ما لابدّ منه فى المقام من باب المُقدّمة فنقول:

النُّبوّة مُشتقٌّ من النَّباء وهُو الخَبر، يقال اَنبأته به اى اَخبَرته، قال الله تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسائَلُونَ عَنِ النَّبَاءِ الْعَظِيمِ**﴾[1] وهو نَبَاء يوم القيمة، والبَعث وقيل امر الرّسالة وعَلى ايّ حال معناه الخَبر العَظيم ومثله ﴿**قُلْ هُوَ نَبَوءٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾[2] والنَّبى هو الانسان المُخبَر عن الله تعالى بغير واسطة بشرٍ سواء كانت له شريعة كمحمدٍﷺ او لَيسَت له شريعة كيَحيى وزكريّا وادريس وهوُد وصالح واَمثالهم.

فالنّبىّ اِمّا مأخوذٌ من الاِنباء وهو الاِخبار عنه تعالى بمعنى انّه سمّى به لانّه المخْبر ففعيل بمعنى مفعل، وامّا ماخوذ من النُّبوّة والنَّباوة لِما ارتَفَع من الارض والمعنى انّه ارتَفَع وشَرّف على سائر الخلق فاصله غير الهَمزة وكلا المعنيين يصدقان على النَّبى فانّه مُخبِر عنه تعالى واَعلَى واَشرَف من جميع المخلوقات، والرّسول ايضاً مخبرٌ عنه تعالى الّا انّه يفترق عن النّبى بامور:

الاوّل: انّ الرّسُول مأخوذٌ من الرّسالة وهى مصدر رسل الشيئى رُسلاً ورسالةً واَصل الرُّسل الأنبعاث على التُّودة يقال ناقةٌ رسلَة، اى سَهلة السَّير ومنه اَلرّسول المُنبَعث وتُصوّر منه تارةً الرِّفق فقيل على رسلك اذ اَمرّته

---

١. النّباء / ١.

٢. ص / ٦٨-٦٧.

بالرِّفق، وتارةً الأنبعاث فاَشتَقّ منه اَلرَّسوُل واَلرَّسول تارة يقال للقولَ المتّحمل كقول الشاعر:

الا اَبلغ اَبا حَفضٍ رسوُلاً

وتارةً لمتحمَل القول والرِّسالة، والرَّسوُل يقال للواحد والجَمع، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[1]

و ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[2]

قال الشاعر:

اَلكِنى وخَير الرَّسول اَعلَمهُم بنواحِى الخَبَر

وجمع اَلرَّسول، رُسُل ورُسُل الله تارةً يراد بها المَلائكة وتارةً الأنبياء فَمَن الأوَّل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[3]

و ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيكَ﴾[4]

و ﴿وَّ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سيءَ بِهِمْ﴾[5]

و ﴿وَّلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرىٰ﴾[6]

وغير ذالك من الايات الَّتى أُريد بالرَّسوُل المَلَك بلاخلاف

ومن الثّانى

﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ﴾[7]

و ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[8]

و ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً﴾[9]

والإرسال لايختصّ بالله تعالى بل قد يطلق على غيره كقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿أَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ﴾[10] وقد يكون منه تعالى من دون بَشَرٍ

---

١. التوبة / ١٢٨.
٢. الشعراء / ١٦.
٣. الحاقة / ٤٠.
٤. هود / ٨١.
٥. هود / ٧٧.
٦. العنكبوت / ٣١.
٧. آل عمران / ١٤٤.
٨. المائدة / ٦٧.
٩. المؤمنون / ٥١.
١٠. الاعراف / ١١١.

ومَلَكٍ كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَاراً﴾[1]

و ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾[2] هـذا هـو الفـرق بينهما بحسب اللّغة وموارد ألاستعمال وامّا بحسب ألاصطلاح فالرسول يفترق عن النّبى بامور:

الاوّل: انّ الرّسول هو المُخبِر عن الله بغير واسطةٍ اَحَدٍ من البَشَر والنّبى يَرى فى منامه ويَسمَع اَلصّوتَ ولا يرى المَلَك والرّسول يرى فى منامه ويَسمَع الصّوت ويُعاين المَلَك والاّ فمِن حيث الأخبار عنه تعالى بدون واسطةِ البَشَر هما سيّان.

الثّانى: انّ الرّسول لابدّ من ان تكون له شريعة امّا مُبتدِئة كآدم ابوُ البَشَر او ناسخة كمُحمّدٍ ﷺ والنّبى ليسَت له شريعة الثّالث: ان الرّسول قد يكون من الملائكة وقد يكون من الأنسان والنّبى لايكون الاّ من البَشَر فعلى هـذا كـلّ رسولٍ فهو نبىّ وليس كلّ نَبِىٍّ رسولٌ هذا...

اذا عرفت ما تَلوناه عَليك من الفرق بين الرّسول والنّبى فلنرجع الى ما نحن بصدده من اثبات النّبوة الخاصة اعنى نبوّة نبيّنا محمّد ﷺ على كافّة الخَلق ورسالته على عامّة الموجودات والاستدلال عليها بالعقل والنـقل امّـا العـقل فمن وجوه:

الاوّل: انّه ﷺ اَدّعى النُبوّة واَتَى بالمُعجزات على اثبات مدّعاه، وكلّ من اَدّعىٰ النُبوّة واَثبَتها بالمُعجزة فهو صادق فى دعواه فهو عليه السلام صادق فى دعواه وهو المطلوب...

امّا الصغرى: اعنى ادعائه النّبوة فهو متواتر لاشَكَّ فيه وامّا اتيانه المعجزات فهو ايضاً ثابت ومُعجزاته على قِسمين: الاوّل المُعجزة الباقية

الثانى: غير باقيّةٍ، امّا المُعجزة الباقيّة فالقرآن الكريم الّذى بين اَيـدينا الان وهو اكبَرَ المُعجزات واظهَرَ الايات البيّنات الدّالات على نبوّة نبيّنا ﷺ وقد

---

١. الانعام / ٦.

٢. مريم / ٨٣.

اَختَلفوّا فی وجه اعجازه علی اقوال کثیرة بعد ما اتفقوا علی انّ القرآن دلیل علی نُبوّته ﷺ وشاهد صدقٍ علی رسالته فالمُتکلّمون من المسلمین ذکروا فی وجوه إعجازه سبعة:

الاوّل: ماختاره السیّد المرتضی قده وهو انّ وجه الاعجاز فی القرآن انّ الله صَرفَ العَرب عن معارضته وسَلبَهم العِلم بکیفیّة نَظمه وفصاحته، ولولا هذا الصَّرف لکانوا قادرین علی المعارضة ومُتمکّنین منها.

الثانی: ما اختاره المُفید قده وهو کونه مُعجزاً من حیث انّ مرتبة فصاحته خارقة للعادة.

الثّالث: انّ معانی القرآن صَحیحة مُستمرّة علی النّظر وموافقة للعقل وهذا الوجه ممّا اختاره بعض آخر.

الرّابع: انّ اعجازه من حیث زوال الاختلال والتّناقض عنه علی وجهٍ لَم یَجر العادة بمثله.

الخامس: انّ اعجازه من حیث اشتمالِه علی المَغیبات.

السّادس: انّ اعجازه لأجل کونه مشتملاً علی النَّظم المخصوص مخالفاً للمَعهوُد.

السّابع: ما ذهب الیه اکثر المعتزلة وهو انّ تالیف القرآن ونَظمه مُعجزٌ لالانّ الله اَعجَز عنهما بمنع خَلقَه فی العباد وقد کان یجوز ان یرتفع ویقدر علیه لکن محال وقُوعه منهم کاستحاله احداث الاجسام والألوان وإبراء الأَکمَه والأَبرَص من غیر دواءٍ وقد استدل کلّ واحدٍ منهم علی اثبات مدّعاه بما ذکر فی محلّه ولا احتیاج لنا فعلاً فی ذکره، وانّما الغَرَض بیان انّ القرآن معجز وهو ثابت کما عرفت وکفی فی کونه مُعجزاً فی وصف القرآن ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[1] وهذا اَدَّل دلیلٍ علی اعجازه فانّ المُعجزة عبارة عن الأتیان بشیئٍ لایقدر احدٌ

---

۱. الاسراء / ۸۸.

على معارضته مع تَوَفُّر الدّواعى والقرآن كذالك فهو معجزة فمن أنكر هذا فليأت بمثله بل بمثل آيةٍ من آياته وهو ظاهر، وامّا ما قلنا مع تَوَفّر الدّواعى على معارضته بمثله فهو امر ثابت عند من راجع التّواريخ والروايات لانّ بعض المنافقين والكفّار فى صدر الاسلام قد تصدّو للمعارضة لكسر دعوى النّبى صلى الله عليه وآله ونذكر منها رواية رواها المجلسى فى المجلد السادس من بحار الانوار ط كمپانى فى صفحة ٢٥٤ روى انّ ابن العَوجاء وثلثة نفر من اليهود (من الدّهرية) اتّفقوا على ان يعارضَ كلّ واحد منهم ربع القرآن وكانوا بمكة عاهدوا على ان يجيئوا بمعارضه فى العام القابل فلمّا حالَ الحَول واَجتمعوُا مقام ابرايهم قال احدهم:

إنّى لمّا رايت قوله وقيل يا أرض ابلعِى ماءَكِ ويا سماءُ أقلعى وغِيضَ الماء كَفَفتُ عن المعارضة، وقال الاخر وكذا أنا فَلمّا وجدت قوله فلمّا استيأسوُ منه خَلَصوُا نَجيّاً آيست من المعارضة وكانوا يسرّون بذالك، اذ مَرَّ عليهم الصادق عليه السلام فالتَفَت إليهم وقَرءَ عَليهم ﴿قل لئن اجتَمَعت الأنس والجِنّ الايه﴾.

واما المعجزات الغير الباقية فكثيرة نذكر شطراً منها وسنذكر شطراً آخر منها فى شرع قوله عليه السلام مشهورة سماته، فمنها: ماروى ابوهريرة وانس انّ النّبى أخذ كفّاً من الحصاً فَسَبّحن فى يَده ثم صبَّهَن فى يد علىٍ فَسَبحّن فى يَده حتّى سَمِعَت التَّسبيح فى أيديهما ثمّ صَبَهَّن فى ايدينا فما سَبحت.[1]

ومنها: انشقاق القَمَر كما أخبَر الله تعالى به فى كتابه حيث قال:

﴿اِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[2].

وامّا الكبرى: وهو قولنا كلّ مَن ادّعىٰ واثبَتَها بالمُعجزة فهو صادق فلا كلام لأحدٍ فيه الثّانى: انه صلى الله عليه وآله اتى لنا باحكام وقوانين مُتقَنة من العبادات والسّياسات والمعاملات والأخلاقيّات وغيرها وانّها مع طول الزمان مطابقة لكلّ عقلٍ سليمٍ وذوقٍ مستقيمٍ لايَتطَّرق اليها خِلَل ولا فساد ولا دُثُور ولا

---

١. بحارالانوار، ج ٦، ص ٢٩٥، ط كمپانى.
٢. القمر / ١.

اضمحلال مع انّه ﷺ كان اُمياً لايقرء ولا يكتُب وهذا دليل على انّه مبعوث من قبل الله تعالى... الثّالث: انّه ﷺ مع كونه اُمياً كان امره فى الفِصاحة والبلاغة الى حدّ لايمكن للبَشَر معارضته فانّ كلامه ﷺ فوق كلام البشر وتحت كلام الخالق ومن ذاق من كأس الفصاحة جُرعة يعلم بانّ الفرق بين كلامه ﷺ وكلام علىٍ هو الفرق بين كلامه وكلام خالقه مع انّ فصاحة علىٍ ممّا يُضرَب به الأمثال وهذا دليل على كونه انساناً مَلكوتياً غير سائر الافراد بل اَقرَب الموجودات اليه تعالى وكفى فى شأنه ما قال على فى حقّه انا عبدٌ من عَبيد محمّدٍ، والدّلائل فيها كثيرة عقلاً الّا انّ فيما ذكرناه كفاية فى المقام، وامّا الدّلائل النّقلية فسيأتى فى شَرح قوله عليه السلام مشهورة سمائه ولعلّه نذكر بعض الادلّة العَقليّة الاخرى هناك فلنَرجع الى شرح جملات الخطئة.

▫ **قوله عليه السلام**: الى **اَن بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً** ﷺ: وفى هذه الجملة اشار عليه السلام الى بعثة النَبى ﷺ

قال الله تعالى: **﴿إنّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً، وَمُبَشّراً وَّنَذيراً ،وَّداعِياً إلىَ اللهِ بِإذْنِهِ وَسِراجاًمُّنيراً﴾**[1]

و **﴿كَمَا اَرْسَلْنَا فيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ اٰياتِنَا وَ يُزَكّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾**[2]

و **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ اِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰياتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُّبينٍ﴾**[3]

و **﴿هُوَ الَّذى اَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدىٰ وَ دينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[4]

و **﴿اُدْعُ اِلىٰ سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجادِلْهُم بِالَّتى هِىَ أَحْسَنُ﴾**[5]

---

١. الاحزاب / ٤٦-٤٥.
٢. البقرة / ١٥١.
٣. آل عمران / ١٦٤.
٤. التوبة / ٢٣.
٥. النحل / ١٢٥.

و ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]

و ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[2]

والآيات الوارده فى البعثة كثيرة. وامّا زمان بعثته ﷺ فقد اختُلِف فيه بين المُورّخين والرّوايات فيه ايضاً مختلفة والمشهور عند الخاصّة انّه ﷺ بُعِثَ فى يوم سبعة وعشرين من شهر رجب المُرَجب والعامّة اختلفوا فى زمان بعثته على خمسة اقوال:

الاوّل: سبع عشرة خَلَت من شهر رمضان **الثانى:** لثمان عشره خَلَت من شهر رمضان **الثّالث:** لاربع وعشرين خَلَت من شهر رمضان. **الرّابع:** للثانى عشر من ربيع الاوّل **الخامس:** سبع وعشرين من رجبَ وعلى الاخير اتّفاق الاماميّة، وامّا كيفية بعثته ﷺ ومَبلَغ عمره وسائر ما يلحق بها، اَتّفقوا على انّه ﷺ بُعِث وله اربعوُن سنة ونذكر روايـة فيها كيفيّة بَعثه ﷺ وعُمره حين البَعثة.

قب ـ على ابن ابراهيم ابن هاشم القمى فى كتابه انّ النّبى ﷺ لمّا اَتىٰ له سَبع وثلثون سنة كان يرى فى نَومه كان آتيا اتاه فيقول: يا رسول الله فيُنكر ذالك فلَمّا طَال عليه الأمر كان يوماً بين الجبال يَرعى غنماً لأبى طالب فَنَظر الى شخصٍ يقول يا رسُول الله فقال له من انت؟ فقال: انا جبرئيل اَرسَلنى الله اليك لِيتّخِذك رسُولاً فاَخبَر النبى ﷺ خَديجة بذالك فقالت يا محمّد ارجوُا ان يكون كذالك فنَزَل عليه جبرئيل وانزل اليه ماءً من السَّماء وعَلَّمه الوُضوء والرُّكوع والسُّجود فلَمّا تَمَّ له اربعون سنة عَلَّمه حُدود الصّلوة ولَم يَنزل عليه اوقاتها فكان يُصلّى رَكعَتَين رَكعَتين فى كلّ وقتٍ ابو مَيسرة وبَريدة، انّ النَّبى كان اذا انطَلَق بارزاً اَسمَع صوتاً يا محمّد فيأتى خديجة فيقول يا خديجة قد خشيت ان يكون خالَطَ عقلى شيئى إنّى اذا خَلَوتُ اَسمَع صوتاً وارى نوراً.

---

١. الرّعد / ٧.

٢. الاحزاب / ٤٥.

محمّد ابن كعب وعايشة اوّل ما بَدَء به رسوُل الله من الوَحى الرّؤيا الصّادقة وكان يَرى الرُّؤيا فتأتيه مثل فَلَق الصُّبح ثم حَبَّب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حَراء فيَتمع نداءً يا مُحمّد فَغَشَى عَليه فلمّا كان اليوم الثّانى سمع مثله نداءً فرَجع الَى خديجة فقال زَملُّونى زَملُّونى فوالله لقد خشيتُ على عقلى فقالت: كلّا والله لايخزيك الله ابداً، انّك لَتصلُ الرَّحِم وتحمل الكل وتكسب العُدم وتقرى الضّيف وتُعين على نوائب الحقّ، فانطلقت خديجة حتّى اَتَت وَرَقة ابن نَوفل فقال وَرَقة هذا والله النّاموس اُنزل علي موُسى عيسى وانّى ارفى المَنام ثلث ليال انَّ الله اَرسَل فى مكة رسولا اسمَه محمّد وقد قَرُبَ وقته ولَستُ اَرىٰ فى النّاس رجلاً اَفضَل منه، فخرج الى حراء فرآى كُرسيّاً من ياقوتة حَمراء مرقاة من لؤلؤ فَلمّا رأى ذالك غَشِيَ عَليه، فقال ورقة يا خديجة فاذا اتته الحالة فاكشفى عن رأسك فان خَرَج فهو مَلَك وان بقى فهو شيطان، فَنَزَعت خمارها فخرج الجائى فلمّا اَختمرت عاد فسئله وَرَقة عن صفة الجائى فلَمّا حكاه قام وقَبل رأسه وقال ذاك النّاموس الأكبَر الَّذى اُنزِل على موسى وعيسى ثمّ قال ابشر فانك اَنت النَّبى الّذى بشّر به موسى وعيسى وانّك نبىّ مرسل سَتؤمر بِالجهاد وتَوَجّه نحوها وانشاء يقول:

فَإن يَكُ حقّاً يا خديجة فاعلمى ... حَديثك اِيّانا فأحمُد مُرسَلُ
وجبريل يأتيهِ ومِيكال مُعهُما ... مِنَ اللهِ وَحىٌ يَشرَع الصَّدر مُنزَلُ
يَفوُزُ به من فازَ عِزُّ لدينه ... ويشقى به الغاوِى الشَّقِى المُظَلّل
فريقان منه فرقةٌ فى جنابه ... واخرى بأغلال الجحيم تُغَلّل

ومن قصيدة له:

يا لَلرّجال تصرف الدَّهر والقَدَر ... وَما لشيئٍ قضاهُ الله من غَير
حتّى خديجة تدعونى لأخبِرها ... وَمَا لَنا بخفّي العِلم من خَبَرٍ
فَخَبّرتَنى بأمرٍ قد سمعتُ بِه ... فيما مضىٰ من قديم النّاس والعَصر
بانّ احمد ياتيه فيخبره ... جِبريل اِنّك مَبعوُث الى البَشَر

وايضاً من قصيدة له:

فَـــخبّرنا عـــن كـــلّ خـــيرٍ بـعِلمه ولِـــلحَقّ ابـــواب لَـــهُنَّ مـــفاتح
وانّ ابـــن عـبدالله اَحـمَدُ مُـرسَل الى كـلّ مـن نَـعمَت عـليه الأبـاطح
وَظـنّي بـه اَن سَـوف يُـبعَث صـادقاً كـما ارسُـل العَبدان نـوحُ وصـالحُ
ومـوسى وابـراهـيم حـتّى يُـرى له بـهاءُ ومَـنشورُ مِـن الذِّكـر واضحُ

وروى انّه نَزَل جبرئيل على جيادٍ اَصفَر والنَبّي بَينِ عليّ، وجَعفَر فَجَلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجلَيه ولَم يُنَبّهاه اعظاماً له فقال ميكائيل الى ايّهم بُعثت قال الى الأوسَط فلَمّا اَنبَته اَدّى اليه جبرئيل الرسالة، عن الله تعالى فَلَمّا نَهَض جبرئيل لَيقوُم اَخَذ رسُول الله بثَوبه ثم قال ما اسمُك قال جبرئيل ثمّ نَهَض النَّبى لِيَلحَق بقومه فما مَرَّ بشجرة ولا مَدرَةٍ الّا سَلَّمت عليه وهَنَّأته ثم كان جبرئيل يأتيه ولا يدنوُ منه الّا بعدان يستأذن عليه فاتاه يَوماً وهُوباً على مكّة فَغَمر بِعَقَبه بناحية الوادى فانفَجَر عينٌ فَتَوَّضا جبرئيل وتَطَّهر الرّسول ثمّ صَلّى الظُّهر وهو اَوَّل صلوةٍ فَرضَها الله، وصَلّى اميرالمؤمنين عليه السلام مع النّبى ورجع رسول الله من يومه الى خديجة فاخبرها فتَوَّضات وصَلَّت صلوة العَصر من ذالك اليوم...

وروى انّ جبرئيل اَخرَج قطعةً ديباجٍ فيها اِقرَء قلتُ كيف اَقَر ولَستُ بقارءٍ الى ثلث مرّاتٍ فقال لى فى المرّة الرابعةً اِقرَء **﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الى قوله ما لَمْ يَعْلَمْ﴾**[1]...[2].

وروى فيها ايضاً انّه قَرَن اسرافيل رسُول الله ثلث سنين يَسمَع الصَّوت ولا يرى شيئاً ثمّ قَرَن به جبرئيل عشرين سنة وذالك حيث اوحى اليه فاقام بمكة عشر سنة ثم هاجَر الى المدينة فاقام بها عشر سنة، وقبض وهو ابن ثلث وستين سنة.)[3]

---

١. علق / ٥ - ١.
٢. بحارالانوار، ج ٦، ص ٣٥٣، ط كمپانى.
٣. بحارالانوار، ج ٦، ص ٢٦٣، ط كمپانى.

اقول: ويظهر من هذه الرّواية انّ مُدة عمره ﷺ بعد البعثه ثلث وعشرين سنين قرن اسرافيل به وعشرون سنين قرن جبرائيل به والرّواية السابقة دَلّت على انّ مدّة رسالته جمعاً ستّة وعشرين سنة وثلاث سنة قبل بلوغه الى اربعين وثلث وعشرين سنة بعد الأربعين فاقام ثلثة عَشَر سَنَة بمكّة وعشر سنة بمدينة وهو الاَشهَر وعلى كلّ حال لاخلاف بينهم فى اصل البِعثة وانّه بلغ من عمره اربعين سنة والمُدّة التى قرن اسرافيل به قبل الاربعين او سَمع صَوته لم يَحسِبوُها ولذالك ترى اتفاقهم على انّ مدّة بَعثه ثلث وعشرين سنة والله اعلم بحاله.

وروى انّ النُبوّة نَزَلت على رسول الله ﷺ يوم الاثنين واسلَمَ على يوم الثلثا ثمّ اَسلَمت خَديجة بنت خوُيلد زوجة النّبى ثم دخل ابوطالب على النّبى ﷺ وهو يُصلّى وعلىٌ بجنبَه وكان مع ابيطالب جعفر، فقال له ابوطالب صلِّ جناح ابن عَمّك، فَوَقف جعفر على يسارِ رسول الله فَبَدر رسول الله من بينهما فكان يُصلّى رسولٌ وعلّىٌ وجَعفَر وزَيد ابن حارثة وخديجة وساق الحديث الى ان قال:

فَخَرج رسول الله فقام على الحِجر فقال: يا مَعشَر قُريش يا مَعشر العرب اَدعوُكم الى شهادة اَن لااله‌الّاالله وانّى رسول الله وامركم يَخلع الأنداد والأصنام فأجيبُونى تَملِكوُن بها العَرَب وتَدين لكم العَجَم وتكونون مُلوكاً فى الجَنّة فاستهزوا منه وقالوا جَنَّ محمّد ابن عبدالله ولم يحيرو عليه لموضع ابى طالب فاجتَمَعت قريش على ابيطالب فقالوا يا اباطالب انّ ابن اخيك قدسَفه اَحلامنا وسَبَّ الهتنا واَفسدَ شُبابنا وفَرَّق جماعتنا فان كان يحمله على ذالك الغُزم جَمَعنا له مالاً فيكون اكثر قريشٍ مالاً ونُزوّجه ايّة امرَئةٍ شاء من قريش فقال له ابوطالب ما هذا يابن اخ فقال: يا عمّ هذا دين الله الّذى ارتضاه لأنبيائه ورُسله بَعَثَنى الله رسولاً لِلناس فقال يابن اخ اِنَّ قومَك قد اَتونى ويَسئلونى اِن اَسئَلك اَن تُكَفّ عنهم، فقال يا عمّ لااَستطيع ان اخالف امرَ ربّى فكَفَّ عنه ابوطالب ثم

اَجتَمعوا الى ابيطالب فقالوا اَنت سيّدٌ من ساداتنا فادفَع اِلينا محمداً نقتلُه وتَملك علينا فقال ابوطالب قصيدة طويله ويقول فيها:

ولمّا رايتُ القوم لاوَدَ بَينَهم وقَد قَطَعوُا كلّ العرى والوسائل
كَذبتُم وبَيت الله نبرَأ مُحمداً ﷺ ولَمّا نُطاعن دونَه وتفاضل
ونُسلِمه حَتّى نصّرع حَوله ونَذهَل عن ابنائنا والحلائل

▫ **قوله عليه السلام: لِإِنْجازِ عِدَتِهِ، وَاِتْمامَ نُبُوَّتِهِ،** : والمعنى انّ الله تعالى اَرسله انجازاً لِوعدٍ وَعدَه واتماماً لنبُوّته ﷺ وفي هذه الجملة اشار الى اصلين: الاصل الاوّل: انّ رسالته ﷺ كانت مَسبُوقة بوَعدِالله تبارك وتعالى والثّاني: انّه خاتم النّبيين ولا نبيّ بعده، فالاوّل اشارة الى انّ الله تعالى قد اخبر بنبوّته الانبياء السَلفّ ووَعدَهم بها والروايات والآثار تدلّ عليه،

قال الله تعالى: **﴿اَلَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْريٰةِ وَ الْإِنْجيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْروفِ وَيَنْهٰهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**[1]

و **﴿رَبَّنا وَابْعَثْ فيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكّيهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ﴾**[2].

و **﴿وَلَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرينَ﴾**[3].

و **﴿وَلَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَريقٌ مِنَ الَّذينَ اُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَاَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**[4].

فهذه الآيات تدل على ان نبوته ﷺ كانت مسبوقة بوعدٍ وعَهدٍ من الله الى انبياء السَّلَف وهم أَخبَروا بها اُمَمهم ولذالك كثير من احبار اليهود وعلماء النَّصارى كانوا ينتظرون بعثته وآمنوا به.

---

١. الاعراف / ١٥٧.
٢. البقرة / ١٢٩.
٣. البقرة / ٨٩.
٤. البقرة / ١٠١.

فمنها: ما روى عن ابيطالب قال خَرَجت الى الشّام تاجراً سنة ثمان من مَولد رسُول الله ﷺ وكان فى اَشَدّ ما يكون من الحَرّ فلمّا اَجتَمعتُ على المَسير قال لِى رجال قَومى ما تريد ان تَفعَل بمُحمَدٍ وعَلى مَن تُخلفه فقلت لااريدان اُخلّفه على احدٍ يكون معى، فقيل صغير فِى حَرّ قبل هذا تخرجه مَعك، فقلت والله لايفارقنى حيث توَجّهتُ اَبداً وانّى لأوطىء له الرّجل فذَهَبت فخَشوت له خشية وكنّا ركباناً كثيراً فكان والله البَعير الّذى عَلَيه مُحمّد امامى لايفارقنى وكان يسبق الرّكب كلّهم وكان اذا اَشتَد الحَرّ جاءت سَحابة بَيضاء مثل قطعة ثلجٍ فَتَسلم عليه وتقف على رأسه نَزَلنا تمتلى الخياض ويكثر الماء وتخفر الأرض وكنّا فى كلّ حصب وطيّب من الخير وكان فينا قوم قد وَقَفت جمالهم فمشى اليها رسول الله ومَسَح عليها وسارت فلمّا قَرُبنا من بُصرىٰ اذا نحن بصومعةٍ قد اَقبلت تمشى كما تَمشى الدّابة السَّريعة حتّى اذا قَربت منّا وقَفت فاذا فيها راهب، وكانت السَّحابة لاتفارِق رسول الله ساعةً واحدةً وكان الرّاهب لايكلّم النّاس ولا يدرى ما الرَّكب وما فيه من التّجار فلما نَظَر الى النّبى عرفه فسمعتُه يقول ان كان اَحد فانتَ انتَ فَنزلنَا تحتَ شجرةٍ عظيمةٍ قريبةٍ من الرّاهب قليلة الأغصان لَيس لها حمل وكان الرّكب يَنزل تحتها فلمّا نزلها رسول الله اَهتزّت الشَّجرة والقَت اَغصانها على رسول الله وحَملت من ثلثة اَنواعٍ من الفاكهة فاكهتان لِلّضيف وفاكهةٌ للشَّتاء فتعجَّبَ جميع مَن مَعنا من ذالك فَلمَّا رأى بُحَيراء الرّاهب ذَهَب فاتَّخذ طعاماً لرسول الله بقدر ما يَكفيه ثم جاء وقال من يَتوَّلى امر هذا الغلام فقلت: انا فقال ايّ شيئٍ تكون منه؟ فقلت: عَمُّه فقال: يا هذا انّ له اعماماً، فايّ الأعمام أنتَ، فقلت انا اخو ابيه من امّ واحدةٍ، فقال اشهد انّه هو، والّا فَلَستُ بُحَيراء.

ثم قال: يا هذا اَتَاذَن لى ان اَقرَب هذا الطّعام منه ليأكله فقلت له قَرّبه اليه فالتَفت الى النَّبى فقلت له يا بُنَىَّ رَجُل اَحَبّ ان يُكرمك فَكُلُّ فقال هو لى دون اصحابى فقال بُحَيراء نعم هو لَكَ خاصّة فقال النّبى انّى لاآكل دونَ هوالاءِ

فقال بُحَيراء انّه لم يكن عندى اكثر من هذا فقال اَفتَأذن يا بُحيراء اَن يأكلوا مَعى، فقال نعم، فقال: بسم الله، فاَكَل واَكلنَا مَعه فوالله لقد كُنّا مائة وسبعينِ رجلاً واكل كلّ واحدٍ حتّى شَبَع، وبُحيراء قائم على رأس رسوُل الله ويَذُّب عَنه ويَتعجَّب من كثرة الرّجال وقِلَّةِ الطّعام وفى كلّ ساعةٍ يقّبل رأسه ويقول هو هو وربّ المَسيح، والنّاس لايَفقَهوُن، فقال رجل من الرّكب انّ لك لشاناً وقد كنّا نَمُرّ بك قَبل اليوم فلا تفعل بنا هذا البرّ فقال بُحَيرا والله انَّ لى لِشاناً وشاناً وانّى لأرى مالا تَرون واَعلَم مالاَ تعلَموُن وانّ تحت هذه الشَّجرة لغلاماً لو كنتم تعلمون منه ما اَعلمُ لَحَملتموُه على اعناقكم حتّى تَردُّوه الى وَطنَه والله ما اَكرَمتُكم اِلّا لَه ولَقد رايتُه وقد اَقبَل نورٌ من اَمامِه ما بَين السَماء والارض ولقد رايتُ رَجالاً فى اَيديهم مراوح الياقوت والزَّبَرجد يُرّوحونه وآخرين يُنشرون عَليه انواع الفواكه ثمّ هذه السّحابة لاتفارقه وصومعتى مَشَت اليه كما تَمشَى الدَابّة على رجلها.

ثمّ هذه الشَّجرة لَم تَزَل يابسة قليلة الأغصان وقد كثرت اغصائها واَهتزَّت وحَمَلت ثلثة انواعٍ من الفواكه فاكهتان لِلّصيف وفاكهة لِلشّتاء ثُمّ هذه الحياض الّتى غارت وذَهَب ماءَها ايّام تمرج بنى اسرائيل بعد الحَواريين حَين وَردَوا عَليهم فوَجَدنا فى كتاب شَمعوُن اَلصّفا، انّه دَعا عليهم وغَارَت وذَهَب ماءَها ثمّ قال متى ما قَد رأيتُم قد ظَهَر فى هذه الحياض الماء فاعلَموُا انّه لاجل نبىٌّ يخرج من ارض تهامة مهاجرة الى المَدينة اسمه فى قومه الاَمين وفى السَماء اَحمَد وهو من عترة اسماعيل ابن ابراهيم لصُلبه فوالله انّه لهُو هُو.

ثمّ قال بُحَيراء يا غلام اَسئلَك عن ثلث خصالٍ بحق اللّات والعزّى الّا ما اخبرينها فغَضب رسول الله عند ذكر اللّات والعُزّى وقال ﷺ لاتسئلنى بهما فوالله ما اَبغَضتُ شيئاً كبغضُهما انّهما صَنَمان من حجارة لقومى فقال بُحَيراء هذه واحدة، ثم قال فبا الله الّا ما اَخبَرتَنى، فقال سَل عَمّا بَدالك فانّك قد

سَئَلتَنى بآلهى وآلهك الّذى ليس كمثله شيئى فقال أسئلك عن نُومك ويَقظتك فاَخبَره عن نَومه ويَقظتَه واُموره وجميع شأنه فَوافَقَ ذالك ما عند بُحَيراء من صفته الّتى عنده فَاكَبَ عَليه بُحَيراء يُقبّل رَجلَيه ويقول يا بُنىّ ما اَطيَب ريحُك يا اَكثَر النَبيّين اتباعاً يا مَن بهاء نور الدّنيا من نوُره يا مَن بذكره تَعمُر المساجد كاَنَّنى بك وتَبعِك العَرب والعَجم طَوعاً وكرهاً وكاَنَّنى باللّات والعُزّى وقد كَسرتهما وقد صار البَيت العَتيق لايَملكه غيرك تَضَع مفاتيحه حيثُ تُريدَكم مِن بَطَلٍ من قريشٍ وعَربٍ تَصرعه مَعَك مفاتيح الجِنان والنّيران مَعَك الرّيح الاَكبَر، وهلاك الأصنام انت الّذى لاتَقوُم السّاعة حتّى تدخُل المُلوك كُلّها فى دينك فلَم يَزِل يُقبّل يَدَيه مرّةً ورجلَيه اُخرى ويقول لئِن ادركتُ زَمانَك لأحزّبن بَينَ يَديكَ بالسَّيف ضَرب الزَّند بالزَّند وانت سيّد ولد آدم وَسيّد المُرسلين وامام المُتّقين وخاتم النّبيين والله لقد ضَحِك الأرض يوم وُلِدتَ فهِى ضاحكة الى يَوم القيمة فرحاً بك والله لَقد بَكت البَيع والأصنام والشياطين فهى باكيةً الى يوم القيمة انت دعوَة ابراهيم وبشارة عيسى المُقدّس المُطّهَر من اَدناس الجاهليّة، ثمّ اَلتَفت الى ابيطالب، فقال ما يكون هذا الغلام منك فانّى اراك لاتفارقه فقال ابوطالب هو ابنى فقال ما هو ابنك وما يَنبغى لهذا الغلام ان يكون والده الّذى وَلَّده حَيّاً ولا امّه فقال انّه ابن اخى وقدمات ابوه وامّه حاملة به وماتت اُمّه وهو ابن ستّ سنين فقال صدقَت هكذا هو ولكنّى اَرى ان تردّه الى بلده عن هذا الوجه فانّه ما بقى على ظَهر الارض يَهودّى ولا نَصرانّى وصاحب كتابٍ الّا وقد عَلِمَ بولادة هذا الغلام ولئن رأوَه وعرفوُ منه، ما قد عَرفتُ انا منه لَيبغَينّه شرّاً واكثر ذالك من اليهود فقال ابوطالب ولَم ذالك قال لانّه كائنٌ ابن اَخيك الرّسالة والنّبوة ويأتيه النّاموس الاَكبَر اَلّذى كان يأتى موسى وعيسى فقال ابوطالب كلّا انشاء الله لم يكن الله لِيُضيعَه ثم خَرجنا به الى الشّام فلمّا قَربنا الى الشّام رايتُ والله قصور الشامات كلّها قد اهتزّت وعلامتها نور اعظم من نور الشّمس فَلَمّا

توسَطنا الشّام ما قَدرنا ان نَجوُز سوُقَ الشّام من كَثرة مازدحم النّاس يَنظُرون الى وَجه رسول الله وذَهَب الخبر الى جميع الشّامات حتّى ما بقى فيها حِبرٌ ولا راهب الّا اَجتَمع عليه فجاء حِمرٌ عظيم اسمه كانسطور فَجَلس مقابله ينظر اليه ولا يكلّمه بشيئٍ حتّى فعل ذالك ثلثة ايّامٍ متوالية فلمّا كانت اللّيلة الثالثة لم يصبر حتّى قام اليه ندر اَخلَفه كانّه يلتمسُ منه شيئاً فقلت: يا راهب كانك تُريد منه شيئاً قال اجل اِنّى اُريد منه شياً ما اسمه؟ قلت: مُحمّد ابن عبدالله قال مُتغيّرو الله كونه قال فَتَرى ان تأمره ان يكشف لى عن ظهره لأنظُرَ اليه فَكَشفَ عن ظهره فلمّا راى الخاتم اَكَبّ عليه يُقبّله ويبكى ثمّ قال يا هذا اسرَع بردّ هذا الغلام الى مَوضعه الّذى وُلِد فيه فانّك لو تدرى كم عَدُوٌّ لَه فى اَرضنا لم تكن بالّذى تُقدّمه مَعك فلم يَزَل يتعاهده فى كلّ يوم ويحمل اليه الطّعام فلمّا خَرَجنا منها اتاه بقميصٍ من عنده فقال لهتَرى ان تلبّس هذا القَميس لتذكرنى به فلم يَقبله ورايته كارهاً لذالك فَاَخذَتُ انا القَميص مخافَةَ ان يغنَّم وقلتُ انا اَلبسُه وعجلت به حتّى ردَدته الى مكّة فوالله ما بقى بمكة يومئذ امرئة ولا كهل ولا شابّ ولا صغير ولا كبير الّا اَستَقبله سوقاً اليه الّا ابو جهل لَعَنه الله فانّه كان فاتكاً ماجناً قد تَمَثَّل من السّكر انتهى[1]

اقول: وروى انّ اباطالب قال لمّا فارقه بُحَيراء بكى بكاءً شديداً، واَخَذ يقول يابن آمنة كانّى بك وقد رَمَتك العرب بوترها وقد قَطعَك الأقارب ولو علموُا لكنت لهم بمنزلة الأدلاد ثم اَلتَفت اِلىَّ وقال: انت يا عمّ فارعُ فيه قرابتك المؤصولة واَحفَظ فيه وصيّة ابيك فانّ قريشاً ستهجرها فيه فلاتبال وساق الخبر وفى ذالك يقول ابوطالب فى قصيدته الدّالية الّتى اَورَدها محمّد ابن اسحاق ابن يسار:

اِنّ ابن آمنة النّبى مُحمّدُ عندى بمثل منازل الأدلاد
لَمّا تَعلّق بالزّمام رَحِمْته والعَيص قد قلّصّن بالأزواد

---

١. بحارالانوار، ج ٦، ص ٤٦، ط كمپانى.

فأرفَضَّ مِن عَيَّنى دَمعُ ذارَفٍ مثل الجمان مُفرّد الافراد
راعيتَ فيه قرابةً مَوصولة وحَفِظتَ فيه وصيَّة الاجداد
وأمرتُه بالسِّر بَين عُمومه بيض الوُجوُه مصالتٍ انجاد
سارو لِأبعَد طينةٍ مَعْلومةٍ ولَقَد تباعَدَ طيّنة المرتاد
حَتَّى اذا ماالقوم بُصرى عايَنوُا لاقوُ على شَرَفٍ مِن المِرصاد
خِبراً فأخبَرهم حديثاً صادقاً عنه وَرَدّ معاشر الحَسّاد
قوماً يَهوُداً قد رأوَما قَد رأى ظِلّ الغَمام وَعِزّ ذى الأكباد
ساروا لِقَتل محمّدٍ فَنَهاهُم عَنه واَجهَد اَحسنُ الأجهاد

وانا اقول: قد ذَكرنا هذه الرّواية بطولها لِتَضّمنها كلّ ما تشتهيه الأنفس وتَلَذّ الأعين بل ما لاَعَينٌ رأَتَ ولا اُذُنٌ سَمِعت فانّها دالّة على ما قاله اميرالمؤمنين عليه السلام من قوله: **لِإنْجازِ عِدَتِهِ**، ...

ولو لم يكن وَعدٌ سابقٍ فى كُتُب الأنبياء والرّسل فكيف قال البُحَيراء هُو هُو رَبّ المَسيح وقال ما قال وسنذكر انشاء الله من كتب الانبياء ما يَدُلّ عَلَيه عند قوله عليه السلام **مَأخُوذاً عَلَى النَّبِيّينَ مِيثاقُهُ** ...

قوله عليه السلام: **وَإتْمامَ نُبُوَّتِهِ**: وفيه اشارة الى انّه خاتم النَّبيين وآخرهم ولَيس بَعده رسولٌ ولا نبيٌّ وكلّ من اَدَّعىٰ ذالك فَدَمه هَدَر وهذا اشارة الى

قوله تبارك وتعالى: **﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِّنْ رِّجالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيّينَ﴾**[1] وقَد دَلّ على قوله عليه السلام العَقل والنَّقل: امّا العقل فلوجوهٍ عديدة:

الاوّل: انّا قَد بيّنا سابقاً انّ النُبوة والرّسالة لطفٌ منه تعالى على عبادِه لِئَلّا يكون النّاس فى كلّ زمانٍ فى حَيرَةٍ وضَلالةٍ وقد ذكرنا ايضاً ـ انّ ارسال الرُّسل منه بمقتضى كلّ زمانٍ يتفاوت وذالك لانّ سلسِلة البشر من اوّل خِلقتهم الى زماننا هذا دائماً فى طريق التّكامُل والتَّرَقى وهكذا الأمر الى يوم القيمة، وكلّ نبّيٍ ورسولٍ فى كلّ زمانٍ من الأزمنة لابدّ له من ان ياتى بجَميع ما تحتاج اليه

١. الاحزاب / ٤٠.

الامّة فی امور الدُّنیا والدّین لتکون الامّة بسَبَب الاتباع منه جامعة بین مَرتَبَتی العِلم والعَمَل وسعادة الدّنیا والاخرة فاذا بُعِث نبیّ واَتیٰ بجَمیع ما یَحتاج الیه النّاس الی یوم القیمة فاالعقل یحکم بانّ ارسال الرّسول بعده لَغوٌ قبیحٌ اذ لافائدة فی بعثته وفِعل اللّغو علی الحَکیم قبیحٌ عقلاً فیلزم ان لایکون نبیّ بَعد حَذَراً من اللّغو فیَثبتُ خَتَم نبوّة النّبی المَفروُض وهو المطلوب...

ولمّا کان نبیّنا ﷺ اَتیٰ لنا بجمیعِ ما نحتاج الیه الی یوم القیمة بلا شکٍّ وریبٍ فهو خاتم النّبیین وهو المطلوب.

الثّانی: انّ الانبیاء السَّلف دائرة نبوتهم وبعثتهم کانت محدودةٌ بزمانٍ مُعَیّن کما هو الثّابت من الآثار ولا ینکره الّا مکابر عقلِه فلابدّ من ان یَبعَث الله رسولاً بعد انقضاء مدّته والّا یلزم خُلُو الأرض من الحُجّة وتعطیل اللُّطف منه تعالی...

وامّا اذا کانت دائرة النُّبوّة غیر محدودةٍ بزمانٍ فایّ احتیاج الی رسولٍ آخر اذ الغَرَض حاصل ولمّا کانت نُبوّة نبیّنا ﷺ غیر محدودةٍ بزمانٍ بل حَلاله حلالٌ الی یومِ القیمة وحَرامه حرام الی یومِ القیمة فهو خاتم النّبیین وهو المطلوب...

الثّالث: انّ الانبیاء السَلَف کانوا بالنّسبة الیه ﷺ کاالمُقدّمة بالنّسبة الی ذیها ولأجل ذالك کلّ واحدٍ منهم کان یُبشّر بوجوده وبعثته فعلی هذا یلزم اذا وصل الامر الی الغایة والنّهایة خَتم به وحیثُ ما جاء بعده نبیّ عِلمَنا انّه الخاتم لَهُم وهو المطلوب.

الرابع: کلّ رسولٍ ونبیٍّ فی الأزمنة السّابقة کان یبشّرِ امّته برسولٍ بعده ولا سیّما رسول کان قبل رسول الخاتم کما انّ موسی بشّر بعیسی، وعیسی برسولنا، فلو کان بعد الرّسول رسول لکان لازماً علیه ﷺ الأخبار به والبشارة برسالته واَمر الامة بالاتّباع منه ومن المعلوم انّه لم یخبر به بل قال: کل من اَدّعی النُبوّة بعدی فاقتُلوه فَعِلمنا انّه خاتم النبیین وهو المطلوب.

الخامس: انّه ﷺ اَدّعی النُبوّة واَتیٰ بالمعجزات والآیات الدّالة علی صدقها وکلّ رسول لابدّ له من ان یکون کذالك فلو کان بعده رسول لابدّ له

ايضاً ان يكون آتياً بالمعجزات صادقاً فى قوله مَعصُوماً من كلّ ذنبٍ ولازم ذالك ان يكون السّابق كاذباً اذ هو ادّعى انّه خاتمهم فان حَكَمنا بصدقه يلزم كذب الاخر وان حَكَمنا بكذبه وصِدق الاخر يلزم كون النّبى كاذباً غير معصومٍ وكلّ مَن كان كذالك لايَصلَح لِلنّبوة وهو خلاف الفرض. وبعبارةٍ اخرى صِدقهُما مستلزم لاجتماع النّقيضين وكذبهما مستلزمٌ لعدم صلاحيّتهما فلابُدّ من الحكم بصدق الاوّل وهو المطلوب...

السّادس: لو كان بعده نبىّ لابُدّ من ان يكون اَفضَل منه ﷺ كما هو شان كلّ رسولٍ بالنّسبة الى قبله فانّ السّابق مقدّمة لِلّاحِق مضافاً الى انّ الزّمان من حيث تكامل زمانيّاتها يقتضى ذالك وحيث انّه ﷺ اَفضَل السّابقين واللّاحقين كما هو ثابت مُدَلّل وإلّا لَما قال الله مخاطباً ايّاه لولاك لما خَلَقتُ الأفلاك، فلا معنى لوجود شخصٍ اَفضَل منه فلا رسول بعده وهو المطلوب...

السّابع: لو كان بعده نبىّ لايخلو حالِه امّا ان يكون ناسخاً لشريعته كما هو شان المرسلين او لايكون كما هو شان النّبى فَقط وكلاهما خلاف العقل،

امّا الاوّل: فلانّ الشّريعة النّاسخة لابدّ من ان تكون اَحسَن واَكمَل واَوفَق بنظام الدّنيا والدّين من شريعة المنسوُخة والّا فلا معنى لنسخها وحيث لم يمكن قانون اَكمَل من قانون الاسلام ولا شريعة اَحسَن منه فلا دليل على نَسخه وهو المطلوب...

واما الثانى: ايضاً محال لانّ النّبى اذا لم يكن صاحب كتابٍ وشريعةٍ فليس هو الّا مروّج لِلشّريعة السّابقة كما كان الانبياء كصالح وهود ويونس ولوُط وغيرهم كذالك والاسلام مُستغن عنهم لانّ النّبى ﷺ مات وخَلّف بعده اثنى عشر اوصياء والثّانى عَشر منهم حَىّ غائبٌ عن اَبصارنا الى ما شاء الله لِئلّا تَخلوُ الارض من حُجّةٍ فهم مُروّجوُن لِلأسلام حافظون لاحكامه ونَواميسه وفى زمان الغَيبة هذه الوَظيفة مُحَوّلة الى علماء الاسلام فاىّ احتياج الى مروّجٍ غيرهم فوجود النّبى لافائدة فيه.

الثامن: اَنَّ نَسخ كلّ شريعةٍ لايعقل الّا بعد إندراسها، وعدم وفائها باحتياجات الأُمّة فى مُقتَضيات الزّمان كما انّ الشرايع السّابقة بالقياس الى هذا الزمان كذالك والشَّريعة المُحمّدية ﷺ فى كلّ عصرٍ وزمانٍ منطبقةٍ عليه وعلى كلّ مايحتاج اليه الأُمّة ولاَندراسَ فيها كما نرى انّها بعد القرون المُتمادية باقية وفى إدارة النّاس كافيَة فَعَليه لامعنى لنَسخها عقلاً فلا رسول بعده وهو المطلوب.

وامّا الادّلة النّقليّة على كونه ﷺ خاتم النّبيين فكثيرة نذكر بعضاً منها الاوّل: نَصَّ القرآن الكريم حيث قال تبارك وتعالى فى سورة الاحزاب: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْئٍ عَلِيماً﴾**[1] وقال رسول الله ﷺ **يا علىاَنت منّى بمنزلة هرون من موسى الّا انّه لانبىّ بَعدى**، رَوَية العامّة والخاصة، وفى احاديث المِعراجية قال ﷺ مخاطباً لعلّي. **الرابع: خُصِصّنا بليلة القدر وانت معى فيها ولَيسَت لأحدٍ غيرنا والخامسة: ناجَيتُ الله عزّ وجل ومثالك مَعى فسألتُ فيك فاَجابَنى اليها الّا النّبوة فانّه قال خَصَصتها بك وخَتَمتُهابك.**

الرّابع: وفيها اشارة: **ثم قالوا (اى الملائكة) مَرحَباً بك من اَخٍ ومن خليفةٍ فنعم الأخ ونِعَم الخَليفة ونِعَم المختار خاتم النّبيين لانبّى بعده**

الخامس: روى صاحب كتاب ينابع المودّة وهو من اعلام العامّة فى قضيّة توبة آدم ما هذا لفظه، وفى رواية اخرى قال آدم لَمّا خلقتنى رفعت راسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب: لااله‌الّاالله محمّدٌ رسول الله فَعلمتُ انّه ليس احدٌ اَعظَم قدراً عندك فَمَنَ جَعلت اَسمه مع اسمك فأوحَى الله اليه وعزّتى وجلالى انّه لاخّر النّبيين من ذُريتك ولولاه ما خَلَقتُك انتهى موضع الحاجة منه.

السّادس: قال رسول الله: **يا على انّ تبارك وتعالى خَلَقنى وخَلقَك من نوُره**

---

١. الاحزاب / ٤٠.

واَصطفانى واَصطفاك فأختارَنى لِلنبوّة واختارك لِلامامة الحديث.

□ قوله عليه السلام: **مَأخُوذاً عَلَى النَّبِيّينَ مِيثاقُهُ**: قال الله تبارك وتعالى: **﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرِيَةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[1] والروايات ايضاً دالّة عليه وقد روى: انّ اسمائهم كانت مكتوبة اذ ذاك على العَرش وانّ آدم عليه السلام لَمَّا تابَ الى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبولِ تَوبته سَئَلهم بحَقّهم عليه ومَحلّهم عنده فاجابه الى آخره وقد تَقَدَّم فى قضية توبة آدم ما يدلّ عليه وقد ورد فى الآثار انّ كلّ نبيٍّ من الانبياء قد اَخَذ الله الميثاق برسالة الرسول وولاية عليٍ والطَيّبين من وُلده ثمّ بَعثه وسياتى منّا احاديث اخر فى الابواب الأتية ان شاء الله تعالى.

□ **قوله عليه السلام: مَشْهُورَةً سَماتُهُ**: سمات جمع سِمة وهى العَلاقَة والمعنى انّ علامات النّبوة فيه ظاهرة مَشهُورة، ويمكن ان تكون نسخة الاصل مشهودة بالدّال اى مَحسُوسة والمآل واحد وهذه اشارة الى انّ النّبى لابدّ له من علامات وامارات دالّة على صدقِ مدّعاه ونَبيّنا كذالك فهو نبىّ وهو المطلوب ولابدّ لنا من التكلم فيها اَجمالاً فنقول:

فمن جملة العلامات الدّالة على النّبوة العِصمَة من الذَّنب صغيرةً، او كبيرةً فانّ ألانسان لو كان غير معصُومٍ لم يَجُز اَن يكون نبيّاً وهادياً لِلزومه التّرجيح بلا مُرجّح وهو قبيح عقلاً ولانّه لايؤمَن مِن الفساد والكذب والظّلم وغيرها لانّ المفروض انّه غير معصومٍ وهو لايخلو من الرّزائل وقد تقدّم الكلام فيه وسياتى مفصّلاً، ومنها: أن لايكون مُشركاً بالله قبل البعثة والرّسالة فانّه تعالى: **﴿قالَ لايَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ﴾**[2].

والشّرك ظُلم كما: **﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ﴾** على ما حكاه الله تعالى عنه فى كتابه قال: **﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[3] ومنها: ان يكون كريم الميلاد

١. الاعراف / ١٥٧.
٢. البقرة / ١٢٤.
٣. لقمان / ١٣.

فى بيت شرفٍ وعزّةٍ وكذالك اَبَواه بل اجداده الى آخره ومنها ان يكون حَسَن الخلق صادق الوعد والقول عادلاً شجاعاً جواداً حليماً وبالأخرة واجداً لكلّ الصّفات المُستَحسنة وعادماً لِلصّفات الرّذيلة السيئّة الخَبيثة.

ومنها: ان يأتى بالمُعجزات والبَيّنات وخَوارق العادات الّتى لم يَقدر سائر البَشَر على الأتيان بمثلها الدّالة على نبوّتها والّا فمُجرّد الدّعوىٰ لايكفى فى الصِّدق، ومنها ان يكون ذا عَزمٍ راسخٍ لاتأخُذه فى الله لَومةُ لائم بلا تقيّةٍ منه من المخالفين فانّ النّبى لايَتّقى، ومنها: انّ يكون تاركاً لهواه مطيعاً لامر مولاه عابداً زاهداً مُتّقياً وَرَعاً بحيثُ لايدانيه فيها اَحَدٌ من افراد زمانه، ومنها: ان يكوُن عالماً بكلّ شيئٍ بل بكلّ ما كان وما يكون وما هو كائنٌ إلى يوم القيمة، ومنها ان لايقول من عند نفسه بل قال بما إذَن الله له، ومنها: ان يكون مُنَزّها عن الأشياء والغَلَط والسَهو والنّسيان وامثال ذالك على الاقوى، ومنها ان يكون مُصدّقاً لِلأنبياء قبله قَد بَشّروا اُمَمهم بمَجيئه وبَعثه وبالجُملة الاقرار برسالته وغير ذالك من الشرائط، اذا عرفت هذا كلّه، فاعلم: انّ نبيّنا كان واجداً لتمام هذه الشرائط بكمالها وتمامها وهذه الأمور من شرائط النبوّة العامّة ـ والخاصّة اَخرَجناها من مضامين الاخبار والآيات والعقل والأنبياء بأجمعهم كانوا حائزين لها ونبيّنا ايضاً كان واجداً لها الّا انّ فيه مضافاً على ما ذكرناه من الشرائط خصائص اضافيّة لم يكن لغيره من الأنبياء تنبيها على مزيد شَرَفه وعُلوُّ مَقامه واَفضَليّته عَمَّن تَقدَّم جسماً سيقرع سَمعك انشاء الله.

امّا الشرائط المذكورة فلا شك فى كونه ﷺ واجد لها: امّا الاوّل منها وهو العِصمة عن الذّنب فهو امر مُسلّم مُجمَعٌ عليه بين الفَريقين، والشاهد عليها بعد الروايات المتواترة من العامة والخاصة انّه لم يُسمَع من احدٍ حتّى من غير المسلمين اسناد الذّنب اليه وكفى فى اثباتها ما قال الله تعالى فى حقّه: **﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ امَنُوا أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُوْلَ﴾**[1]

١. النساء / ٥٩.

و ﴿مَا اٰتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]

و ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[2] ضرورة انّه ﷺ لو لم يكن معصوماً لم يأمر الله تعالى بوجوب متابعته لانّه مستلزم للاغراء بالجَهل وهو محال عليه تعالى فَثَبَتَ انّه كان مَعصُوماً وهو المطلوب.

وامّا انّه لم يكن مُشركاً بالله طَرفة عين لاقبل البعثة ولا بَعدها امّا قبل البعثة فلانّه لو اَشرَك لم يكُن مسْتحِقاً لِلرّسالة والنّبوة لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3] واىّ ظلمٍ اَكبَر من الشّرك ولمّا ثبتَت نبوّته علم عدم كونه مشركاً قبلها.

وامّا بَعدَ البعثَة فلانّ الرسول عليه السلام بُعِث لأرشاد النّاس الى التّوحيد كما قال عليه السلام فى اَوّل الامر: قولوا لااله الّاالله تُفلحوا، ومن كان هادياً الى التّوحيد فكيف يكون مُشركاً قال الله تعالى: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا﴾[4]

و ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[5]

و ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[6] وامثال ذالك وبعبارة اخرى: وظيفة النّبى ﷺ جَسم مادّة الشّرك عن العباد فلايكون مُتّصفاً به لأستلزامه الجمع بين المتناقضين لانّ فعل النّبى حُجّة كقوله عليه السلام فاذا كان قوله مخالفاً لِلشّرك وفعله موافقاً به ويلزم اتباعه فإن اتبعه فى الفِعل والقول يلزم ما ذكرناه وان افترق بينهما يلزم كونه مَتبُوعاً وغير مَتبُوعٍ وكلاهما مُستحيلان فَثَبت انّه غير مشركٍ مطلقاً وامّا انّه ﷺ كريم الميلاد فسياتى فى شرح قوله عليه السلام كَرِيماً مِيلادُهُ.

وامّا انّه حَسَن الخلق فكفى فى اثباته قوله تعالى مخاطباً ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[7] وامّا اتيانه بالمُعجزات فقد ذكرنا شطراً منها وسياتى الكلام فيها

---

١. الحشر / ٧.
٢. آل عمران / ٣١.
٣. البقرة / ١٢٤.
٤. الممتحنة / ١٢.
٥. المائدة / ٧٢.
٦. النّساء / ٤٨.
٧. القلم / ٤.

على انّها فوق حدّ التواتر كما لايخفى على المُتدّبر فى الآثار ولو لم يكن له اعجاز الّا القرآن لكفى فضلاً عن سائر معجزاته، وامّا انه ﷺ كان ذوُ عَزم راسخ فهو اَظهَر من الشّمس واَبيَن من الأمس كيفَ لا وهو ﷺ بُعِث فى مكة ولا نَاصر له ولا معين الّا الله مع انّ جزيرة العرب بل كلّ الناس من العَرَب والعجم خالفوه له حتّى اعمامه واقربائه وصارت اذا هم ايّاه ﷺ الى حدٍّ قال عليه السلام ما اُوذى نبيٌّ بمثل ما اوذيتُ، ومع هذا استَمرَّ على دعوته وذكرنا حديث مَجيئى قريش الى عَمّه ابى طالب وشكايتهم عنه ﷺ وجوابه له ولهم، وامّا كونه تاركاً لهواه مطيعاً لله تعالى فى اعلى مَرتَبة الزهد، والتقوى فلا يحتاج الى بيانٍ مستانفٍ وقد قال الله تعالى:

طه: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾[1]

وامّا كونه عالماً بكلِّ شيئٍ فهو ايضاً ظاهر كيف وقد قال على عليه السلام مع عُلوّ مقامه ورَفعَه شأنه فى حَقّه ﷺ انا عبدٌ من عَبيدِ محمّد وقال: عَلَّمنى الف بابٍ من العلم يفتح من كل بابٍ الف بابٍ وقد اَقرَّ المعصومون سلام الله عليهم بانّ عُلومَهم مأخوذة منه ﷺ وكلماته ﷺ ومواعظه ونصائحه فى الشُئون المختلفة كافية لاثباته، وامّا انّه ما قال من نفسه فَيدّل عليه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2]. وامّا كونه اَقرب الخلائق الى الله فيكفى فى اثباته خطاب الله عزَّ وجلَّ له فى ليلة المعراج: لولاك لَمَا خَلقتُ الافلاك، وامّا كونه مُنزّهاً عن السّهو والنسيان وامثالهما فلانّها منافية للعِصمة وبعد ثبوت العصمة له ﷺ لانحتاج الى الاستدلال على نفيها عنه فَمَن نَسَب السّهو والنّسيان اليه ﷺ فقد سَهىٰ ونَسىٰ وللكلام فيه محل آخر.

وامّا كونه مُصدّقاً لأنبياء الماضين فَيَدّل عليه ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3] فاذا كان الأيمان بالأنبياء الماضين مَشرُوطاً فى الايمان به

---

١. طه / ٢.
٢. النّجم / ٤.
٣. البقرة / ٤.

والايمان به مشروطاً بالايمان بهم بالنّسبة الى المؤمنين فكيف لايكون مُصدِّقاً لهم وهذا ظاهر.

وامّا بشارة انبياء السّلف بمجيئه وبعثته فقد ذكرنا شَطراً منها قال الله تعالى فى كتابه: **﴿اَلَّذِينَ اٰتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يَعْرِفُونَهُ كَمٰا يَعْرِفُونَ اَبْنٰائَهُمْ وَاِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[1].

وهذه الاية صَريحة بانّ اُمَم السّابقة كانوا عارفين به ومن المعلوم انّه لولا تبشير الانبياء له فمِن اينَ حَصَل العلم لهم بوجوده وبعثته ومع وجودهِ هذه الاية لانحتاج الى الرّوايات على المدّعى و **﴿وَاِذْ قٰالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يٰا بَنِي اِسْرٰائِيلَ اِنِّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ اَحْمَدُ فَلَمّٰا جٰائَهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾**[2].

واعلم انّ نبيّناﷺ افضل من الانبياء والرُّسل بأجمَعهم آدم ومن دونه ولذالك قالﷺ كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطّين، وقالﷺ آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيمة وقالﷺ لوكان موسى حيّا ما وسعه الّا اتباعى وامثال ذالك من الروايات وهذه الافضليّه ثابتته لهﷺ من جهتين:

الاُولى: من حيث الوجود لانّه العلّه الغائيّه لكلّ الموجودات، فانّ روحه المُقدّس هو الصّادر الاوّل والقَلَم الأعلى واللّوح المَحفوُظ والعرش والعقل على ما مَرّ بيانه فى اوّل ما خَلَق الله ويدلّ عليه لولاك لَما خَلقتُ الأفلاك وهذا ممّا لاكلام لنا فيه فعلا...

الثّانية: افضليّته بالنّظر الى سعة وجوده الّتى اشار اليها بقوله لو كان موسى حيّاً ما وسَعِه الا اتّباعى والى هذا المعنى اشارﷺ فى الحديث المشهور بين العامّة والخاصة المروية بطرق مختلفة واسانيد متفاوتة فعن الباقرؑ انّه قال: قال رسول اللهﷺ: **اُعطيتُ خمساً لم يُعطَها اَحدٌ قبلى: ١ـ جُعِلتَ لِيَ الأرضِ مسجداً وطهوراً ٢ـ واحِلَّ لِيَ المَغنَم ٣ـ ونُصِرَت بالرُّعب ۴ـ واُعطِيتُ جوامع**

١. البقرة / ١٤٦.

٢. آل عمران / ٥٠.

الكلم ٥ـ واُعطيتُ الشَفَاعة.

وعن الصَادق عليه السلام يقول اتَّقوا الله ورسوله ولا تُفضّلوا على رسول الله احدا فانّ الله قد فَضَّله[1] وروى فى الكافى بسنده عن الحسين بن عبدالله قال قلت لابى عبدالله كان رسول الله سيّد ولد آدم فقال كان والله سيّد مَن خَلَق الله ما بَرءَ الله بريّة خير من مُحمّدٍ[2] ولما كان وجوده الختمى فى مقام جَمع الجمع اعنى كلّ ما ثبت من الكمالات لجميع الانبياء وسائر الموجودات فهى كانت موجوده فى نسخة وجوده الاتمّ الأكمَل فهو النُّسخَة الجامعة الوُجوديّة لامقام فوق مقامه الّا مقام خالقه وبارئه فتبارك الله احسَنَ الخالقين وقد قيل فى حقه:

اِذ المَكارم فى آفاقِنا ذُكِرَت فاِنّما بِك فِينا يُضرَب المَثَلْ

وحيث اَنجزَّ كلامنا الى هذا المقام وقلنا انّه صلى الله عليه وآله افضل من جميع الانبياء والمُرسلين فضلاً عن غيرهم فلابدّ له صلى الله عليه وآله من المعجزات ما ثبت لتمام الانبياء الماضين ومن الكمالات ايضاً كذالك فنقول مُستعيناً بالله فان كان لادم سُجُود الملائكة مرّةً واحدةً فلمُحمدٍ صلى الله عليه وآله صلوات الله والملائكة والناس اجمعين الى يوم القيمة وان كان آدم قِبلَة الملائكة فى سُجودِهم له فَجَعله الله امام الانبياء ليلة المعراج فصار امام آدم ايضاً، وإن خُلِقَ آدم من طينٍ فانّه خُلِق من نور الله عزَّ وجَلّ كنتَ نبيّاً وآدم بَين الماء والطّين، وإن كان آدم اوّل الخلق فقد صار محمّد قبله لقوله صلى الله عليه وآله خَلقَنى من نُورٍ وخَلَق ذالك النّور قبل آدم بالَفى الف سنةٍ وان كان آدم ابوالبشر فمحمد صلى الله عليه وآله سَيّد البَشَر قال صلى الله عليه وآله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيمة، وان كان آدم اوّل الانبياء فنبوّته صلى الله عليه وآله اَقدَم منه لقوله عليه السلام كنت نبيّاً وآدم بين الما والطّين، وان عَجَزت الملائكة عن طينتة فمُحمّدٍ اُعطِى القرآن الّذى عجز عنه الاوّلون والاخرون، وان قيل لادم فتلَقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه فقال له ليَغفر لك الله ما تقدّم من ذَنبك وما تاخّر، وان دخل آدم الجنّة فمُحمّد صلى الله عليه وآله عَرج به الى قاب قَوسَين اَو اَدنى.

---

١. بحارالانوار، ج ٦، ص ١٨٠.

٢. بحارالانوار، ج ٦، ص ١٨٠، ط كمپانى.

«ادريس النّبى»

وان قيل لِأدرِيس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[1] اى السّما فقيل للنّبى: ﴿وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[2] وإن ناجَى ادريس ربّه فنادى الله محمداً: ﴿فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ﴾[3] وإن اَطعَم ادريس بعد وفاتَه فقد اَطعَمه الله فى حيواته لقوله ﷺ: اِنّى لَستُ كأحدَكم اِنّى اَبيتُ عند ربّى يُطعِمنى ويُسقينى

«نوحُ النبى»

جَرَت له السّفينة عَلى المَاء وهى تَجرى للمؤمن والكافر ولمحمدٍ جَرى الحَجَر على الماء وذالك انّه كان على شفير غدير وراء الغدير تلّ عظيم، فقال عكرمة ابن ابى جهل يا محمّد ان كنتَ نبيّاً فادعُ من صُخور ذالك الّتل حتّى يخوض الماء فَيُعبر فدعا بالصَّخرة فجعلت تاتى على وَجه الماء حتّى مثلت بين يديه فاَمرها بالرُّجوع فرَجَعت كما جائت...

وإن اُجيبت دَعوته على قَومه حيث قال ربّ لاتَذَر على الأرض فَهَطَلت له السَّماء بالعُقوبة فاُجيبت لمحمّدٍ بالرَّحمة حيث قال حَوالينا ولا عَلَينا فَنُوح رسول العُقُوبة ومُحمّد رسول الرَحمَة: ﴿وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ﴾[4] دعا نوح لنفسه ولنفرٍ يسيرٍ ربّ اغفرلى ولوالدىّ ومحمد دعا لاُمّته مَن ولد منهم ومَن لَم يوُلد، وقال تعالى فى ذرية نُوح: ﴿وَجَعَلْنٰا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبٰاقِينَ﴾[5] و فى ذرّية محمّد ذُرِّيَّةً محمّد: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ﴾[6] كانت سَفينة نوح سَبَب النّجاة فى الدّنيا وسَفينة مُحمّد سَبَب النجاة فى العقبى، لقوله مَثَل اهل بيتى كَسفينة نوح الخ... وقال حسّان ابن ثابت:

وَإن كـان نـوحٌ نَـجا سـالِماً عَلَى الفُلك بالقَوم لِمَّا نَـجىٰ
فَـإنّ النَـبىّ نَـجا سـالماً الى الغارِ فى الليلِ لَمّا نَجىٰ

---

١. مريم / ٥٧.
٢. الشّرح / ٤.
٣. النّجم / ١٠.
٤. الانبياء / ١٠٧.
٥. الصّافات / ٧٧.
٦. آل عمران / ٣٤.

وقال حسّان ايضاً:

وان كـــان لوط دَعـــا ربّـــه على القَوم فاستأصَلوُا بـالبَلاء
فـــانّ النَّـــبى بـــبَدرٍ دَعـا على المُشركين بسَيف الفَناء
فـــناداه جـبريل مِـن فـوقه بَـلبيك لبّيك سَـل مـا تَشاء

«ابراهيم الخليل»

الخليل نَظَر من المُلك الى المَلَكوت: ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ الخ﴾[1]

والحَبيب نَظَر من المَلكوُت الى الملك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شٰاءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِناً﴾[2]

والخليل طالب: ﴿وَقٰالَ إِنِّي ذٰاهِبٌ إِلىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[3]

والحَبيب مطلوب: ﴿سُبْحٰانَ الَّذِي أَسرىٰ بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ﴾[4]

وقال الخليل: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِيَ﴾[5]

وقيل لِلحبيب: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ﴾[6].

قال الخليل: ﴿وَلاٰ تُخْزِنِي﴾[7]

وللحبيب: ﴿يَوْمَ لاٰ يُخْزِي اللهُ﴾[8]

وقال الخليل وَسط النار: ﴿حَسْبِيَ اللهُ﴾[9]

وقيل للحبيب: ﴿يٰا أَيُّهَا النَّبِي حَسْبُكَ اللهُ﴾[10]

قال الخليل: ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسٰانَ صِدْقٍ﴾[11]

وقيل للحبيب: ﴿وَرَفَعْنٰا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[12]

---

١. الانعام / ٧٥.
٢. الفرقان / ٤٥.
٣. الصّافات / ٩٩.
٤. الاسراء / ١٧.
٥. الشعراء / ٨٢.
٦. الفتح / ٢.
٧. الشعراء / ٨٧.
٨. التحريم / ٨.
٩. الزمر / ٣٨.
١٠. الانفال / ٦٢.
١١. الشعراء / ٨٤.
١٢. الشرح / ٤.

قال الخليل: ﴿وَاَرِنا مَناسِكَنا﴾[1]

وقيل للحَبيب: ﴿لِنُرِيَهُ الآى﴾[2]

قال الخليل: ﴿وَاجْعَلْني مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعيمِ﴾[3]

وقيل للحَبيب: ﴿وَالْاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبقى﴾[4]

الخَليل: ﴿أُقْسَم بِالله وَتَالله لَأَكيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾[5]

واقسم الله بالحبيب: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ﴾[6]

واتخذ مقام الخليل قبلة: ﴿وَاتَّخِذُو مِنْ مَقامِ اِبْراهيمَ﴾[7]

وجعل احوال الحبيب وافعاله واقواله قبلة وقال: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[8]

الخليل كَسَر الأصنام خُفيةً والحَبيب كَسَر الأصنام جهرةً ثلثمائة وستين صنماً واَذَّل مَن عَبدَها بالسّيف، الخليل بعدَ الابتلاء:

﴿وَلَقَدِ اصطَفَيناه﴾[9] والحَبيب قبلَ الابتلاء، ﴿اللهُ يَصْطَفي﴾[10] الخليل بَذَل مالَه لأجل الجَليل وخلق الجليل العالَم لاجل الحَبيب، مقام الخليل مقام الخدمة ومقام الحبيب مقام الشفاعة.

مقام الخليل ابتداء الوصلة، ﴿قالَ هذا رَبّي﴾[11] و مقام الحبيب بقاء الوصلة: ﴿وَاُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمين﴾[12]

وللبقاء فضل على الابتلاء صَيَّر الله حرَّ النار على الخليل برداً وسلاماً، وصَيَّر السَّم في جوف الحبيب سلاماً ثم سَخَّر له نارَ جهنّم الّتي كانت نار الدّنيا

---

١. البقرة / ١٢٨.
٢. الاسراء / ١.
٣. الشعراء / ٨٥.
٤. الاعلى / ١٧.
٥. الانبياء / ٥٧.
٦. الحجر / ٧٢.
٧. البقرة / ١٢٥.
٨. الاحزاب / ٢١.
٩. فاطر / ٣٢.
١٠. الحج / ٧٥.
١١. الانعام / ٧٦.
١٢. الحج / ٧٥.

كلّها جزء منها. قال للخليل: ﴿اَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلٰى وَلٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]

وقال للحبيب: ﴿اٰمَنَ الرَّسُولُ الخ﴾[2]

وصَلَ الخليل الى الجليل بالواسطة، ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي اِبْرٰاهِيمَ﴾[3]

وَوَصل الحبيب الى الجليل بلاواسطة، ﴿ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى الخ﴾[4]

اراد الخَليل رضا الله فى رَفع الكَعبَة، ﴿وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيتِ﴾[5]

واراد الله القبلة فى رضا الحبيب: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا﴾[6]

سَأَلَ الخَليل: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَّعْبُدَ الْاَصْنَامَ﴾[7]

وقال للحبيب: ﴿اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ﴾[8]

الخليل من يخالك والحبيب من تخاله فلا جرم: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى﴾[9]

الخليل المُريد والحبيب المُراد الخليل عطشان والحبيب رَيّان.

«يعقوب النّبى»

يعقوب كان له اثنى عشر ابناً ولمُحمّد اثنى عشر وَصِيّاً جَعَل الاسباط من سلالة صلبه ومريم من بناته والهُدَاة فى ذريته ومُحمّدﷺ جعلت فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته والحسن والحسين من ذريّته وآتاه القرآن...

«يوسف النّبى»

كان ليوسف جمال ولمُحمّدٍ ملاحة وكمالٍ كما قالﷺ: يوسف اَصبَح مِنّى وأنا اَملَح منه، وكان يوسف فى الدّنيا نُورانيّاً ومُحمّد فى الدّنيا والعقبى نُورانىّ، صَبَر يوسف فى الجُبّ والحَبس وصَبَر محمّدﷺ على اَذَى المُشركين.

---

١. البقرة / ٢٦٠.
٢. البقرة / ٢٨٥.
٣. الانعام / ٧٥.
٤. النّجم / ٨.
٥. البقرة / ١٢٧.
٦. البقرة / ١٤٤.
٧. ابراهيم / ٣٥.
٨. الاحزاب / ٣٤.
٩. الضحى / ٥.

ان كان الله اَعطَى مُوسى اثنى عَشرَة عيناً: ﴿**فَانْفَجَرَتْ مِنهُ اُثْنَتَى عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾[1] فمحمد ﷺ اَمرَ البراءِ ابن غازب بغَرس سَهمة يوم الميضاة بالحُدَيبيّة فى قَليب جافة فَتَفَجَّرت اثنتى عَشرَة عيناً حتّى كَفَت ثمانية آلاف رجلٍ وكان لِموسى انفجار الماء مِن الحَجر، ولمحمّدٍ انفجار الماء مِن بَين اَصابعه.

خَلَّف موسى هرون فى قومه ومحمدٌ عليّاً فى قومه، كان لِموسى اثنى عشر نقيباً ولمحمّدٍ اثنى عَشَر اماماً، كان لموسى انفلاق البحر، ولمحمدٍ انشقاق القَمَر، وانفلاق البَحر بالعَصا، فأضرب بعَصاك البحر وانشقاق القمر بأصبعه، وقال موسى: ﴿**قَالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾[2]

وقال الله لمحمّد: ﴿**اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾[3].

واَعطَى الله موسى المَنَّ والسَّلوى واَحلّ الغنائم لمحمدٍ ولأمّته ولم يَحلّ لاحدٍ قبله وقال فى موسى: وظَلَّلنا عليهم الغَمام، والنّبى كان يسير الغَمام فوقه، وكَلَّم الله موسى تكليماً عند طور سيناء وناجى الله محمّد سدرة المنتهى وكان بين موسى والحَقّ واسطة ولم يكن بين محمّد وربّه احد اذ ليس من ناداه كمن ناجاه فمن بعد نُودى ومن قرب نُوجى ولنعم ما قال حسان فى هذا المقام:

لئن كلّم الله موسى على ... شريف من الطوّر يَوم النداء
فانّ النّبى ابا قاسمٍ ... حَسبىٰ بالرساله فوق السماء
وقد صار بالقُرب من ربّه ... على قاب قوسين لمّا دناء
وان فَجَر الماء مُوسىٰ لكم ... عُيوناً من الصخر ضرب العصاء
فمن كفّ احمد قد فَجَرت ... عيون من الماء يوم اَلظّماء
وان كان هرون من بعده ... حَسبى بالوزارة يوم الملاء
فانّ الورازه قد نالها ... عَلىٌ بلا شك يوم النداء

---

١. البقرة / ٦٠.
٢. طه / ٢٥.
٣. الشّرح / ١.

وقال كعب ابن مالك الانصارى:

فـــان يك مُـوسىٰ كَـلّم الله جـهره على جَبَل الطـور المُـنيف المـعظّم
فـــقد كـــلّم الله النّـــبى مُـحمّداً على الموضع الاعلى الرفيع المسّموم

«داود النبى»

قال لداود لاتتبع الهَوىٰ وقال فى محمّد ما ضَلَّ صاحبُكم وماغَوى ولداود الطَّير مَحشُورة كُلٌّ له اوّابٌ ولمحمد البراق وقال فى داود شدَدنا مُلكه وشَدَّد ملك محمّد حتّى نسخ بشريعته سائر الشرايع.

«سليمان النبى»

قال فى حقه علمنا منطق الطير وعَلَّم محمداً جميع اللغات وسخرت له الرّيح ولمحمد البراق.

وسَئل مُلكاً دَيّناً: **﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْلي وَ هَبْ لي مُلكاً الخ﴾**[1] وعُرِضَ مَفاتيح خزائن الأرض على مُحمّدٍ فَردَّها فَشتّان بَين مَن يَسئل وبين من يُعطىٰ فَلايقبَلَ فاَعطاهُ الله **﴿إِنّا اَعْطيناكَ الْكَوثَر﴾**[2] والشّفاعة والمقام المحمود، وقال لسليمان **﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾**[3] وقال لِنبيّنا **﴿ما اٰتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[4]

قال حسّان:

وان كـانت الجِنّ قـد سَـاسَها سُليمان والرّيح تَجرى رخـاء
فَشَـــــهَرُ غُـــدّوُبه رائِـــياً وشَـــهرُ رواح بـــه ان يشـــاء
فـــانّ النّـــبى سَـــرى ليـــلة مـــن المَسـجدِينَ الى المُـرتقا

وقال كعب ره:

فان تك نـمل البـرّ بـالوَهم كَـلَّمت سليمان ذالمَلك الذى لَيسَ بالعمى
فـــهذا نـــبىّ الله اَحـمَد سَـحَّت صـغار الحَـصى فـى كَـفّه بـالتَرنُّم

---

١. ص / ٣٥.
٢. الكوثر / ١.
٣. ص / ٣٩.
٤. الحشر / ٧.

«يحيى النّبى»

قال الله تعالى فى حَقّه: ﴿وَاٰتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1] وكان فى عصر لاجاهلية فيه ومحمّد اُوتى الحُكم والفَهم صَبيّاً بين عَبدَة الأوثان، وكان يحيى اَزهَد اهل زمانه واَعبَدهم، ومُحمّد اَزهَد الخلائق واَعبَدهم من الأوّلين والاخرين حتىّ قيل فى حقه:

﴿طه، ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْانَ لِتَشْقىٰ﴾[2] حسّان ابن ثابت:

وان كـــان يَـحيى بَكَت عـينُه صَـــغيراً وطَـهَّره فـى الصّـبى
فـــانّ النّـــبى بكـــى قـــائماً حَزيناً على الرّجل خوف الرّجا
فَـــــناداه طـــه ابـــا قـــاسمٍ ولا تَشـــقَ بـــالوَحى لمّـــا اتـــى

«عيسى روح الله»

عيسى اَبرَء الاَكمَه والأَبرَص ونبيّنا ﷺ اتاه معاذ ابن عفرا فقال يا رسول الله انّى قد تزوّجتُ وقالوا لِلزّوجة ان بجَنبى بياضاً فكَرهَتِ ان تزّف الّى فقال اكشف لى عن جَنبك فكشفتُ جَنبى فمَسحَه بعُودٍ فذَهَب ما به من البَرَص وان كان عيسى يَشفى الأعمى، فقد روى انّه جائت امرئة اليه ومعها عكة سَمَنٍ واقطٍ ومعها ابنة لها فقال: يا رسول الله ولدت هذه كمها فاخذ رسول الله عوُداً فَمَسحَ به عَينَيها فابصرتا...

وان كان عيسى قد اَحيَ الموتى بأذن الله تعالى فقد روى عن الرضا عليه السلام انّه قال اجتَمَعت قريش الى رسول الله فَسَئلوه ان يُحيىَ لَهم مَوتاهم فَوَجَّه لهم على ابن ابيطالب فقال اذهَبِ الى الجبانة فناد باسم هولاء الرَّهط الّذين يسئَلون عنهم باعلى صَوتك يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم رسُول الله قوموا بأذن الله، فقاموا ينفضون التّراب عن رؤسهم فاقبلت قريش تَسئَلهم عن امورهم ثم اَخبَروهم ان محمّد قد بُعِثَ نبيّاً الخبر.

قال حسّان ابن ثابت:

---

١. مريم/ ١٢.
٢. طه/ ٢-١.

وان كـان مـن مـات يـحيى لكـم يـــناديه عـــيسى بـربّ العـلى
فـــــاِنّ الذّراع لقـــد سَـــمّها يـــهود لاحـــمد يـوم القـرى
فـــــنادته انّـــى لَـــمَسمُومةٌ فـــلا تَـقَّر بـنى وقـيت الأذى

فَظَهر انّه ﷺ كان واجداً لجميع الكمالات وآتيا بجميع المعجزات، فهو نسخة الجامعة لجميع الأنبياء والمُرسلين فيَليق بان يكون خاتماً لهم وشريعته ناسخة لشرايعهم وأوصيائه افضل اوصيائهم وامّته اشرف من أُمَمهم والحمد لله ربّ العالمين.

▫ **قوله عليه السلام: كَرِيماً مِيلادُهُ:**

الكريم: على وزن فعيل صفة مشّبهة بمعنى ذو الكرم قال فى المنجد وهو من الأسماء الحُسنىٰ يقال رجل كريم جمع كرام وكرماء ويطلق الكريم من كلّ شيئٍ على اَحسَنه وعلى كلّ ما يُرضىٰ ويُحمَد فى بابه.

وقال الراغب فى مفرداته: الكرم اذا وصف الله تعالى به فهو اسم لاحسانه وانعامه المُتظافرة المُتظاهرة نحو **﴿انّ ربّى غنى كريم﴾**، واذا وصف به الانسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة الّتى تظهر منه ولا يقال هو كريم حتّى يظهر ذالك منه انتهى... والميلاد:

على مفعال وقت الولادة فعلى هذا يكون المعنى انّ وقت ولادته كان كريماً اى حَسَناً ونحن قبل الخوض فى اثبات حُسن وقت ولادته ﷺ من جهات شتّى كما سياتى انشاء الله نُقدّم تاريخ ولادته، وكيفية ولادته وسائر ما يتعلّق بها حتّى يتضح الحال وينكشف المرام...

ولد ﷺ فى سابع عشر شهر ربيع الاول على المَشهُور بين الأماميّة وذهب اكثر المخالفين الى انّها كانت فى الثّانى عشر منه واختاره الكلينى قُده منّا اِمّا اختيارا او تقيّة وذهب قليل من المخالفنين الى انّه ﷺ ولد فى شَهر رمضان وآخرون الى انّها كانت فى ثامن ربيع الاوّل...

وامّا يوم الولادة: فالمَشهُور بين الاماميّة انّه كان يوم الجمعة، وعند

المخالفين انّه يوم الاثنين، ثم الأشهَر بَيننا وبينهم انه ﷺ ولد بعد طلوع الفجر وقيل عند الزّوال وذكر المُورّخون وارباب السِيَر انّه كان فى ساعة الولادة غفر من منازل القَمر طالعاً وكان اليوم موافقاً للعشرين او لِلثّامن والعشرين او الغُرة من شهر نيسان الرّومى والسابع عشر من دَيماه بحساب الفُرس وكانت فى عهد كسرى انو شيروان بعد مضىّ اثنين واربعين من مُلكه وبعد مُضّى اثنين وثمانين وثمانمائة من وفات اسكندر الرّوُمى، وقيل بعد مضّى ثمانية واربعين من ملك كسرى...

وكانت ولادته ﷺ فى عام الفيل بعد مضى خمس وخمسين ـ او اربعين يوماً من الواقعة وقيل فى يوم الواقعة وقيل بعد ثلثين سَنَة منها وقيل بعد اربعين منها والاصح انّها كانت فى تلك العام، وقال ابو معشر البلخى من المُنجمين انّه كان طالع ولادته ﷺ الدَّرَجة العشرون من الجدى وكان الزحل والمشترى فى العقرب والمرّيخ فى بيته فى الحَمَل والشَمسَ فى الحَملَ فى الشَّرف والزُهرة فى الحُوت والشَرف والعطارد ايضاً فى الحُوت والقَمَر فى اول الميزان والرّاس فى الجَوراء والذنب فى القوس...

وقعت ولادته ﷺ فى الدّار المعروف بدار محمّد ابن يوسف وكان للنّبى فوَهَبه لعقيل ابن ابيطالب فباعه اولاد محمّد ابن يوسف اخا الحجّاج فادخله فى داره فلمّا كان زمَنَ هرون اخذَتَه خيزران امّه فاخرجته وجعلته مسجداً وهو الان معروف يزار ويُصلّىٰ فيه...

ونقل عن كتاب اسماء حُجَج الله تعالى انّه ﷺ وُلد فى ليلة السابع عشر من شهر ربيع الاوّل فى عام الفيل وقيل ولد عليه السلام عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الاوّل بعد خَمس وخمسين يوماً من هلاك اصحاب الفيل وقال بعض العامّة يوم الاثنيين الثّامن او العاشر من ربيع الاوّل لسبع بقين من ملك انوشيروان ويقال فى ملك هرمز ابن انوشيروان، وذكر الطَبَرى انّ مولده كان لاثنتى واربعين سنة من ملك انوشيروان، ووافق شهر

الرّوم العشرين من شَباط ونقل عن كتاب مواليد الائمة، انّه ولد لثلث عشره بقيت من شهر ربيع الاوّل فى عام الفيل يوم الجمعة مع الزّوال وروى عند طلوع الفجر قبل المبعَثَ باربعين سنة وحملت به امّه فى ايام التّشريق عند الجَمرَة الوُسطى وكانت فى منزل عبدالله ابن عبد المطلب وولدته فى شَعب ابيطالب فى دار مُحمّد ابن يوسف فى الزّاوية القصوى وقيل غير ذالك وقد اطال المُورّخون وارباب السير الكلام فى ولادته ونقلوا الاقوال المختلفة فيها والمشهور ما ذكرناه نَسَب النّبىﷺ من ابيه...

هو محمّد ابن عبدالله ابن عبدالمطلب (اسمه شيبة الحمد) ابن هاشم (اسمه عمرو) ابن عبد مناف (واسمه المُغيرة ابن قصى) اسمه زيد ابن كلاب ابن مُرّة ابن كعب ابن لوى ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النّضر (وهو قريش سمّى بالنّضر لانّ الله تعالى اختاره) ابن خزيمة ابن مُدركة ابن الياس النّبى ابن مضرّ ابن نزار ابن معدبن عدنان، روى عنهﷺ انّه قال اذا بلغ نَسَبى الى عَدنان فامسكوا:

اولئك آبائى فَجئنى بمِثلهم اذا جَمَعتنا يا جُرير المجامع

وقال الشاعر فى آبائهﷺ

هو ابن عبدالله نَجل الشَّيبَة هو ابن هاشم بدُون الرَّيبة
عبدُ منافٍ جَدّه نَجل قُصّيٍ ابن كلاب مُرَّةٍ كعبُ لُوَّى
هُوَ ابنُ مضر نزار معدٍ هو ابن عدنانِ وَفِىُّ العَهد
هو ابن أُدَدٍ هو ابن اليَسَع ابن سلامان من الهُمَيَسيع
هو ابن غالبٍ هو ابن فهرٍ هو ابن مالِك هو ابن النّضر
هُو ابنُ قَيدارِ ابن اسماعيل هُو ابن ابراهيمنا الخليل
ابن كنانة ابن اَنجب النّاس خذيمة مدركةِ والياسِ
اولئك الاطائب الكرام لآدم عليهم السّلام

وقال اصحاب التواريخ انّ عدنان هواد بن أُددَ بن اليسع ابن الهميسَع ابن

سلامان ابن بنت ابن حمل ابن قيدار ابن اسماعيل...

وقال ابن عباس عدنان ابن ادبن أُدَد بن اليَسَع ابن الهَميسع، ويقال ابن يامين ابن يخشب ابن صخر بن صابوغ ابن التميسع ابن بنت ابن قيدار ابن اسماعيل ابن ابراهيم ابن تارخ ابن ناخور ابن سروغ ابن ارغو (وهو هود ويقال رقانع ابن غابر وهو هود) ابن ارفحشد بن متوشلح ابن سام ابن نوح ابن املك ابن اخنوح (وهو ادريس) ابن مهلائيل ابن زيايرز ابن متينان ابن انوش ويقال ميناان ابن ادد بن انوش ابن شيث وهو هبة الله ابن آدم عليهم السلام وامّا نسبه ﷺ من جانب امّه. فامّه ﷺ آمنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة ابن كلاب ابن مرّة الى آخر النسب فرسول الله ﷺ وآمنة امّه صلوات الله عليهما يتجَمَّعان فى النَّسَب اذا بلغا الى الكلاب الى آخر النَّسَب كما لايخفى فنَسَبه ونسَبها صلوات الله عليهما يصل الى آدم ابوالبشر بتسعة واربعين اَباً...

وقال ابن هشام فى سيرته ما هذا لفظه: محمّد ابن عبدالله ابن عبدالمطلب (شيبة) ابن هاشم (عمرو بن عبد مناف) واسم عبد مناف المغيرة ابن قُصّى واسم قصى زيد ابن كلاب ابن مرة ابن كعب ابن لُوّى ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النّضر ابن كنانة (اسمه قيس ابن خزيمة ابن مدركة واسم مدركة عامر) ابن الياس ابن مضرّ ابن نزار ابن معد ابن عدنان ابن ادو يقال ادد وذهب بعضهم ان ادهو ابن ادد مولف) ابن مقوم ابن ناحور ابن يترح ابن يعرب ابن يشجب ابن ثابت ابن اسماعيل ابن ابراهيم ابن تارخ وهو آذر ابن ناحور ابن ساروغ ابن راعو ابن فالخابن عبير ابن شالخ ابن ارفخشد ابن سام ابن نوح ابن لمك ابن متوشلخ ابن اخنوخ وهو ادريس النّبى فيما يزعمون والله اعلم وكان اوّل بنبى آدم أُعطِى النّبوة وخطّ بالقلم ابن يرد ابن مهائيل (مهليل) ابن قينن ابن يانش ابن ثيث ابن آدم ﷺ انتهى...

ثم نقل عن بعضٍ: انّ اسماعيل ابن ابراهيم تارخ وهو آذر ابن ناخوُر ابن اَسرع ابن ارغو ابن فالخ ابن عامر بن شالخ ابن ارفَخشَذ ابن سام ابن نوح ابن

لمك ابن متوشلخ ابن اخنوخ ابن يرد ابن مهلائيل ابن قاين ابن الفرشق شيث ابن آدم عليه السلام.

اقول: وانت ترى انّ الاختلاف الواقع بينهم فى اجداده صلى الله عليه وآله انّما هو بعد عدنان ولَعَلَّ الرّسُول صلى الله عليه وآله لهذه الجَهَة قال: اذا بلغ نَسبى الى عدنان فامسكوا، وامّا نَسبه صلى الله عليه وآله من طرف الامّ الى كلاب ابن مرّة فلاخلاف فيه اصلا هذا كيفية ولادته صلى الله عليه وآله وما وقع فيها...

روى انّه تصور لعبد المُطّلب، انّ ذبح الولد افضل قربةٍ لما عَلِم من حال اسماعيل عليه السلام فَنَذر انّه متىٰ رُزِق عَشَرة اولاد ذكور ان يَنحَر احدهم لِكَعَبَة شكراً لربّه فَلمَّا وَجَدهم عشرة قال لهم يا بُنّى ما تقولون فى نذَرَى فقالوا الأمر اليك ونحن بين يديك فقال لينطلِق كل واحد منكم الى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا واتوه بالقداح فَاَخذَها وقال:

عاهَدتُه والآن اُو فى عهده اذ كان مولاى وكنت عبده
نَـذَرتُ نَـذرا لاَحبّ رده ولا اُحبّ ان اَعيش بَـعده

فقدَّمهم ثم تعلّق باستار الكعبة ونادى اللّهم ربّ البلد والحرام والركن والمقام وربّ المشاعر العظام والملائكة الكرام، اللّهم انت خَلَقت الخلق لطاعتك وامرتهم بعبادتك لاحاجة منك فى الكلام له، ثم امر بضرب القداح وقال اللّهم اليك اسلَمتهم ولك اعطَيتهم فخذ مِن اَحبَبت منهم فانّى راض بما حَكَمت وَهَب لى اصغَرهُم سِنّاً فانّه اَضعَفهم رُكناً ثمّ انشاء يقول:

يا ربّ لاتخرج عليه قدَحى واجعل له واقية من ذبحى

فخرج السّهم على عبدالله فاَخَذ الشَّفرة واتى عبدالله حتّى اَضجَعه فى الكعبة وقال:

هذا بُنىَّ قد اُريد نَحره والله لايقدر شيئى قدره

فان يوخره يقبل عذره

وهَمَّ بذبحه فأمسَك ابوطالب يده وقال كلّا وربّ البيت

كلّا ورب البيت ذى الأنصاب ما ذبح عبدالله بالتِلّعاب

ثم قال اللّهم اجعَلَنى فديته وهب لى ذبحَته ثم قال:

خذها اليك هَدِّية يا خالقى روُحى وانت مليك هذا الخافق

وعاونه اخواله من بنَى مَخزُوم وقال بعضهم يا عجباً من فعل عبد المطلب وذبحه ابنه كتمثال الذَهَب فاشار واليه بكاهِنة بنى سعدٍ فخرج فى ثمانمائة رجلٍ وهو يقول:

تَعاوَرَبى اَمرُ فَضُغتُ به ذَرعاً ولَم اَستَطَع مِمّا تُجلّلنى دَفعاً

نَذَرت ونذر المَردَينُ ملازم وما لِلفتى مِمّا قَضىٰ ربّه مَنعاً

وعاهَدته عَشراً اذا ما تكمَّلوا أُقرِّبُ منهم واحداً ما له رَجِعا

فاكملهم عشراً فلَمّا هَمَمتُ ان اَفِىَ بذالك النّذر ثار له جُمعاً

يَصدُّونَنى عن امرَ ربّى وانّهم (انّنى) سأُرضيه مَشكُوراً ليلبَسنى نُفعاً

فلمّا دخلوا عليها قال: يا ربّ انّى فاعل لما تردان شئت الْهمت الصّواب والرّشد فقالت كم دية الرّجل عندكم قالوا عَشَرة من الابل قالت واخرجوا على الغلام وعلى الأبل القداح فان خرج القداح على الابل فانحرُوها وان خرج عليه فزيدوا فى الابل عشرة عشرة حتّى يرضىٰ ربّكم وكانوا يَضربُون القداح على عبدالله وعلى عشرة فيخرج السّهم على عبد الله الى ان جعلها مائة وضَرَب فخرج القدح على الابل فكبّر عبدالمطلب وكَبَّرت قريش ووقع عبدالمطلب مَغشّياً عليه وتواثَبَت بنو مخزوم وحملوه على اكتافهم فلمّا افاق من غشيته قالوا قد قبل الله منك فداولدك فبنيما هم كذالك فاذا بها تفٍ يَهتَف فى داخل البيت وهو يقول: قُبِل الفداء ونُفِذ القضاء وآنَ ظُهور محمّد المصطفى فقال عبدالمطلب القَداح تخطى وتَصيب حتّى اضرب ثلثا فلما ضربها خرج على الابل فارتجز يقول:

دعوت ربّى مُخلصاً وجَهراً يا ربّ لاتَنحرُبنّى نحرا

فَنَحرها كلّها فجَرت السّنة فى الدّية بمائة من الأبل وقال رسول الله انا ابن

الذَبَّيحين، فلَمَّا فَرغ عبدالمطلب من الأبل انصَرَف بابنه عبدالله وهو آخذ بيده فَمرَّ على امّ قتال نوفل ابن اسد أُخت ورقة ابن نوفل وهى عند البيت فقالت له حين نظرت اليه والى وجهه اين تذهب يا عبدالله؟ فقال مع ابى واسمها فاطمة وقد قرات الكتب وقالت له ايضاً انت الّذى فداك ابوك بمائة من الابل؟

قال نعم فقالت هل لك ان تقع عَلى مَرَّة واعطيك من الابل مائة فنظر اليها وانشاء:

امّا الحرام فالممات دوُنَه والحِلّ لاحلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الّذى تبغينَه يحمى الكريم عِرضَه ودَينه

ومضى مع ابيه فزوّجه آمنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة فاقام عندها يوماً وليلة وقيل ثلاثا فَحُمِلت بالنّبى ﷺ ثمّ انصرف عبدالله فمرّ بها ثانياً فقال لها عند ذالك مُخبتراً هل لك فيما قلت لى؟ فقالت: يا فتى ما انا بصاحبة ريبة ولكنّى رايت فى وجهك نوراً فاردت ان يكون لى فابى الله الّا ان يجعله حيث اراد فما صنعت بعدى قال عبدالله:

زوّجنى ابى آمنة بنت وهب قالت فاطمة بنت مرّ فى هذا.

انّى رايت مخيلة لَمَعت فَتلاَلَتَ بحناتم القطر
فسمابها نور يضئى به ما حَوله كاضائةِ البَدر
ورأيت سُقياها حَيا بلد وقعت به وعمارة القفر
فَرجوته فخراً ابوه بِه ما كلّ قادح زِنده يُورى
لله ما زهرية سَلبَت منك الّذى سَلبَت وما تَدرى

وقالت ايضاً:

بنى هاشم قد غادَرت من اَخيكم امنيتة اذ لِلباه يعتلجان
كما غادَر المصباح عِند خُموده فتائل قَد بَلَّت له بدهان
فما كلّ ما يَحوى الفتى من ملاذه لعزم ولا ما فاته لتوان
فاجمل اذا طالبت امراً فانّه سيكفيكه جدّان يعلتجان

ولما حَوَت منه امنية ما حَوَت حَوَت منه فخراً ما لذالك شأنى

ثم ارسل عبدالمطلب ابنه عبدالله الى المدينة يمتارِ لهم تمرافمات بالمدينة وقيل بل كان بالشام فاقبل فى عير قريشٍ فَنَزل بالمدينة وهو مريض فتوفّى بها ودفن فى دار النّابغة الجُعدى وله خمس وعشرون او ثمان وعشرون سنة وآمنة حاملة برسول ﷺ.

فلمّا وضعته امّه ﷺ اَرسَلت الى جَدّه عبدالمطلب انّه قد ولدلك غلام فأتِه فانظُر اليه فاتاه فَنَظر اليه وحَدَّثته بمارات حينَ حَملت به، وما قيل لها فيه وما امرت به ان تسميّة... فاخذه عبدالمطلب ودخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكُر له ما اعطاه ثم خرج به الى امّه فدفعه اليها والتمس لرسول الله ﷺ الرضعاء فاسترضع له امرئة من بنى سعد ابن بكر يقال لها حليمة ابنة ابى ذويب.

وابو ذويب هو عبدالله ابن الحارث ابن شَجَنة ابن جابر ابن رزام ابن ناحرة ابن فصيّة ابن نصر ابن سعد ابن بكر هوازن ابن منصور ابن عكرمة ابن خصفة ابن قيس ابن عيلان، واسم ابيه الّذى اَرضَعه ﷺ الحارث ابن عبد العُزّى ابن رفاعة ابن ملاّنِ ابن ناصرة ابن نصر ابن سعد ابن بكر ابن هوازن وقيل هلال ابن ناصرة...

واِخوَته من الرِّضاعة عبدالله ابن الحارث، وانسية ابن الحارث وخذافة بنت الحارث وهم لحليمة بنت ابى ذويب ويذكرون انّ الشّيما كانت تحضنه مع امّها اذا كان عندهم وكانت حليمة تحدث انّها خَرَجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير (اسمه عبدالله) ترضعه فى نسوةٍ من بنى سعد ابن بكر تلتمس الرَّضعاء قالت وذالك فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً قالت فَخَرَجت على اتان لى قمراء معنا شارف لنا والله ما تَبضُّ بقطرةٍ وما تنام ليلنا اَجمَع من صَبينا الّذى مَعنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى ما يُعنيه وما فى شارفنا ما يُغذّيه ولكنّا كُنّا نَرجوُا الغَيث والفَرج فخرجَت على اتانى تلك فقد اِدمتُ بالرّكب حتّى شق

ذالك عليهم ضعفاء وعجفاً حتّى قدمت مكة التُمس الرَّضعاء فما منّا امرئة الّا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتاباه اذا قيل لها انّه يتيم وذالك انّا كنّا نرجوا المعروف من ابى الصّبى فكنّا نقول يتيم وما عسى ان تضع امّه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرئة قدِمَت معى الّا اَخذَت رضيعاً غيرى فلمّا اَجمعنا الأنطلاق قلت لصاحبى والله انّى لاكره ان اَرجع من بين صَواحبى ولم آخذ رَضيعاً والله لأذهَبن الى ذالك اليَتيم فلاخّذنَه، قال لاعليك ان تفعلى عسى الله ان يَجعَل لنا فيه بركة قالت فذهبت اليه فاَخذتهُ وما حَمَلنى على اخذه الّا انّى لم اجد غيره قالت فلمّا اخذته رجعت به الى رَحلى فلمّا وضعته فى حِجرى اقبل عليه ثدياى بما شاء من لَبنٍ فشَرب حتّى رَوى وشرب معه اخوَه حتّى رَوى ثم ناما وما كنّا ننام معه قبل ذالك وقام زوجى الى شارفنا تلك فاذا انّها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت معه، حتّى انتهينا ريّاً وشبعاً فَبِتنا بخير ليلةٍ قالت يقول صاحبى حين اَصبحنا تعلمى والله يا حليمة لقد اخذتِ نسمةً مباركة قالت فقلت والله انّى لارجو ذالك، قالت ثم خرجنا وركبت انا اتانى وحملته عليها معى فوالله تبارك تعطعت بالركب ما يقدر عليها شيئى من حُمرِهِم حتّى ان صواحبى لَيقُلن لى يابنة ابى ذويب وَيحك اربعى عَلينا اَلَيسَت هذه اتانك الذى كنت خرجتِ عليها فاقول لهنّ بلى والله انّها لهى فيقلن والله انّ لَها لشانا...

قلت ثمّ نَزَلنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما اعلم ارضا من ارض الله اَجدَب بها (منها) فكانت غَنمى تَروُح عَلىَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبنٍ ولايجدها فى ضَرعٍ حتّى كان الحاضرون من قَومنا يقولون لرُعيانهم ويلكم اَسرِحوُا حيث يَسرح راعى بنت ابى ذويبٍ فتروح اغنامهم جياعاً ما تَبُضُّ لَبَنٌ وتَروُح غَنَمى شباعاً لبناً فلم نَزَل نتعرّف من الله الزّيادة والخَير حتّى مَضَت ستاه وفصلته وكان يشب شباباً لايشبه الغلمان فلم يبلغ سنيته حتّى كان غلاماً جفراً.

قالت فقد منا به على امّه ونحن اَحرَص شيئٍ على مكثِه فينا لما كنّا نرى من بركته فكَلَّمَنا امّه وقلت لها لو تركت بُنيَّ عِندى حتّى يغلظ فانّى اخشى عليه وباء مكّه قالت فلم نَزَل بها حتّى رَدَّته معنا، قالت فرجعنا به فوالله انّه بعد مقدمنا به باشهر مع اخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ اتانا اخوه يشتدّ فقال لى ولابيه ذالك اخى القرشى قد اخذه رجلان عليهما ثِيابٌ بِيض فاَضجعاه فَشقّا بَطنه فهُما يَسوُطانه...

قالت فَخَرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قائماً فتقعاً وجهه، قالت: فالتَزَمته والتَزَمه ابوه فقُلنا له مالك يا بُنيَّ قال جائنى رجلان عليهما ثياب بِيض فاَضجَعانى وشَقّا بَطنى فاتَمَسا فيه شيئاً لاادرى ما هوى قالت فَرَجعنا به الى خبائنا، قالت وقال لى ابوه يا حَليمة لقد خشيت ان تكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه بأهله قبل ان يظهر ذالك به.

قالت فاحتَمَلناه وقَدِمنا به على اُمّه فقالت ما اَقدمك به ياظئى وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بَلَغ الله يا بنى وقَضيت الّذى علىّ وتخوّفت الأحداث عليه فَاَديّته اليك كما تحبيّن، قالت ما هذا شانك فاصدقيّنى خبرك قالت فلم تدعنى حتّى اخبرتها قالت اَفتَخوفتِ عليه الشَّيطان قالت قلت: نعم قالت كلّا والله ما لِلشّيطان عليه من سبيل وانّ لِبُنيَّ شأناً اَفَلا اخبرُك خَبره قلت بلى، قالت رَايت حين حَمَلتُ به انّه خرج منى نور اضاءَ لى قُصور بُصرى من اَرض الشّام ثم حَمَلتُ به فوالله ما رايت من حملٍ قَطّ كان اَخَفّ عَلَىّ ولا اَيسَر منه ووَقِع حين وَلدتُه وانّه لواضع يَدَيه على الارض رافعٌ رأسَه إلى السّماء دَعِيه عَنك وانطِلقى راشدةً.[1]

ثم قال فى السّيرة وكان رسول الله ﷺ مع امّه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب ابن هاشم فى كلائة الله وحِفظه يُنبته الله نباتاً حَسناً لِما يُريد به من كرامته فلمّا بَلغ رسول الله ﷺ ستّ سنين توفيّت امّه آمنة بنت وهب بالأبواء

١. سيرة ابن هشام، ج ١.

منصرفة الى مكة بين مَكّة ومَدينة ورسول الله ابن ست سنين وكان رسول الله ﷺ مع جده عبدالمطلب ابن هاشم وكان يوضع بعبد المطلب فراش فى ظلِّ الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذالك حتّى يخرج اليه لايَجلس عليه احد من بنيه اجلالاً له فكان رسول الله ﷺ ياتى وهو غلام صغير حتّى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليُوخروه عنه.

فيقول عبدالمطلب اذ راى ذالك منهم دعوا بُنى فوالله انّ له لشاناً، ثمّ يجلسه مَعَه على الفَراش ويَمسَح ظَهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع.

«وفات عبدالمطلب»

فلمّا بلغ رسول الله ﷺ ثمانى سنين توفّى عبدالمطلب ابن هاشم وذالك بعد عام الفيل بثمانى سنين، ولمّا حَضرَته الوفاة وعرف انّه مَيّت جَمَع بناتَه وكُنَّ سِتّ نِسوة: ١ـ صفيّه ٢ـ بردة ٣ـ عاتكة ٤ـ ام حكيم البيضاء ٥ـ اميمة ٦ـ وارَوىٰ.

وقال لهنّ ابكين عَلَىّ حتّى اَسمَع ما تَقلُنَ قبل ان اَموُت، فقالت صفيّة بنت عبدالمطلب تبكى اباها:

اَرقَتُ لِصَوت نائحةٍ بلَيلٍ ... على رجلٍ بقارعة الصَعيّدِ
فَفاضَت عِند ذالكم دُموُعى ... على خَدّى كمُنحَدر الفَريد
على رجُلٍ كريم غير وَغَلٍّ ... له الفَضلُ المُبين عَلى العَبيد
على الفيّاض شَيبةً ذِى المَعالى ... اَبيكَ الخَير وارثُ كلّ جودٍ
صَدوُقٌ فِى المَواطن غير نكسٍ ... ولَا شَخَت المَقام ولا سَنيد
طَويل البَاع اَروَعُ شَنَطّمٍ ... مُطاعٌ فى عَشيرتَه حميد
رَفيعُ البَيت اَبلَج ذِى فُضولٍ ... وغَنيثُ النّاس فى زَمَن الحُرودِ
كريم الجدّ لَيس بِذى وصومٍ ... يَروُق عَلى المُسَوّد والمَسوُد
عَظيم الحِلم من نَفَرٍ كرامٍ ... خضارقه ملاوثةٍ أُسوُد
فَلَو خَلد امرؤٌ لقَديم مجدٍ ... ولكن لاسبيلَ اِلى الخُلوُد

لكـان مُـخلّداً اخـرى اللّـياليّ لفَضل المَـجد والحَسَب النّـليه

وقالت سائر بناته ايضاً نظير هذه الاشعار راجع سيره ابن هشام، فلمّا توفى عبد المطلب فكان رسـول الله مـع عـمّه ابـيطالب وكـان ذالك بـوصيّته مـن عبدالمطلب الى ابيطالب وذالك لأنّ عبدالله ابا رسول الله واباطالب اخوان لأبٍ وامٍّ اُمّها فاطمة بنت عمرو ابن عائذ ابن عبد ابن عمران ابن مخزوم، وقد ذكرنا كيفية خروجه صلى الله عليه وآله مع عَمّه الى الشّام وما جرى بينه وبين البُـحيراء الرّاهب وسائر ما وَقَع من كرامته صلى الله عليه وآله عند شرح قوله عليه السلام مأخوذاً مـن النّـبيين مـيثاقه فراجع، ولنذكر بعض صفاته صلى الله عليه وآله تيّمناً وتبركاً به فنقول:

امّا جوُده و سَخائه صلى الله عليه وآله فقد روى عن اميرالمؤمنين صلى الله عليه وآله قال كان رسول الله اَجوَد الناس كفّاً واَكرَمهم عشرةً مَن خالَطه فَعَرِفه اَحبَّه، وعنه عليه السلام كان اذا وصف رسول الله قال كان اَجوَد الناس كفّاً واَجرأ النّاس صدراً، واَصدَق الناس لهجةً واوفاهم ذِمّةً والَينَهُم عَريكةً واَكرمهم عشرةً ومن راه بديهةًّها به ومـن خالَطه فعِرفَه اَحبَّه لَم اَر مَثله قَبله ولا بَعده شجاعته صلى الله عليه وآله عن علىّ عليه السلام قال لقد رأيتنى يومَ بَدر ونحن نَلوُذ بالنَّبى وهو اَقرَبنا الى العَدُوّ وكان اَشدَّ النّاس يومئذٍ بأساً، وعنه عليه السلام قال: كنّا اذا حَمّر الباس ولَقَى القَوم اتقِينا برسولِ الله فما يكون احد اَقرَب الى العَدّ ومنه.

علامة رضاه وغَضَّبه صلى الله عليه وآله: عن ابن عمر قال كان رسول الله يعرف رضاه وغَضبه فى وجهه وكان اذا رضى كانّما تـلاحك الجـدّ وجـهَه، واذا غَـضبٍ خَصَفَ لَونه واَسوَدّ وعَن كعب ابن مالك قال كان رسول الله، اذا سَرَّه الأمـر استتار وَجهه كانّه داره القَمَر، وعن علىٍ قال كان رسول الله اذا رأى ما يجب قال الحمد لله الّذى بنعمته تتمّ الصالِحات رفقة صلى الله عليه وآله بامّته

عن انس قال كان رسول الله اذا فَقَد الرَّجل من اخوانه ثلثة ايام سئل عنه فان كان غائباً دَعاله وان كان شاهداً زاره وان كان مريضاً عاده.

بكائه صلى الله عليه وآله: عن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وابـراهـيم يـجود بـنفسه

فدَمعت عيناه فقال رسول الله تدمَع العَين ويَحزَن القلب ولا اقول الّا ما يرضى ربّنا وإنّا بك يا ابراهيم لَمَحزوُنوُن...

مَشيه ﷺ: عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال كان رسول الله اذا مشى تَكَفّاً تَكَفّاً كانّما يَتَقلّع من صَبَبٍ لَم اَرَ قَبله ولا بَعده مثله، وعن جابر قال: كان رسول الله ﷺ اذا مشى مَشىٰ مَشياً يعرف انّه ليس بمشى عاجز ولا كسلان

خصائصه ﷺ: قال العلّامة قده فى التذكرة فامّا الواجبات عليه دون غيره من اُمّته امور: الاوّل: السّواك الثانى: الوتر الثالث: الأضَحية روى عنه ﷺ انّه قال ثُلث كُتِبَ عَلَّى ولم تُكتَبَ عليكُم السّواك والوتر والأضحَية الرابع: قيام الليل الخامس: قضاء دين من مات مُعسراً السادس: مشاورة اولى النهى لقوله تعالى وشاورهم فى الامر، وقيل ليس بواجب عليه بل امرٌ لاستِمالة قُلوُبهم وهو المُعتَمد فانّ عَقل النَّبى اَوَفر من عقول كلّ البشر السّابع: انكار المنكر اذا رآه لانّ اقراره على ذالك يوجب جوازه الثامن: كان عليه تخيير نسائه بين مفارقته ومصاحبته لقوله تعالى: **﴿يا اَيُّهَا النَّبِي قُلْ لِاَزْواجِكَ اَنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيا﴾**[1]

وامّا المُحَرّمات عليه ﷺ فقسمان: قِسمٌ ما حُرِّمَ عليه خاصة فى غير النكاح وقِسمٌ حُرِّم عَليه فى النكاح. امّا القسم الاوّل فامور: الاوّل: الزّكوة المَفرُوضة والثانى: الصَدَقة المَندوُبة الثالث: انّه لايأكل الثُّوم والبَصَل والكراث الرّابع: كان لاياكل متكّئاً والاقرب كراهته وكذا الثالث الخامس: يحرم عليه الخَطّ والشّعر لقوله تعالى ولا تَخُطّه بيَمينك وقوله تعالى ما عَلّمناه الشِّعر وما ينبغى له السّادس: انّه اذا لبس لامة الحرب يحرم عليه نَزعَها حَتّى يَلقى العَدوّ ويقاتل. السّابع: إذ ابتَدأ بتطوّع حَرُم عليه تركه قبل اتمامه وفيه خلاف. الثامن: يحرم عليه ان يمدّ عينيه الى ما متع الله به النّاس قال الله تعالى ولاتَمُدَّن عَينَيك الاية التّاسع يَحرُم عليه خائنة الأعيُن وفَسَّروها بالايماء الى مباحٍ من ضربٍ او

---

١. الاحزاب / ٢٨.

قتلٍ العاشر: يحرم عليه ان يصلّى على مَن له دَين على اختلاف فيه، الحاديعشر هل يجوز عليه الصلوة على من عليه دين مع وجود الضّامن او لايجوز الثانى عشر لم يكن له ان يَمُنّ ليستكثر قال الله تعالى **﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾**[1] وامّا ما يحرم عليه فى النكاح خاصة:

الاوّل: امساك من تكره نكاحه وترغب عنه الثّانى: نكاح الكفّار عدد ازواجه ﷺ: قال ابوعبيدة تزوَّجَ رسول الله ثمانية عشراً مرئة، واتَّخَذ الآباء ثلاثاً: وقال بعض آخر خمس عشر ومات رسول الله ﷺ عن تسع نسوة: عايشة، حَفصة، امّ سلمة، امّ حَبيبة، مَيمُونة، جُوهريّة، سوْدة، وَصفيّة وزينب بنت حَجش وجميع من تَزوّج بهنّ خمسة عشر، وجَمعَ بين احدِى عشر ودخل بثلث عشر وفارق امرءتين فى حياتهما:

احدهما: الكَلبيّة والاخرى التى تَعوَّذت منه واوّل من تَزوَّج به ﷺ هو خديجة بنت خويلد سلام الله عليها.

▫ قوله عليه السلام: **وَأَهْلُ الْاَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِّلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَاَهْوَاءٌ مُّنتَشِرَةٌ ،وَطَرَائِقُ مُتِشِتّةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّهِ بِخَلْقِهِ ،اَوْ مُلْحِدٍ فِى اسْمِهِ، اَوْ مُشِيرٍ اِلىٰ غَيْرِهِ، فَهَدٰاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاٰلَةِ، وَاَنقَذَهُمْ بِمَكٰانِهِ مِنَ الْجَهٰالَةِ** والمقصودُ من هذه الفقرات كلّها اثبات انّ ميلاد رسول الله ﷺ الّذى كان مقدمة لبعثته كان كريماً اذ به ﷺ زال الأختلاف واَرتَفَع اَلتَشتُّتّ والنّفاق من الاقوام والمِلَل المُختلفه وصار النّاس كاالكلِمة الواحدة كلّ ذالك ببركة لااله الّا الله محمّد رسول الله ﷺ ـ ولتوضيح الموضوع نتكلم اجمالاً فى آراء الناس وعقائدهم فى زمان الجاهلية حتّى يُعلَم حق المقال فيه فنقول: لمّا قَتَل قابيل هابيل فى زمان آدم عليه السلام وهو اوّل قتلٍ وَقَع على الارض من الآدميين بل هو مَنشَاء لكلّ المعاصِى والخطايا هَرَب من ابيه وسافر الى اليمن فاتاه ابليس وقال انّما اَكلَت النّار قُربان هابيل لانّه كان يَعبُدها فانصَب اَنت ايضاً ناراً تكون لك، ولِعَقِبك فبنى بيت نارٍ

١. المدّثر/٦.

وهو اَوّل مَن نَصَب النّار وعَبدَها واتّخذ اولاده الآت اللّهو من اليراع والطّنبور والمزامير واَنهَمكوا فى اللّهو وشُرب الخمر وعبادة النّار والزّنا والفَواحش حتّى غَرقّهم الله ايّام نوح بالطُّوفان فمِن هنا ظَهَر الفساد فى البَّر والبَحر ذالك بما كَسَبت ايديهم، وكان قتله اخاه شَدخاً بحجرٍ فيقال انّ الوُحوُش هنالك استوحشت من الانسان وذالك انّه بَدَأ مبلغ العرض بالشرّ والقتل ولمّا علم آدم بذالك حَزَن وجَزَع وارتاع وهَلَع وقال فى رِثا الهابيل على ما ينسب اليه:

تغَيَّرت البلاد وَمَن عليها فوَجه الأرض مُغَيّرُ قَبيحُ
تَغَيّر كلّ ذِى لونٍ وطَعم وَقَلّ بشاشةُ الوَجه الصَبيح
وبَدَّلِ اَهلَها خَمطاً واَثلاً بجنّاتٍ من الفِردَوس فَيحُ
وجاوَرنا عدّوُ لَيسَ يَنسىٰ لعينٍ لايموُت فنستريح
وقتل قاينٍ هابيلَ ظُلماً فوا اسفاً على الوجه المَليحُ
فما لى لااجوُد بسكبِ دمع وهابيل تَضَمّنه الضَّريحُ
اَرىٰ طوُل الحَياة علَىّ غمّاً وما انا من حياتى مُستَريحُ

فاجابه ابليس لَعنَه الله على ما قيل:

تنحّ عَن البلاد وساكنيها فَقد فى الارضِ ضاقَ بك الفَسيحُ
وكُنتَ وزَوجك الحوّاء فيها آآدم من آذى الدّنيا مريحُ
فما زالت مكائدتى ومَكرى اِلى اَن فاتَك الثَّمن الرَّبيح
فلولا رحمة الرّحمن اضحت بكَفِّك من جنان الخُلد ريحُ

وسَمع آدم صوتاً ولا يَرى شَخصَه وهو يقول:

ايا هابيل قد قتلا جميعا وصارَ الحَىّ بالمَوت الذَّبيح

فهذا اوان الشُّروع فى الظّلم والفساد فى الارض وبعد موتِ قابيل او قاين احدث كثير من الملاهى والمنكرات اَحدَثها ولدُ قابيل تبعاً لأبيهم وهكذا الامر اسَتَمرّ فى اولاده الى ان انتَشَرت فى البلاد والافاق ووَصَلت النّوبة الى زمان الجاهلية الّذى هو معركة الاراء بين المُورّخين وارباب السّير من جهة كثرة

الشُّرور والفساد وعبادة الاوثان واتيان المنكرات وترك الحَسَنات، والمِلَلَ يومئذٍ اربعة: العَرَب، والهند والرُّوم والعَجَم وسائر الافراد من اَهل الارض ليس لهم مَسلَك مستقلّ بل كلّهم تابعون لها فى العقيدة والرّاى وقد ذكر ارباب السِيَّر انّ العَرَب والهند متقاربان فى الرّاى كما انّ الرُّوم والعَجَم متقاربان وذالك لانّ العَرَب والهِند غلبت عليهم الفِطرة والطَّبع فاعتَبَروا خواصّ الاشياء والحُكم باحكام الماهيات بخلاف الرُّوم والعَجَم حيث انّ الغالب عليهم الأكتِساب والجُهد فلاجرم اعتَبروا كيفيّاتِ الاشياء والحكم باحكام الطّبايع قال الشهرستانى فى الملل والنِّحل واَوّل من وَضَع فيه (اى الكعبة) الأصنام عمرو بن لحى لما ساد قومه بمكة واَستَولى على امر البيت ثم صار الى مدينة البلقاء بالشّام، فراى قوماً يعبدون الاصنام فسَالَهم عنها فقالوا هذه ارباب اتّخذناها على شكل الهياكل العِلوية والأشخاص البَشَريّة نستنصر بها فنُنصَر ونَستَسقى فَنُسقى فاَعجَبه ذالك فطلب منهم صنماً من اصنامهم فدفَعوا اليه هُبَل فصار الى مكة ووَضعَه فى الكعبة وكان معه اَساف وناثلة على شكل زَوجين فدعا الناس الى تعظيمها والتّقرب اليهما والتوسل بهما الى الله وكان ذالك فى اوّل ملك شابور ذى الاكتاف الى ان اَظهَر الله الاسلام فاخرجت، وابطلت ثم قال:

ثم اعلم انّ البيوُت تنقسم الى بيوت الأصنام وبيوت النّيران، امّا البيوت النيران فكانت للعَجَم والرُّوم وامّا بيوت الاصنام الّتى كانت للعَرَب والهند فهى البيوت السَّبعة المعروفة المَبنيّة على السَّبع الكواكب فمنها ما كانت فيها اصنام فحوّلت الى النّيران ومنها ما لم تحوّل ولقد كان بين اصحاب الاصنام واصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دُول فيما بينهم وكان كلّ من استولى وقهرَ غَيّر البيت الى مشاعر مذهبه ودينه فمنها بيت فارس على رأس جَبَل باصفهان على ثلاث فراسخ كانت فيه اصنام الى ان اَخرَجها گشتاسف الملك لمّا تَمجّس وجَعَلها بيت نار.

ومنها البيت الّذى بمولتان من ارض الهند فيه اصنام لم تغيّر ولم تبدّل ومنها

بيت سدوسان من ارض الهند ايضاً وفيه اصنام كبيرة كثيرة العُجب والهند يأتون البَيتَين فى اوقات من السّنة حجّاً وقصداً اليها، ومنها النَّوبهار الّذى بَناه منوچهر بمدينة بلخ على اسم القَمَر فلما ظهر الاسلام خربه اهل بلخ، ومنها بيت غمدان الّذى بمدينة صنعاء اليمن بناه الضحاك على اسم الزُّهرة وخَربَه عثمان، ومنها بيت كلووسان بناه كاوس الملك بناءً عجيباً على اسم الشَّمس بمدينة فرغانة خَرَبه المُعتصم انتهى.

اقول: هذه بيوت الاصنام الّتى ذكرها الشهرستانى فى كتابه للعرب والهند ثم عَقَّب البحث بذكر آرائهم وعقائدهم وفِرَقهم المختلفه وافكارهم الكاسدة ونحن تَنقُل ما نقله فى هذا المقام قال:

واعلم: انّ العرب اصناف شتّى فمنهم مُعَطّلة ومنهم مُحصّلة، نوع تحصيل فمُعطّلة العرب وهى اصناف: فصنف منهم انكَر والخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطَّبع المُحيى والدَّهر المُفنِى وهم الّذين اخبر عنهم القرآن المجيد قال الله تعالى: ﴿وَقالُوا ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيَى وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهرُ﴾[1] اشارة الى الطبايع المَحسُوسة فى العالِم السّفلى وقصر الحيوة والموت على تركيبها وتحلّلها فالجامع هو الطَّبع والمُهلك هو الدّهر وما يُهلكنا الّا الدّهر وما لهم بذالك من علم ان هم الّا يَظُنّون.

فاستدلّ عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فكرية (فطرية) فى كم آية وكم سورة قال الله تعالى:

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ، إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]

و ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْاَرْضَ فِى يَوْمَينِ﴾[3]

و ﴿يٰا اَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[4]

---

١. الجاثية / ٢٤.
٢. الاعراف / ١٨٥-١٨٤.
٣. فصّلت / ٩.
٤. البقرة / ٢١.

فاَثبَت الدّلالة الضَّروريّة من الخلق على الخالق وانّه قادر على الكمال إبداءً وإعادةً انتهى ما قال الشهرستانى فى الصِّنف الاوّل.

اقول: وهولاء هم الدَّهريون الّذينهم عَطَّلوا المَصنوُعات عن صانعها والمخلوقات عن خالقها كما اشار اليهم فى القرآن الكريم: **﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾**[1] وهولاء على ما قيل فرقتان: الفرقة الأولى: قالت انّ الله سبحانه خلق الافلاك مُتحرّكة اَعظَم حركةٍ دارت عليه فاَحرَقته فلم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها. والفرقة الثّانية: قالت انّ الاشياء ليست لها اوّل البتة وانّما تَخرُج من القُوّة الى الفعل فاذا خَرج ما كان بالقُوة الى الفعل تَكوَّنت الاشياء مركبّاتها وبسائطها من ذاتها لامن شيئى آخر وقالوا انّ العالم لم يَزَل ولا يَزال ولا يتغَيّر ولا يضَمَحّلّ ولا يجوزان يكون المُبدع يفعل فعلاً يبطل ويَضمحلّ الّا وهو يَبطل ويَضمحلّ مع فعله، وهذا العالم هو المُمسِك لهذه الأجزاء الّتى فيه وهولاء هم المُعطّلة حقّا فالجامع عندهم هو الطَّبع والمُهلك هو الدَّهر وما لهم بذالك من علم ان هم الّا يظنّون فقال تعالى فى جوابهم ما قال من الايات...

وانت ترى انّ هذا المَذهَب هو مذهب الطَّبيعين بعينه ولا فرق بينهم والقائلون بالدّهر اَثبتو له صفات الكمال، كالعلم والقدرة وغير ذالك قال قائلهم فى هذا المعنى:

مَنَع البَقاء تَقلُّبُ الشَّمس وغُروبها صَفراء كالوَرسِ
تَجرى على كَيد السّماء كما يَجرى حمام الموت فى النفس
اليَوم اَعلَمُ ما يجيئُى به ومَضى بفَضلِ قضائه امسِ

وصِنفٌ منهم اَقرُّوا بالخالق وابتداءِ الخَلق والأبداع وانكَروا البَعث، وهم الَّذين اَخبَر عنهم القرآن وقال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[2]

فاستَدِّل بالنّشاة الأولى اذ اعترفوا بالخلق الاوّل فقال:

---

١. الجاثية / ٢٤.
٢. يس / ٧٨.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]

و ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] وفى ذالك آيات كثيرة فى القرآن المجيد.

وصنَّف منهم اَقَرّوا بالخَلق وابتِداء الخَلق ونوع من عادة الاخرة، واَنكَروا الرُّسل وعَبدو الأصنام وزعَموا انّهم شِفعائهم عندالله فى الاخرة، وحَجُّو اليها ونَحرو الها الهَدايا وقَرّبو القَرابين وتَقرَّبوا اليها بالمناسك والمشاعِر وحَلَّلوا وحَرَّموا وهم الدُّهماء من العَرَب الّا شِرذمةٌ منهم نذكرهم وهم الّذين اَخبَر عنهم التّنزيل وقال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ الى قوله إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾[3].

فاستدل عليهم بانّ المُرسلين كانوا كذالك قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[4] وشبهات العرب كانت مقصودة على هاتين الشُّبهتين: احدهما انكار البَعث وبَعث الاجساد، والثّانية جَحد البَعث وبَعث الرُّسل فعلى الاوّل قالوا: ﴿ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ ابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[5] الى امثالها من الايات وعبَّروا عن ذالك فى اشعار هم فقال بعضهم:

حَياةٌ ثم مَوتٌ ثم نَشرٌ حَديثُ خُرافةٍ يا امّ عَمروٍ

اقول: القائل لهذا البيت هو عبدالله ابن الزُّبعرى قبل ان يَسلَمُ قد كان من اَشَّد الناس على رسول الله ﷺ فى الجاهليّة وعلى اصحابه بلسانه ونفسه وكان يناضل عن قريش ويهاجِى المُسلمين وكان من اَشعَر قريش ولمّا فُتِحت مكة هَرب فِيمَن هَرَب الى نجران فقال حسان ابن ثابت فيه وهو بنجران:

لاتعِد مَن رَجلاً اَحلَّكَ بَغْضَه نَجران فى عَيش اَجدّ لئيم

---

١. يس / ٧٩.
٢. ق / ١٥.
٣. الفرقان / ٨-٧.
٤. الفرقان / ٢٠.
٥. الصافات / ١٧-١٦.

فلمّا سمع ذالك ابن الزّبعرى رَجَع الى رسول الله ﷺ وقال حين اَسلَم:

يـا رَسـولَ المَليك اِنّ لِسانى راتـقٌ مـا فَـتَقت اذانـا بُـورُ
آمـن اللَّـحم والعِـظام لِـربّى ثـم قَلبى الشّهيد انتَ النَّذير
انّ مـاجئتَنا بـه حَـقّ صـدقٍ سـاطع نـوره مُـضىءٌ مُـنيرُ
اَذهَب الله ضـلة الجَـهل عـنّاً واتـاناً الرَّخـاء والمـيسوُر

وقال ايضا فى مدح رسول الله ﷺ:

مَـنَع الرّقـاد بـلا بـلٍ وهُـمومُ واللَّـيلِ مُـقبلحُ الرّواق يُـهيهم
مِـمّا اتـانى انّ احـمدَ لامَـنى فـيه فَـبّتُ كـانّنى مَـحمُوم
يا خَير مَن حَملت على اَوصالها عـيرانـه سَـرحِ اليَـدين غشـوُم
اِنّـى لمَـعتذِرُ اليك مِـن الّـذى اَسـدَيتُ اذانَـا فـى الضّـلال اُهيم
اَيـام تأمـرنى بأغـوَى خـطةٍ سـهمٍ وتأمـرنى بـها مـخزوم
فـاليوم آمـنُ بـالنّبىّ مـحمدٍ قَـلبى وفـحطى هـذه مَـحروُم
مَـضَت العَـداوة وانقَضَت اسبابها ودَعَت اواصـر بـيننا وحُـلوُم
فـاغفر فـدىً لَكَ والّـدّى كـلاهما زِلُّـلَشِى فـانّى راحـمُ مـرحـومُ
وعَـلَيك مِـن عِلم المليك علامة نـور اغّـرَ وخـاتِمُ مـختومُ
اعـطاك بـعد مُـجّتهٍ بـرهانه شَـرَفاً وبـرهان الأله عـظيمُ
ولَـقَد شَـهدتُ بـانّ دينَكَ صادق حـقٌّ وانّك فـى العـباد جسـيم
والله يَشـهَد انّ اَحـمَد مُـصطفى مسـتقبلٌ فـى الصـالحين كـريم
قُـرمٌ عَـلىٰ بُـنيانه مـن هـاشمٍ فـرعٌ يُـمَكّن فِـى الذرى واَريـم

وبعضهم فى مرثية اهل بدر من المشرِكين ما يدلّ على سوء رايهم، وفساد مذهبهم كقول ابوبكر ابن الاسود اللَّيثى وهو شداد ابن الاسود فى مرثيته اهل بدر من المشركين حيث قال:

تُـحيّى بـالسّلامة ام بكـرٍ فَهَل لى بعد قومى مـن سـلامٍ
فـماذا بـالقليب قليبُ بـدرٍ من القينات والشُّـرب الكرامِ

وماذا بالقليب قليب بدر من الشّيزىٰ تُكلّل بالسّنام
وكم لك بالطّوىٰ طُوّى بدر من الحوُمات والنِّعم المَسام
وكم لك بالطّوى طوى بَدلٍ من الغايات والدَّسع العضام
واصحاب الكريم اَبا علي اَخى الكأس الكريمة والنّدام
وَاِنّك لَو رَأيتَ ابا عقيلٍ واصحابِ الثّنيّة من نعام
اذا لظللتِ من وجدٍ علَيهُم كامّ السَّقبِ جانلة المرام
يُخبّرنا الرّسول بان سَنحيا وكَيفَ حياةُ اَصداءٍ وهامٍ

وصنفٌ منهم يَعتقد بالتّناسخ فيقول اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدّماغ واجزاء بنيّته فانتَصَب طيراً هامة يرجع الى رأس البَقر كلّ مائة سنة ولهذا عابَهُم الرسول ﷺ فقال لاهَامة ولا عَدوى ولا صَفر.

اقول: ومِمّا اجتَمَعت عليه العرَب عقيدةً اَلهامة وهو انّهم يقولون ليس من مَيّتٍ يموُت ولا قتيلٍ يُقتَل الّا ويخرج من رأسه هامة فان كان ولم يوخذ بثارةً نادت الهامة على قبره اِسقوُنى فانّى صدية ونقل عن المسعودى فى مروج الذهب انّه قال ومن العرب من يزعم انّ النفس طائر ينبَسَط فى الجسم فاذا مات الانسان او قتل لم يَزل يُطيف به مُستَوحشاً يَصدَع على قبره ويزعمون انّ هذا الطائر يكون صغيرا، ثمّ يكبر حتّى يكون كَضرب من البُوم وهو اَبداً مُتوّحش ويُوجد فى الدّيار المُعَطَّلة ومصارع القتلى والقُبور وانّها لم تزل عند وُلد الميت ومخلفه حتّى تعلم ما يكون بَعده فتخبره انتهى.

وقيل الهامة انثى الصدّى هو ذكر البُوم وقد يسمّونها الصّدى والجمع اصداه قال قائلهم يُخبرنا الرّسول بان سَنَحيا الخ، وقال ابو داود الأيادى فى هذا المعنى:

سلّط المَوت والمَنوُن عليهم فَلهُم فى صدى المقابر هامٍ
ولا تزقون لى هامة فَوق مُرقَبٍ فانّ زقاء الهام لِلمرء عائبٌ
تُنادى اَلاَ اسقُونى وكلّ صدى به وتلك الّتى تَبيّض منها الذّوائب

وامّا الشبهة الثّانية وهم الجاهدون لبَعثِ الرسول فى الصّورة البَشَريّة فانكارهم اَشَدّ واِصرارهم على ذالك اَبلَغ واَخبَر عنهم القرآن بقوله تعالى: **﴿وَمَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾**[1]

و **﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾**[2] فعلى هذا من كان يعترف بالملائكة يريدان يأتى مَلَك من السَّماء: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾**[3] ومن كان لايعترف بهم كان يقول الشَّفيع والوسيلة مِنَّا الى الله هم الأصنام المَنصُوبة امّا الأمر والشَريعة من الله الينا فَهُوا لمُنكَر فَيعبدون الأصنام الَّتى هى الوسائل بزَعمهم وَدّاً وسَواعاً ويَغوُث ويَعوُق ونسراً ثم قال:

وكان وُدّ لكلبٍ وهو بَدومة الجَندَل، وسواغ لهذيل وكانوا يَحجوُن اليه وينحرون له ويغوُث لِمذحج ولقبائل من اليمن ويعوُق لهَمدان ونَسر لذِى الكلاع بأرض حَمِير وامّا اللّات فكان لِثَقيفٍ بالطّائف وَالعُزّى لقريشٍ وجميع بنى كنانة وقوم من بنى سليم ومَناة لِلأَوس والخَزرَج وغسّان وهَبَل اَعظَم اصنامها عندهم وكان على ظهر الكَعبَة، واساف ونائلة على الصّفا والمروة وَضعَها عمرو بن لحى وكان يذبح عليهما تجاه الكَعبَة وزعموا انّهما كانا من حبرهم اساف ابن عمر ونائله بنت سهل فَفَجرا فى الكعبة فَمُسخا حَجَرين وقيل لابلَ كانا ضَنَمين جاء بها عمرو بن لَحىٰ فَوَضعَهما على الصّفا وكان لبنى ملكان من كنانة صَنَمٌ يقال له سعد كما قال قائلهم:

اَتينَا الى سَعدٍ ليَجمَع شَملَنا فشَتَّتنا سَعدٌ فلانحنُ من سَعدٍ

وهل سعد الّا صخرةٌ بَتنوُفةٍ مِن الأرض لايدعو لِغىٍّ ولا رُشدٍ

وكانت العَرَب اذا لبَتَّ وهَلَّلت قالت لبّيك اللّهم لبّيك لاشريك لك الّا شريك هُو لك تَملكه ومَلك انتهى، وقيل اوّل من اَتخَذ تلك الأصنام من ولد اسماعيل هُذَيل ابن مُدركة اَتَخذ سَواعاً والله اعلم بحائق الاُمور.

١. الاسراء / ٩٤.
٢. التغابن / ٦.
٣. الانعام / ٨.

وصِنفٌ: منهم يَميل الى اليَهوديّة ومنهم من كانَ يَميل الى النَصرانيّة ومنهم من يَصبوُا الى الصّائبة، فكانت اليَهوديّة فى حَمير والنّصرانية فى رَبيعة وعنان وبعض قضاعة وكانّهم تَلَقّوا ذالك عن الرُّوم، امّا الصّائبة فقد اعتقدوُا فى الانوار اعتقاد المُنجّمين فى السّيارات حتّى لايتَحَرّك ولا يَسكُن ولا يسافر ولا يقيم الّا بنوءٍ من الانواءِ ويقولون مَطَرنا بنوء كذا ومنهم من يَصبوُا الى الملائكة فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجنّ ويعتقدون فيهم انّهم بنات الله.

وقد اختلف الناس فيهم اختلافا كثيراً بحسب ما وصل اليهم من معرفة دينهم وهم يَنقسمُون الى مؤمن وكافر قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1]

و **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾**[2] فذَكَر المجوُس والمُشركين فى آية الفصل ولم يذكر هم فى آية الوَعد بالجنّة وذكر الصابئين فيهما فعُلِم انّ فيهم الشَقّى والسَّعيد والمشهور انّهم كانوا من قوم ابراهيم الخليل، وكانوا بحرّان فى دار الصائبة وكانوا صائبة حُنَفاء وصائبة مشركين والمُشركون منهم يُعَظّمون الكواكب السَبعَة والبُروج الاثنى عشر ويُصوُّرونها فى هياكلهم وهى كالكنائس لِلنَّصارى والبَيع لليهود، فلهم هيكل كبير لِلشَّمس وهيكلٌ لِلقمر وهيكل للزُهرة وهيكلٌ لِلمشترى وهيكلٌ لِلمرّيخ وهيكلٌ لِلعطارد وهيكل لِلزُّحل وهيكل لِلعلّة الاولى ولهذه الكواكب عندهم دَعَوات وعبادات مخصوصة ويُصَورونها فى تلك الهياكل ويتّخذون لها اصناماً تخصها ويُقرّبوُن لها القرابين الى غير ذالك...

وامّا عَبَدة الملائكة وهم افراد من العَرَب كما حكاه فى القرآن الكريم قال الله تعالى: **﴿ويَوْمَ يَحشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقوُلُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُون﴾**[3]

---

١. البقرة / ٦٢.
٢. الحج / ١٧.
٣. سبأ / ٤٠.

و ﴿قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[1]

و ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ ءَاَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[2]

و ﴿قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ وَلكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ ابائَهُمْ حَتّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكانُوا قَوْماً بُوراً﴾[3]

واما عَبدَة الجنّ وهم شِرذِمةٌ قليلون من اهل البَوادى قد حَكَى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾[4]

و ﴿بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ اَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[5] وامثال ذالك من الآيات، وامّا عَبدَة النّار وهم صِنفٌ من العَرَب وكان ذالك سرى اليهم من الفُرسِ والمَجوُس وقد قبل انّ عبادة النّار كانت فى الأرض من عَهد قابيل كما نَقلنا ما يدلّ على ذالك فانّه اَوّل من نَصَبَ النّار وعَبدها وسَرى هذا المذهب فى المجوس فَبَنولها بُيُوتاً كثيرةً واتَّخَذو الوُقوف والسنّة والحجاز فلا يدعونها تخمد لحظةً واحدةً فاتَّخَذ افريدون بيتاً بطوسٍ وآخر ببخارای واتّخِذلها بهمن بيتاً واتَخَذ لها ابوقتاده بيتاً بناحية بخارای واتَّخَذت لها بُيُوتاً كثيرةً وعباد النّار يفضلّونها على التّراب ويعظّمونها ويَصوبّوُن رأی إبليس وقد رمىٰ يشّار بهذا:

الأرض سافِلة سَوداء مُظلمة والنّار مَعبُودةً مذكانَت النّار

ويقولون انّها اَوسَع خيراً واَعظَمها جِرماً واَوسَعها مكاناً واَشرَقها جوهراً واَلطَفها جسماً ولاكَون فى العَالم الّا بها ولا نُموّ ولا انعقاد الّا بممازجتها وامثال ذالك من الأقاويل والأباطيل وقد ذكر فى صدر المبحث ان العرب منهم مُعَطّلة ومنهم مُحصّلة وهذا الّذى ذكرناه انّما هو القسم الاول واما القسم الثانى اعنى

---

١. سبأ / ٤١.
٢. الفرقان / ١٧.
٣. الفرقان / ١٨.
٤. الجن / ٦.
٥. سبأ / ٤١.

المُحصّلة منهم ايضاً فرق شتّى الّا انّه يجمعهم ثلاثة:

المُحصّلة من العرب: اعلم انّ العرب كانت فى الجاهليّة على ثلاثة انواع من العلوم: احدها علم الأنساب والتّواريخ والأديان والثانى: علم الرُّويا والثالث: علم الأنواء. امّا عِلم الأنساب والتواريخ والاديان ويَعُدّونه علماً شريفاً خصوصاً معرفة اَجداد النّبى والأطّلاع على ذالك النُّور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل عليهما السلام وتواصله فى ذريّته الى ان ظَهر بعض الظهور فى اسارير عبدالمطلب سيّد الوادى شيبة الحمد وسَجَد له الفيل الاعظم وعليه قصته اصحاب الفيل وببركة ذالك النور دفع الله تعالى شَرَّ ابرَهة الأشرَم: **﴿وَأَرْسَلَ عَلَيهِمْ طَيْراً أَبابيلَ﴾**[1]

وامّا علم الاديان فهو ايضاً كعلم التاريخ كان رايجاً بينهم كما ذكرنا شرذمة منه فى هذا الكتاب فى بحث النبّوة.

امّا علم الرُّويا فقد كان شايعاً بينهم والمشهور بين العامة انّ ابوبكر كان عالماً به وفيه بابٌ واسِع لامجال لنا فى الكلام فيه واما علم الانواء:

فهو تقدير لِلقَمر منازله ولمنازله انواؤه وقد ذكرُوا فيها مقالات كثيرة ونقل عن الزّجاجى انّه قال انّ السّنة اربعة اجزاء ولكل جزء منها سبعة انواء لكل نوء ثلثة عشر يوماً الّا نوء الجبهة فانّه اربعة عَشر يوماً والعرب تجعل النواء للغارب لانّه ينهض للغروب متشاقلا وقال المُبرِّد النَوء فى الحقيقة للطالع لاالغارب وهذه المنازل كلّها يطلع بها الفلك من المَشرق ويغرب فى المغرب كل يوم ليلةٍ وتلك دورةٌ مِن دَوراتِه.

فالرُّبع الاوّل: من السّنة الرّبيع فى ١٩ من آذار او عشرين منه فيستوى ح اللّيل والنّهار وتسقط العواء واليها ينسب النّوء

والرُّبع الثانى الصيف واوّل انوائه الغائم.

والرّبع الثّالث: الخَريف واول انوائه فَرع الدَّلو الأسفَل

---

١. الفيل / ٣.

و ﴿قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[1]

و ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ ءَاَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[2]

و ﴿قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ وَلكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ ابائَهُمْ حَتّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكانُوا قَوْماً بُوراً﴾[3]

واما عَبدَة الجنّ وهم شِرذِمةٌ قليلون من اهل البَوَادى قد حَكَى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾[4]

و ﴿بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ اَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[5] وامثال ذالك من الآيات، وامّا عَبدَة النّار وهم صِنفٌ من العَرَب وكان ذالك سرى اليهم من الفُرسِ والمَجوُس وقد قيل انّ عبادة النّار كانت فى الأرض من عَهد قابيل كما نَقلنا ما يدلّ على ذالك فانّه اَوّل من نَصَبَ النّار وعَبدها وسَرى هذا المذهب فى المجوس فَبَنولها بُيُوتاً كثيرةً واتَّخَذو الوُقوف والسنّة والحجاز فلا يدعونها تخمد لحظةً واحدةً فاتَّخَذ افريدون بيتاً بطوسٍ وآخر ببخارای واتّخِذلها بهمن بيتاً واتَخَذ لها ابوقتاده بيتاً بناحية بخارای واتَّخَذت لها بُيُوتاً كثيرةً وعباد النّار يفضلّونها على التّراب ويعظّمونها ويَصوبّوُن رأى إبليس وقد رمىٰ يشّار بهذا:

الأرض سافِلة سَوداء مُظلمة والنّار مَعبُودةً مذكانَت النّار

ويقولون انّها اَوسَع خيراً واَعظَمها جِرماً واَوسَعها مكاناً واَشرَقها جوهراً واَلطَفها جسماً ولاكَون فى العَالم الّا بها ولا نُموّ ولا انعقاد الّا بممازجتها وامثال ذالك من الأقاويل والأباطيل وقد ذكر فى صدر المبحث ان العرب منهم مُعَطّلة ومنهم مُحصّلة وهذا الّذى ذكرناه انّما هو القسم الاول واما القسم الثانى اعنى

---

١. سبأ / ٤١.
٢. الفرقان / ١٧.
٣. الفرقان / ١٨.
٤. الجن / ٦.
٥. سبأ / ٤١.

المُحصّلة منهم ايضاً فرق شتّى الّا انّه يجمعهم ثلاثة:

المُحصّلَة من العرب: اعلم انّ العرب كانت فى الجاهليّة على ثلاثة انواع من العلوم: احدها علم الأنساب والتّواريخ والأديان والثانى: علم الرُّويا والثالث: علم الأنواء. امّا عِلم الأنساب والتواريخ والاديان ويَعُدّونه علماً شريفاً خصوصاً معرفة اَجداد النّبى والأطّلاع على ذالك النُور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل عليهما السلام وتواصله فى ذريّته الى ان ظَهر بعض الظهور فى اسارير عبدالمطلب سيّد الوادى شيبة الحمد وسَجَد له الفيل الاعظم وعليه قصته اصحاب الفيل وببركة ذالك النور دفع الله تعالى شَرَّ ابرَهة الأشرَم: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيهِمْ طَيْراً أَبابيلَ﴾[1]

وامّا علم الاديان فهو ايضاً كعلم التاريخ كان رايجاً بينهم كما ذكرنا شرذمة منه فى هذا الكتاب فى بحث النبّوة.

امّا علم الرُّويا فقد كان شايعاً بينهم والمشهور بين العامة انّ ابوبكر كان عالماً به وفيه بابٌ واسِع لامجال لنا فى الكلام فيه واما علم الانواء:

فهو تقدير لِلقَمر منازله ولمنازله انواؤه وقد ذكرُوا فيها مقالات كثيرة ونقل عن الزّجاجى انّه قال انّ السّنة اربعة اجزاء ولكل جزء منها سبعة انواء لكل نوء ثلثة عشر يوماً الّا نوء الجبهة فانّه اربعة عَشر يوماً والعرب تجعل النواء للغارب لانّه ينهض للغروب متشاقلا وقال المُبرِّد النَوء فى الحقيقة للطالع لاالغارب وهذه المنازل كلّها يطلع بها الفلك من المَشرق ويغرب فى المغرب كل يوم ليلةٍ وتلك دورةٌ مِن دَوراتِه.

فالرُّبع الاوّل: من السّنة الرّبيع فى ١٩ من آذار او عشرين منه فيستوى ح اللّيل والنّهار وتسقط العواء واليها ينسب النَوء

والرُّبع الثانى الصيف واوّل انوائه الغائم.

والرّبع الثّالث: الخَريف واول انوائه فَرع الدَّلو الأسفَل

---

١. الفيل / ٣.

والرُّبع الرابع الشُّتاء وهو آخر ارباع السّنة واول انواعه الهَنعَة وقد قسمت العرب المنازل بالنسبة الى انوائها الى سبعة اقسام: الاوّل من الأنواء البدرى الوسمى، الولى، القمير والمد، البسرى، بارح القنيط، احراق الهوى الى آخر ما قالوا فى المقام وحيث رأينا عدم الفائدة فى ايرادها اَعرَضنا عنها

وصِنفٌ من العَرَب من كان يؤمن بالله واليَوم الاخر وينتظر النّبوة وكانت لهم سُنَن وشرايع كاجداد النّبى ﷺ وغيرهم من افراد العرب: الّذينهم استَبصَروا بنوُر الايمان فَاقَروا بوجود الله تعالى وتوحيده وربُوبيّته واَزَليّته مع انّهم لم يُدركوا دعوَة مُحمّدٍ ﷺ فَبَقوا على اصلِ فطرتهم ونَظَروا بعين بصيرتهم وهذا الصّنف نزرٌ يسيرٌ لم يكونوا الّا عدداً مَعلُوماً فى كلّ عصر الى زمن البعثة المُحمّدية ﷺ.

فمنهم زيد ابن عمرو بن نفيل القرشى العدوى وقد مات قبل البعثة بخمس سنين وهو الّذى يقول فى مذمّة قومه:

ارَباً واحـــداً ام اَلف رَبٍّ ... أُديـــن اذ اَتـقَمسّتِ الأمـور
عَزَلتُ اللّات والعُزّى جميعًا ... كذالك يَفعَل الجَلَدُ الصّبوُر
فـلا عُـزّى أُديـنُ ولا ابنتَهيا ... ولا صَنَمى بَنى عمروٍ اَزوُر
ولا غَـنَماً أُديـنُ وكـان ربّاً ... لَنا فى الدَّهر اذ حلمَى يَسيرُ
عَجِبتُ وَفى اللّيالى مُعجباتٍ ... وفـى الأيّام يعرفها البَصيرُ
بـانَّ الله قـد اَفـنى رجـالاً ... كثيراً كـانَ شأنهم الضُجور
واَبـــقَى آخَـرين بِـبرٍّ قـوم ... فَير بَل منهم الطّفل الصَغير
وبينا المَرءِ يَعثر ثـابَ يَوماً ... كما يتروّح الغصن النّضير
ولكـن اَعَـبُد الرّحـمن رَبّى ... لِـيَغفِر ذَنـبَى الرّب الغَـفوُر
فَـتَقوى الله ربّكم احـفظوُها ... مـتى مـا تَحفَظوها لايتورُ
تـرى الأبـرار دارهم جـنان ... ولِـــلكفّار حـــاميةٌ سـعيرُ

وكان اذ استقبل الكعبة داخل المسجد قال لَبّيك حقاً حقاً تَعبّداً وَرقّاً عُذتُ

بما عَاذَبه ابراهيم عليه السلام وقال:

واَسلَمتُ وَجهى لِمَن اَسلَمَت لَه الأرض تَحمِل صَخراً ثقالاً
دَحاها فَلمَّا رأها استَوَت عَلى الماء اَرسى عليها الجَبالا
واَسلَمتُ وَجهى لِمَن اَسلَمَت لَه المُزن تَحملُ عذباً ذَلالاً
اذا هى سيقت الى بلدةٍ اطاعَت فَصبَّت عليها سجالا

ثم خَرَج يطلب دين ابراهيم حتّى بَلَغ المؤصل والجَزيرة، ثمّ اقبل فجال الشام كلّها حتّى انتهى الى راهب بميفعة من ارض البلغاء كان ينتهى اليه علم النصرانيّة فَسَئلة عن الحَنّفية فقال له ما قال فخرج سريعاً يُريد مكة حتّى اذا توسَّطَ بلاد لخم عَدَو وعَليه فَقَتلوُه فقال ورقة ابن نوفل يبكيه

رَشَّدَت واَنعَمَت ابن عمرو وانّما تَجنَّبَت تَنُّوراً من النّار حامياً
بدينك رباً لَيسَ رَبّاً كَمثله وتَركك اوثان الطَّواغى كماهِيا
وادراكُك الّذِين الّذى قد طلبته ولَم تَكُ عن تَوحيد ربّك ماهِيا
فاصبَحتَ فى دار مقام كريمها تُعلّل فيها بالكرامة لاهياً
تلاقى خليل الله فيها وَلم تكن من النّاس جباراً الى النّار هادياً
وقد تُدرك الانسان رحمة ربّه ولو كان تحت الأرض سبعين وادياً

ومنهم أُميّة ابن ابى الصَّلت واسمه عبدالله ابن ربيعة وسمع منه، انّه يقول:

كلّ دينٍ يَوم القيمة عندا الله الّا دين الحَنيفة زوراً
كل عَيشٍ وإن تَطاوَلَ دَهراً مُنتهى امَره الى ان يزولا
لَيتَنى كنتُ قبل ما قد بَدالى فى رؤس الجبال اَرعى الوَعولا
اِجعَل المَوت نَصَب عَينك واَحذَر غَوله الدّهران لِلدّهر غولا

قيل انّه يلتمس الدّين ويَطمَع فى النبّوة فَخَرج الى الشام فمَر بكنيسه وكان معه جماعة من العرب وقريش فقال امية انّ لى حاجة فى هذه الكنيسة فانتظرونى فدخل الكَنيسة واَبطاءَ ثم خَرَج اليهم كاسفاً مُتغيّر اللّون فرمى بنفسه واقاموا حتّى سَرى عنه ثم مَضَو فَقَضوا حوائجهم ثم رَجعوُا فلمّا صار

والى الكنيسة قال لهم انتظرونى ودخل الى الكنيسة فابطاء ثم خَرَج اليهم اَسوَء حالاً مِن الحالة الاولى فقال ابو سفيان ابن حرب قد شَقَقتَ على رفقائك فقال خَلّونى فانّى ارتاد لِنفسى لمعادى انّ ههينا عالماً راهباً اَخبَرنى انّه تكون بعد عيسى عليه السلام ستّ رجعات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة وانا اطمع فى النّبوة واخاف ان تخطئنى فاصابنى ما رايت فلمّا رَجعتُ ثانية اتيته فقال قد كانت الرّجعة وقد بُعِث نَبيٌّ من العرب فيَئستُ من النُبوّة فاصابنى ما رأيتَ اذ فاتّنى ما كنت اَطمَعُ فيه...

ولما امرض امية مرضه الّذى مات فيه جعل يقول قددنا اجَلى وهذه المرضة مُنيَتى وانا اعلم انّ الحَنيفية حقّ ولكن الشّك يداخلنى فى محمّد ثم قضى نَحبه ولم يؤمن بالنّبى صلى الله عليه وآله وهو الّذى يقول فى قصيدة انشدها فى توحيد الله وقِصص الانبياء كنوح ويوسف وموسى وداود وغيرهم.

الا كلّ شيئى هالك غير ربّنا ... ولِلّه ميراث الّذى كان فانياً
وَلِىُّ لَه مِن دوُن كلّ ولايةٍ ... اذا شاء لَم يَمسوُ جميعاً مواليا
وان يك شيئُ خالداً ومُعمّراً ... تأمل تَجد من فوقه الله باقياً
له ما رأتَ عَين البَصير وفَوقه ... سماءُ الِاله فوق سَبع سَمائياً
اَلا لَن يفوُت المَرء رحمةَ ربِّه ... ولو كان تحت الارض سبعين وادياً
تعالى وتدركه من الله رحمة ... ويضحى ثناء فى البريّة زاكياً
واَنت الّذى من فضل سيب ونعمةٍ ... بَعَثت الى موسى رسولاً منادياً
فقال اَعِنّى بابنَ امّىَّ فانّنى ... كثير به يا ربّ حصل جناحيا
وقُلتَ لهرون اذ هبا فَتظَاهرا ... على المَرء فرعون الّذى كان طاغياً

الى آخر القصيدة...

ومنهم قيّس ابن ساعدة الأيادى خَطيب العَرب وشاعرها فى عصره وادركه رسُول الله صلى الله عليه وآله قبل النبوّة ورآه بعكاظ فكان ياثر عنه كلاما سمعه منه فقال عليه السلام هو يحشر امّةً واحدةً وكان قِسّ يَفِد على قيصر وَيَزوره فقال له قيصر يوماً ما

اَفضَل العَقل قال مَعرفة المرء بنفسِه قال فما افضل العلم قال وقوف المرء عند علمه قال فما افضَل المُروّة قال استبقاء الرّجل ماء وَجه قال فما اَفضَل المال قال ما قَضى به الحُقوق، ونُقل عن الجاحظ فى البيان والتّبيين فى قِسّ وقومه انّ له ولقومه فضيلة ليست لأحدٍ من العرب لانّ رسول الله ﷺ روى كلامه ومَوقفه على جَملَه بعكاظ وموعظته وعَجب من حسن كلامه واَظهَر تصويبه وهذا شرف تعجز الانى وتنقطع دونه الآ قال الى آخر ما قال.

اقول: وهو الَّذى يقول فى قصيدته:

فِـــى الذّاهِـبين الاَوّليـن مـن القُـرون لَـنا بَصائر
لمّـــــا رايتُ مَـــواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيتُ قَـــومى نَـــحوها تَمضى الأكـابر والأصـاغر
لايَـــرجـع المـاضى اِلىّ ولا مـــن البـاقين غـابِر
اَيـــقَنتُ اِنّـــى لامـــحا لة حيث صار القوم صائر

نقل عن بعض ارباب السير انّه كان يوماً مـن الايّـام بـحضرة النّـبى ﷺ مذاكرة لقِسّ بعد وفاته فقال ﷺ يَرحَم الله قِسّاً انّى لأرجوان يُبعَث يوم القيمة امّة وحدة فقال رجل يا رسول الله لقد رايتُ من قِسّ عجباً قال ﷺ وما رايت قال بَينا اَنا بجَبل يقال له سَمعان فى يومٍ شَديد الحَرّ اذا نابقسّ ابن سـاعدة تَحت ظلّ شجرةٍ عند عَين ماءٍ وعنده سِباع كلّما زار سَبعٌ منها على صـاحبه ضَربَه بيده وقال كفّ حتّى يشرب الّذى وَرَد قبلك فَفَزِعتُ فقال لاتَخَف واذا اَنا بقَبرَين بينَهما مَسجد فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبراً اخَوَين كانا لى فماتا فاتَّخَذتُ بينَهما مسجداً اَعبدُ الله عزَّ وجلّ حتّى الحَق بهما ثم ذكر ايّامهما فبَكى ثم انشاءَ يقول:

خَليلىِ هَيَّا طـالما قَـدر قَـدتُما اجّـلاكـما لاتَـقضيان كـراكـما
اَلَم تَـعلَمَا انّـى بسَـمعان مُـفرَدُ وحَالَى فِيه من حبيبٍ سواكما
اُقيم على قَبرَيكما لَستُ بارحاً طَوال اللّيالى او تَجيب صَداكما

كانكما والمَوت اَقرَب غايةٍ بجِسمَى فى قَبرَيكما قدَا تاكما
فلو جُعِلت نفسُ لِنفسٍ وقايةً لجُدتُ بنَفسى ان تكون فَداكما

فلمَا سَمع النَبى ﷺ به قال ﷺ رحم الله قِسّاً، وهو الّذى كان يَعِظ الناس ويقول لهم كلّا وربّ الكعبه ليَعُودَنّ ما بادوَ لأن ذهَب ليعودُنّ يوماً.

وقال ايضاً كلّا بل هو الله اِلٰهٌ واحدٌ لَيس بمَولوُدٍ ولا والدٍ اعادَ واَبدى واليه المآب غداً وانشاءَ فى معنى الاِعادة.

يا باكَى المَوت والأموات فى جَدَثٍ عليهم من بقايا بزّهم خَزَقُ
دعهُم فانّ لَهُم يوماً يصاع بهم كما يُنبّه من نَوماته الصَّعَق
حتّى يجيوُا بحالٍ غير حالهم خَلقُ مَضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عُراةُ ومَوتى فى ثيابهم منها الجَديد ومنها الأرزَق الخلق

ومنهم عامر بن الظّرب العَدوانى كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصيّته طويلة يقول فى آخرها، انى ما رايتُ شيئاً قطَ خَلَق نَفسه، ولا رايتُ موضوعاً الّا مصنوعاً ولا جائياً الّا ذاهباً، ولو كان يميت النّاس الدّاء لأحياهُم الدَّواء ثُمّ قال اِنّى اَرى اُمُوراً شَتّى وَحَتّى، قيل له وما حتّى قال يَرجع المَيت حيّاً ويعود اللاّشيئى شيئاً، ولذالك خلقت السّموات والارض فتوَلّوا عنه ذاهبين، قال ويلّمهما نصيحة (يلمّها) لو كان من يقبلها وكان قد حَرّم الخمر على نفسه فيمَن حَرمّه وقال فيه شعرا:

اِن اَشرِب الخمر اَشربها لِلذّتها وان اَدعَها فاِنّى ماقتُ قال
لَولاَ اللّذاذة والقنيات لَم اَرها ولا رأتنى اِلّا من مَدَى الغالى
سيّالة لِلفتى ما لَيس فى يَده ذهابه بعقوُل القَوم والمال
مورثه القوم اضغافاً بلا اَحَنٍ مزّرية بالفتى ذى النّجدة الحالى
اَقسَمتُ بالله اَسقيها واَشربها حتى تُمزّق ترب الارض اوصالى

وَ مِمَّن حَرّم الخَمر فى الجاهليّة على نفسه قيس ابن عاصم التَّميمى وسببه انّه غَمز ابنَته وهو سكران وَسَبّ اَبوَيها واَخَذ يتطاول ويثاور النّجوم ليبلغها

وليتناول القمر وقال:

وتاجرٌ فاجرٌ جاء الآله بـه كانّ عُشنوثةُ اذناب اجمال

فلمّا صحا عنها فقيل له او ما علمت ما صَنعتَ البارقة قال لافاَخبَروُه فَحَرَّم الخَمر على نفسه وقال فى ذَمّه.

وَجَدتُ الخَمر جامحةً وفيها خِصالُ تَفضح الرَّجُلَ الكَريماً
فَــلا والله اَشــرَبها حــياتى ولا اَدعــوُ له ابــداً نــديماً
وَلا اُعــطِى بها ثَـمَناً حياتى ولا اَشــفى بــها ابـداً سـقيماً
فــانّ الخَـمر تَـفضَح شـاربيها وتَـجشَمهُم بـها امـراً عـظيماً
اذ دارت حــميّاها تَــعَلّت طوالع تَسفه الرَّجل الحَليما

وقد اَعطى الله عهداً ان لايشرب الخَمر ابداً فهو اوّل عَرَبّيٍ حَرَّمَ الخَمر على نفسه فى الجاهليّة وقال فيها ايضاً:

فَـوَاللهِ لااَحســوُبذا الدَّهــر خـمره ولا شربة ترزى بـذى اللُّب والفـخر
فكيف اُذوق الخَمر والخَمر لم تَزل لصــاحبها حــتّى تكسّـع فى الغَـدر
وصارت به الأمـثال تَضرب بـعدما يكون عَميد القَوم فى السِّـر والجـهر
ويَــبدرُهم فــى كــلّ امــرٍ يــنوُبهم ويَعصمهم مـانا بِـهم حـادث الدهـر
فــياشارب الصَـهباء دَعــهاً لاهـلها الغــواة وسَــلِّم للــجَسيم مـن الأمـر
فــانّك لاتَــدرى اذا مــا شــربتَها واَكثَرت مـنها مـاتريش ومـا تـبرى

وقيس ابن عاصم المترجم له قد اَسلَم على يد النّبى ﷺ وحسن اسلامه ره وكان من وصيته الى اولاده ان قال لهم يا بنىّ خُذوه عَنّى فلا احدٌ اَصلَح لكم عندى (منّى) اذا دفَنتُمونى فانصرفوا الى رجالكم فَسَوِّدُوا اَكبركم فانّ القوم اذ اَسودُّ واكبَرهم خَلَّفوا اَباهم واذا سَوَّد واصغَرِهم اَزرىٰ ذالك بهم فى اكفائهم وايّاكم ومعصية الله وقطيعة الرّحم وتمَسّكوا بطاعة امرائكم فانّهم مَن رَفَعوُا ارتَفَع ومَن وَضَعوُ اتَضَّع وعليكم بهذا المال فاصلِحوه فانّه منبهة لكريم وجُبّة لعِرض اللّئيم واياكم والمَسئلة فانّها آخر كسب الرّجل وانّ احداً لم يسئل الا

تَرك الكَسب وايّاكم والنّياحة فانى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها وادفنونى فى ثيابى التى كنت اُصَلى فيها واصوم وخذوعنى ثلاث خصال.

اياكم وكل عرقٍ لئيم تلابسوُه فانّه ان يَسرُركم اليَوم يَسئُوكم غداً واكظِموا الغَيظ واحذوا بنى اعداءٍ ابيكم فانّهم على منهاج آبائهم ثم قال

احيا الضَّغائن آباءً لنا سَلَفوا فلن تبيد وَلِلاباء ابناءُ

ومات بالبَصَرة فقال عبدالله ابن الطّبيب يَرثه.

عَليكَ سلام الله قيس ابن عاصم ورحمته ما شاء ان يَترَّصما

تَحيّة من اَولَيته منك نعمةً اذ ازاد عن شُحطٍ بلادك مُسلماً

فما كان قيسُ هَلكه هَلك واحدٍ ولكنّه بنيان قومٍ تَهَدّ ما

ومنهم صفوان ابن امية ابن محرث الكنافى وعفيف ابن معدى كرب الكندى وهما ايضاً حرَّمَا الخَمر على نفسهما فى الجاهلية.

ونسب الى عفيف انّه قال:

وقَالَت لِى هَلَّم اِلى التصابى فقلتُ عَفَفتُ عَمَّا تَعلمينا

وودَّعتُ القداح وقد ارانى بها فى الدَّهر مسعُوفاً رهيناً

وحَرَمّت الخُمور عَلىَّ حتى اَكوُن لقعر مَلُحودٍ، دَفينا

وقال ايضاً:

فَلا وَالله لاَالفى وشَربا اُنا زعُهم شَراباً ما حَييتُ

ابى لى ذالك آباءُ كرامٌ واخوالُ يُعيّرهم ربيت

سالَمتُ قَومى بَعد طوُل مظاظةٍ والسِّلم اَبقى فى الأمور واَعرَف

وتَركت شُرب الرّاح وهى اثيرة والمَوسات وترك ذالك اَشرَف

وعَفَفتُ عنه يا كريم تكرُّماً كذالك يفعل ذوالحُجى المتّعفف

ومنهم مقيس ابن قيس السَّهمى حيث حَرَّمها على نفسه فى الجاهليّة وقال:

رايتُ الخَمر طيّبةً وفيها خصال كلّها دَنِسُ ذَميمُ

فلا والله اَشربها حَيوتى طوال الدّهر ما طَلَع النَّجوم

اذا كـانت مـليكة مَـن هَـوانـى أُحـــالِفها وحَـالَفنى الهُـمُوم
سأتـركها وأَتـرُك مـا سـواهـا مـن اللَّـذات مـا اَرسـى يَسـوُم

ومنهم عَبدٌ لطابخة ابن ثَعلَب ابن وبرة من قضاعة فانّه يؤمن بالخالق وبخلق آدم ﷺ ومنهم زهير ابن ابى سَلمى ومنهم علاف ابن شهاب التّميمى وغيرهم.

وكان بعض العَرَب اذا حَضَرَه الموت يقول لولده ادفنونى مع راحلتى حتّى أُحشَر عليها فان لم تفعلوا حشرت على رجلى كما قال جريبة ابن الأثيم الاسدى فى الجاهلية وقد حضره الموت يوصى ابنه سعد.

يـا سـعد اِمّـا اَهـلَّكنَ فـانّنى أُوصيك انّ اخا الوصاة الأقرب
لاتَـترّكـن ايّـاك يـعثر راجـلا فى الحشر يَصرع لِليدين ويَنكب
واحـمل اباك على بعيرٍ صالح وتـق الخَـطيئة انَّه هـو اَقرَب
ولَـعلّ لى مـمّا تـركتُ مَـطيّة فى القبر اركبها اذا قيل اركبو

وقال عَمرو بن زيد ابن المُتّمنى يوصى ابنه عند موته.

اَبُـنَّىَ ذَوِّدنـى اذا فـارقَتَنى فى القبر راحلةٌ بِرَحلٍ قاترٍ
لِلبَعث اَركبها اذا قيل اظعنو مُستَوسَقين معاً لِحَشر الحاشِرِ
مـن لايـوافـيه عـلى عيراتـه فـالخَلق بَـين مُـدَّفَعٍ او عـاثرٍ

وكانوا يربطون النّاقة معكوسة الرّاس الى مُؤخرها ممّا يلى ظهرها او متمايلى كَلكَلها وبَطنها ويأخذون وليه فَيَشّدون وَسطها ويُقلّدونها عنق الناقة ويتركونها كذالك حتّى تموت عند البقر ويسمّون النّاقة بلية وقال بعضهم يشبه رجالاً فى بلية

كابلايا رؤسها اعناقها فى الولايا ما نـحات السُّـموم حـرّ الخـدود

اَلنّكَاح والطلاق فى الجاهلية: ونقل عن محمّد ابن السّائب الكلبى النّسابة المشهور اَنَّ العرب كانت فى جاهليّتها تحرم اشياء نَزَل القرآن بتحريمها كانوا لاينكحون الامّهات ولا البَنات ولاالخالات ولا العَمّات وكان اَقبَح ما يصنعون

ان يجمع الرجل بين الأُختَين او يخلّف على إمرة ابيه وكانوا يسمّون من فعل ذالك الضَيزن قال اوس ابن حجر التّميمى يُعيّر موما من بنى قيس ابن ثعلبة تناوبوا على امرائة ابيهم ثلاثة واحدة بعد واحدة:

ينكُو فكيهة وامشُو حَول قُبَّتها فكُـلُكم لأبـيه ضِـيزَنُ سَـلَف

وكان اوّل من جَمَع بين الأُخْتين من قريش ابو ضجّة سعيد ابـن العـاص جَمَع بين هند وَصفيّة ابـنَتى المُـغيرة ابـن عـبدالله ابـن عـمرو ابـن مـخزوم وكان الرجل من العرب اذا مات عن المرأة او طلّقها قام اكبر بنيه فان كـان له فيها حاجة طَرح ثَوبه عـليها وان لم يكـن له حـاجة تَـزوَّجها بـعض اخـوته بمهرٍ جديد...

وكانوا يخطبون المرئة الى ابيها او الى اخيها او عمّها او بعض بنى عـمّها وكان يخطب الكُفو الى الكُفو فان كان احدهما اشَرَف من الاخر فى النّسب رَغب له فى المال وان كان هَجيناً خطب الى هجينٍ فزوجّه هَجينة مثله ويقول الخاطب اذا اَتاهم اَنعِمُوا صباحاً ثم يقول نحن اكفأكم ونُظَراكم فان زَوّجتُمونا فقد اَصبنا رغبةً واصبتمُونا وكنا نصهركم حامدين وان رَددتُمونا لعلةٍ رَجعنا عاذِرين فان كان قريب القرابة من قومه قال لها ابوُها او أُخوها اذا حَملت اليه ايسرت واذكرت ولا انفث جَعل الله منك عَدداً وعِزّاً وخلداً اَحسِنى خُلقَك واَكرِمى زَوجك ولَيَكُن طِيبك الماء واذا زوَّجت فى غربة قال لَها لااسيرت ولَا اذكرت فانّك تُدِينَ البُعداء وتَلدِين الأعـداء اَحسـنى خَـلقَك وتُـحبّبى الى احمائك فانّ لهم عيناً ناظرة عليك واذنا سامعة اليك وليَكُن طيبك الماء.

وكانوا يُطلّقون ثلاثا على التَفرقّة قال عبدالله ابن عباس اوّل مَن طَلّق ثلاثاً اسماعيل ابن ابراهيم عليه السلام بثلاث كَرّات وكـانت العـرب تـفعل ذالك فـيطلّقها واحدة وهو اَحقّ الناس بـها حـتّى اذ اسـتوفى الثّلاث اَنـقَطَع السـبيل عـنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امـرئة فـرغب بـها عـنه فـاتاه قـومها فَـهدّدوه بالضَّرب او يطّلقها...

ايـاجارتى بـينى فـانّك طـالِقة كذاكَ اُمور الناس غـاد وطـارقة
وبينى فانّ البين خَير من العصاء وان لاترى لى فوق رأسك بـارقة
وبينى حصان الفَرج غير ذمـيمةٍ وموموقة قد كنت فـينا ووامـقة

وقال ايضاً كان امر الجاهليّة فى نكاح النساء على اربـع يـخطب فـيزوج وامراة تكون لها خليل يختلف اليها فان ولدت قالت هو لفلان فَينزوُبها بعد هذا وامرئة ذات راية يختلف اليها النّضر وكلّهم يواقعها فى طهر واحد فـاذا ولدت الزمت الوَلَد احدهم وهذه تدعى المُقسّمة.

الحَجّ فى الجـاهليّة: قـال وكـانوا يَـحجّون البَـيت ويَـعتمرون ويُـحرمُون ويَطوفوُن بالبَيت اُسبوعاً ويَمَسحوُن الحَجَر ويَسـعوُ بـين الصَّـفاء والمَـروَة، قال ابوطالب:

واشواط بين المَروَتين اِلى الصّـفا ومـا فـيهما مـن صُـورةٍ وتـماثل

وكانوا يلبّون الّا انّ بعضهم كان يشرك فى تلبيته فى قوله هُو لَكَ تملكه وما مَلَكَ ويقفون المواقف كلّها وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلايَغزون ولا يقاتلون فيها الّا طَيّ وخَشَمٌ وبعض بنى الحارث ابن كعب فانّهم كانوا لايَحجُّون ولا يَعتمروُن ولا يُحرّمون الاشهر الحرم ولا البَلَد الحرام وانّما سُميت قريش الحرب الّتى كانت فـيها وبـين غـيرها عـام الفجار لانّها كانت فى الاشهر الحُرُم فلما قتلوا فيها قالوا فجَرَنا فلذالك سَّموها حَرب الفجار وكانوا يكرهون الظلم فى الحَرَم وقالت امراة منهم تـنهى ابـنها من الظلم:

اَبُـنَيّ لاتـظلم بـمكة لاالصغيرة ولا الكبير
اَبَنَيّ من يظلم بـمكة يلق اطرافَ الشّـرور

نَسَأةُ الشُّهور فى العرب وكان منهم من يساء الشهور وكانوا يكسبون فى كلّ يومين (عافين) شهرا وفى كل ثلاثة اعوام شهرا وكانوا اذ احجّو فى شـهرين هذه السنّة لم يخطوا ان يجعلوا يوم التَّروية ويَوم عرفة، ويوم النَّحر كَهَيئة ذالك

فى شهر ذى الحجّة حتّى يكون يوم النَّحر، يوم العاشر من ذالك الشهر ويُقيمون بمِنى فلايتبعون فى يوم عرفة ولا فى ايام منى

و فيهم انزلت ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[1] وكانوا اذا ذبحوا لِلأصنام لطَّخوها بدَم الهَدايا يلتمسون بذالك الزّيادة فى اموالهم وكان قُصى ابن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام...

وقال القلمون ابن امية الكنانى وهو يخطب العرب بفنامكة اطيعونى ترشدوا وقالوا ما ذاك قال انكم تفردتم بآلهةٍ شتَّى وإنّى لاعلم بالله راض به وانّ الله ربّ هذا الآلهة وانّه ليَحبّ ان يُعبَد وَحدَه فتفرّقت عنه العرب حين قال ذالك وتجَنَّبت عنه طائفة وزَعَمت انه على دين بنى تميم.

غسل الجنابة والاموات فى الجاهلية: وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الافوه الاودى (اسمه صلاءة ابن عمرو بن مالك الاودى) فى غسل الموتى:

الا عتللانى واَعلَما إنّنى عزر وما قلت يُنجِني الشَّقاق ولا اَلحَذر
وما قلت يُجدينى ثوابى اذا بَدت مفاصل اوصالى وقد شَخَصّ البصر
وجاواء بماءٍ باردٍ يغسلوننى فيالك من غسلٍ سَتَتبَعه غِيَر

وكانوا يَكفنوُن موتَاهم ويصلّون عليهم وكانت صلوتهم اذا مات الرجل وحمل على سَريره يقوم وليّه فيذكر محاسنه كلَها ويثنى عليه ثم يدفن، ثمَ يقول عَليكَ رحمة الله وقال رَجُل من كلب فى الجاهليّة لابنِ ابنِ له. ر

اَعمَرُ وإن هَلكتُ وكُنتَ حيّاً فانّى مُكثّرٌ لك من صلواتى
واَجعَل نصف مالى لابنِ سامٍ حياتى إن حَيَيتُ وفِى مماتى

وكانوا يُداوِمون على طَهاراة الفِطرة التى اَبتلى بها ابراهيم وهى الكلمات العشر فاتَّمَهن، خمس فى الرّاس وخمس فى الجَسَد فامّا اللواتى فى الراس فالمَضمَضه والأستنشاق، قَصّ الشارب والفرق، والسِّواك وامّا اللواتى فى

١. التوبة / ٣٦.

الجَسَد: فالاستنجاء، وتقليم الاظفار، ونَتْف الابط، وحلق العانة، والختان، فلمّا جاء الاسلام قَرَّرها سنة من السّنن.

وكانوا يقطعون يد السّارق اليَمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن، وملوك الحيرة يَصلبوُن الرّجل اذا قَطع الطَّريق وكانوا يَوفُون بالعهود ويكرمون الجار والضَّيف قال حاتم الطائى:

اَلهُمُ رَبّى وربّى اِلهُهُم فَاَقسَمتُ لاارسُوا ولا اَتَعذُّر
لقد كان ما فى البرّ لِلنّاس اُسوة كأن لَم يَسقُ حجشُ بعيراً ولا عمرُ
وكانوا نُاساً مُوقنين بربّهم بكلّ مكانٍ فيهم عابد بكر

الهند فى الجاهلية: هذا خلاصة الكلام فى العرب ومذاهبهم، وسننهم وآدابهم وقد قلنا انّ العرب والهند متقاربان والان نشرح مذاهب اهل الهند وآدابهم فى زمن الفترة الى طلوع الاسلام وهم فِرق مختلفة.

قال الشهرستانى فى المِلل والنِّحل: فمنهم ابراهمة وهم المنكرون لِلنّبوات اصلا ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى مذهب الثَّنوية ويقول بملّة ابراهيم واكثرهم على مذهب الصائبة ومناهجها فمِن قائلٍ بالرّوحانيات ومِن قائلٍ بالهياكل ومِن قائلٍ بالأصنام، اِلّا انّهم مختلفون فى شكل المسالك الّتى ابتَدَعوها وكيفية اشكال وَضعوُها ومنهم حكماء على طريق اليُونانيّين عِلماً وعَمَلاً فمن كانت طريقته على مناهج الدَّهرية والثَنويّة والصّائبة فقد اغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفَرَد منهم بمقالةٍ ورأيٍ فهم خمس فرق:

فرق البراهمة ـ اصحاب الرُّوحانيات ـ واصحاب الهَياكل ـ وعَبَدة الأصنام ـ والحكماء. ثم قال ونحن نذكر مقالات هولاء كما وجَدنا فى كتبهم المشهورة:

الفرقة الاولى ابراهمة: من الناس مَن يظن انّهم سُمّوا براهمة ـ لانتسابهم الى ابراهيم عليه السلام وذالك خطاء فانّ هوالاء القوم هم المخصوصون بنفى النّبوات اصلاً ورأساً فكيف يقولون بابراهيم والقوم الّذين اعتقد ونبوّة ابراهيم من اهل

الهند فهم الثّنوية القائلون بالنّور والظلام على مذهب اصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الّا انّ هولاء البراهمة انتسبو الى رجل منهم يقال له برهام قد مَهّدلهم نفى النّبوات اصلاً وقرّر ذالك فى العقول بوجوه:

منها ان قال انّ الّذى ياتى به الرسول لايخلوا من امرين امّا ان يكون معقولا وامّا ان لايكون معقولا، فان كان معقولا، فقد كفانا العقل التّام بادراكه والوصول اليه فاىّ حاجةٍ لنا الى الرّسول، وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس بمعقول خروجٌ عن حدّ الانسانية ودخول فى حريم البَهيمية. ومنها ان قال قد دلّ العقل على انّ الله تعالى حكيم والحكيم لايتعبّد الخلق الّا بما تدلّ عليه عقولهم وقد دلّت الدلائل العقليّة على انّ للعالم صانعاً قادراً حكيماً وانّه اَنعَم على عبادة نِعَماً توجب الشّكر فننظر فى آيات خلقه بعقولنا ونشكره بالائه علينا واذا عرفناه وشكرنا له بالائه علينا استوجبنا ثوابه واذ انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه فما بالنا نَتّبع بَشَرا مثلنا فانّه ان كان يامرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد اَستغينا عنه بعقولنا وان كان يامرنا بما يخالف ذالك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه....

ومنها ان قال: ان دَلّ العقل على انّ للعالم صانعاً حكيماً ـ والحكيم لايتعبد الخلق بما يقبح فى عقولهم وقد وردت اصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص فى العبادة، والَطَواف حوله والسّعى ورمى الجمار والاحرام والتّلبيّة وتقبيل الحَجَر الأصمّ وكذالك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بيته وغير ذالك وكلّ هذه الامور مخالفة لقضايا العقول. ومنها ان قال: انّ اكبر الكبائر فى الرسالة اتباع رجل، هو مثلك فى الصّوُرة والنّفس والعقل ياكل ممّا تاكل ويشرب ممّا تَشرب حتّى تكون بالنسبة اليه كجماد يَتَصرف فيك رَفعاً ووضَعاً او كحيوان يصرفك اماماً وخلفاً او كعبدٍ يتقدم اليك امراً ونهياً فباىّ تميز له عليك وايّة فضيلة اوجَبَت استخدامك وما دليله على صدقٍ دعواه فان

اغترّرتُم بمُجرّد قوله فلا تمييز لقولٍ على قولٍ فان انحسَرتم بحُجّتِه ومُعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والأجسام ما لايحصى كثرةً ومن المُخبرين عن مغيبات الامور من لايساويه خبره ﴿قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[1] فاذا اعترفتم بانّ للعالم صانعاً خالقاً حكيماً فاعترفوا بانّه آمرنا وحاكم على خلقه وله فى جميع مانَأتى ونَذَر ونَعلَم ونَفكّر حُكمٌ وآمر وليس كلّ عقل انسانى على استعداد ما يعقل عنه امره ولاكلّ نفس بشر بمثابة من يقبل عنه حكمه بل اَوجَبت منّته ترتيبا فى العُقُول والنّفُوس واقتضت قسمته ان يرفع ﴿بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾[2] بعقولهم المختالة.

هذا خلاصته دلائلهم على نفى النُّبوّات على ما فى الملل والنحل ثمّ انّهم تفرقوا اصنافا ثلاثة: اصحاب البددة ـ اصحاب الفكرة، اصحاب التناسخ.

اصحاب البددة: ومعنى البدّ عندهم شخص فى هذا العالم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت واوّل بَدٍّ ظهر فى العالم شاكيمونى وتفسيره السيّد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة الاف سنة، قالوا ومن دون مرتبة اَلبدّ مرتبة البرد يسقيه، ومعناه الانسان الطالب سبيل الحق وانّما يصل الى تلك المَرتَبة بالصَبر والعطّية والرّغبة فيما يجب ان يرغب فيه وبالامتناع والتّخلى عن الدّنيا والعزوف عن شهواتها ولذاتها والعِفّة عن محارمها والرحمة على جميع الخلق، والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل ذى روح واستحلال اموال الناس والزنا، والكذب والنميمة والبذاء والشّتم وشناعة الالقاب والسفه والحجد لجزاء الاخرة، وباستكمال عشر خصال.

احدايها: الجود والكرم والثّانية: العفو عن المُسيئ ودفع الغضب بالحلم والثّالثة: التّعفّف عن الشّهَوات الدُنيويّة والرّابعة: الفكرة فى التّخلص عن هذا العالم الى ذالك العالم الدائم الوجود، الخامسة: رياضة العقل بالعلم والادب

---

١. ابراهيم / ١١.

٢. الزخرف / ٣٢.

وكثرة النظر فى عواقب الامور والسّادسة: القُوّة على تعريف النفس فى طلب العليات والسابعة: لين العقول، وطيب الكلام مع كلّ واحد الثّامنة: حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم على اختيار نفسه التّاسعة: الأعراض عن الخلق بالكليّة والتوجه الى الحق بالكلية العاشرة: بذَل الرُوح شوقا الى الحق ووصولا الى جنابه وزعموا انّ البَدَدة اَتوهم على عدد نهر الكَنك واعطوهم العُلوم وظهر ولهم فى اجناس واشخاص شتّى ولم يكونوا يظهرون الاّ فى بيوت الملوك لَشَرف جَوهرهم قالوا ولم يكن بينهم اختلاف فيما ذكر عنهم من ازليّة العالم وقولهم فى الجزاء على ماذكرنا.

وانّما اختص ظهور البَدَدة بارض الهند لكثرة ما فيها من خصائص التُّربة والاقليم ومن فيها من اهل الرِّياضة والاجتهاد وليس يشبه البد على ما وصفوه ان صدقوا الاّ بالخضر الّذى يُثبته اهل الاسلام انتهى ما ذكره.

وامّا اصحاب الفكر والوهم وهم العلماء منهم بالفلك والنجوم ـ واحكامها المَنسُوبة اليهم وللهند طريقة تخالف طريقة مُنجمّى الروم وذالك انّهم يُحكمون اكثر الاحكام باتصالات الثواقب دون السّيارات، وينشئون الاحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها وَيَعدّون الزّحل السّعد الاكبر لرفعة مكانه وعِظم جرمه وهو الّذى يعطى العطايا الكليّة من السعادةوالجزئية من النُحوسة وكذالك سائر الكواكب لها خصوصيات وطبايع فالرُّوم يحكمون من الطبائع والهند يحكمون من الخوّاص وكذالك طبعهم فانّهم يعتبرون خواص الادوية دون طبايعها والرُّوم تخالفهم فى ذالك، واصحاب الفكرة يعظمون امر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المعقول والمحسُوس فالصُّوَر من المحسُوسات ترد عليه والحقائق، من المعقولات ترد عليه ايضاً فهو مَورد العلمين من العالمين فيجتهدون كلّ الجهد حتّى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرّياضة البليغة، حتّى اذا تَجرّد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذالك العالم فر بما يخبر عن مغيبات الاحوال وربّما يقوى على حبس الامطار وربّما يوقع

الوهم على رجلٍ حيّ، فيقتله فى الحال ولا يستبعد ذالك فانّ للوهم اثرا عجيبا فى تعريف الاجسام والتّعريف فى النفوس.

اَلَيس الاحتلام فى النّوم تصرف الوهم فى الجسم اَلَيسَت اصابة العين تصرف الوهم فى الشّخص اَلَيس الرجل يَمشى على جدارٍ مرتفع فيسقط فى الحال ولا ياخذ من عرض المسافة فى خطواته سوى ما اَخَذه على الارض المستويّة والوهم اذا تَجرَّد عَمِل اعْمالاً عجيبة ولهذا كانت الهند تغمض عينها ايّاماً لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسُوسات ومع التّجرد اذ اقتَرَن به وَهمٌ آخر اشتركا فى العمل خصوصاً اذا كانا مُتّفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذا دَهمَهم امران يجتمع اربعون رجلا من المُهَذّبين المُخلصين المُتّفقين على رايٍ واحدٍ فى الاصابة فيتجلى لهم المُهمّ الّذى يهضَمَهم حمله ويدفع (يندفع) عنهم البلاء المُلِم الّذى يتكّادهُم لقلةٍ...

وصنفٌ منهم يُسمّى بالبكر نتينية، وهم المُصّفدون بالحَديد وسنتهم حَلق الرّوس واللّحى وتعرية الاجساد ماخلا العُورة وتَصيفل البَدن البدن من اوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر ولعلّهم رأَو فى الحديد خاصيّة تناسب الأوهام والاّ فالحَديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف يوجب ذالك.

التناسخيّة: وامّا اصحاب التناسخ: ويعبر عنهم بالتناسخيّة، قال قد ذكرنا مذهب التناسخية وما من ملةٍ من الملل الاّ وللتناسخ فيها قدم راسخ، وانّما تختلف طرقهم فى تقرير ذالك، فامّا تناسخيّة الهند، فاشدّ اعتقادا فى ذالك لما عٰايَنُوا من طيرٍ يظهر فى وقت معلوم فيقع على شجرة، وهو اَبداً كذالك فيبيض ويفرخ ثم اذاتمّ نوعه بفراخه حكّ بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيَحترق الطّير ويسيل دمه منه دُهن فيجتمع فى اصل الشجرة فى مغاره ثمّ اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثل الطير الأوّل فيطير ويقع على الشّجرة وهو اَبَداً كذالك قالوا فما مَثَلُ الدّنيا واهلها فى الأدوار

والأكوار الّا كذالك واذا كانت حركات الافلاك دَورية ولا محالة فان فصل رأس الفرجار الى ما بدا ودار دَورةً ثانيةً على الخط الاوّل افاده لامحالة ما افاد الدّور الاوّل اذ لم يكن اختلاف بين الدّوَرين حتّى يتصوّر اختلاف بين الأثَرَين فانّ الموثرات عادت كما بدَءَت والنُّجوم والافلاك دارت على المركز الاوّل وماختلفت ابعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجهٍ فيجب ان لاتختلف المُتَاثرات الباديات منها بوجه وهذا هو تناسخ الادوار والاكوار، ولهم اختلاف فى الدورة الكبرى كم هى من السّنين واكثرهم على ثلاثين الف سنة وبعضهم على ثلاثمائة الف سنة وستين الف سنة وانّما يعتبرون فى تلك الادوار سير الثّوابت لاالسّيارات وعند الهند اكثرهم انّ الفلك مركّب من الماء والنار والريح وانّ الكواكب فيه ناريّة هوائيته فلم يعدم الموجودات العِلوِيّة الّا العنصر الأرضى فحَسبُ هذا تمام الكلام فى البراهمة.

الفرقة الثانية: اصحاب الرُّوحانيات وهم فرق مختلفة تبلغ ثمانية.

اصحاب الروحانيات ـ الباسنوية ـ الباهودية ـ الكابلية ـ المهاديوينة ـ عَبَدة الكواكب ـ عَبَدة الشمس ـ عَبدة القمر.

اصحاب الروحانيات والهياكل ومن اهل الهند جماعة اثبتوا مُتَوسّطات روحانية ياتونهم بالرسالة من عندالله عز وجل فى صورة البشر من غير كتاب فيأمرهم باشياء وينها هم عن اشياء ويسنّ لهم الشرايع، ويُبيّن لهم الحدود وانّما يعرفون صدقه بتنزّهه عن حطام الدّنيا واسنائه عن الاكل والشرب وغيرهما.

اصحاب الباسنوية: زعموا انّ رسولهم مَلَك رُوحانى نزل من السماء على صورة البشر فامرهم بتعظيم النّار وان يتقرّبوا اليها بالعطر والطيب والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الّا ما كان للنّار وسنّ لهم ان يتوشحو بخيط يعتمدونه من مناكبهم الا يامن الى تحت شمائلهم ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وان لايأكلوا من اطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم و اَبَاح لهم الزّنا لئلّا

يَنقطع النَّسل وامَرَهم ان يتّخذوا على مثاله صَنَماً يتقرّبون اليه ويعبُدون له ويطوفون حوله كلّ يوم ثلث مرات بالمعارف والتّبخير والغناء والرَّقص وامرهم بتعظيم البقر والسُّجُود لها حيث راوها ويَفزَعون فى التَّوبة الى التَمسُّح بها وامرهم ان لايجوزوا نهَر الكنك.

الباهودية: زعموا انّ رسولهم ملك رُوحانى على صورة البشر واسمه باهودية اتاهم وهو راكب على ثور على راسه اكليل فَكَلّل بعظام الموتى من عظام الرُّووس ومتقلّد من ذالك بقلادةٍ باحدى يَديه قَحف انسان، وبالاخرى مزارق ذو ثلث شعب يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتّخَذوا صَنَماً على مثاله يعبدونه وان لايعافوا شيئاً وان تكون الاشياء كلّها فى الربقة واحدة لانّها جميعاً صنع الخالق وان يتّخذوا من عظام الناس قلائد يتقلّدونها واكاليل يَضعونها على رؤسهم وان يمسَحُوا اجسادهم وَرُؤسهم بالرّماد وحرّم عليهم الذبائح وجمع الاموال وامرهم برفض الدّنيا ولا معاش لهم فيها الّا من الصّدقة.

الكابليّة: زعموا انّ رسولهم مَلَك روحانى يقال له شيوا آتاهم فى صورة بشر مُتَمسّح بالرّماد على راسه قلَنسوة من لُبُود حُمرٍ طولها ثلثة اشبار محيط عليها صفائح من قحف الناس متقلد قلادة من اعظم مايكون مُتَمنطِق من ذالك بمنطق متسوّر منها بسوار مُتَخَلخَل منها بخلخال وهو عريان فامرهم ان تَتَزّينوُا بزينته وَ تيَّزيُوا بِزِيّه وسَنَّ لهم شرائع وحدود...

المهاديونيّة: قالوا ان مها دون كان مَلَكاً عظيماً اتانا فى صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه وعَملا من جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحار وقيل هذا رَمزٌ والّا فحال صورة البشر لاتبلغ الى هذه الدّرجة وصورة مهاديون راكب على دابة كثير الشعر قد اسلبه على وجهه وقد قَسَم الشّعر على جوانب راسه قسمةً مُستَوية واَسلَبها كذالك على نواحى الراس قفاً ووجهاً واَمرَهم ان يفعلوا كذالك وسنّ لهم ان لايشربوا الخمر واذا اراد امرئة هربوا

منها وان يَحّجو الى جبل يدعى جور عن وعليه بيت عظيم فيه صورة مهاديون وبذالك البيت سدنة لايكون المفتاح الّا بايديهم فلا يدخلون الّا باذنهم فاذا فَتَحُوا الباب سَدّوا افواههم حتّى لاتصل انفاسهم الى اَلصَّنم ويُذبّحون له الذبائح ويُقرّبون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حَجّهم لم يدخلوا العمران فى طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوءٍ وضررٍ من قولٍ وفعلٍ.

عَبدة الكواكب: ولم ينقل فى الهند مذهب فى عبادة الكواكب الّا فرقتان توجّهنا الى النَّيرين الشّمس والقَمر ومذهبهم فى ذالك مذهب الصائبة فى توجهم الى الهياكل السماوية دون قصر الرّبُوبية والالهية عليها.

عَبدَة الشمس: زعموا انّ الشمس تلك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السّفلية وهى ملك الفلق يستحقّ التعظيم والسجود والتبخير والدّعا وهوالاء يسمّون:

الدينكيتية اى عباد الشمس ومن سنّتهم ان اتّخذولها صنماً بيده جوهر على لون النّار وله بيت خاص بَنوه باسمه ووَقفوا عليه ضياعاً وقواياً وله مسدفة وقوام فيَاتون البَيت ويصلون ثلاث كرات وياتيه اصحاب الملل والامراض فيصومون له ويُصلّون ويَدعُون ويستشفعون به.

عَبدة القمر: زعموا انّ القمر مَلَك من الملائكة يستحقّ التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلى والامور الجُزئية فيه ومنه نضج الاشياء المُتكوّنة واتصالها الى كمالها وبزيادته ونقصانه هوالاء يسمّون الجندر مكنية اى عباد القمر ومن سنتهم ان اتخذوا صنماً على صورة جوهرٍ وبِيَد الصَّنم جَوهر ومن دينهم ان يسجدوا له ويعبدوه وان يصوموا النّصف من كلّ شهر ولا يفطر وحتى يطلع القمر ثم ياتون صنمه بالطعام والشراب واللّبن ثم يرغبون اليه وينظرون الى القمر ويسالونه عن جوائجهم، فاذا اَستَّهل الشهر عَلَو السطح واَوقَد والدُّخن ودعو عند روئيته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام

والشراب والفرح والسرور ولم ينظرو اليه الّا على وجوه حسنة وفى نصف الشهر اذا فزعو من الافطار اخذوا فى الرقص واللعب والمعارف بين يدى الصنم والقمر.

الفِرقة الثالثة: عَبدة الاصنام، وهى ايضاً على اقسام:

منها: المهاكالية ـ لهم صَنم يدعى ماكال له اربع ايدٍ كثير شعر الرّاس سبطها وباحدى يديه ثعبان عيم فاغِرٌفاه وبالأُخرى عصا ـ وبالثّالثة رأس انسانٍ وبالرّابعة كان يدفعها وفى اذنيه حيّتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد اَلّتفا عليه وعلى راسه اكليل من عظام القَحف وعليه من ذالك قلادة يزعمون انّه عفريت يستحق العبادة لعظيم قدره واستحقاقه لها لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمُومة من الاعطاء والمَنع والاِحسان والاِسائة وانّه المَفزَع لهم فى حاجاتهم وله بيوت عظام بأرض الهنديا تون اليها اهل ملته فى كلّ يوم ثلاث مرات يسجدون ويطوفون به ولهم موضع يقال له اَختترَ فيه صَنَم عظيم على صورة هذا القسم ياتونه من كلّ مَوضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدّنيا حتّى انّ الرجل يقول له فيما يساله زوّجنى فلانة واَعطِنى كذا ومنهم مَن يأتيه ويقيم عنده الايام واللّيالى لايذوق شيئا يتضرع اليه ويساله الحاجة حتّى بما يسفق...

البركهيكتة: من سُنّتهم اَن يتّخذوا الأنفسهم صَنَما يعبدونه ويقربّون له الهدايا وموضع تعبّدهم له ان ينظروا الى باسق الشّجر وملتفة مثل الشّجر الّذى يكون فى الجبال فيلتمسُون منها احسَنها واطولها فيجعلون ذالك الموضع موضع تَعبُّدهم ثم ياخذون ذالك الصَّنم فياتون شجرةٌ عظيمة من تلك الشَجر فينقبون فيها موضعاً يركبونه فيها فيكون سُجودهم وطوافهم نحو تلك الشّجرة.

الدّهكينية: من سُنّتهم ان ياخذوا صَنَماً على صورة امرئة وفوق راسه تاج ولهايد كثيرة ولهم عيد فى يوم من السّنة عند استواء اللّيل والنهار، والشمس

والقمر ودخول الشمس فى الميزان فيتخذون فى ذالك اليوم عريشا عظيما بين يدى ذالك الصّنم ويُقرّبون اليه القرابين من الغنم وغيرها ولايُذبّحونها ولكن يضربون اعناقها بين يديه بالسّيوف ويقتلون اصابوا من الناس قربانا بالفيلة حتّى ينقضى عيدهم وهم مسئيون عند عامة اهل الهند بسبب الفيلة.

الجَهكيّة: اى عُبّاد الماء: يزعمون انّ الماء ملك ومَعَه ملائكة وانّه اصل كلّ شيئى وبه ولادة ونُمُوّ ونَشو وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل فى الدنيا الّا ويحتاج الى الماء فاذا اراد الرجل عبادته تَجَرّد وسَتَر عورته ثم دخل الماء حتّى وصل الى حلقه فيقيم ساعة او ساعتين او اكثر وياخذ ما امكنه من الرياحين فيقطعها صغارا يلقى فيه بعضه بعد بعض وهو يسبّح ويقرء فاذا اراد الانصراف حرك الماء بيده ثم اخذ منه فيقطربه راسه ووجهه وسائر جسده خارجا ثم سَجَدو انصرف.

الاكنواطرية: اى عباد النار: زعموا انّ النّار اعظم العناصر جرما واوسعهم حيّزا واعلاهم مكاناً واشرفها جوهراً وانورها ضياءً واشراقاً، والطفها جسماً وكياناً والاحتياج اليها اكثر من الاحتياج الى سائر الطبائع ولاكَون فى العالم الّا بها ولا حياة ولا نموّ ولا انعقاد الّا بمجازجتها وانّما عبادتهم لها ان يحفره اخدوداً مربّعاً فى الارض واَجَجّجُو النّار فيه ثم لايدعون طعاماً لذيذاً ولا شراباً لطيفاً ولا ثوباً فاخراً ولا عطراً فائحاً ولا جوهراً نفيساً الّا طرحوها فيه تقرّباً اليها وتبركّاً بها وحرّموا القاء النفوس فيها واحراق الابدان بها خلافا لجماعة اخرى من زهّاد الهند وعلى هذا المذهب اكثر ملوك الهند وعظمائها يعظمون النّار لجوهرها تعظيما بالغا ويقدمونها على الموجودات كلّها ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النّار صائمين يسدّون منافسهم حتّى لايصل من انفاسهم من نفس صدر عن صدر محرم وسنّتهم الحَثّ على الاخلاق الحسنة والمنع من اضدادها وهى الكذب والحسد والحقد واللّجاج والبَغى والحِرص والبطر فاذا تجرّد الانسان قرب من النّار وتقرب اليها انتهى ما نقلناه عن الملل والنحل

وليس لنا كتاب غيره الان حتّى نستنسخ منه واظن انّه لاحاجة لنا الى ذكر اقوال غير ما ذكرناه اذا المقصود حاصل به وانت خبير بانّ المذاهب فى زمان الجاهليّة ليست منحصرة بما ذكرناه الّا انّ البَعرة تدلّ على البعير.

وامّا ذكر حكماء الهند فلا نحتاج اليه فان البحث ليس فى اقوال الحكما بل فى المذاهب والاديان والحمدالله رب العالمين.

فقوله عليه السلام واهل الارض الى قوله عليه السلام من الجهالة اشارة الى ما ذكرناه وغير ما ذكرناه والغرض انّ الله سبحانه بعث نبيّه صلى الله عليه وآله وانقَذهم به من الضلالة والجهالة ولولاه لهلك النّاس كلّهم فى الغواية والشّرك والنّفاق ولله المِنة على عباده كما قال تعالى: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً الخ﴾**[1].

الجَهَة السّابعة: قوله ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله لقائه ورضى له ماعنده واكرمه عن دار الدّنيا ورغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريماً والمعنى: انّ الله تعالى بعد ما ارسله صلى الله عليه وآله رحمة للنّاس وبلّغ ما انزل عليه من ربّه وادّى رسالته واتى بما امره الله به اختار له المقام بدار القرار والخلود والارتحال عن دار المجاز والغرور قضاء لحكمةِ **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾**[2]

و **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾**[3]

و **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾**[4]

أفإن مات او قتل انقَلبتُم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا

و **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ـ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾**[5] وامثال ذالك من الآيات الدالة على انّ الموت لابدّ منه على كلّ مخلوق نبياً كان او غيره ولا

---

١. آل عمران / ١٦٤.
٢. الرّحمن / ٢٧-٢٦.
٣. الزّمر / ٣٠.
٤. الاحزاب / ٤٠.
٥. الفجر/ ٢٨-٢٧.

بقاء دائماً الّا للّه تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[1] ويستنبط من هذا الكلام وجوه من المعانى.

الاوّل انّه ﷺ ماختار لنفسه شيئاً من الموت والحيوة بل الله تعالى اختار له ما اختاره ويدلّ عليه قوله ﷺ **ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ لِقَائَهُ**، وفيه اشعار الى كمال قربه ﷺ الى الحقّ وفنائه المَحض فى وجود الواجب بحيث لاتبقى له ارادة واختيار بل الامر بالكليّة مُفوّض اليه كما قال الصادق ﷺ ان شاء الله شئنا وإن اراد اردنا.

الثانى: انّه ﷺ لم يعبّر عنه بالموت ولم يقل ثم اختار لمحمد ﷺ موته بل قال لقائه وفيه اشعار بانّ الارواح المُقدّسة ولا سيّما رُوح النّبى الّذى هو الصادر الاوّل وهو العقل الكلّى والقلم الاعلى واللّوح والعرش والكرسى وغيرها من شدّة نورانيّته ودُنوّة بمقام القُرب والمَبدَء الفيّاض بحيث لاواسطة بينه وبين علّته لاموت فيه حقيقة فانّ الموت عبارة: عن انسلاخ البدن من الرّوح وقطع علاقة التّدبير لِلرّوح عن البدن العُنصرِى وفى النّبى ليس الامر كذالك وَالأنسلاخ وقطع العلاقة لايعقل الّا فى الارواح الضّعيفة الّتى حين تَعلّقُها بالابدان كانت فى مقام العقل الهَيولانى ثمّ التّرقى لها الى مقام عقل آخر ففى كلّ هذه النَشَآت يُدبّر الرّوح البدن تدبيراً يغاير تدبير نشَاءَة القبل من حيث الكمال والنقص فاذا حانَ وقت موته فيقطع التّدبير لامحالة ويَتَعَلّق الرّوح بالبدن المثالى على التحقيق حتّى تصل النوبة الى المعاد والحشر فيرجع اليه ثانياً واما ارواح الانبياء ولا سيّما اولو العزم منهم وبالاخص سيّد الانبياء وكذا اولاده المَعصُومين فليست كذالك حيث انّ نفوسهم كانت من اول الامر كاملة غير ناقصة خلافا لبعض الفلاسفة لِاعتقادهم فيهم انّ نفوسهم بحسب الفطرة ناقصه الّا انها بعد طىّ مدارج الكمال تصير مُكتفية بذواتها وبواطن ذواتها من علله الذاتية وامّا بعد الاستكمال فرّبما صاروا تامّاً وقالوا انّ نفوس الافلاك

---

١. طه/ ١١١.

ايضاً من هذا القبيل.

قال السبزوارى قده فى منظومته وشرحها فى غرر انحاء التّقسيمات لفعل الله تعالى ما هذا لفظه: الفعل بمعنى المفعول امّا ان يكون مَسبُوقاً بالمادّة والمُدة وهو الكائن وامّا ان لايكون مَسبُوقاً بشيئى منهما، وهو المبتدع، وامّا ان يكون مسبوقاً بالمادّة دون المُدّة وهو المخترع، وامّا عكسه: احتمال فى بادى النظر غير متحقق فى الخارج واليها اشير بقولنا

الفعل اِن يَسبق هيولى مبتدع ومع لحوقٍ كائنٌ ومخترع

ثم قال قده بعد كلام:

بتمٍّ او ناقصٍ، امّا مكتفى او غيره الفعل كذا ايضاً يفى

وقال فى الشرح بتَمٍّ متعلق بيَفى وهو ما ليس له حالة منتظرة كالعقول او ناقص وهو بخلاف التّام والناقص امّا مكتفى: ان اكتفى بذاته وباطن ذاته من علله الذاتية وخروجه من النّقص الى الكمال كالافلاك، ونفوسها ومن هذا القبيل نفوس الانبياء بحسب الفطرة وامّا بعد الأستكمال فربّما صارُوا تاماً (من التام) انتهى ما قاله، وهذا تصريح منه بانّ نفوسهم بحسب الفطرة كانت ناقصة وبعد الاستكمال صارت تامّه وعليه لافرق بيننا وبينهم الّا فى علة الكمال حيث انّ العلة فيها ذاتيه ومن بواطن ذواتها وفينا خارجية وانّ الارواح فيهم ربّما صارت تامة كالعقول وفينا ليس كذالك.

وانت خبير بانّ حقيقة الامر ليس كما ذكره قده تبعاً لسائر الفلاسفة وذالك لانّ الارواح فيهم بحسب الفطرة كانت كاملة تامة لاانّها ناقصة وبصدد الاستكمال وكيف لايكون كذالك وقد قال رسول الله ﷺ حين ولادته ﷺ بناء على ما روى فى الاحتجاج وغيره عن العبد الصالح انّه ﷺ وضع يده اليُسرى على الارض ورفع يده اليمنى الى السّماء، وقال اشهد ان لااله الّاالله وقال الواقدى لمّا اخبرت آمنة عبدالمطلب بولادته ﷺ فذهب عبدالمطلب الى آمنة مع اولاده ونظروا الى وجه رسول الله ووجهه كالقمر ليله البدر يُسبّح

ويُكبّر فتَعَجَّب منه عبدالمطلب والرّوايات به كثيرة متواتره وقد قال الله تعالى حكايه عن عيسى وهو فى المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ اٰتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[1].

وفى يحيى: ﴿وَأَتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[2] وهل يعقل النبوّة واتياء الكتاب والشهادة بالوحدانية بل قوله ﷺ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وامثال ذالك لمن لم يكمل نفسه بعد...

بل وكذالك بالنسبة الى المَعصُومين سلام الله عليهم اجمعين هذه فاطمة الزهرا سلام الله عليها كانت تتكلم مع امّها خديجة فى الرَّحم وهذان الحسن والحسين قد كَلَّما امّهما فى الرّحم وكذا سائر الائمة، اَلَم تَرو الرُّواة وتواتر عنهم انّ عليّاً عليه السلام حين ولادته قال: ﴿قَدْ اَفلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[3] مع انّ القرآن لم ينزل، فكيف يمكن لنا القول بما قاله بعض الفلاسفة من كون نفوسهم بحسب الفطرة ناقصة وبعد الاستكمال فربَما صاروا تاما فان يمكن التكلم بالقرآن او فى المَهد او امثال ذالك بالنسبة الى نفوس الناقصة فلا بحث لنا معهم وان لم يمكن فكيف تَكلَّموا، فظهر انّ النفوس الكاملة ليست كنفوسنا من كلّ الوجوه فعَلىٰ مَسلكنا فى الفلسفة فى بحث النُّفوس فان قال قائل بانّ نفوس الكاملة ولا سيّما نفس النّبى والمعصُومين من ولده عليهم السلام من اوّل الامر كانت كاملة لااشكال فيه ولتحقيق هذا البحث مقام آخر وقد حققناه فى محله بما لامزيد عليه.

والحاصل: انّ نفوسهم ليس لها تَعَلَّقَ بابدانهم العُنصرية كَتَعَلَّق نفوسنا بها حتّى يطلق الموت عليها حقيقتاً كما يطلق علينا بل هم بعد الموت وقبل الموت سيّان كما ورد اَشهَد انّك تَسمَع كَلامى وتَرُدّ سلامى وانت حَيٌّ عند ربّك مَرزوُقٌ الخ، فالموت بمعنى الانقطاع كما هو معناه الحقيقى ليس فيهم ولَستُ اقول انّهم لايَموُتوُن فانّ البقاء لِلّه وَحده ولكنّى اقول انّهم يموتون

---

١. مريم / ٣٠.
٢. مريم / ١٢.
٣. المؤمنون / ١.

بموتٍ غير سائر الاموات كما انّ حياتهم دون سائر الاحياء فافهم واغتنم.

▫ **قوله عليه السلام: وَرَضِيَ لَهُ مٰا عِندَهُ:** وهذا اشارة الى **﴿مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمٰا عِنْدَ اللهِ بٰاقٍ﴾**[1] والباقى اَولى من الفانى ولمّا كان صلى الله عليه وآله اولى المخلوقات واَشرفها بالمَبدء فلا جرم اختار الله سبحانه له عنده ورضى به وهو البقاء ببقائه والدّوام بدوامه فان المخلوق اذا اتصف بصفات الخالق وَعَبدَه عبادةً تليق بجنابه فيصير باقياً ببقائِه وحيّاً بحياته كما قال فى حديث القدسى: عَبدِى اَطِعنى حتّى اَجعَلَك مِثلى او مَثَلى وايّ موجودٍ عَبدَالله تعالى اَحسَن من رسوله الخاتم وفيه ايضاً اشارة الى انّه صلى الله عليه وآله فى مقام الرّضا والتّسليم لربّه بمثابةٍ لايعقل فوقها لِأحَدٍ من الممكنات.

▫ **وامّا قوله عليه السلام: وَاَكْرَمَهُ عَنْ دٰارَ الدُّنْيٰا ،وَرَغِبَ بِهِ عَن مُقٰارَنَةِ الْبَلْوىٰ:**

فاشارة الى دنائة الدّنيا وخَسّتها وانّه صلى الله عليه وآله اَجلّ شأناً واَرفَع مقاماً من ان يكون فى هذه الدنيا الدنّية باقية ثابتة فانّ مقامه الاصلى الذى يليق بجنابه هو مقام القُرب والوَصل ومرافقة الأبرار من الانبياء المرسلين، والملائكة المقربين لامرافقة الأشرار والحياة الفانية الداثرة وقوله عليه السلام **عَن مُقٰارَنَةِ الْبَلْوىٰ** اشارة الى انّ الدّنيا مَحفوفة بالبَلايا والهُموم والافات والسُّموم وهو كذالك كما قال عليه السلام الدّنيا دار بالبلاء مَحفُوفة وبالغَدر معروفة ولولا اهميّته الأرشاد وتبليغ الاحكام من الله تعالى الى عباده لم يسافر هو وسائر النّفوس القدسيّة الى هذه الدّنيا طَرفة عين ابداً لانّهم ليسوُا باهل لها كما هو واضح على العارف اللّبيب.

▫ **وامّا قوله عليه السلام: فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً:** بمنزلة النّتيجة لِما تَقدَّم فانّ الفاء فيه للتفريع والمعنى انّ الله سبحانه وتعالى بسبب الجهات التى مرّت ذكرها قبض روحه المُقدّس عن القالب العنصرى المُلكى وهو كناية عن مُوته حتّى لايشك فى موته شاكّ ويعلم الناس كلّهم انّ ما سوى الله يموت وامّا قوله عليه السلام كريماً حيث اتّصف عليه السلام موته بالكرامة فاشارة الى ما قال صلى الله عليه وآله حياتى خير لكم

---

١. النّحل /٩٦.

ومماتى خير لكم، فكما انّ حياته كانت مَشحونة بالكرامة فكذالك مماته ايضاً وبعد الفراغ عن شرح الجملات نشير الى زمان موته وكيفيته وسائر ما يتعلّق به فنقول:

تاريخ وفاته: قبضﷺ فى شهر ربيع الاوّل يوم الاثنين لليلتين خلتا منه وروى لثمانى عشرة ليلة منه وقيل لعشر خلون منه وقيل لثمان بقين منه وقيل لثمان من ربيع الاوّل وذالك فى سنة عشر من الهجرة فكان مقامه بمكّة اربعين سنة قبل نزول الوحى ثم نزل عليه الوحى فى تمام الأربعين وكان بعده بمكة ثلث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة وهو ابن ثلث وخمسين سنة فاقام بالمدينة عشر سنين ثم قبضعليه السلام وقال ابن الاثير فى تاريخه انّهﷺ قبض نصف النّهار يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خَلَت من ربيع الاوّل والمَشهوُر بين الاماميّة انّه قبض فى يوم الاثنين لليلتين خلتا منه كما هو المتعارف فى زماننا هذا وامّا يوم وفاته فلاخلاف يَعتدّبه بين الفرقين ظاهراً وهو يوم الأثنين...

وعن ابن عباس انّه قال لمّا مَرَض رسول اللهﷺ وعنده اصحابه قام اليه عمار ابن ياسر ره فقال له فداك ابى وامّى يا رسول الله من يُغسلك منّا اذا كان ذالك منك؟ قالﷺ: ذالك على ابن ابيطالب (ذاك) لانّه لاَيَهُم بعُضوٍ مِن اعضائى الّا اعانته الملائكة على ذالك فقال له فداك ابى وأُمّى فَمن يَصلى عليك مُنّا اذا كان ذالك منك؟ قالﷺ: قد رحمك الله، ثم قالﷺ لِعلى ابن ابيطالب اذا رايتَ روحى قد فارَقت جسدى فاغسلنى وانقِ غسلى وكَفِّنى فى طَمرى هذين اوفى بياض مصر (جر) وبُرديمانِ واَحملونى حتّى تَضَعُونى على شفير قبرى فاوّل من يصلّى عَلىَّ الجبّار جلّ جلاله من فوق عرشه ثُمَّ جبرئيل وميكائيل واسرافيل فى جنود من الملائكة لايُحْصِى عددهم الّا الله عز وجل ثم الحافّون بالعرش ثم سكّان السماء (اهل السماء) ثم جُلّ اهل بيتى ونسائى الأقربون فالأقربون يؤمُون ايماءً ويُسلّمون تسليماً لايؤذونى بصوتٍ

نادبةٍ ولامرنّةٍ الخبر[1]

وروى عن ابن عباس ايضاً انّه قال انّ رسول الله ﷺ فى ذالك المرض كان يقول اُدعوا لى حَبيبى فجعل يُدعا له رجل بعد رجل فيعرض عنه فقيل لفاطمة امضى الى علىّ، فما نرى رسول الله يريد غير علىّ، فَبَعَث فاطمة الى علىّ، فَلمّا دَخَلَ فَتَح رسول الله عَينيه وتَهلَّل وَجهَه ثم قال اِلَىّ يا علىّ اِلىّ يا علّى فما زال يُدنيه حتّى اَخَذه بيده واَجلَسه عند رأسه، ثمّ اغْمى عليه فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان ويبكيان حتّى وقعا على رسول الله فاراد علىّ ان يُنحيهما عنه فافَاق رسول الله، ثم قال: يا على دعنى اَشُمّهما ويَشّمانى واَتَزَّود منهما ويَتَّزودانى (منّى) امّا انّهما سيُظلمان بعدى ويُقتَلان ظلماً فَلعنَة الله على من يظلمهما يقول ذالك ثلاثا.

ثمّ مَديده الى علىّ، فَجَذبه اليه حتّى ادخله تحت ثوبه الّذى كان عليه ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاةً طويلة حتّى خرجت روحه الطّيبة فاَنسَّل علىٌّ من تحت ثيابه وقال اَعظَم الله اُجوركم فى نَبيّكم فقد قَبضَه الله اليه فارتَفَعت الاصوات بالضَّجَة والبكاء فقيل لأميرالمؤمنين عليه السلام ما الَّذى ناجاك به رسول الله حين اَدخَلك تحت ثيابه فقال عَلَّمنى الف بابٍ كلّ بابٍ يفتح الف بابٍ[2].

وقال الصّادق عليه السلام: **انّ رسول الله ﷺ اوصى الى علىٍّ عليه السلام ان لايغسلنى غيرك فقال على يا رسول الله من ناولنى الماء وانّك رجل ثقيل لااستيطع ان اُقلّبك فقال جبرئيل مَعَك يُعاونك ويناولك الفَضل الماء وقل له فليغط عينيه فانّه لايرى احد عورتى غيرك الّا اَنفَقَأت عيناه، قال كان الفضل يناوله الماء وجبرئيل يعاونه وعَلىٌّ يُغسّله فلمّا فرغ من غسله وكَفَّنه اتاه العبّاس فقال يا على انّ النّاس قد اجتمعوا على ان يدفن النّبى فى بقيع المصّلى وان يامهم رجل منهم فخرج علىّ الى النّاس، فقال امّا تعلمون انّ رسول الله ﷺ امامنا**

١. بحارالانوار، ج ٦، ص ٨٠٤.
٢. بحارالانوار، ج ٦، ص ٨٠٥.

حيّاً وميتاً وهل تعلمون انّه ﷺ لَعَن من جَعَل القبور مصلّى ولَعَن من يجعل مع الله اِلهاً ولَعَن من كسر رباعيته وشقّ لثّته قال فقالوا الامر اليك فاصنَع ما رايت قال وانّى ادفن رسول الله ﷺ فى البُقعة الّتى قبض فيها ثمّ قام على الباب فصلّى عليه، ثمّ امر الناس عشرة عشرة يصلّون عليه ثمّ يخرجون[1].

قال ابن اثير فى تاريخه فى عدد اولاده فولدت له ثمانية: ١ـ القاسم ٢ـ الطَّيب ٣ـ الطّاهر ٤ـ عبدالله ٥ـ زينب ٦ـ رقية ٧ـ ام كلثوم ٨ـ فاطمة الزهراء عليها السلام وهذه كلّها من خديجة ولم يولد له ولد من غيرها الّا ابراهيم انتهى. فعلى ما ذكره مجموع اولاده النّبى تصير تسعة خمسة من الذُّكور واربعة من الأناث.

ورى عن الصادق عليه السلام عن ابيه قال عليه السلام ولدُ للرّسوُل الله من خديجه ١ـ القاسم ٢ـ الطّاهر ٣ـ ام كلثوم ٤ـ رقية ٥ـ زينب ٦ـ فاطمة فزوّج علىّ فاطمة عليها السلام وتَزَوّج ابو العاص ابن ربيعة وهو من بنى امية زينب وتَزَوّج عثمان ابن عفان ام كُلثُوم ولم يدخل بها حتّى هلكت وزَوّجه رسول الله مكانه رقيّة ثم ولد لرسول الله ﷺ من امّ ابراهيم ابراهيم وهى مارية القِبطِية اهداها اليه صاحب الاسكندرية مع البغلة الشهباء واشياء معها انتهى.

اقول: وانت ترى انّ فى هذه الرّواية ليسَ من عبدالله والطَّيب، اثرا اصلاً مع انّ صاحب الكامل اثبتهما فى عداد اولاده. وقال ابن هشام فى سيرته فى اولاده ﷺ من خديجة: ١ـ القاسم ٢ـ الطيب ٣ـ الطّاهر واكبر بناته: رقية ثم زينب ثم ام كلثوم ثم فاطمة، وامّا ابرايهم فامّه مارية قبطية فعليه لاتصير اولاده ﷺ جمعا تسعة بل ثمانية وانا اقول قد اخطاء ابن اثير فى تاريخه وابن هشام فى سيرته وذالك لانّ القاسم وعبدالله هما المُلّقبان بالطّاهِر والطّيب فالطّاهر والطّيب لقبان لهما لاوَلَدان له ﷺ وَاهل البيت اَدرى بما فى البيت ففى الرّواية المذكورة المراد بالطّاهر انّما هو عبدالله وانّما اتى عليه السلام بلقبه

١. بحارالانوار، ج ٦، ص ٨٠٦.

دون اسمه.

ويظهر من بعض حواشى السِيّرة ايضاً ما ذكرناه الّا انّه قال الطّاهر والطّيب لقبان لعبدالله ونحن قلنا لقبان لهما وعلى اى تقدير لااشكال فى انّه ليس لرسول الله ﷺ وَلَدٌ يُسمّى بالطّيب والطّاهر فعلى هذا اولاده تصير سبعة ثلاثة من الذكور واربعة من الاناث. ثم انّه لاخلاف فى انّ اولاده ﷺ ماتوُ جميعاً فى حَيوانه وما بقيت بعده الّا فاطمة الزهرا عليها السلام وههنا قول آخر وهو انّه نقل عن البلادرى والأنوار والكشف واللّمع انّ زينب ورقية كانتا ربيتباه من حَجش فعلى هذا تصير اولاده خمسة.

عدد اَزواجه ﷺ قال فى الكامل قال ابن الكلبى انّ النبى ﷺ تزوّج خمس عشرة امرئة ودخل بثلث عشرة وجمع بين احدى عشرة وتوفى عن تسع واوّل امرئةٍ تَزوّجها خديجة بنت خُويلد وكان تزوجها قبله عتيق ابن عابد ابن عمر ابن مخزوم ومات عنها ثمّ تَزوَّجها ابوهالة ابن زرارة ابن نباش ابن عدى التّميمى فولدت له هند ابن ابن هالة ثم مات عنها فتَزَوّجها رسول الله ﷺ ولَم يتزَوَج على خديجة فى حياتها اَحَد وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين ولنذكر شمّة من احوالات خديجة وسائر زوجاتها تتميما للبحث وتكميلا للفائدة فنقول:

لاخلاف بين العامّة والخاصة فى انّ خديجة اَوّل زوجةٍ تَزوَّجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة قد مضت عليها اربعون سنة ولا خلاف ايضاً فى انّ اولاد رسول الله سوى ابراهيم من خديجة ولم يتَزوَّج عليها فى حياتها احدا كما ذكرنا.

نسبها: هى خديجة بنت خويلد ابن اسد ابن عبد العزّى ابن قصى ابن كلاب ابن مرّة ابن كعب بن لوى بن غالب فَنَسَبها عليها السلام يتّحد مع النّبى فى قصى ابن كلاب فهما من شجرةٍ واحدةٍ ولهذا ترى خديجة تخاطب النّبى ﷺ فى بعض كلماته يابن عمّ وامّها فاطمة بنت زائدة ابن الأصمّ ابن رواحه ابن حجر

ابن عبد ابن معيص ابن عامر ابن تووى ابن غالب سبب تـزويجها بـه ﷺ:
روى عن جابر انّه قال كان سبب تزويج خديجة مُحمّداً ﷺ انّ اباطالب قال يا محمّد انّى اريد ان ازوّجك ولا مال لِى اساعدك به وان خديجة تخرج كلّ سنة قريشاً فى مالها مع غلمانها يَتَّجِر لها وياخذ وَقر بعيرٍ ممّا اتى به فهل لك ان تخرج قال نعم فخرج ابو طالب اليـها وقـال لهـا ذالك فَـخَرجت وقـالت لغلامها مَسيرة انت وهذا المال كلّه بحكم محمدٍ فَلمّا رَجَعَ مَيسَرة حَدَّث انّه مَا مَرَّ بشَجَرةٍ ولا مَدرَةٍ الّا قالت السلام عليك يا رسـول الله وقـال جـاء بـحيرا الراهب وخدّمنا لما رأى الغَمامة على راسه تَسير حيثما سار وتظلِه بـالنّهار وربحاً فى ذالك السّفر ربحاً كثيراً فلمّا انصرفا قال ميسرة لو تَقدَّمَت يا محمّد الى مكة وبَشَّرت خديجة بما قد ربَحَنا لكان انفَعَ لكَ فتقدم مُحمّد على راحلته وكانت خديجة ذالك اليوم جالسة على غُرفةٍ مع نِسوةٍ فظهر لها محمّد راكباً فنظرت خديجة الى عمامةٍ عاليةٍ على رأسه تَسير بسيره وَرأتَ مَـلَكين عـن يمينه وعن شماله فى يد كلّ ملك سَيفٌ مَسلُول يجيئان فى الهواء معه فقالت انّ لهذا الرّاكب لشاناً عظيماً لَيته جاء الى دارى فاذا هو محمّد قاصد لدارها فنزلت حافية الى باب الدّار وكانت اذا ارادت التَّحوُل مـن مكـانٍ الى مكـانٍ حَوَّلَت الجَوارى السّرير الّذى كانت عليه فلمّا دنت منه قالت يا محمّد اخرُج واحضرنى عمّك اباطالب السّاعة وقد بَعَثَت الى عمّها ان زَوجّنى من مُحمّدٍ اذا دَخَل عليك فلمّا حَضَر ابوطالب قالت أُخرجا الى عمّى لِيُزوّجنى من مُحمّدٍ فقد قلت له فى ذالك فدخلا على عمّها وخطب ابوطالب بهذه الخطبة:

الحمد الله الّذى جَعَلنا من ذُرعِ ابراهيم الخليل ومن ذريّة الصفّى اسمعيل وضيضئى مُعدّ وعنصر معزّ وجعَلَنا حضنته بيته وَسَوّاس حَرَمه وجَعَل مسكننا بيتا مَحجُوجاً وحَرَماً اميناً وجَعَلنا الحكّام على الناس ثمّ ابن اخى هذا محمّد ابن عبدالله لايوازن برجلٍ من قريش الّا رَجّح به ولايقاس بأحدٍ منه الّا عظم عنه وان كان فى المال مُقِلاً فانّ المال وَرَق حائل وظِلٌ ظائلٌ وله والله خَطبٌ

عَظيم وبناءٌ شايعٌ وله رَغَبَةٌ فى خديجة ولها فيه رغبته فَزوّجوه والصّداق ما سالتموه من مالى آجلة وعاجلة فقال خويلد زَوّجناه ورَضينا به فقال عبدالله ابن غنم فى ذالك:

هَنيئاً مَريئاً، يا خديجة قد جَرَت ... لَك الطَّيرِ فيما كان منك بأسعَد
تـزوّجتِ مـع خيّر البَريّة كلّها ... وَمَن ذَاالَّذى فى النّاس مثلُ محمّدٍ
وبشّر به المرآن عيسى ابن مريم ... وموُسى ابن عمران فياقُرَب مَوعدٍ
آقـرّت بـه الكـتّاب قـدماً بانّه ... رسول من البَطحاء هادٍ ومُهتَدٍ

قال ابن هشام فى سيرته وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة ابن اسد ابن عبد العزّى وكان ابن عمّها وكان نصرانيّاً قد تَتَّبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها خلالها مَيسَرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلّانه فقال ورقة لئن كان هذا حقاً يا خديجة انّ محمداً لَنَبيُّ هذه الأُمَّة وقد عرفت انّه كائن لهذه الامّة نَبيٌّ فينتظر هذا زمانه او كما قال فَجَعَل وَرقة يَستبطئى الامر ويقول حتّى مَتى فقال وَرَقة فى ذالك:

لَجَجتُ وكُنتُ فى الذكرى لَجوُماً ... لَـهّم طـالما بعث النَّشيجا
وَوصفُ من خَديجة بعدَ وصفٍ ... فقد طال انتظارى يا خَديجا
بـبطن المَكَّيتن عـلى رجـائى ... حـديثك اَن اَرىٰ منه خُروجا
بـما خَـبَّرتَنا مـن قـول قِسّ ... مـن الرُهبان اَكرَه ان يَعوُجا
بـاَنّ مُـحمّداً سَيَسوُد فـيناً ... ويخصم من يكوُن له حَجيجا
ويَظهر فى البلاد ضياء نُورٍ ... يُـقيم بـه البَرّية اَن تَموُجا
فَيَلقىٰ مَن يجار به خسارً ... وَيلقى من يُسالمه فلوُجا
فـياليَتى اذا مـا كَان ذاكم ... شـهدتُ فكُنتُ اوَّلَهم ولوجاً
ولَو جاء فى الّذى كَرِهَت قُريشُ ... ولو عَجَّت بمكّتها عَجيجا
اُرَجّى بالَّذى كرِهوا جميعاً ... الى ذى العَرش ان سَفَلوُا عروُجاً
وهل امر السّفالة غير كفر ... بِمَن يختار مِن سَمَك البُروجا

فـإن يَـبقَو واَبـق تكُـن امـورُ يَـضِجّ الكـافرون لهـا ضَجيجاً
واَن اَهـلك فكـل فـتى سيلَقى مـن الاقـدار مـتلفة حـروجاً

وقد اقرّت الخاصة والعامة بفضلها وشَرفها والرّوايات الواردة فى شأنها من الطَرَّفين كثيرة مُتظاهرة فمن ذالك ما روى فى مسند احمد ابن حنبل عن عبدالله ابن جعفر عن على ابن ابيطالب قال رسول الله: **خير نسائها خديجة وخير نسائها مريم** ومنه عن عبدالله ابن جعفر قال رسول الله: **اُمِرتُ ان ابشّر خديجة ببيت من قَصَبٍ لاصخَب فيه ولا نَصَب** ومنه عن ابن عباس **انّ اوّل من صلّى مع رسول الله بعد خديجة علىّ** قال وقد تقدم ذكر تقدم اسلامها وانّها سبَقت الناس كافة فلاحاجة الى اعادة ذالك وهو مشهور.

وعن انس ابن مالك عن النّبى قال: **حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد وآسية بنت مزاحم امرئة فرعون.** ومنه عن ابى عبدالله عليه السلام (عن عبدالله ابن ابى اوفى) **قال بشّر رسول الله خديجة ببيتٍ فى الجنة لاصخَب ولا نَصيبَ ورُوى ان جبرئيل اتى النّبى فسئل عن خديجة فلم يجدها فقال اذا جائت فاخبرها انّ ربّها يقرؤها السلام، قلت: لاحاجة لنا الى اطالة الكلام فيها فانّها اوّل من اَسلَم واَنفَقت جميع مالها فى سبيل الله وترويج الاسلام مع شدّة احتياج المسلمين الى المال فى صدر الاسلام مضافاً الى انّها قد اَولَدت فاطمة الزهراء سيدة النساء العالمين فَلو لَم يكن لها شَرف وفَضيلة الّا هذه لَكفَاها سلام الله عليها وعلى بَعلها وابنتها** من الآن الى يوم الدّين.

٢ـ سوُدة، ثم انّه لما تُوفيَّت خديجة نكح بعدها سُودة بنت زَمَعة وقيل عايشة وامّا عايشة فكانت صغيرة يوم تَزوّجها بنت ست سنين، وامّا سوُدة فكانت امرئة ثيباً وكانت قبله عند السكران ابن عمرو بن عبد شمس اخى سهيل ابن عمرو وكان من مهاجرة الحَبَشة فتنصّر بها ومات فَخَلف عليها رسول الله وهو بمكة وكان الّذى خَطَبها عليه خولة بنت حكيم زَوجه عثمان

ابن مَظعوُن فَدَخَل بسَودة بمكّة زوجّها منه ابوها زمَعَة ابن قيس فلمّا تَزوَّجها كان اخوها عبد ابن زمعة غائبا فلمّا قدم جعل يحثى التراب على رأسه فَلَمَّا اَسلَم قال انّى سفيه حيث فعلتُ ذالك ونَدِم على ما كان منه.

٣ـ عايشة: وامّا عايشة فَدَخل بها بالمدينة وهى ابنة تسع سنين ومات ﷺ عنها وهى ابنة ثمانى عشرة سنة ولم يَتزوَّج بكراً غيرها وماتت سنة ثمان وخمسين.

٣ـ حفصة: ثم تَزوَّج بعد عايشة حَفَضة بنت عمر ابن الخطاب وكانت قبله عند خنيس ابن خداقة السَّهمى وكان بَدريّاً ولَم يَشهد من بنى سعد بَدريّاً غيره ولم تلد له شيئاً وماتت بالمدينة فى خلافة عثمان ابن عفّان.

٥ـ امّ سلمة: ثمّ تَزوَّج بعد حفصة امّ سلمة ابنة ابى اميّة زاد الركب المَخزُوميّة وكانت قبله ﷺ عند ابى سلمة ابن الاسد المخزومى شهد بدراً و اَصابتَه جراحة يوم احد فمات منها وتَزوَّجها رسول الله ﷺ قبل الاحزاب وماتت سنة تسع وخمسين وقيل بعد قتل الحسين عليه السلام.

اقول: وحديث القارورة يدل عليه.

٦ـ زينَب: ثم تزوَّج زينب بنت خزيمة من بنى عامر بن صعَصَعة ويقال لها امّ المساكين وتُوفيّت فى حياته ولم يَمُت فى حياته غيرها وغير خديجة بنت خويلد وكانت زينب قبله ﷺ عند الطفيل ابن الحرث ابن المطلب ثم تزوج عام المريسيع.

٧ـ جويرية: ثم تَزوَّج عام المر يسيع جُويرية ابنة الحرث ابن ابى ضرار الخزاعية من بنى المصطلق وكانت قبله عند مسافع ابن صفوان المصطلق لم تلد له شيئاً.

٨ـ ام حبيبة: ثم تزوّج ام حبيبة بنت ابى سفيان ابن حرب وكانت قبله ﷺ عند عبيد الله ابن حجش وكان من مهاجرة الحبشة تَنصرّ بها ومات فَارسَل النّبى الى النَّجاشى فَخَطبها عليه وتَزَوَّجها وهى بالحَبَشة وزوّجها منه خالد ابن

سعيد ابن العاص وقيل بل خطبها الى عثمان ابن عفان فزوّجها منه وبعث فيها الى النجاشى فساق له المهر اربعمائة دينار وارسلها اليه وتوفيّت فى خلافة اخيها معاويه لعنة الله عليه ولم تَلد شيئاً.

٩ـ زينب: ثُمَّ تَزوّج زينب بنت جحش وكانت قبله عند زيد ابن حارثة مولاه فَلم تَلد له شيئاً فَزوَّها الله ايّاه وبعث فى ذالك جبرئيل وكانت تفتخر على نساء النبىﷺ وهى اوّل ازواجه توفّيت بعده فى خلافة عمر ابن خطاب.

١٠ـ صفيّة: ثم تَزوّج عام خيبر صَفيّة بنت حيّ ابن اخطب وكانت قبله تحت سلام مشكم فَتوفّىٰ عنها وخلّف عليها كنانة ابن الربيع ابن ابى الحقيق فقتله محمّد ابن سَلَمة صبراً بأمر النّبى ثم اَعتَقها النبىﷺ وَتزوَّجها سنة ستّ وماتت سنة ست وثلاثين...

١١ـ ميمونة: ثم تزوّج ميمونة ابنة الحرث الهلاليّة وكانت قبله عند مسعود بن عمرو ابن عمير الثقفى ولم تلد له شيئاً ثمّ خلّف عليها ابورهم ابن عبد العُزّى بعد مسعود ثم رسول اللهﷺ بعده وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وتزوّجها فى عمرة القضاء بسوف.

١٢ـ ثم تَزوّج امرئة من بنى كلاب يقال لها شاه بنت رفاعة وقيل هى سنى ابنة اسماء ابن الصّلت وقيل ابنة الصَلت ابن خبيب توفيّت قبل ان يدخل بها.

١٣ـ ثم تزوّج الشّبناء ابنة عمرو الغفّارية وقيل الكنانيّه فمات ابراهيم ابنه قبل ان يدخل بها فقالت لو كان نبيّاً ما مات ابنه فطلّقها.

١٤ـ ثم تزوّج عربة ابنة جابر الكلابيّة خطبها عليه ابوا سيّد الساعدى فَلمّا قَدِمَت عَلى النّبى استعاذت بالله منه ففارقها.

١٥ـ ثم تزوّج اسماء ابنة النُّعمان ابن الاسود ابن شراحيل الكندى فَلمّا دَخل بها وَجد بها بياضاً فمتّعها وردّها الى اهلها وقيل: بل استعاذت منه ايضاً فَرَدّها، وبعضهم زاد فى الزّوجات اثنين اخرين وهما

١٦ـ ثم تزوّج بعدها عالية ابنة ظبيان ثمّ فارقها.

١٧ـ ثم تزوّج قتيلة بنت قيس اخت الاشعث فتوفّى عنها قبل ان يدخل بها، وقيل بانه ﷺ.

١٨ـ ثم تزوّج خُولة ابنة الهذيل ابن هبيرة.

١٩ـ ثم تزوّج ليلى ابنة الخطيم الانصارية عَرَضت نفسها عليه فتزوّجها فأخبَرت قومها فقالوا انت غيور وله نساء فاستقيليه فاستقالته فاقالها ففارقها، فعلى هذا تصير مجموع زَوجاته عليها السلام تسعة عشر زوجة، والله اعلم بحقائق الامور.

وامّا عدد غَزَواته ﷺ: اختلفوا فيه، فمنهم من عدّها ستا وعشرين غزوة ومنهم من قال بانّها سبعا وعشرين:

و الأوّل جَعَل غزوة الخيبر وغزوة وادى القرى واحداً والثّانى جعلهما اثنين، وعلى ايّ حال اوّل غَزَوةٍ غزاها تُسمّىٰ بوُدان وهى الابواء ثم يواط بناحية رضوى، ثم العشيرة، ثم بَدر الاولى ثم بَدر الّتى قتل فيها قريشاً، ثم غزوة بنى سليم، ثم عزوة السّويق، ثم غزوة عظفان، ثم غزوة بحران بالحجاز.

ثمَّ غَزوَة اُحُد، ثمّ غَزوَة الأَسَد، ثم غزوة بنى النَّضير ثم غَزوة ذات الرّقاع ثم غزوة بَدر الاخرة، ثم غزوة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قريظة، ثم غزوة بنى لحيان من هذيل، ثم غزوة ذى قرد، ثم غزوة بنى المصطلق، ثم غزوة الحديبيّة، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء ثم غزوة فَتح مكة، ثمّ غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة التّبوك انتهى.

حَجُّ النّبى ﷺ: قال جابر حَج النّبى ﷺ حَجَّتين: حُجَّةٌ قبل ان يهاجر وحَجَّةٌ بعدها وقال عُمر اعتَمَر رسول الله ثلاث عمرة وقالت عايشة اربع.

صفة النّبى: ذِكرُ صفةِ النّبى ﷺ: قال ابن اثير فى الكامل قال على ابن ابيطالب كان رسول الله ليس بالطّويل ولا بالقصير ضخيم الرّأس واللّحيّة باسط الكَفين والقَدَمين ضَخم الكَراديس مشرباً وجهه حمرة طويل المسربة اذا مشى

تَكَفّاً تَكَفّاً كانّما يَنحطّ من صببٍ وكان اَدعَج العَينَين سبط الشَّعر سَهل الخَدَّين ذا وَفرةٍ كَانّ عُنقه ابريق فضته واذ اَلتَفت، اَلتَفت جميعاً كان الغرق فى وَجهه اللّولُو الرَّطب الطيّب عرقه وريحه.

هذا خلاصة ما اَورَدنا فى المقام من حالاته ﷺ وزوجاته وسائر ما يتعلّق به وَمَن اراد التَّفضيل فعليه بكُتب المُفصَّلة.

ومنها:

▫ **قوله عليه السلام: وخَلَّفَ فِيكُمْ ما خَلَّفَتِ الْاَنْبِياءُ فِى اُمَمِها ،اِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً: بِغَيْرِ طَرِيقٍ واضِحٍ، وَلا عَلَمٍ قائمٍ كِتابَ رَبِّكُمْ: فيكم مُبَيِّناً حَلالَهُ وَحَرامَهُ، وَفَرائَضَهُ وَفَضائِلَهُ، وَناسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرَخَصَهُ وَعَزائِمَهُ ،وَخاصَّهُ وَعامَّهُ ،وَعِبَرَهُ وَاَمْثالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشابِهَهُ ،مُفَسِّراً جُمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوامِضَهُ ،بَيْنَ مَاخُوذٍ مِيْثاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبادِ فِى جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِى الْكِتابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِى السُّنَّةِ نَسْخُهُ وَواجِبٍ فِى السُّنَّةِ اَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِى الْكِتابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ واجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزائِلٍ فِى مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبايِنٍ بَيْنَ مَحارِمِهِ: مِن كَبِيرٍ اَوْ عَدَ عَلَيْهِ نِيرانَهُ، اَوْ صَغِيرٍ اَرصَدَ لَهُ غُفْرانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِى اَدْناهُ وَمُوَسَّعٍ فِى اَقْصاهُ، متن.**

◁ **اللّغة**

(**خَلَّف،**) كَصَّرف ماضى من باب التَّفعيل ومصدره التَّخليف اى تَرَك وبَقى (**والأُمَم**) جمع اُمَّة وهى عبارة عن اَتباع كلّ نبىّ فى شريعته ودينه والضمير راجع الى الأنبياء، (**هَمَلاً**) قال فى المنجد هَملتُ هَملاً، الابل تركتُ وقال فى مجمع البحرين هَمل بالتسكين مصدر قولك هملت عيناه تهمل هملاناً وهملاً اى فاضَت واَنهَملت مثله والهَمَل بالتّحريك الابل بلاراع وتركتها هملاً اى سُدىً بلا راعٍ انتهى. قلت والظاهر ان قرائته بالتَّحريك اَولى من السّكون بناء على ما فى المجمع وامّا بناء على ما فى المُنجد فالسُكون لاباس به اذ عليه

الهمل بالسكون ايضاً بمعنى التّرك ولذالك اختلف شرّاح كلامه فبعضهم قرء بالتّسكين وبعضهم بالتّحريك والغرض معلوم اذ على التقديرين معناه التّرك بلاراعٍ وصاحبٍ والفضائل قال ابن ابى الحديد فى شرحه: (**الفَضائِل**) النّوافل اذ هى فضلة غير واجبة ويظهر منه انّه اعتقد بانّ الفضائل جمع فضلة، ثم نقل عن الراوندى قده انّه قال الفضائل جمع فضيلة وهى الدّرَجة الرّفيعة وقال فى ردّه وليس بصحيح الى آخر ماقاله. اقول: العَجَب من ابن ابى الحديد حيث قال ما قال ولم يدران الفضائل لايمكن ان تكون جمع فضلة فانّها تجمع على فضلات وفضال والّتى تجمع على الفضائل هى الفضيلة فالحق فى المقام مع الراوندى قده (**رُخَصَهُ**)، رُخَص جمع رخصة وهى الاذن (**عَزائِمَهُ**) عزائم جمع عَزيمة وهى الهِمة،(**عِبَرَهُ**) العِبَر جمع عبرة، (**غَوامِضَهُ**) غوامض جمع غمض وسائر اللّغات واضح.

◁ المعنى

غرضه عليه السلام من هذه الكَلِمات هو الاشارة بانّ الله تعالى بعد ما ارسل الرسول الى خلقه بلطفه ومنّه على ما ذكرناه مُفصّلاً فيلزم عليه تعالى عقلا عدم اهمال الناس بعد موتِ الرّسول والّا يلزم نَقض الغرض ولذالك ترى الانبياء كلّهم بعد موتهم عَيّنوا لِأُمَمهم مايحفَظَهم عن الضّلالة والخطاء وهو كُتبهم السّماوية فكذالك الحكم بالنسبة الى نبيّنا صلى الله عليه وآله حيث انّه خلّف بعد موته لنا كتاباً اعنى القرآن الّذى بيّن فيه الحلال والحرام والفرائض والنّوافل والنّاسخ والمنسوخ والمباح والمكروه والخاص والعامّ والعِبَر والامثال والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه بيّن ما اخذ ميثاق علمه عنهم وما لم يوخذ وبين ما ثبت فى الكتاب المجيد حكمه وما عُلِم نَسخه ووجب فى السّنة الأخذَ به وما جوّز فى الكتاب تركه وبين الواجب المُوقت وغيره والمُحرّمات الّتى هَدّدهم بفعلها على النّار او المُحرّمات الصّغيرة الّتى ان تاب فاعلها ليس عليه شيئى...

◁ الشرح

▫ **قوله**ﷺ: **وخَلَّفَ فِيكُمْ ما خَلَّفَتِ الْأَنْبِياءُ فِي اُمَمِها ،اِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً: بِغَيْرِ طَرِيقٍ واضِحٍ، وَلاٰ عَلَمٍ قائِمٍ** متن...

واعلم انّه بعد اثبات وجود النّبى فى الأمّة بقاعدة اللطف فبعد موته ايضاً يلزم عليه تعالى ان لايتركوهم هملاً والّا يلزم نقض الغرض اذ الغرض من ارساله انّما هو ارشاد الناس الى الهُدى وانقاذهم من الضلالة والرّدى وهذا الملاك بعينه موجود فى كلّ زمان ودَورةٍ فاذا مات النّبى ولم يكن بعده عَلَم قائمٌ يرشد الناس عادا المَحذُور بعينه ولعلّ هذا هو السرّ فى انزال الكتب مَعَهم او تعيين الوصى بعدهم الا ترى انّه ما من نبىٍّ الاوله وصّى وما من رسولٍ صاحب شريعة الّا وله كتاب ووصّى وبهذا اتّم الحجّة منه تعالى على الخلق فَلَه الحجّة البالغة على خلقه وهذا فى اصل النبوّة ظاهر واذا ثبت هذا فى الأنبياء ثبت فى رسُولنا ايضاً لِوَحدَة الملاك ولهذا ترى انّهﷺ اَستدَّل على مطلوبه اعنى تخليف الرسول كتاباً فى الامة بتخليف سائر الانبياء وقال وخَلَّف فيكم ما خَلَّفت الأنبياء فى اُمَمها.

ثم علَّلَ اَصل المُدّعىٰ بقوله اذ لَم يتركوهم هملا، فانّ كلمة اذ فى الكلام تعليَلية بلاكلام ثم رَجَع ثانياً الى بيان ما خَلَّفه الرَسُولﷺ وذكر ما يترتّب عليه فِى فوائده ومنافعه فقالﷺ: **كِتٰابَ رَبِّكُمْ: فيكم مُبَيِّناً حَلاٰلَهُ وَحَرٰامَهُ، وَفَرٰائِضَهُ وَفَضٰائِلَهُ**،: وهو اشارة الى قولهﷺ فى حديث المتّفق عليه بين الفريقين انّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى، اهل بيتى ما ان تَمسكتُم بها لَن تَضلُّوا ابداً.

فيمكن ان يكون قولهﷺ بغير طريقٍ واضح اشارة الى الكتاب، وقوله ولا عَلَمٌ قائم اشارة الى الوَصى القائم بالحقّ كما سنبيّنه انشاء الله تبارك وتعالى، ثم انّهﷺ بَيَّن فوائد الكتاب وما يستفاد منه بعد الرَسُول: فمنها انّه مبيّن الحلال والحرام: والمقصود من الحلال: ما رخُصَّ فى الكتاب فى فعله ومن الحرام ما

لم يُرَخّص فيه فان كان التّرخيص مع المَنع من التّرك فهو يسمّى بالواجب والّا يسمّى بالمباح والمباح ان كان مُرغّباً من الشارع فى فعله مع جواز تركه فهو الاستحباب وان لم يكن ترغيب فى فعلِه بل الأمر بالعكس فهو المكروه وعدم الترخيص فى الفعل ان كان ايضاً مع المَنع من النّقيض اى عدم جواز الفعل فهو حرام والّا فهو مكروه.

وبعبارة اخرى: كلّ فعل من الافعال امّا ان يكون من الشارع ماذوناً او لم يكن ماذوناً بل مَنِعَ منه، ففى الاوّل ان كان الاذن مع المَنع من النّقيض فهو الواجب كالصَلوة حيث انّها ماذونة منه ولا يجوز تركها وان كان الاذن لامع المَنع من النقيض بل تركه ايضاً لااشكال فيه فان كان فعله اَولىٰ من تركه فهو المَندُوب، وان كان الفعل والترك سيّان فهو المباح.

وامّا فى صورة عدم الاذن فان كان مع المنع من النّقيض فهو الحرام والّا فهو المكروه ويعبّر عنها بالاحكام الخَمسة التكليفية وقد يظهر للمُتامّل فيها انّ مدار الخمسة على اثنين الحلال والحرام الّا انّ الحلال ينقسم الى ثلثة اقسام والحرام الى قسمين، بل الحق فى المقام انّ الاحكام فى الواقع لاتخلو من اثنين الحلال والحرام والباقى شئون ومراتب لهما باعتبار الشدّة والضعف فالمكروه ليس حُكماً مستقلاً بل هو مَرتبة الضعيفة من الحُرمة كما ان المباح والاستحباب ليسا حكمين مستقلين بل هما مَرتَبتان ضعيفتان من الحلال والواجب مرتبة القَويّة منه فيجمعها الحلال والحرام، واليه اشار ﷺ بقوله كتاب ربّكم فيكم مُبيناً حلاله وحرامُه ولم يذكر الاستحباب والمَكرُوه والمُباح مع ان الكتاب مبيّن لكلّ واحد منها كما لايخفى على اهله فعلى ما حَقّقناه يصير المعنى انّ الكتاب يبيّن الاحكام الخمسة التكليفية الّتى تدور مدار الحلال والحرام عليها وهو المطلوب.

ثم انّ الحلال ما ليس فى فعله عقاب من الله تعالى بل جعل الله تعالى لفاعله الثّواب الاخروى والحرام بخلافه حيث انّ فاعله معاقب يوم القيمة او يقال

الحلال ما يستحقّ فاعله المدح عقلاً وشرعاً، والحرام ما يَستحقّ فاعله الذمّ كذالك فالاوّل كالصلوة والصّوم، وتلاوة القرآن والزّيارة لقبور الائمة، والأكل والشّرب ممّا ليس بحرام والثانى كالزّنا وشرب الخمر فى الحرام والصلواة فى الحمام فى المكروه فهذه كلّها ثابتة مُبينّة فى الكتاب. فالواجب كقوله تعالى: ﴿يا اَيُّهَا الَّذينَ امَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[1]

و ﴿أَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ اِلىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾[2]

و ﴿لِلّٰهِ عَلَى النّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ اِلَيْهِ سَبيلاً﴾[3]

و ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْئٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[4] وامثال ذالك من الايات الواردة فى الواجبات الشَرعية.

والنّدب: كقوله تعالى: ﴿اِذا نُوُدِىَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا اِلىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

والاباحة: كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاتُسْرِفُوا اِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الْمُسْرِفينَ﴾[6].

والتّحريم: كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْاَنْصابُ وَالْاَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوه﴾[7]

و ﴿وَلاتَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾[8]

و ﴿وَلاتَقْرَبُوا الزِّنا﴾[9].

والكراهة: كقوله تعالى: ﴿وَلاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[10]

و ﴿فَأَمَّا الْيَتيمَ فَلاتَقْهَرْ﴾[11] وامثال ذالك من الآيات.

□ **قوله عليه السلام:** وَفَرائِضَهُ وَفَضائِلَهُ: المقصود من الفرائض هو الواجبات الّتى

---

١. البقرة / ١٨٣.
٢. الاسراء / ٧٨.
٣. آل عمران / ٩٧.
٤. الانفال / ٤١.
٥. الجمعة / ٩.
٦. الاعراف / ٣١.
٧. المائدة / ٩٠.
٨. الانعام / ١٥١.
٩. الاسراء / ٣٢.
١٠. المدّثر / ٦.
١١. الضّحى / ٩.

لايجوز تركها لِلمُكلّف بدون عُذرٍ والفضائل اَلمُستحبّات، وقد ذكرنا فى شرح اللّغات انّ الشارح المعتزلى ذهب الى انّ الفضائل جمع فضلة والمقصود بها المُستحبّات لانّها فضلة اى زيادة بالنّسبة الى الواجبات واَعتَرض على الراوندى قده حيث انّه ذهب الى انّ الفضائل جمع فضيلة وهى الدَّرَجة الرَفيعة واستدَّل المعتزلى على مدّعاه بانّ اميرالمؤمنين عليه السلام جَعَل الفرائض فى مقابلتها وقسيما لها.

اقول: لاشك فى انّ المراد بالفضائل هى المُستحبّات واما تعليله الكلام بان النّوافل فضلة غير واجبةٍ فَلَيسَ بصحيح وذالك لانّ الفضلة لاتجمع على الفضائل بل تجمع على فضلات وفضالٌ وثانياً انّ النوافل ليست بفضلة بل النّوافل مكمّلات ومتّمماتٍ لِلواجبات فكيف تكون فُضلَة وزيادة والرّاوندى قده ما اَنكَركون الفضائل هى المُستحبّات بل قال الفضائل جمع فضيلة، وهو صحيح مطابق لِلّغة وكون المُستحَب بمعنى الفضيلة اَولىٰ من كونه بمعنى الفُضلة كيف وقال عليه السلام قَرِبُوا اِلىَّ بالنَّوافل، فالنَّوافل سَبَب لِلفضيلة وهى الدَرَّجة الرَّفيعَة فايّ اشكال فى قول الرّاوندى بل الحق فى شرح الجملة معه قده وقد اَخطَاء الشّارح المعتزلى فتامل...

ان قلت: قوله عليه السلام فى الجملة السّابقة مُبيناً حلاله وحرامه، يشمل الفرائض والفضائل الخ فايّ حاجةٍ الى ذكرها بعده، قلت: ما ذكره عليه السلام اوّلا مَجمَلٌ وما ذكره بعده مُفَصّل وكل اجمالٍ لابدّ له من التّفصيل فقوله عليه السلام:

فَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ الخ تفصيل بعد الأجمال وهو من محسنّات كلمات البلغا كمالا يخفى.

قوله عليه السلام: **وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ:** فالناسخ هو الحُكم الرافع والمَنسُوخ هو الحكم المرفوع كذا قال المحقّق البحرانى فى شرحه وقد مثّل للناسخ بقوله تعالى: **﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾**[1] وبالمنسُوخ بقوله تعالى: **﴿لَاإِكْرَاهَ فِى الدِّينِ الخ﴾**[2]

---

١. التوبة / ٥.

٢. البقرة / ٢٥٦.

اقول: النَّسخ فى اللّغة الازالة وفى الأصطلاح رفع الحكم الشَرعى بدليل شرعيٍ متّاخرٍ لولاه لكان ثابتاً كذا افاده فى القوانين وعلى ايّ تقدير لاشبهة فى جواز النّسخ ووقوعه شرعاً خلافاً لبعض اليهود حيث انّه لم يجوزه اصلاً وابو مسلم ابن بحر الاصفهانى فانّه قال بجوازه وعدم وقُوعه شَرعا. ثمّ انّه لاشبهة فى جواز نسخ الكتاب بالكتاب وهذا ممّا لاخلاف فيه وامّا نسخ الكتاب بالسّنة فان كانت غير متواترةٍ فلا يجوز اجماعاً بَينَنا وبَينَهم، وان كانت متواترة فيجوز اجماعاً خلافا للشّافعى فانّه ذهب الى عدم جواز نسخه بالسُنة مطلقا.

قوله عليه السلام: **وَرَخَصَهُ وَعَزَائمَهُ:** قال الشارح البحرانى المراد بالرُّخَص ما اُذِنَ فى فعله مع قيام السَبَّب المُحرَّم لضرورةٍ او غيرها كقوله تعالى: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾**[1] وبالعزائم ما كان من الاحكام الشَرعيّة جارياً على وفق سَببه الشَرعى كقوله تعالى: **﴿فاعلم اِنَّهِ لااَلٰهَ اِلّااللّٰه﴾**[2] انتهى والشارح المعتزلى ايضاً قال فالرُّخص كقوله تعالى: فمن اُضطُّر فى مُخمَصَته والعزائم كقوله تعالى: **﴿فاعلم اِنَّهِ لااَلٰهَ اِلّااللّٰه﴾**[3] انتهى.

والشّارح الخوئى ايضاً وافقهما فى هذا المعنى وتَمثَّل بما تَمثَّلا به اقول: ويمكن ان يراد بالرُّخَص الواجبات السَهلَة او مطلق المباحات الّتى ليست الاتيان بها شاقّاً على المُكَلّف وبالعزائم خلافه، قوله عليه السلام: **وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ:** العام هو اللفظ الموضوع للدلالة على استغراق اجزائه او جزئياته والخاص ما ليس كذالك، والاوّل: كقوله تعالى: **﴿وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ الخ﴾**[4]

و **﴿اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِبٰاتُ﴾**[5]

و **﴿اَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ﴾**[6]

و **﴿وَجٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصىَ الْمَدِيْنَةِ يَسعىٰ﴾**[7] ولا فرق بين ان يكون العام لَفظاً

---

١. البقرة / ١٧٣.
٢. محمّد / ١٩.
٣. محمّد / ١٩.
٤. البقرة / ٤٣.
٥. المائدة / ٤.
٦. البقرة / ٢٧٥.
٧. القصص / ٢٠.

ومعنى عامٌ او لفظاً عامٌ ومعنى خاصّ.

□ **قوله عليه السلام: وَعِبَرَهُ وَاَمْثَالَهُ:** والعِبَر جمع عِبرَة وهى ماخوذة من العُبور الّذى انتقال جسمٍ من مكانٍ الى مكانٍ آخر والمراد بها هنا انتقال الذّهن من شيئٍ الى شيئٍ آخر بسبب من الأسباب والمقصود انّ القرآن مَشحوٌنٌ بالعَبر والأمثال قال الله تعالى: **﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبرَةً لِمَن يَخْشَى﴾**[1]

و **﴿ويُقَلّب الله اللّيل والنّهار: إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَارِ﴾**[2]

و **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَّدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾**[3]

و **﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَّشَاءُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَارِ﴾**[4]

و **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عَبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ﴾**[5] والايات كثيرة.

و **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾**[6]

و **﴿وَمَثَلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾**[7]

و **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَاللهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾**[8]

و **﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيوةِ الدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ الخ﴾**[9]

و **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾**[10] وامثال ذالك من الايات الواردة فى هذا الباب كلّ ذالك لأجل توجّه العباد الى آثار المضاين وحالاتهم لَيَعتَبروُا بها لأنفسهم وفيه لطفٌ عَميمٌ...

قوله ومُرسَله ومَحدوُده: قالوا المراد بالمُرسَل هو المطلق وبالمحدود المُقَيّد وعَرَّفوا المُطلَق باللّفظ الشايع فى جنسه والمقيّد بخلافه، فالمطلق: كقوله تعالى:

---

١. النّازعات / ٢٥.
٢. آل عمران / ١٣.
٣. النّحل / ٦٦.
٤. آل عمران / ١٣.
٥. يوسف / ١١١.
٦. الجمعه / ٥.
٧. البقرة / ٢٦٥.
٨. آل عمران / ٥٩.
٩. يونس / ٢٤.
١٠. الحجّ / ٧٣.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[1]

والمقيّد: كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾[2]

وقال له تعالى: اعتق رقبةً مؤمنةً وغيرها قوله عليه السلام: **وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ:**

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[3] فالمُحكَم هو اللّفظ الدّال على المعنى الّذى ينبغى له بحيث لايتردد الذّهن فيه، والمُتشابه ما لايكون كذالك فهو اللّفظ الدّال على شيئين او الأشياء مُردّداً بحيث يعجز الذّهن عن التّميز بينهما او بينها كقوله تعالى حكاية عن قوم موسى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[4].

وبعض آخر عرّفهما بانّ المُحكَم ما اتّضح دلالته والمُتشابه ما لَم يتّضح وذالك لانّ اللّفظ المَوضوع لِمعنى لايَخلوُا إمّا ان يحتمل غير ذالك المعنى الموضوع او لايحتمل والثانى نَصٌّ والاوّل امّا ان يكون احد المعنين راجحاً والاخر مرجوحاً ام لابل يكون احتماله لهما على السّواء فعلى الاوّل يسمّى الراجح بالظّاهِر والمَرجوح بالمُاوّل والثّانى المشترك او المُجمَل والقدر المشترك بين النّص والظّاهر هو المُحكَم وبَين المُجمَل والمُاوّل هو المتشابه. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾[5]

﴿وَلَا يَظْلِمَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[6]

من المُحكَم وقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[7]

و ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ﴾[8] من المتشابه، وكذالك الحروف المُقطّعَة فى اوائل السُّورَ كقوله تعالى: حم، وطه، والم، وطس وامثالها.

□ **قوله عليه السلام: مُفَسِّراً مُجمَله، وَمُبَيِّناً غَوامِضَهُ:** وقد اشار عليه السلام بقوله هذا الى

---

١. البقرة / ٦٧.
٢. البقرة / ٧١.
٣. آل عمران / ٧.
٤. البقرة / ٧٠.
٥. يونس / ٤٤.
٦. النساء / ٤٠.
٧. البقرة / ٢٢٨.
٨. طه / ٥.

المُجمل والمُبيَّن فإنَّ من الألفاظ ما معناه مُجمَل يَحتاج الى التّفسير والبيان مثل ثلثة قُروءٍ فى الاية السّابقة المُرَّددَة بين الطُّهر وبين الحيض ومنها ما هو بخلافه والمقصود انّ القرآن يفسّر المُجملات فانّ القرآن يُفسّر بعضَهُ بَعضاً.

▫ **قوله عليه السلام: بَيْنَ مَاخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ**: وفيه اشعار بانّ الأحكام الواجبة على العباد على قسمين: فقِسمٌ منها لايعذر فيه احد ولايُقبَل عذره وهو العلم بالاصول كمعرفة الصانع وتوحيده ونُبوّة النّبى ومعرفة الامام حيث انّ الله تعالى قد اخذ منهم الميثاق فى عالم الذّر كقوله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾**[1] وقسم آخر يعذرون فيه كالمُتشابهات حيث انّ العلم بها يختصّ بالرّاسخين فى العلم ومن ذالك **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**[2]

▫ **قوله عليه السلام: وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ**:

يعنى انّ بعض الاحكام واجبة فى الكتاب ومَنسُوخٌ بحسب السّنة، وهذا تصريح منه عليه السلام بانّ السّنة قد تنسخ الكتاب وهو موافق لما ذهب اليه علمائنا الاماميّة رضوان الله عليهم اجمعين من جواز نسخ الكتاب بالسّنة خلافا للشافعى ويَدّل على الجواز والوقوع **﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ،وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾**[3]. وذالك لانّ مفاد الاية الشّريفة حَبس النّساء فى البيوت الى حين الممات كما انّ مفاد الاية الثانية وجوب الايذاء لها ثم انّ هذا الحكم اى الحَبس والايذاء نُسخ فى الكتاب بالجلد الثابت يعنى المُحصِن والمُحصنة لقوله تبارك وتعالى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[4] وبالرّجم الثابت لهما

---

١. الاعراف / ١٧٢.
٢. آل عمران / ٧.
٣. النساء/ ١٦-١٥.
٤. النّور / ٢.

بالسنّة النبويّة فانّ المُحصِن والمُحصِنة يُحكم برجمهما فظهر ان النّسخ واقع جائز سواء كان النّاسخ الكتاب او السنّة وهو المطلوب، وفيه كلام لايسعه المقام، ثم انّ الشارح البحرانى قده قال فى المقام مقالاً فى تقرير الاستشهاد بالآيتين على المُدَّعى والشّارع الخوئى اعترض عليه بما اعترض ولمّا كان البحث خارجاً عن طور الكتاب اَعرَضنا عمّا ذكراه قدهما وما يرد من الاعتراض عليهما فراجع، فانّ البحث فى النّاسخ والمَنسُوخ وفى كيفيّتهما وكذالك البحث عن الخاص والعام والمطلق والمقيّد وغيرها من وظائف اصول الفقه لامن شان هذا الكتاب والّذى يليق بالبحث هههنا، هو اثبات وقوعهما فى الكتاب والسّنة هذا قوله عليه السلام: **وَاجِبٍ فِى السُّنَّةِ اَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِى الْكِتَابِ تَرْكُهُ**، : وهى عكس الاوّل اعنى وقوع نسخ السّنة بالكتاب كما انّ الجملة الاولى صَرَحّت بنسخ الكتاب بالسنّة وقد خالف الشافعى هذا الحكم ايضاً وقال بعدم وقوعه وجوازه ويدلّ على الجواز والوقوع **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾**[1] فانّ التّوجه الى بيت المقدس، ثبت بالسّنة وليس فى الكتاب منه عين ولا اثر والنّاسخ هو الكتاب كما ذكرناه فالكتاب صار ناسخاً للسنّة وهو المطلوب.

وكذالك مباشرة النّساء فى الليل كانت مُحرّمة على الصّائمين بالسُنة فَنَسَخه الكتاب بقوله: **﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾**[2] وصوم عاشوراء كان واجباً بالسنّة فنسخه الكتاب بقوله: **﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾**[3] والحاصل: من كلتا الجملتين انّ نسخ الكتاب بالسّنة وبالعكس اعنى: نسخ السّنة بالكتاب كلاهما جائزان واقعان وقد اجمع عليه المحققون من العامّة والخاصّة الاّ الشافعى...

▫ **قوله عليه السلام: وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِى مُسْتَقْبَلِهِ** : وقد مَثّل له الشارح

---

١. البقرة / ١٤٤.
٢. البقرة / ١٨٧.
٣. البقرة / ١٨٥.

الخوئی بالنّذر والعَهد والیَمین المُوَقّت بوقتٍ معیّن قال الله تعالی: ﴿**وَأَوفُوا بِالْعَهدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾[1]

و قوله: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**﴾[2] ثم قال قده وتمثیل الشّارح البحرانی قده بالحجّ الواجب فی العُمر مرّةً، لامعنی له اذا الحجّ وان کان واجباً فی العمر مرّةً الّا انّه لایَزُول وجوبه فی المُستقبل مع عدم الاتیان به بل یجب فی العام القابل ویجب قضائه مع عدم الاتیان به دوام العُمر انتهی...

اقول لیست المناقشة فی المثال من داب المحصّلین هذا اوّلاً، وثانیا انّ التمثیل بالعَهد والیَمین والنّذر المؤقت بوقتٍ معیّنٍ فهو ایضاً ممّا ذکره البحرانی قده والشارح الخوئی اخْذَه منه، وامّا ثالثا فلقائل ان یقول: فی جواب الشارح الخوئی بانّ الوجوب فی العام القابل بأمرٍ جدیدٍ، لابأمر السّابق فعلی هذا بعد مضّی الوقت فی العام الحاضر زال الواجب وبقی الوجوب سلّمنا لکن کلامه علیه السلام فی الواجب المُوّقت بوقتٍ معیّنٍ لاالوجوب وبینهما فرق کثیر فانّ الواجب بعد مُضّی وقته یزول والوجوب یبقی فما قاله الشارح البحرانی یمکن ان یحمل علی هذا وامّا علی قول من یقول بان القضاء بأمرٍ جَدید فالواجب المُوَّقت اذا فات فات الوجوب ایضاً ثم یجب بامر آخر فی وقت آخر وللبحث فیه مقام آخر.

▫ **قوله علیه السلام: وَمُبايِنٍ بَيْنَ مَحارِمِهِ: مِن كَبِيرٍ أَوْ عَدَ عَلَيْهِ نِيرانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرصَدَ لَهُ غُفْرانَهُ:** الظاهر انّه علیه السلام اشار به الی الکبائر والصغائر من الذنوب، کما اعترفوا به شارحوا کلامه علیه السلام بانّ الاوّل ما تَوَعّد علیه بالنّیران والثانی ما اَعدَّ له الغفران وقد اختلفت کلمات الاصحاب فی معنی الکبیرة والصغیرة. وقد روی عن عباد ابن کثیر **انّه قال سالت ابا جعفر علیه السلام حیث سُئل علیه السلام عن الکبائر الّتی**

۱. الاسراء / ۳٤.
۲. النحل / ۹۱.

قال الله تعالى فيها فى كتابه: ﴿إِنْ تَجتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنهَونَ عَنهُ﴾[1] قال عليه السلام: اَلتى اَوجَب الله عليه النّار وفى بعض الاخبار انّها سبع: قتل النّفس الحرام، عقوق الوالدين، اكل الرّبوا والتَعَرّب بَعد الهجرة قذف المحصنة اكل مال اليتيم، والفرار من الزَّخف.

والحق انّ الذنوب كلّها كبيرة الّا انّها ليست على حدٍ سواء فالزّنا، مثلا ليس كالنَّظَر المُحَرَّم وقتل المُؤمن ليس كضَربه، فاذا نسب بعضها الى بعض تَتَحقّق الصَغيرة والكَبيرة بالنّسبة فَلمس المرئة صغيرةٌ بالنّسبة الى الزّنا وكبيرة بالنَسبة الى النظر اليها، وهكذا وسياتى منّا تفصيل فى محلّه هذا كلّه تبعا للقوم فى شرح كلامه عليه السلام فى المقام.

وانا اقول بناء على ما فَهِموُه وذكروه يلزم ان يكون الذّنب اذا كان كبيراً كقَتل النَّفس والزّنا والكذب وامثالها ممّا لاكلام لاحدٍ فى كونها كبيرة متوّعداً عليه بالنّيران ففاعله لابدّ له من دُخول النّار تاب ام لم يَتب مع انّه مع انّه بصريح الايات والاخبار ان تاب من الذّنب يدخل الجنّة والله تبارك وتعالى يقبل توبته لقوله عليه السلام: التّائب من الذّنب كمن لاذنب له، ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[2] وامثال ذالك وهذا لاكلام فيه لاحد من المسلمين.

ان قلت غرضه عليه السلام انّ فاعل الذّنب فى صورة عدم التّوبة توُعِدّ عليه النيران لامع التّوبة وهذا معلوم، قلت اَلَيس قوله عليه السلام صَريحاً بانّ الكبير ما اوعَدَ عليه نيرانه والصَّغير اَرصدَ له غفرانه فان كان الكبير ايضاً قابل للغفران، فحقّ العبارة ان يقال من كبير وصغير اوعد عليهما نيرانه وارصد لهما غفرانه او يقال اوعد عليه نيرانه ان لم يتب وامثال ذالك وحيث اختص عليه السلام المَغفرة بالصغير دون الكبيرة عَلِمنا بان الكبير سَيستحق العَذاب لاغير ولا طريق الى غفرانه تعالى له واذا كان الامر كذالك فالمقصود من الكَبير فى قوله ليس ما فهموه فانّ الكبير بالمعنى الّذى ذكروه ارصد له غفرانه كالكبير المُعَبّر عنه بالصغير بالنّسبة

---

١. النّساء / ٣١.

٢. الزّمر / ٥٣.

وخصوصاً على مذهب المختار عند المحقّقين من انّ الذنوب كلّها كبيرة الّا انّ التعبير عن بعضها بالصغيرة ليس حقيقياً بل اضافياً فعليه كيف يمكن القول بما قالوا والألتزام بما اَلتزموا، والّذى يختلج بالبال فى شرح كلامه عليه السلام هو انّ الغرض من الكبير الّذى اوعَدَ عليه نيرانه هو الذّنب الّذى لايقبل التّوبة كالشِرك بالله تعالى حيث انّ من اَشرك به بعد ماكان غير مشرك فلابدّ من دخوله النّار تابَ ام لم يَتُب ويدلّ عليه ﴿إِنَّ اللهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادُونَ ذٰلِكَ﴾[1].

وعلى هذا فالمقصود من الصغير هو دون الشّرك بالله الّذى ارصد له غفرانه فى صوره التّوبة ويدلّ على ما ذكرناه امّا اوّلا سياق العبارة فانه عليه السلام ليس بصدد بيان الذّنوب او الفرق بين الكبائر والصّغائر كما هو واضح، وثانيا انّ الكبائر غير الشِّرك لَيست مِمّا اوعَدَ عليها نيرانه، بل مَشرُوط بعدم التّوبة مع انّ الكلام لم يُقيّد به والاصل عدم التّقيد، وثالثاً لو كان مراده عليه السلام ما ذكروه فينبغى الاتيان بصيغة الجمع لاالمفرد وهذا ظاهر والعجب منهم ولا سيّما شارح البحرانى قده كيف غفلو عن هذه الدّقيقة وحملو كلامه عليه السلام على خلاف ظاهره وباطنه والله اعلم بحقائق الامور...

▫ **قوله عليه السلام: وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي اَدْنٰاهُ وَمُوَسَّعٍ فِي اَقْصٰاهُ**، : قال الخوئى قده كصلوة الليل فانّ قليلها مقبول والكثير منها موسّع ثمّ ذكر قده قوله تبارك وتعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاّٰ قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْانَ تَرْتِيلاً﴾[2] وسائر الايات الّتى ذكرها فى المقام، وامّا الشارح المعتزلى ففسّره بقرائه القرآن وقال فانّ القليل من القرآن مقبول والكثير منه موسّعٌ مرخّصٌ فى تركه، وامّا الشارح البحرانى قده فلم يفسّر هذا الجملة اصلا. وانا اقول لست ادرى بايّ دليل مَثّل الخوئى قده بصلوة اللّيل والمعتزلى بقرائه القرآن مع انّ كلاهما من المَندوُبات وليس كلامه عليه السلام فيها بل الكلام فى انّ الكتاب مُبيِّن الحلال والحرام والنّاسخ والمَنسوُخ والمحكم والمتشابه وامثال

---

١. النساء / ٤٨.

٢. المزّمل / ٤-١.

ذالك ممّا هو مذكور فيه وامّا صلوة الليل وقرائة القرآن مما لايتعلّق البحث به فعلا فخارجان عن مورد البحث مضافاً الى انّ قرائة القرآن لافرق فيها بين الكَثير منها والقليل من حيث التّوسع والمقبوليّة فكما انّ كثيرها مَوَسَّعٌ مُرَخَّصٌ فى تركه فكذا القليل منها مُوَسَعٌ مرخّص فى تركه وهكذا الكلام فى صلوة الليل بل مطلق المَندُوبات اذ لانَعنى بالمندوب الّا ما كان تركه مُرَخّصاً فيه مُوَّسعاً فالقول بان قليله مقبول وكثيره موسّع عنه تَحكّمٌ لادليل عليه هذا اوّلا.

وثانيا انّ قوله عليه السلام **وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ وَمُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ**، ليس المراد من الادنى القليل ومن الأقصى الكثير كما قالا به وفى اىّ لغةٍ واصطلاح فسّرا بهما فاذا قيل زيد قد دَنىٰ اَجَله معناه انّ اجله قليل واذا قيل جاء رجل من اقصى البلد معناه انّه جاء من كثير البلد وهل يحتمل ذالك عاقل فضلاً عن فاضل وليت شعرى ما الباعث على هذا الّذى يوجب صرف الكلام عن ظاهره اليس هذا توجيه الكلام بما لايرضى صاحبه.

والمعنى انّ الحقائق المَستُورة فى القرآن من الواجبات والمندوبات والسّياسات والأقتصاديات وسائر ما هو مركوز فيه لايخلو حالها من وجهين:

احدها: ما يستنبط منه بالنّسبة الى الأذهان بالاسباب القريبة من ظواهر الالفاظ والمعانى الابتدائية الّتى يعلمها اكثر العلماء بلا تجشّم ومشّقه، ولا يحتاج الى اعمال قوّة الفكرية وامعان النظر وذالك كاكثر الايات الواردة فى الاحكام والقصص وسائِر ما يتعّلق بها كقوله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ﴾**[1]

و **﴿لِلّٰهِ عَلَى النّاسِ حَجُّ الْبَيتِ﴾**[2]

و **﴿وَلاٰ تَاكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾**[3]

و **﴿وَلا تَمنُن تَسْتَكثِرُ﴾**[4]

وامثالها. فانّ هذه الايات اقرَبَ الى الاذهان بالنظر الى فهم معناها من غيرها

---

١. البقرة / ١٨٣.
٢. آل عمران / ٩٧.
٣. البقرة / ١٨٨.
٤. المدّثر / ٦.

ولذالك ترى اكثر العلماء بل اهل اللّسان ايضاً يفهمون منها معانيها البَدويّة. وثانيها: ما يستنبط منه بالنّسبة الى الأذهان العالية والافكار الثاقبة والأدراكات السريعة من المعانى الواقعية الّتى لايدركها الّا اَوحِدىٌّ منهم، وهذه المعانى ليست فى حدّ اَنفسها قريبة الى الأذهان بل يحتاج دركها الى فكرٍ ثاقبٍ ولغموضتة دركها يعبّر عنها بانّها ليست بقريبة الى الاذهان وذالك كقوله تعالى: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾**[1]

و **﴿شَهِدَ اللهُ﴾**[2]

و **﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ اسْتَوَىٰ﴾**[3] وامثال ذالك من الايات الواردة فى الاعتقاديات الّتى يحتاج درك معانيها الى تذكيَة النّفس، وتهذيب الباطن مضافاً الى التَسَّلط على العلوم النظرية الاستدلالية. اذا عرفت هذا فنقول:

▫ **قوله عليه السلام: وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي اَدْنَاهُ** اشارة الى المقام الاوّل فانّه ادنى واقرب الى الأذهان من الثانى، وقوله: ومُوَسَّع فى اقصاه: اشارة الى المقام الثانى حيث انّه اقصى واَبعَد الى الاذهان من الاوّل ويمكن: ان يقال بانّ قوله عليه السلام **وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي اَدْنَاهُ** اشارة الى ما يفهم من القرآن بالنّسبة الى المُتَوسّطين ويُعَبّر عنه ببطن القرآن، وقوله وموسّعٍ فى اقصاه اشارة الى بَطن البَطن كما ورد انّ للقرآن سبعين بُطونا ومن الظاهر. انّ البطن الاوّل اقرب الى الاذهان من البطن الثّانى والثّانى من الثالث، وهكذا والتّعبير بالمَقبُول فى الاوّل والمُوَسّع فى الثانى اشارة الى حُجّيته ظواهر الالفاظ والمعانى البَدوية القرانية ومقبوليّتها حتّى بالنظر الى الأستنباط فى الصُّورة الاولى وامّا بالنّسبة الى المعنى الثانى فهم فى سعةٍ فان اَدركوه وَ وَصلوا الى حقيقته فَحبّاً لهم وكرامة وان لم يمكن لهم ادراكه فلااشكال فيه.

هذا خلاصة ما خَطَر ببالى فى شرح الجملتين والله اعلم بحقائق الامور

---

١. الفجر / ٢٢.
٢. آل عمران / ١٨.
٣. طه / ٥.

والّذى حصل لنا من هذه الخطبة امور:

الاوّل: مَبدَء نسل البشر وانّه كيف وُجد، الثّانى نَفخ الرُّوح فيه وهو يدلّ على شرافته، الثّالث: سُجود الملائكة له وهو يدلّ على افضَليّته على الملائكة، **الرّابع**: دخوله الجَنّة وهُبوطه الى الأرض، **الخامس**: حياته فى الأرض وتوبته، **السّادس**: اصطِفاء الأنبياء من ولده، **السّابع**: بعثه رَسُولناﷺ الى وفاته، **الثامن**: انّه خَلَّف القرآن، **التّاسع**: انّه جامع لكلّ ما يحتاج اليه البَشَر، **العاشر**: لزوم العمل به والتّمسك به «انتهى»

▫ **قولهؑ: وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرام، اَلّذى جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلاَنَام، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعام، وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمام، جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً لِتَواضُعِهِمْ لِعظمَته، وَإِذْ عِانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَ اخْتارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً اَجابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَ وَقَفُوا مَواقِفَ أَنبِيائِهِ، وَ تَشَبَّهُوا بِمَلائِكَتِهِ الْمُطِيفينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْباحَ فِي مَتْجَرِ عِبادَتِهِ، يَتَبادَرُنَ عِندَ مَوْعدَ مغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحانَهُ وَ تَعالىٰ لِلاِسْلامِ عَلَماً، وَ لِلْعائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَ اَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفادَتَهُ، فَقالَ سُبْحانَهُ: وَاللهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَ مَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ.**

◁ **اللغة**

فَرَض، اى حَتم، و وجَب (**الحَجّ**) فى اللّغة القَصد و فى الأصطلاح قصد البيت تقَرُّباً اليه تعالى بافعالٍ مَخصُوصةٍ فى زمانٍ مخصوصٍ و الأسم منه الحِجّ بالكسر (**الأنام**) الخَلق (**والورُود**): الدُّخول (**الانعام**) البَهائم (**يألهُون**) من وَلِه: اى يَشَّقد شوَقهم اليه، و يمكن ان يقال: اى يفزَعوُن ويلتَجئُون اليه، و الُولُوه، مَصدر وَ له يُألَه (**والاذّعان**) الاعّتقاد (**سُمّاعاً**) بضَم السيّن و تشديد الميم على ما قال الشارح البحرانى قده جمع سامع كسُمّار جمع سامِر.

(**يُحرزُون الأرباح**) من قولهم احرَزتُ الشَيئى احرازاً ضَمَمتُه (**المتَجَر**) بفتح الميم و سكون التا و فتح الجيم اسم مكان اى مكان الّتجارة و محلّها و (**التَبّادر**)

هو التّسارع، (**و العائذين**) جمع عائذ بمعنى المُلتجى و المعْتصم (**و الوفادة**) القُدوم و الورود.

◁ المعنى

اوجَبَ الله عليكم حجَّ بيته و المُراد به الكَعبَة الذّى جَعَله قبلةً للخلق بان يتَوجهّوا اليه فى صلواتهم و يدخلون فيه كدخول الحَيوانات فى مشَربهم لِشُربِ الماء و هو كنايةٍ عنِ شدّة وجدَهم وشوَقهم اليه - و يلَتجؤن اليه كَالتجاه الحَمام الى مَأمنِه و قد جَعَله الله تعالى علامةً لتواضع الخلق فى قبال عظمته تعالى و اِذعانهم و اعتقادهم لعِزّته و جَبَروته و اختارالله تعالى: من المخلوقين دعوتَه لِلأجابة فى عالم الذَّر، حتىّ لا تخُلوا من النّاس و هم الذّين صَدّقوا كلمة الله و وَقَفوأ موأقف انبيائه و تَشَّبهُوا بملائكته المُطِفين بعَرشه فى طوافِهم و اعمَالهم و التجائهم ليستَفيدُ و امن فوائد هذه التجارةُ ويرَبَحوا من منافعها و اثمارها يتَسارون عند موعد مغفرته ليغفر الله تعالى لهم ذنُو بهم جَعل الله تعالى الكَعَبة لِلأسلام عَلَماً، و للمُلتجئين و العائذين بها حَرماً اَمِناً فقد كتَب الله تعالى : وِ اوجَبَ عليكم الوَرودُ و الدخُول بِها اَداًّ لحِقّه تعالى فقال سبحانه ولِلّه على النّاس حجّ البيت مَن استطاعَ اليه سبيلاً بالشرائط المُقرّرة و من كَفَرو تَولّىٰ عنه فاّن الله غنّى عن العالمين لايحتاج الى احَدٍ و ما سواه - مُحتاج اليه.

◁ الشرح

اعلم انّ هذه الخطبة الّشريفة فى ذكر الحَجّ و وجو به و آثاره و فوائده على سبيل الأجمال و لمّا كان الحجّ من اركان الدّين فلابدّلنا من التكّلم فيه حسب ما يقتضيه المقام و نحن نشرح الخطبة الشّريفة شَرحاً و افياً و نشُير الى مالا بدّمنه فى خلال الشّرح لئلا يَطُول لكِلام اَزيد ممّا نحتاج اليه فى المقام ثمّ نعُقَبّه بذكر ما يناسبه حَذَراً من الفرط السّام والملال وبالله التّوفيق وعليه الّتكلان.

□ قوله عليه السلام: وقدفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرام

امّافرض الحج و وجوبه فقد ثبت بالكتاب و السنّة و اجماع المسلمين بل الضّرورة من الدّين فمن اَنكَره خرج عن ربقة المسلمين ودخل فى حزب المُرتَدين الكافرين ويحب قتله اذا كان قِبل الأرتداد من المسلمين وهو المُعَبّرعنه بالُمرتد الفطرى، الذّى نطفته انعقدت على الأسلام كماسياتى ان شاء الله شرحه.

امّااثباته من الكتاب فيكفى فيه ﴿وِلِلّه عَلَى النّاسِ حَجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ اِلَيْهِ سَبيلاً، وَّ مَنْ كَفَرَ فَاَنِ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمين﴾[1]

و قد اجمع المفسرون على وجوبه بالشرائط المُقَررة، و ﴿وَ اَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلّهِ فَاِنْ اُحْصِرْ تُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْىِ وَ لاتَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حتّى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّه،...﴾[2]

و ﴿فَاِذااَ فَضْتُمْ مِّنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعِرِ الْحَرامِ وَ اذْكُرُوُهُ كَما هَدايكُمْ وَ اِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضّالّينَ﴾[3]

و ﴿ثُمَّ اَفيضُوُ منْ حَيْثُ اَفاضَ النّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ اِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحيُم﴾[4]

و ﴿اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فيهُنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلافُسُوقَ وَلاجِدالَ فِى الْحَجّ وَ تَفْعَلُو مِنْ خَيْرٍيَعْلَمْهُ اللّهُ،...﴾[5]

و ﴿فَاِذا قَضَيْتُمْ مَّناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوُا اللّهَ كَذِكْرِ كُم اٰباأَكُمْاَوْ اَشَدَّ ذِكْراً،...﴾[6]

و ﴿فَاِذا اَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ اِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَمِنَ الْهَدىِ فَمَنْلَّمْيَجِدْفَصِيامُ ثَلَثَةِ اَيّامٍ فِى الْحَجِّ،...﴾[7]

و ﴿وَاَذانٌ مِنَ اللّهِوَ رَسُولِهِ اِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْاَكْبَرِ﴾[8]

---

١. آل عمران / ٩٧.
٢. البقرة / ١٩٦.
٣. البقرة / ١٩٨.
٤. البقرة / ١٩٩.
٥. البقرة / ١٩٧.
٦. البقرة / ٢٠٠.
٧. البقرة / ١٩٦.
٨. التوبه / ٢.

و ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَّ عَلىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[1]

وامّا السنّة فكثيرة:

منها ما رواه فى البحار نقلا عن كتاب دعائم ـ الأسلام عن علّيٍ عليه السلام انّه سُئِل عن قول الله عَزَّوَجَل ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ﴾ قال هذا فَيَمن تركَ اَلحَجَ وهو يقدرعليه. ومنها: ما عن جعفرابن‌محمّد عليه السلام انّه قال وامّا ما يجب على العبادفى اعمارهم مَرّةً واحدةفهواَلحَجّ، فرَضَ عليهم‌مرّةًواحدةً لبُعدالأمكنةوالمَشَقّة عليهم فى‌الأنْفس والأموال‌والحَجّ فرض على النّاس جميعاً الاّ مَن كان له‌عُذر.

ومنها: ما روى عن علّيٍ انّه قالَ لمّا نزلت ﴿وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[2] قال المُومِنُون يا رسول الله اَفي كلّ عامٍ فسَكَت فاعادُوا عَلَيه مرّتين و لو قال نعم لوجَبَت فانزَل الله ﴿يا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاتَسْئَلُوا عَنْ اَشْيٰاءَ اِنْ تُبْدَلَكُمْ تَسُؤكُمْ﴾[3]

و منها ما عن جعفر ابن محمد انّه سئل عن الرجّل يُسوِّف الْحَجّ لا تمَنعه‌الاّ تجارة تشغله و لادَيَن له قال لاعذر له ليس ينبغى له ان يُسوّف الحَجّ وان مات فقد ترك شريعةً من شرائع الأسلام. و منها: ما روى عنه انّه قال من مأت و لَمْ يَحّج حجَة الاسلام و لم تَمَنعه من ذالك حاجة تَحجَفُ به او مَرضٌ لايُطيق فيه الحّج او سُلطانٌ يمَنَعه فَلَيمُت ان شأ يهوديّاً و ان شأ نصرانيّا.

و منها: انّه عليه السلام سُئِل عن رجلٍ له مال لمَ يَحّج حتّى مات قال عليه السلام هذا مِمّن قال الله تعالى ونحَشُره يوم القيمة اعمَى قال نعم اعمَى عن طريق الخير. و منها: ما روى عن‌رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال اذا تركَت امتّى هذا البيت ان تَؤُّمه لَم تناظر. و منها: ما روى عن الّصادق عليه السلام قال عليه السلام كان على ابن الحسين يقول: حَجوُّا واعتَمِرُوا تصّح اجسامكم و تَتَسّع ارزاقكم و يَصلَح ايمانكم و تَكُفوا النّاس و مَؤُنة عيالاتكم.

---

١. الحجّ / ٢٧.
٢. آل عمران / ١٧٩.
٣. المائده / ١٠١.

و منها: ما روى عن ابى بصير قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول عليكم بحجّ هذا البيت فادمِنوُه فانّ فى اِدمانكِم الحَجّ رفع مكاره الدّنيا عنكم و اهَوال يَوم القيمة.

و منها: ما روى عنه ايضا انّه قال حين سئله ابوبصير فقال له رجل له مائة الف فقال العام اَحِجّ العام اَحِجّ حتى ادرَكه الموت و لم يَحّج فحجّ به لَيلاً فقال عليه السلام يا ابا بصير او ما سمعَت قول الله عزّ و جل من كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمىٰ و اضّل سبيلاً عَمىٰ عن فريضةٍ من فرائض الله) و الرّوايات فيه متواترة اَو متظافرة و فيما ذكرناه كفاية هذا من طريق الّخاصة و امّا من طريق العّامة، قال عبد الرحمّن الحَريرى فى كتابه المسّمى بالفقه على المذاهب الأربعة، فى كتاب الحّج ما هذا الفَظُه، الحّج فرضٌ فى ألعمر مرّةً على كلّ فردٍ من ذكرٍ او أنثى بالّشرائط الآتية و قد ثَبَتت فرضيّته بالكتاب و السنّة و الاجماع امّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿**و لِلّه عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اْستَطٰاع اِلَيْهِسَبيلاً.**﴾[1]

امّا السنّة فقوله عليه السلام: بُنىِ الأسلام على الخمس (على خمس) الحديث و قد تقّدم، و اتفّقت الامة على فرضيّته فيكفر منكرها انتهى موضع الحاجة منه فظَهَر و انكَشف انّه واجب بالكتاب و السنّة و الاجماع من الخاصة و العّامة و لم يخالف فى اصل وجوُبه احد، و امّا اضافة البيت الى نفسه و اتصّافه بالحَرام فقال تعالى: ﴿**وَّ طَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطّٰائِفِينَ،...**﴾[2]

وقال مَن دَخله كان آمنا. ففيها اشعار بانّ البيت ذو شرفٍ و منزلةٍ يدّل عليه الأضافة كما اضاف الرّوح لشرفه الى نفسه وقال: ونفختُ فيهمن روْحى.

و امّا جهة اتّصافه بالحرام لانّه يحرم فيه ما لا يَحْرم فى غيره كما سنُبيّنه ان شاء الله تعالى قوله عليه السلام: **اَلذّى جَعَلَهُ قِبْلَةً لِّلاَنام** و فيه اشارة اِلى قوله تبارك و تعالى: ﴿**قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمٰاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيها فَوَّلِ وَجْهَكَ شَطْرَ**

١. آل عمران / ٩٧.
٢. الحج / ٢٦.

الْمَسجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلوُا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»[1]

و ذالک لأن رسول الله ﷺ قد صلّیٰ الی بیت المقدس بعد النبوةً ثلاث عَشرة سنة و تِسعة عِشر شَهراً بعد الهجرة بمدینة، ثّم غَیَّرته الیهوَد فقالوا له انّک تابعٌ لِقِبلتنا فاغتم لذالک غَمّاً شدیدً فلمّا کان فی بعض اللّیل خَرَج تقلّب وجهه فی آفاق السّماً فَلَمّا اصبَحَ صلّی الغداة فلمّا صلّی من الطّهر رکعَتَین جائه جبرئیل فقال له قد نریٰ تَقلّبُ وجَهکَ، ثم اخَذَ بید النّبی ﷺ فَحَوّل وجهَه الی الکعبة وَ حَوّل مَن خَلفَه وجوُهَهم حتی قام الرّجال مقام النسأو النسّأمقام الرّجال فکان اوّل صلاته الی بیت المقدسِ و آخرها الی الکعبة و بلغ الخبر بالمدینة و قد صلّی اهلها من العصر رکعتین فَحَوّلوا نحو الکعبة فکان اوّل صلواتهم الی بیت المقدس و آخرها الی الکعبة فَسُمّی ذالک المَسجد – مسجد القبلَتَین فقال المُسلمؤن صَلَواتنا الی بیت المقدس اتَضَیع یا رسول الله فَأنْزل الله: **«وَ مَاكَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»**[2].

فان قیل الآیة لا تدّل علی اکثر من کون الکعبة قبلة بعد بیت المقدس و امّا کونه قبلة لِلانام فلا دلالة لها علیه، بل هی قبلة للمسلمین فقط، فکیف صحّ قوله ﷺ **قِبْلَةً لِلأَنَامِ** و الأنام عبارة عن الأنس و الجّن. قلنا امّا اوّلا فلانّ رسول الله ﷺ بعث الی کافة المَخلُوقات من الجنّ و الأنس کما هو مسلّم فاذن لّما صارتَ الکعبة قبلةً لَه فکانّما صارت قبلة لِکافة الخلق لأنّهم اتباعه وأُمّته، و ثانیاً بانّ الیهود و النّصاری و سائر الملل مُکلّفُون بالفروغ، اعنی الّصلوة و الّصوم و الحجّ فوجَب علیهم ما وجَبَ علینا الاّ انّ القصد: اعنی التقربّ الی الله و اتیان الأعمال بداعی الأمر لایَتَمّشی منهم بدون الأسلام فیجب علیهم ان یُسلموا و اذا اسَلموا فَقِبلَتهُم الکعبة لا محالة لأشتراکهم مَعنا فی التکلّیف و الدّلیل علیه قوله تعالی حیث قال: **«إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الإِسْلاَمُ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ**

---

۱. البقرة/ ۱٤٤.

۲. البقرة/ ۱٤۳.

اَلْإِسْلامُ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلُ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ.»[1]

و اذا ثبت هذا فثبتَ انّ الكعبة فى الواقع و نفس الامر تكون قبلة للأنام و ان لم تكن ظاهرا كذالک فصّح قوله عليه السلام قبلة للأنام.

□ **قوله عليه السلام: يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعامِ وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمامِ** متن ثمّ بعد ذكر الحجّ و فرضه و كون الكعبة قبلة ذكَرَ عليه السلام كَيفيّةَ وُرُودَ النّاس اليها فقال عليه السلام **يَرِدُونه الخ**، وفيه استعارةعجيبة و هى انّ الانعام اذا دخلتَ مَشربهم لشَرب الماء لاترَعون النّوبة والتّرتيب بل تَتَسابقون و تتسارعون سبق كلّ واحد منهم على الأخر و هكذا يكون حال الافراد فى اعمال الحجّ فانّ كلّ واحد منهم لاتوُجه له الّا بعمَله و لا يَلتفت الى غيره اصَلاً، لشدّة اشتياقهم و وَجدهم الى مَحبُوبهم و مَعشُوقهم فكأنّهم صارو حيارىٰ لا عقل لهم و فيه سِرٌّ عظيم. و قولِهِ عليه السلام: **يالَهُون اليه ولُوه الحَمام**: فيه ايضا استعارة حيث انّه عليه السلام شبّه الخلق فى التجائهم الى البيت بالحَمام فكم انّ الحَمام لا مأمَن لها الاّ البيت من شَرّ الصيّاد بحرمة الصيّد فى الحَرم فكذالک الحاجّ لا مأمَن لهم منها شرّ الشيّطان الاّ بدخُول الحرم و كما انّ الحمام ما دامت فيه تكون مأمُونة من كلّ خطرٍ و آفةٍ كذالک الحّاج ماداموا فى الحرم مأمونُون من كلّ شرٍّ و بليّةَ كما سنحققّه ان شاء الله تعالى.

□ **قوله عليه السلام: جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً لِتَواضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِذْعانِهِمْ لِعِزَّتِهِ** اى جَعَل الله تعالى الحَجّ علامةً لتواضع النّاس فى جنب عظمة الخالق و اقرارِهِم و اعتقادهم لِعزّته و كبريائه و هذا ممّا لا ريب فيه، فانّ الحُجاج من بَدَوِ سَفَرهم و لا سيّما من حين الأحرام لابُدّ لهم من رفَض القُيود الأعتبارية فانّ الأَب و الإبن و المَولى و العَبد و السلّطان و الرّعية بل النّبى و ألاّمة لابدّلهم من ان يكونوا مُلَبسّين بلباس واحد و مترّنمين بذكرٍ واحدٍ و ليس لأحدٍ ان يحَكُم على احَدٍ ولا ان يضَرب احداً او شَتَمه او آذاه كما سيجئى فى شرائط الأحرام و كَيفيّتة و

١. آل عمران / ٨٥.

هكذا الحال الى ان يخرجوا عن الأحرام و فى هذه الأمور اشعار بأن العِزّة لِلّه وحده و العَظَمة له و النّاس ليس لبعضهم مزيّة على بعض الاّ بالتقوى فكأنّهم يقولون بلسان الحال إلٰهنا و سَيدّنا نحن عَبيدك لا مَلجَا لنا غيرك تَوجّهنا اليك وَ رفضَنا القُيود كلّها و تركنا الأموال و الأثقال فى اوَطاننا و اعرَضنا عن كلّ مَحبوُب لنا من الأولاد و المقام و الأقرباء و الاحبّاء و غيرها لک و ليس فى اَيدينا من زخارف الدّنيا شيئى و لساننا مترّنم بذكرک و نقول لبَّيکَ اللّهم لبّيک لا شريک لک الخ، فنحن مُضطّرون و اليک محتاجون فارحم لنا و اغفرنا انّک انت التَّواب الرّحيم.

▫ **قوله**عليه السلام: **وَاَختارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً أَجابُوا اِلَيْهِ دَعْوَتَهُ** فيه اشارة الى انّه من اجابَ نداء ابراهيم و لوكان فى اصلاب الرّجال و ارحام النساء فيحجّ و مَن لم يُجب فلا و تدّل عليه روايات من اهل بيت العصمة. منها ما روُى عن عبدالله ابن نسنان عن الصّادقعليه السلام لمّا امر الله عز و جلّ ابراهيم و اسمعيل ببنيان البيت و تَمَّ بنائه امَرَه ان يصَعَد رُكناً ثم ينادى فى النّاس اَلا هُلَّم الحَجَّ فلو نادى هَلُّموا الى الحَجّ لم يحجّ الاّ من كان اِنسيّا مخلوقا يومئذ و لكنّ نادى هُلّم الحِجّ فلبّى النّاس فى اصلاب الرجال، لَبّيک داعى الله فمن لَبّى عَشراحجّ عشراً و مَن لَبىّ خَمسا حَجّ خمساً و من لبّى اكثر فبعدد ذالک وَ مَن لَبّىٰ واحداً حجّ واحدا و من لم يلَبّ لَم يَحجّ.

و منها: ما روى عن ابى جعفرعليه السلام قال انّ الله جلّ جلاله لمّا امر ابراهيم ينادى فى النّاس بالحَجّ قام على المقام فارتَفَع به حتى صار بازاء ابى قبيس فنادى فى النّاس بالحجّ فاسَمَع مَن فى اَصلاب الرّجال و ارحام النسّاء الى ان تقوم السّاعة.

و منها: ما روى عن ابى عبد الله قال سئلته لَمَ جُعلت التلبيّة فقال انّ الله عز و جل اوَحى الى ابراهيمعليه السلام و **﴿وَاَذِّنْ فِى النّاسِ بِالْحَجِّ يَاْتُوکَ رِجالاً﴾**[1]

---

١. الحج / ٢٧.

▫ **قوله**عليه السلام: **و صَدّقوا كلمتَه و وقَفُو مواقف انبيائه** و المعنى انّ المُجيبين يومئذ صَدَّقوا كلمة الله اذ إعلام ابراهيم، هُو إعلام الله فمُجيب ابراهيم مُجيب الله تعالى و امّا قوله وَوَقفوا مواقف انبيائه فانّ الكعبة و ما يتعلّق بها مقام الأنبياء عليهم السلام فَمَن حَجّ و دخل الحَرَم فقد دَخَل مدَخَلهم و مقامَهم و فيه اشارة الى علّو شأن مَن حَجّ البيت زادَه الله شَرفاً و تَعظيماً.

▫ **قوله**عليه السلام: **و تشبّهوُا بملائكته المُطيفين بعَرشه** و فيه ايماء الى انّ مَثَل الكعبة فى الأرض، مثل العَرش فى السّماء من حيث الشَّرَف فكما انّ اشرف الملائكة و اكرمها هم الملائكة الحافّوُن حول عرشه فكذالک اشرَف النّاس و اكرَمهم من زار البيت عارفا بحَقّه مع الشّرائط كما سيجئى ان شاء الله تعالى و كما انّهم مُطيفون حَول العرش فكذالک ها هنا.

▫ **قوله**عليه السلام: **يُحْرِزُونَ الإرْبَاحَ فِى مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُوَن عِندَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ** و فيه اشارة الى ثواب المُترتّب على الحجّ و انّه نعم المكان للتّجارة و الأرباح و تَسارُع النّاس عند موعد مغفرته و نحن ننقل بعض الرّوايات الدّالة على المطلُوب بعون الله الملک المعبُود. فمَنها ما روى عن ابى بصير قال قال ابوعبدالله عليه السلام: مَن حَجَّ يريد به الله و لايُريد رياًء و لا سِمُعةً غَفَرالله له البّته. و منها ما عن ابى عبد الله عليه السلام قال: الحَجّ حَجّان: حَجّ لِلّه كان ثوابه على الله الجَنّة و من حَجَّ للنّاس كان ثوابه على النّاس يوم القيمه. و منها ما روى عن ابى الحسن موسى قال الحَجّ جهاد الضُّعفاء و هم شيعتنا. و منها ما روى عن ابن ابى عمير، عن الّصادق عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله انّ الحّاج اذا اخَذَ فى جهازه لَم يَرفع شيئاً و لم يضَعَه الاّ كتب الله له عشَر حَسَنات و مَحٰى عنه عشَر سيّات و رَفَع له عشر درجات فاذا ركِبَ بعيَره لم يَرَفع خُفّاً و لم يضَعَه إلاّ كتب الله له مثل ذالک و اذا طاف بالبيت خَرَج من ذنُوبه و اذا سَعٰى بين الصَّفاء و المَروَة، خَرَج من ذنُوبه و اذا وَقَف بعرفات خرَج من ذنُوبه و اذا وقف بالمَشعرالحرام خرج من ذنُوبه واذا رمَى الجمار خرج من ذنوبه فعدّ

رسول الله كذا، و كذا موطناً كلّها تخرج من ذنوبه قال فانّى لک ان تبلَع ما بَلَغ الحاّج. و منها ما روى عن ابى عبدالله عليه السلام قال لمّا افاضَ رسول الله صلّى الله عليه و آله فلقيه اعرابى فى الأبطح فقال: يا رسول الله انّى خَرجتُ اريد الحجّ فعاقنى عائِقٍ و انا رجل ملبئى كثير المال فمُرنى ان اصنَعَ فى مال لى ما بلغ الحّاج فألتَفَت رسول الله الى ابى قبيس فقال لو انّ ابا قبيس لک ذِنَة ذهبة حَمراً انفَقتَه فى سبيل الله ما بلغَتَه ما بلَغَ الحّاج. و منها ماروى عن ابى عبد الله عليه السلام الحّاج يصدرون على ثلاثة اصناف صِنفٌ يُعْتَق من النّار و صَنفٌ يَخرجِ من ذنوبه كهيئة يوم ولدته اُمّه يحْفَظ فى اهلْه و ماله فذاک ادنى ما يرجع به الحّاج. و منها ماروى عن ابن حازم قال سئلت ابا عبدالله عليه السلام عَمَّن حَجّ مالَه من الثواب قال يا منصور من حَجّ اربَع حُجج لم تُصبه ضَغطة القَبر ابَداً و اذامات صَوَّر الله الحَجّ فى صورة حَسَنة ٍمن احسَن ما يكون مِن الصُوَّر بين عينَيه تصّلى فى جوف قبره حتّى يبَعَثه الله من قَبره و يكون ثواب تلک الصّلوة له. و منها ما روى عن الخضرمى قال قلت لابى عبد الله عليه السلام مالِمَن حَجَّ خمس حجج قال عليه السلام مَن حَجَّ خمس حَجَجَ لم يُعّذبه الله ابداً انتهى. و منها ما روى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: مَن حَجّ عَشَر حَجَج لم يُحاسبه الله ابَداً انتهى و منها ما روى عنه عليه السلام: مَن حَجّ عشَرين حَجَّة لَم يَر جَهنّم و لم يَسمع شَهيقها و لا زفَيرها. و منها ما روى عنه عليه السلام ايضا قال: من حَجَّ خمسين حَجَّة بنى الله له مدينة فى جنّة عدنٍ فيها مائة الف قصر فى كلّ قصر حَوراء من حُورالعين و الفَ زَوجة و يجعل من رفقاء محمد صلى الله عليه و آله فى الجنّة.

والروايات الواردة فى فضل الحَجَّ و ثوابه من طرق الخاصة والعامة اكثر من ان تُحصى و لأجل ذالک قال عليه السلام: و يحُرزون الارُباح الى آخر ما قال و قال الله تبارک و تعالى: ﴿وَ سارِعُوا اِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1] و ايةَ مغفرة اجَلّ و اَشرف من الحجّ الاّ انّه لابدّ لنا ان نذكر انَّ هذه المراتب و المقامات لا تَترتبّ على مطلق

---

١. آل عمران / ١٣٣.

الحَجّ بل على الحَجّ التّام الكامل مع حفظ الشرائط المقررّة الاتية انشاء الله فى تنبيهات البحث: قوله عليه السلام: **جعله سبحانه و تعالى لِلاسلام عُلَماً و لِلعائذِين حَرَماً فرَضَ حَجّه واوجَبَ حقّه، وكتَبَ علَيكُم و فادته فقال سبحانه ﴿و لِلّه عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ اِلَيْهِ سَبيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَاِنَّ الله غَنِىّ عَنِ الْعالَمينَ﴾**[1]

و قد اشار عليه السلام فى هذه الفقرات من الخطبة الى امور ستّة:

اوّلها: قوله عليه السلام **جَعَلَهُ سُبْحانَهُ و تعالى للاِْ سلام عَلَماً**:و الّضمير فى قوله جَعله عليه السلام راجع الى الَحجّ و كون الحجّ عَلَماً لِلاسلام لا ريْب فيه فاَن ازدحام المُسلمين و كثرتهم فى زمانٍ واحدٍ و موَطنٍ واحدٍ و صَعيدٍ واحدٍ مع كونهم من حيث اللّباس و الذّكر و الأعمال على السّوأ يدّل على شوكة الاسلام و وَحدة كلَمتهم و مرامَهم و مَذهبَهم كما قال تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعاً وَ لاتَفَرَّقُوا﴾**[2] و الملل المختلفة اذا توَجهّوا الى هذا الأجتماع بهذه الكيفية يقع فى قلوبهم الرُّعب و يَستنبِطون منه وحدة المِلّة الأسلاميّة و سائر الواجبات كالصّلوة و الزّكوة و الصّوم و غيرها ليس كذالک و هذا ظاهر.

و ثانيها: قوله عليه السلام **وَلِلْعائِذيَن حَرَماً**: اشارة الى كونه مأمناً و مَلئجاً للمُضّطرين، و المُلتجئين كما اشارالیه سبحانه بقوله **﴿وَمَنْ دَخَلَه كانَ اٰمِناً﴾**[3] و قوله تبارک و تعالى: حكاية عن ابراهيم عليه السلام: **﴿رَبِّ اجْعَلْ هٰذا بَلَداً آمِناً﴾**[4]. و ما روى عن حفص ابن البختری قال سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن الرّجل يجنى الجناية فى غير الحَرم ثّم يلَجَأ الى الحَرم يقام عليه الحَدّ قال: لا و لا يُطعم و لايُسقى و لا يُكَلّمَ و لايبايع فانّه اذا فعل ذالک به يُوشک ان يخرج فيقام عليه الحَدّ و اذا جَنى فى الحَرم جناية اُقيم علَيه الحدّ فى الحَرم لانّه لم يرَع لِلحَرَم حُرمةً انتهى. و عن عبدالله ابن سنان عن ابى عبدالله عليه السلام قال قلت له ارأيتَ قوله و مَن دَخَله كان آمناً البيت عَنى او الحَرم قال من دخل الحَرَم من النّاس

١. آل عمران / ٩٧.
٢. آل عمران / ١٠٣.
٣. آل عمران / ٩٧.
٤. البقرة / ١٢٦.

مُستجيراً به فهو آمِنٌ و مِنَ دَخل البيت من المُؤمنين مُستجيراً به فهو آمِنٌ مِن سِخَط الله و منَ دَخل الحرم من الوَحش و السبّاع و الطَيّر فهو آمِن مِن ان يُهاج اوُيُوذىٰ حتّى يخرج من الحرم انتهى. و عن مُحمّد ابن مسلم عن ابى جعفرعليه السلام قال سئلته عن **﴿وَ مَنْ دَخَلَه كانَ آمِناً﴾**[1] قالعليه السلام: يأمَنَ فيه كلّ خائف مالَم يَكُن عليه حَدّ من حدوُد الله فيَنبَغى اَن يُؤخَذ به قلت فَيأمن فيه من حاربَ الله و رسوُله و سَعىٰ فى الأرض فساداً قالعليه السلام هو المثل الذّى نكر بالطّريق فياخذ الّشاة او الشيئى فيضع به الأمام ماشاءَ قال و سئلته عن خائنٍ يدخل الحرم، قال لايؤُخَذ و لا يُمسّ لانّ الله يقول و مَن دَخَله كان آمناً انتهى.

وثالثها: قولهعليه السلام **فَرَضَ حَجَّهُ:** اشارة الى و جوب الحجّ و قد اقمَنا الدّليل من الكتاب و السنّه و الأجماع على وجوبه فلانعيده.

و رابعها: قولهعليه السلام **وَاَوْجَبَ حَقَّهُ:** فيه اشارة الى انّ الحجّ من حُقوق الله الواجبة على عباده فهو حقّ الله لاحقّ النّاس فيجب الأتيان به بقصد القربة لابداعٍ آخر كمّا مّر الحديث فيه.

و خامسها: قولهعليه السلام **وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الوِفادَةُ** وفيه اشعار بانّ الحّاج وفَد الله تعالى و الرّوايات تدّل عليه، و قد مرّ منا بعض منها و ذالک لانّ الوُفود الوُرود و لاشک انّ الحُجّاج وافدون عليه كما صرّحت به الرّوايات و كما سَنُوضحه ان شاء الله تعالى.

و سادسها: ﴿و لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اْستَطاعَ اِلَيْهِ سَبيلاً﴾[2]

و هى تدّل على وجوب الحَجّ على كافة العباد بالشّرائط المقررّة و عدم احتياجه تعالى اليه بل النّفع عايد اليهم لااليه. هذا ما ذكرناه فى شرح جملات الخطبة و لمّا كان البحث ذا اهميّته لابأس بصرف عنان الكلام الى بعض الحقائق و الفوائد المّترتبة على الحجّ و علّة وجوبه و كيفيّته، و شرائط اِلمُقّررة قيه شَرعاً و عَقلاً و ثَمَرته فى الدّنيا و الآخرة و سائر ما يتعلق به

---

١. آل عمران / ٩٧.

٢. آل عمران / ٩٧.

و ذالک یتّم فی تنبیهات:

التّنبیه الاوّل: فی علةّ وجوب الحَج و اَوّل مَن بَنی البیت و ما یرتبط به:

روُی عن الباقر عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال انّما کان لبَث آدم و حَوّا فی الجنّة حتّی خرج منها سَبعِ ساعات من ایّام الدنّیا حتّی اَکَلا من الشّجَرة فاهَبطهما الله تعالی الی الأرض من یومهما ذالک قال فحاجّ آدم ربّه فقال یا ربّ ارأیتک قبل ان تَخلقنی کُنتَ قَدَّرتَ علَّی هذا الذّنب و کلّ ما صرتُ و انا صائرٌ الیه اَوَ هذا شیئیٌ فعلته انَا مِن قِبَلی لم تُقّدره عَلّیَ غَلَبت عَلّیَ شَقوتی فکان ذالک مِنّی و فعلی لامِنک و لامن فَعِلک. قال له یا آدم انا خَلقُتک و عَلَّمتُک اَنّی اُسْکنک و زَوجتک الجنّه و بنعمتی و ما جعلتُ فیک مِن قُوّتی قَوّیَتَ بجوارحک علی معصیتی و لم تَغِب عن عینی و لم یَخلُ عِلمی مِن فِعلک و لا مِمّا انتَ فاعله. قال آدم: یا ربّ الْحُجّة لَکَ علَیَّ قال تعالی فَحینَ خَلقتُک و صَورَّتکَ و نفخُت فیک من رُوحی و اسجدتُ لک ملائکتی و نوَّهَتُ بأسمک فی سماواتی و ابتَدَائتُک بکَرامتی و اسکَنَتُک جَنَّتی و لم اَفعل ذالک الاّ برضأمِنّی علیک اَبلوک بذلک من غیر ان تکون عمِلتَ لی عَمَلاً تستوجب به عندی مافَعلتُ بک. قال آدم یا ربّ الخَیر مِنک و الشّر مِنّی قال الله تعالی: یا آدم انَا اللهُ الکَریم خَلقتُ الخَیر قبل الشَّر و خلقُت رَحمِتی قبل غَضبی و قدمّتُ بکرامتی قبلَ هَوانی و قدّمتُ بأحتجاجی قبل عَذابی یا آدم اَلَم اَنهک عن الشَّجَرة و اُخْبرک انّ الشَّیطان عَدُوٌّلکَ و لزِوَجتک و اُحذَرکما قبل ان تَصیرا الی الجنّة و اعلمکما انّکما انِ اکَلتَما مِن الشَّجَرة کنتُما ظالمیَن لانفُسکما عاصیَین لی یا آدم لا یُجاورنی فی جَنَّتی ظالمٌ عاصٍ لیِ قال فقال بلی یا ربّ الحُجّة لک علَینا ظَلَمنا انفَسنا و عَصینَا و اِلاّ تغفرلنا و تَرحَمنا نکُن من الخاسرین. قال فلمّا اَقَرا لِربَّهما بذنبَهما و انّ الحُجّة لهما تداركَهَما رَحتمَة الّرحمن الرَّحیم فتاب علَیهما ربّهما انّه هُو التَّواب الرَّحیم قال الله یا آدم اهبط انتَ و زَوجُک اِلی الأرض فاذا اصلَحَتما اصلَحتکما و انِ عَملتُما قَوّیتکما و ان

تَعرَّضتما لرِضاى سارعتُ الى رضا كما و انِ خفِتما مِنّى آمنتكُما من سَخَطى قال عليه السلام فبكَيا عند ذلك و قالا: ربّنا فاَعِنّا على صَلاحِ انفُسنا و على العَمل بما يرضيك عَنّا قال الله لهما اذا عَمِلتما سُوءً فُتو با الَّىَ اتَبُ علَيكما و انَا الله التَّواب الرَّحيم قال فأهبطنا برَحمتك الى احَبّ البقاع اليک قال عليه السلام فاؤحى الله الى جبرئيل انَ اَهبطِهما الى البَلَدة المُباركة مكَّة قال فهَبَط بهما جبرائيل فالقى آدمَ على الصّفَا و حَوّاء على المَروَة قال فلمّا القِيا قاما على ارَجلهما و رفعا روؤسَهما الى السّماء و ضَجّا باصْواتِهما بالبكاء الى الله تعالى و خَضَعا باعناقِهما قال فهتَفَ الله بهما ما يُبكيكما بعدِ رضاى عنكما قالا ربنّا ابكَتَنا خطيئتنا و هى اخرَجَتَنا عن جوار ربنّا و قد خَفِى عَنّا تقديس ملائكتک لک ربنّا و بَدَت لنا عَوراتنا و اضطَرّنا ذَنبنا الى حرَث الدّنيا و مطَعمها و مَشربها و دخَلَتنا و حَشَة شَديدة لتفريقک بيننا قال فَرحمِها الّرحمن الرّحيم عند ذالک و اوَحىٰ الى جبرئيل انا الله الرّحمن الّرحيم و انّى قد رحمتُ آدم و حَوّا لمّا شَكيَا اِلّىَ فاهْبطِ علَيهما بخَيمَةٍ من خيام الجنّة و عَزِّهما عَنّى بفراق الجنّة و اجَمَع بينهما فى الخيمة فانىّ قد رحمتُهما لبكائهما و وَحشتهما و وَحدَتهما وانصَبِ لهما الخيمة على انزَّعة (النّزعة) التّى بين جبال مكة و اَلنزّعة مكان البيت، و قواعده التّى رفعَتَها الملائكة قبل ذالک. فَهبَط جبرئيل على آدم بالخَيمة على مقدار اركان البيت و قواعده فنَصَبها قال اَنزَل جبرئيل آدم من الصفّاء و انزَل حَوّاء من المَروَة و جمع بينَهما فى الخَيمة و كان عَمُود الخَيمة قضَيبُ ياقوت اَحمَر فاضاء نوره و ضَوئه جبال مكّة و ماحولها قال و امتَدّ ضَوءُ العَمُود فجَعَله الله حَرَماً فهو مواضع الحَرم اليَوم كل ناحيةٍ من حيث بَلَغ ضَوءُ العَمُود فجَعَله الله حَرماً لحُرمة الخيمة و العَمُود لانّهما من الجنّة. قال و لذالک جَعَل الله الحَسنات فى الحَرم مُضاعفة و السَّيئات فيه مضاعَفة قال و مَدَّت اطناب الخَيمة حولها فمنتهى اوتادها ما حول المسجد الحرام قال و كانت اوتادها من غُصون الجنّة و اطنابها من

ظفائراًلاً رجوان فأوَحى الله الى جبرئيل اهبِط على اهبِط على الخيمة سبعين الف ملک يحرسُونها من مَرَدة الجِنّ و يُونسُون آدم و حَوّا يطوُفون حول الخَيمة تعظيما للبيت، و الخيمة قال فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرُسونها مِن مَردة الشياطين و العُتاة و يطُوفُون حَول اركان البيت و الخيمة كلّ يوم و ليلة كما كانوايَطُوفون فى السّمّاء حول بيتَ المَعمُور قال و اركان البيت الحرام فى الأرض حيال البيت المَعمُور الذّى فى السَّماء. قال ثمّ انّ الله اوَحى الى جبرئيل بعد ذالک ان اهبِط الى آدم و حَوّا فَنَحِّهما عن مواضع قواعد بيتى فانّى اريد ان اهبط فى ظلالٍ من ملائكتى الى ارضى فأرفَعَ اركان بيَتى لملائكتى و لخلقى من و لد آدم قال فهبَط جبرئيل الى آدم و حَوّا فاخِرَجهما من الخيمة و نحاّهما عن نَزَعة البيت الحرام و نَحّى الخيمة عن موضع النَّزعة قال ﷺ و وَضَع آدم على الصَفّا و وَضَع حَوّاعلى المَروة و رفع الخيمة الى السّماً فقال آدم و حَوّا يا جبرئيل بسخط من الله حوَّلَتنا و فَرقَّت بينَنا ام برضاه تقديراً من الله علَينا فقال لهما لَم يكن سَخَطاً مِن الله عليكما و لكّن الله لا يُسئل عمّا يفعل يا آدم انّ سبعَين الفَ ملک الذين اَنزَلهم اللهّ الى الارض ليُؤنسُوک، و يَطُوفون حول اركان البيت و الخَيمة سَألوا الله ان يبُنىالَهُم مكان الخيمة بيتاً على موضع النَزّعة المباركة حيال البيت المَعمُور فَيطُوفُون حوله كما كانوا يطُوفون فى السّماً فقال آدم رضَينا بتقدير الله و نافذ اَمرِه فينا فكان آدِم على الصَفّا و حَوّا على المَروَة قال فدَخَل آدم لِفراق حَوّا و حشة شديدة و حُزن فهَبَط من الصّفا يُريد المَروة شوقاً الى حَوّاو ليسلّم عليها و كان فيما بين الصفّاً و المَروَة فَسعىٰ فِى الوادى حَذَراً لِما لَم يَرى المَروَة مخافة ان يكون قدضَلَّ عن طريقه فَلمَّا ان جاز الوادى و ارتَفَع عنه نظر الى المَروَةَ فمشى حتى انتَهىٰ الى المَروة فصَعد عليها فسَلّم على حَوّا ثم اقبلا بوَجههما نحَو النّزعة ينظران هل رُفِعَ قواعد البيت و يسئلان الله تعالى ان يردّهما الى مكانهما حتّى هَبَط من المَروة و رجع الى الصّفا فقام

علیه و اَقبَل بوجهه نحو موضع النّزعة فدعا الله ثمّ انّه اشتاقَ الی حوّا فَهبَط من الصفا یُرید المَروة ففعل مثل ما فعله فی المَرَّة الأولی ثم رَجَع الی الصّفا ففَعَل علیه مثل ما فَعَل فی المَّرة الأولی ثمّ انّه هَبَط من اَلّصفا الی الصّفا ففعل علیه مثل ما فَعَل فی المّرة الأولی ثمّ اِنّه هبْط من الصّفا الی المَروَة ففعل مثل ما فعل فی المرّتَین الأُولیین ثمّ رجَعَ اِلی الصَفّا فقام علیه و دَعا الله ان یَجمَع بینه و بین زَوجته حَوّاء قال فکان ذهاب آدم من الصفّا الی المَروة ثلث مرّات و رجوعه ثلث مرّات فذالک ستّة اشواط فلمّا اَن دَعَواالله و بَکیَااالیه و سَئَلاه ان یجمع بینهما استجاب الله لهما من ساعتهما من یومهما ذالک من زوال الشَّمس آ فاتاه جبرئیل و هو علی الصَّفا واقفٌ یَدعُواالله مقبلاً بوجهه نحو النّزعة فقال له جبرئیل انزل یا آدم من الصَفّا فألحِق بحّوا فنَزَل آدم من الصَفّا الی المَروَة ففَعَل مثل ما فَعل فی الثّلث المّرات حتّی انتهی الی المرَوَة فصعد عَلیها و اخَبَرها بما اخَبَره جبرئیل ففَرِحا بذالک فرحاً شدیداً و حمدالله و شکراه فلذالک جَرَت السنّة بالسَعّی بین الصّفا و المَروَة و لذالک قال الله تعالی: ﴿اِنَّ الصَّفا وَ الْمَروَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ اَوِاعْتَمَرَ فَلاجُناحَ عَلَیْهِ اَنْ یَطَّوَّفَ بِهِمَاالآیة﴾[1] ثّم ان جبرئیل اتاهمافانزَلَهما من المَروة و اخَبرَهما انّ الجَبّار تبارک و تعالی قَد هَبِط الی الارض فَرفَع قواعد البیت الحرام بحَجَرٍمن الصفّا و حَجَرٍ من اَلمَروة و حَجَرٍ من طُور سیناء و حَجَرٍ من جَبَلِ اَلّسلام و هو ظَهر الکوفة فاَوحی الله الی جبرئیل اَن ابنِه و اَتّمِه بحجارة. قال فاقتَلع جَبرئیل الأحجار الاربَعة بأمر الله من مواضعهنّ بجناحَیَه فوضَعَها حیث امَرَه الله فی ارکان البیت علی قواعده التّی قدرّها الجبال و نَصَب اعلامها ثّم اوحی الله الی جبرئیل ان ابنِه و اتّمِه بحجارِةِ ابی قبیس و اجَعل له بابَیَن بأبٌ شَرقّیٌ و بأبٌ غرَبِیّ قاله فاتّمِه جبرئیل فلمّا ان فَرَغ منه طافت الملائکة حَوله فَلَمّا نظر آدم وَ حَوّا الی الملائکة یَطُوفون حَول

---

۱. البقرة / ۱۵۸.

الَبيت انطلقا فطافا بالبيت سَبعة اشواط ثّم خرَجا يَطلُبان ما يأكُلان و ذالک من يومهما الذّى هَبَطا فيه انتهى[1].

اقول: قد نَقَلَنا هذا الحديث بطوله لما فيه من الأسرار و الحقائق المُوَّدعة ما لا يخفى على ذى مسكةٍ و منه يظهر انّ اَوَّل مَن وضَع البَيت جبرئيل من الله تعالى و ظَهَر ايضا علة كون الأشواط سبعة و السَعى بين الصَّفاء و المَرَوة و حُدود البيت و الحرم و سائر المعارف الحقيقة.

التنّبيه الثانى: فى سائر افعال الحجّ و وجه تسمية كلّ واحد منها باسمه:

انّما سُميّت البَيت بالكَعَبةِ لانّها بُنيت على هَيئة التربيع و الكَعبَة كل بيتٍ على هَيئة التَربيع قال الله تعالى:

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾[2] و انّما سِمىّ المَحَلّ الذّى فيه البيت ببكّة لأزدحام النّاس فيه لانّه مأخوذة من التّباک اى اِلأزد حام فانّ النّاس – يزد حمُون فيه للِطّواف و قد يقال مكة كما هو المشهور فى العُرف اذا بُدِل الباء ميماً قال الله تعالى: **﴿اِنَّ اَوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً﴾**[3] و قيل سميّت مكّة بكّة لانّها بَتک اعناق الجبابرة اذاالَحَدِوا فيها بظُلم وَ قيلَ بكّة عبارةعن بطن مَكّة و قيل هى اسم المسَجد و قيل هى حيث الطَّواف و قيل غير ذالک.

اَلصَفّا و المَروَة: روى عن الصادق عليه السلام قال هَبَط آدم على الَصفا و لذالک سُمّى الصَّفالاِنّ المصُطفى هَبَط عليه قال الله تعالى **﴿اِنَّ الله اصْطَفى اٰدَمَ وَ نُوحاً﴾**[4] ثم قال عليه السلام وَ وهبَطَت حَوّا علَى الَمروَة و انّما سُميّت الَمَروة لاِنَّ المِرئة هبَطَت عليها وَ هما جَبَلان عن يمين الكَعَبة و شمالها الخبر.

استلام الحَجَر و السعى بيَن الصفّا و المَروَة و التَلّبية روى الحلبى عن ابى عبد الله عليه السلام **قال قلت لِمَ جعل استلام الحَجَر فقال عليه السلام انّ الله حيث اخْذَ ميثاق بنى**

---

١. بحارالانوار، ج ٥، حالات انبياء، ص ٥٠.
٢. المائده / ٩٧.
٣. آل عمران / ٩٦.
٤. آل عمران / ٣٣.

آدم دعا الحَجَر من الجَنّة فامَرَه بألتقام الميثاق. فالتَقَمه فهو يشَهَد لِمَن وافاه بالحَقّ، قلت فلِمَ جُعِلَ السعّی بيَن الصّفاء و المَروة قالؑ لانّ ابليس ترا الی ابراهيم فَسَعٰی ابراهيم من عنده كراهة ان يُكلّمه و كانت منازل الشيطّان قلت قد تقدم فی الحديث السابق علّة السّعی بينَهما و لا منافات بين الحديثين قلت فلِمَ جُعِل التِلّبَية قال لانّ الله قال لِأبراهيم و اَذِّنِ فی النّاس باالحِّج فصعَدَ ابراهيم علی تَّلٍ فنادیٰ، و اسَمَع فاجُيب من كلّ وجهٍ. قلتِ فلِمَ سُميّت التَّروية قال لانّه لم يكن بعَرَفات ماء و انّما كانوا يعَملُون الماء من مكَّة فكان يُنادی بَعضهم ترَوَّيتم فسُمِيّ يوم الَتّرويّه انتهی.

العَرَفات: قال الصادقؑ انّما سميّت بِها لانّ آدمؑ فيها اعتَرَف بذنبه و سُميّت جمع لانّ آدم جمَعَ بين الَصلّوتَين المغَرب و العِشاء و سُمیّ الأبَطَح لانّ آدمؑ امر ان ينَبطَح فی بَطحاء جمع فانبَطَح حتی انفجر الصّبح.

المُزدلفة: قالؑ: لانّ جبرئيل قال له ازدلِف الی المشَعر الحرام فسُميّت المُزدَلفة.

رَمی الجمار: روُی انّ جبرئيل قال لِأدم انّ الله تبارک و تعالی قد احَسَن اليک اذ علَمَّک الَمناسک التّی تاب بها عليک و قَبِلَ قُربانک فاحلُق رأسَک تواضعاً لِلّه فحلق آدم رأسَه تواضُعاً لِلّه ثم اخَذَ جبرئيل بيد آدم فانطلَق به الی البيت فعَرَض له ابليس عِند الجَمَرة فقال له يا آدم اينَ ترُيد، قال جبرئيل يا آدم ارمهِ بسَبع حَصَيات و كَبّرِ مع كلّ حصاةٍ بِكبيرة ففَعَل ذاللک آدم كما امَرَه جبرئيل فذهَبَ ابليس. ثم اخذ بيده فی اليوم الثانی فانطِلق به الی الجَمَرة فعرض له ابليس فقال له جبرئيل ارمهِ بسبْع حصَيَات و كبِّر مع كلّ حصاةٍ تكبيرة ففعل ذالک آدم فذهب ابليس. ثم عرَضَ له عند الجَمَرة الثالثة فقال له يا آدم اين تريد فقال له جبرئيل ارمهِ بسَبع حصَيَات و كَبّرِ مع كلّ حصاةٍ تكبيرة ففعل ذالک آدم فذهب ابليس فقال له جبرئيل انّک لن تراه بعد مقامک هذا ابَداً ثم انطلق به الی البيت فاَمَره ان يَطُوف بالبيت سَبعِ مرآت ففعل ذالِک

آدم فقال له جبرئيل انّ الله تبارک و تعالى قد غَفَر لک و قبِل تَوبتک و حلّت لک زوجتک انتهى.

التّنبيه الثالث: علّة و جوب الحجّ و الطواف و الأفعال و الأعمال:

روُى عنٍ هشام إبن الحكم انّه قال سَئلَتُ ابا عبد الله عليه السلام فقلت له ما العَلّة التّى لأجلها كَلّف الله العباد الحَجّ و الطّواف بالبيَت، فقال عليه السلام انّ الله عز و جل خلق الخلق لا لعّلةٍ الاّ انّه شاء فَفعَل فخَلقَهم الى وقتٍ مُوجَلٍ و اَمَرهم و نَهاهم ما يكون من امر الطّاعة فى الدّين و مَصلحتهم من امرِ دنياهم فَجَعل فيه الأجتماع من المَشرق و المغَرب لِتعارَفوا و لينَزع كل قومٍ من التّجارات من بَلدٍ الى بَلَد و لينتَفع بذالک المكارى و الْجمّال و لتَعَرف آثار رسول الله و تُعَرف اخباره و تُذَكر و لا يُنسى و لو كان كلّ قوم انّما يتكلمّون على بلادهم و ما فيها هلكوا و خربت البلاد و سقط الجلب و الأرباح و عميت الأخبار، و لَم يقَفوا على ذالک فذالک عِلةّ الحجّ انتهى. و امّا علة الطواف: فقد روى عن الّرضا عليه السلام انّه قال علّة الطواف بالبيت انّ الله تبارک و تعالى **﴿قالَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فى الْأرضِ خَليفَةً قالُوا اَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ﴾**[1]. فَرَدُّوا على الله تبارک و تِعالى هذا الِجواب فَعلِمُوا انّهم اَذنَبُوا فنَدِمُوا فلاذُوا بالعرش و استَغفروا فأحَبّ الله ان يَتعَبّد بمثل ذالک العباد فوضع فى السّماء الرّابعة بيتاً بحذاء العرش فَسُمّى الصّراخ ثم وَضَع فى السماء الدنّيا بيتاً تُسمّى المَعمُو بحذاء الصُراخ ثم وضع البيت بحذاء البيت المَعمُور، ثمّ امر آدم فطاف به فتاب الله عليه و جرى ذالک فى وُلده الى يوم القيمة.

علّة صيروة المَوقف بالمشَعر دون الحرام: روى عن الصادق عليه السلام انهّ قال لانّ الكعبِة بيت الله الحرام و حجابه و المَشعَر بابه فلمّا ان قَصَده الزائرون وقَفَهم بالباب حتى اذن لهم بالدّخول ثم وقَفَهم بالحجّاب الثّانى و هو مُزدَلفة فلمّا نظر الى طولِ تَفَرّقِهُم امرَهَم بتقريب قُربأنهم و قَضَوا تفَثهم و تَطَّهروا

١. البقرة / ٣٠.

من الذّنوب) التّی کانت لهم حجابا دونه امرَهم بالزّیادة علی طهارةٍ قال فقلت لِمَ کَرِه الصیّام فی ایّام التّشریق فقال لانّ القوم زُوّار الله و هم فی ضیافته و لا ینبغی لِلضّیف ان یَصُوم عند من زاره و اضافه. قلت فالّرجل یتَعَّلق باستار الکعبة ما یعنی بذالک قال مثِل الّرجل یکون بینه و بین الّرجل جنایة فیتّعلق بثوبه یستجذی له رجاء ان یَهَب له جُرمه انتهی.

و روی انّ ابی العوجاء اتی الصادق علیه السلام فجلس الیه فی جماعة مَن نُظَرائه ثم قال له یا ابا عبد الله انّ الجالس امانة و لابدّ لکلّ من کان به سئوال ان یَسَئل افتَاذَن لی فی الکلام، فقال الصادق علیه السلام تکلّم بما شِئَت فقال ابن ابی العوجاء الی کم تُدّسُونِ هذا البیت و تَلُوذُون بهذا الحَجِرِ و تعَبُدون هذا البیت المَرفُوع بالطّوب و المَدَر و تِهُرولُون حَوله هَرَولة البیعیر اذا نفر من فکر فی هذا او قَدر علم ان هذا اسَّسَه غَیر حکیمٍ و لا ذی نظرٍ فَقُل فانّک رأسِ هذا الأمر و سنامه و اَبُوک اُسّه و نظامه فقال صلی الله علیه و آله انّ من اضَلَّه الله و اعَمٰی قلبه اسَتوخَم الّحق فلم یستَعذ به و صار الشّیطان ولیّه یُورده مناهل الهَلَکةِ ثمِ لا یصدره و هذا بیت استَعَبِد الله به خلقه لیخَتبِر طاعتهم فی اتیانه فَحَثّهم علی تعظیمه و زیارته و قد جَعلَه محّل الأنبیاء و قبلةً للمُصلّین له فهو شعبةٌ من رِضوانه و طریقٌ تودّی الی غفرانه منَصُوب علی استِواء الکمال و یجتمع العظمة و الجلال خلقه الله قبل دَحوالأرض بالَفیِ عامٍ و اَحَّق مَن اطْیِع فیما اَمَر و انتهی عمّا نهی عنه و رجز الله المُنشی لِلأرواح و الصورّ.

التنّبیه الرابع: فی فضل مکة و اسمائها:

قال رسول الله صلی الله علیه و آله انّ الله اختار من البلدان اربعة فقال عزّ من قائل و التّین و الزّیتوُن، و طُور سینین و هذا البَلَدُالأمین، و الّتین المَدینة و الزَّیتُون البیت المقدس، و طور سینین الکُوفة و هذا البلد الامین مَکّةِ. علّیّ عن اخیه علیه السلام، قال سئلته عن مَکّة لِمَ سُمیّت مکّة قال لأِنّ النّاس یَبُکّ بعضهم بَعضاً بالأیدی فی المسجد حول الکعبة. و قال الصّادق علیه السلام: اسماء مَکّة خمسة: امّ القری و مَکّة و

بَكَّة و البساسة و اُمّ رحم. و عن الرّضاعليه السلام: لِمَ سُميّت مِكَّة مَكَّة قالعليه السلام: لانّ النّاس كانوا يمكّوُن فيها و كان يقال لِمنَ قصدها قدمكا و ذالک قول الله عزّ و جل و ما كان صلوتهم عند البيت الاّ مُكاءً و تَصديةً فالُمكاء اِلتصّفير و التّصدّية صفقُ اليَدَين. و عن الصادقعليه السلام: انّما سميّت مَكَة بَكَّة لانّ النّاس يتباكون فيها و فى حديث آخر عنهعليه السلام لم سُميّت الكعبَة بكّة قالعليه السلام لِبكإ النّاس حولها و فيها. وعنهعليه السلام: انّه قال موضع البَيت بَكَّة و القرَية مَكَّةِ و عن الباقرعليه السلام انّ بَكّة موضع البيت و انّ مَكَة الحَرام. و عنهعليه السلام: انّ بَكّةَ موضع البيت و انّ مَكّةَ جميع ما اكْتَنفه الحَرَم و عن الصّادقعليه السلام مَكَّة جُملة القرية، بُكَّة موضع الحَجر. سَئل الشّامى امير المومنينعليه السلام لِمَ سُميَت مكّة اُمّالقرى؟ قالعليه السلام لِأنَ الأرض دُحيت من تحتها.

المقام بمَكَّة مكروهٌ: روى عن الصادقعليه السلام انّه كَرِه المقام بَمكَّة و ذالک لانّ رسول اللهصلى الله عليه وآله اُخرِجَ عَنها و المقيم بها يَقسُوا قلبه حتى ياتى فيها ما ياتى فى غيرها و عنهعليه السلام اذا قضى اَحدَكم نُسُكَه فلَيركب راحلْته و ليَلَحق بأهله فانّ المقامِ بمكّة يُقسى القلَب انتهى. و عن الباقرعليه السلام قال لا ينبغى لِلّرجل ان يقيم بَمَكّة سَنَة قلت فيكف يَصنَع قال يتّحوَلَ عنها الى غيرها، و لا ينبغى لأحدٍ ان يرفَع بنائه فوق الكعبة انتهى. و عن ابى الحسنعليه السلام انّ عليّاعليه السلام لم يَبُت بمكة بعد اذ هاجر منها حتى قَبَضه الله عزَّ وَ جلَ قلت: و لِمَ ذالک قال يكره ان يبيَت بأرضٍ هاجَر منها رسول اللهصلى الله عليه وآله و كان يصّلى العصر و يخرج منها و يَبيت بغيرها انتهى.

فضل مَكَة: قال الصادقعليه السلام: تسبيحٌ بمَكَّة يَعدل خراج العراقين ينفق فى سبيل الله[1]. و عن ابى جعفرعليه السلام قال السّاجد بمكة كالُمتّشخِط بدَمه فى سبيل الله انتهى. و عن ابى عبد اللهعليه السلام قال كان علّى ابن الحسين يقول النائم بمكة كاالمُتشّخط فى سائر البلدان. و عن ابى جعفرعليه السلام من خَتَم القرآن بمكّة لم

١. العراقين البصره والكوفة و حولهما.

يَمُت حتّى يرَى رسول الله ﷺ و يرى منزله فى الجنّة، و عنه عليه السلام قال من ختم القرآن بمكة من جُمعةٍ و اقلّ من ذالک و اكثر و خَتَمه فى يوم الجُمعة كتب الله له من الاَجر و الحَسَنات من اولّ جمعةٍ كانت فى الدّنيا الى آخر جمعةٍ تكون فيها و ان ختمه فى سائر الأيّام فكذالک انتهى. اَتى رجلٌ ابا عبد الله فقال إنّى قد ضربُت على كلّ شئٍ لى ذهباً و فضّةً و بعتُ ضياعى فقلت انزِل مكّة فقال عليه السلام لا تَفعل فانّ اهل مكّة يكفرون با الله جهرةً قال ففى حَرمَ رسول الله ﷺ قال عليه السلام هم شَرٌّ منهم قال: فاين انزل قال عليه السلام عليک بالعراق الكوفة فانّ البَركَة منها على اثنى عشر ميلا، و الى جانبها قبرٌ ما اَتيه مَكرُوبٌ قطّ و لا ملهُوفٌ الاّ فَرجَ الله عنه انتهى. قلت و القبر هو قبر امير المومنين عليه السلام فى النجف (مُؤلف).

اذا عرفت ذالک كلّه و علمتَ وجوب الحّج و فضله و شرف مَكّة و ماجَعَل الله من الثّواب على الحّاج و المُعتمر فلابدّ لک من التوّجه الى شرائط قبول الحجّ و العلم بانهّ ايّ حجّ له هذه الفضيلةِ إذ من المعلوم ان هذّه الدّرجات ليست لمطلق الحّاج كما هو ظاهر على من تدَبَّر فى الرّوايات الواردة فى هذا المقام و هذه الشروط تنقسم الى شروط شرعيّة و شروط حقيقية باطنيّة، و ان شئت قلت الشّروط على قسمين ظاهرية، باطنيّة، امّا الشروطا الظّاهرية من البلوغ و الحرّية و الأستطاعة و العقل و امثالها ممّا هو مذكور فى كتب الفقه و الرسائل العمليّة و المناسک المُدَوّنة فلا بحث لنا فيها لأنّها معلومة لدَى العوامّ و الخواصّ و البحث فيها راجع الى الفقه و فائدتها اسقاط التكليف فقَط و امّا ترتيب آثار الحجّ الواقعى عليها فلا. و امّا الشروط الواقعية التّى ان واظب عليها المكلّف يصَير حَجُّه قرَضّيّاً عند الله و رسوله و يترّتب عليها الآثار التّى اشير اليها فى الآيات و الرّوايات و يُتفَرَّع عليها المثوبات الأخرويّة فامُورٌ:

الاول: ان نكون النَفقة المَصروُفة فيه حلالاً طيباً و تَدلُّ عليه من الروايات الواردة عدّة روايات:

منها ما روى فى البحار بسنده عن ابى جعفر عليه السلام قال مَن اصابَ مالاً من

اَربع لَم يُقبَل منه فی اربَع: من اصابَ مالاً من غَلُولٍ او خيانةٍ او سِرقةٍ لَم يُقبَل منه فی زكوةٍ و لا فی صدقةٍ و لا فی حَجٍّ و لا فی عُمرَةٍ. و عنه ايضا لا يَقبَل الله عزَّ و جل حَجّاً و لا عمرةً من مالٍ حرام انتهی.

و عن ابيعبد الله عليه السلام قال: اربع لا تَجُزْن فی اربعة: الخيانة و الغلول و السّرقة و الرِّياء لا تَجُوز فی حَجّ و لا فی عُمرةٍ ولا جهاد و لاصَدَقة و عنه ايضاً عن ابيه عن رسول الله صلی الله عليه و آله انّ النّبی حمل جهازه علی راحلته قال هذه حجّة لا رياء فيه و لا سُمعَة ثمّ قال من تجَهّز و فی جهازه عَلَمٌ حرام لَم يقبل الله منه الحَجّ انتهی. اقول: مضافاالی قوله تعالی ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] و معلوم انّ من كانَ مالُه حَراماً فلَيس متَصِفاًبالتَّقوی والكرامة والسِّر فيه انَّ اللّه تبارک و تعالی خلَق الخَلق و ارسَل الرُّسُل و اَنزَل الكُتب السَّماوية لأجل اصلاح الخلق و عدم تجاوزهم بحقوق الاخر و بعبارة اخری بُعثوا الأنفاخ الصّفات الحَميدة و الملكات الفاضلة فی ارواح البَشر حتی يتَم بذالک اخلاقهم كما قال صلی الله عليه و آله: بُعثت لأُتَمِّم مكارم الأَخلاق، و هو لا يتحقق الاّ بان يعْطی كلّ ذی حقٍّ حقَّه و عدم تجاوزه و تَخَيطَسة عن صراط المُستقيم و اتصّاف كلّ فردٍ بما يليق به من الصفّات الحَسَنة والعِلّة الغائية لجَعل الحجّ و سائر العبادات ليست الاّ وصول المكلّفين الی حدّ الكمال و كلّ ذالک ينافی الحَجّ الَماَتی به من مال حرامٍ فيلزم عليه اوّلاً تَصفية ماله و نَفَقته باعطاء الحُقوق الواجبة ثم ان بقی له مال يكون به مُستطيعاً فنِعَم المطلوب و الاّ فلا يجَب علَيه الحجّ و لا يَستَجب.

الثانی: اَلنّية الصادقة الخالية عن الرِّياء و السُّمَعة بمعنی خلوّ قَلبه عن تجارةٍ تَشغَله سوی الله تعالی فانّ السَفَرسَفرٌ اليه تعالی فلابدّ من المُسافرَ الأعراض عمّا سَواء و الأقبال اليه تعالی بشراشِر وجوده و عدم اشتراک غير المَعبُود معه فقدروی عنهم عليهم السلام اذا كان آخر الزمان خرَج الناس الی الحَجّ علی اربِعة اصناف: سلاطينهم لِلنزهَّة، و اغنيائهم لِلتّجارة، و فقرائهم لِلمَسئلة، و

---

۱. المائدة/ ۲۶.

قرآئهم لِلسُمعة، و عَن ابی عبد الله عليه السلام قال الحَجّ حَجان: حجٌ لِلّه و حجّ للنّاس فمن حَجّ للّه كان ثوابه على الله الَجنّة و من حَجّ للناّس كان ثوابه على النّاس يوم القيمة انتهى. و عنه ايضاقال من حَجّ يُريدُ به الله و لايرُيد به رياءً و لاَسُمعة غفر الله له الَبتّه انتهى.

الثالث: اَلتّوُسع فى الزّاد و طِيب النفّس بالبَذل و الأنفاق بالعَدل دوُن البُخل و التّبذيرفِانّ بذَل الزادفى طريق مكة انفاق فى سبيل الله قال عليه السلام الحَجّ المبرُور ليس له اَجرٌ الاّ الجنّة. فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما برّ الحجّ؟ قال صلى الله عليه وآله: طيب الكلام و اطعامُ الطَّعام.

الرابع: تَرک الرَّفَث و الفُسوق و الجدال كما قال تعالى: ﴿**فَلارَفَثَ وَ لافُسُوقَ وَ لاجِدالَ فِى الْحَجِّ...**﴾[1] و الرَفَث كلّ لَغوٍ و فحُشٍ من الكلام، و الفسُوَق الخروج عن طاعة الله و الجدال هو المُماراة و الخُصُومة الموجبة للضِغائِن والأ حقاد و افتراقِ كلمة الخلق و كلّ ذالک ضِدّ غَرضَ الشّارع من الحَجّ.

الخامس: ان يَحجّ ماشياً مع القُدرة عليه و نشاط النفّس فانّه افضَل و اَدخَل لِلنفّس فى الأذعان لِمعبوُديه الله تعالى.

السادس: ان يكون غير مُستكثرٍ من الزّيَنة و اسباب التّفاخر فيخرج به عن حزب السالّكين و شعار الصّالحين. روى عن النبى صلى الله عليه وآله انّه قال: انمّا الحاّج الشّعث التّفث يقول الله تعالى لملائكته انظُرو الى زُوّار بيَتى، قد جاؤوَنى شَعشَاً غبراً من كلّ فَجٍّ و قال تعالى: ليَقضُوا تَفَثَهُم و فى المقام وجوه اخر تَركَناها مخافة التطويل.

التنّبيه الخامس: فى افعالِهِ والأ سرار المُودّعة فيها بنظر عرفانى: اعلم ايدَّکَ الله تعالى بروَحٍ منه انّ اوّل كلّ عَمَلٍ من الأعمال حَجّا كان او غيره من الأفعال التَصورّ و التصّديق بحُسن فِعلٍ او قُبحه ثم بعد اَلتصُّورّ الشَّوق و الميل اليه ثّم بعد الشَّوق الَعزم على الفعل ثم بعد العزم حَركَة العَضُلات نحوه و هذا معنى

---

١. البقرة / ١٩٢.

قولهم انّ كلّ حركةٍ ارادّية لابدّ لها من مباد خمسة: تَصَّور الشَّيئى التصَّديق بغايته ثانياً. و الشَّوق اليه ثالثاً و العَزم عليه رابعاً و تحريک العضلات خامساً، قال السبزوارى قد فى المنظومة:

تَحَرُّكُ مِنّا له مبادى خمسة اذلابدّ لِلمراد
تَصَوّرُ بغاية التَصّديق فمن نزوعيّه التشَويق
ثّم عقيب الشّوق عَزمُ صُمِّما تَحريک مافى العضلات اختَتَما

ولاشک انّ الَحجَ ايضاً فِعلٌ مِن الأفعال لابدّ للمكلفّ من الحركة الأّرادية نحوه و الأتيان بافعاله ليَتبَّرء ذمّته و تَّقَرب به الى الله تعالى فلابدّ له من المبادى الخمسة المذكورة:

فاوّلُ: المبادى تصوّره له و هذا امرسهلٌ يمكن تحَقَّقه لكل فردٍ اذليس تصوّر الحجّ و افعاله مشكلٌ كما هو واضح،

الثانى: التصدّيق بغايته اعنى ثمراته و نتائجه فى الدّنيا و الاخرة و انّه لاىُّ شيئٍ جُعِل فى شرعنا و هذا التّصديق لا يمكن الاّ بعد المعرفتهٍ الكاملٍ بفلَسَفة جَعله و تَشريعه و هى لايمكن الاّ بعد معرفتهٍ جاعله معرفةً كاملة فالتّصديق بالغاية لايعقل الاّ بعد الفهم اذا التّصديق عبارة عن الأذعان بالنسبّة و هو لا يكون الاّ بعد تَصَوّر المحكوم عليه و به و لذالک قلنا التصّديق ليس الاّ الفهم و العلم و الأذعان.

الثالث: الشّوقٍ اليه المُنبعث من التصدّيق الموقوف على التصّور و هذا الشَّوق لمّاكان مَنبعثاً من التصَديقَ فَيدُور مَدارهُ وجُوداً و عَدماً و شِدّةً، و ضَعفاً.

الرابع: الأّرادة و العَزم على الفعل المَوقُوف على الشّوق، و هى ايضا لِتوقفّها عليه يُدور مداره.

الخامس: تحريک العضلات المتّوقف على العَزم. اذاعرفت هذا فنقول: امّا التَصّور ليس فيه اشكال و لا اثر له و امّا الشَّوق و الأرادة و تحريک العُضلات فهذه الثلاثة ايضا لا اَثَر لها مع قطع النَظرعن التصّديق لتَفرعّها فالمُّهم فى

المقام انّما هو التّصديق بغايته و هو الذّى لا يحصل لكلّ فردٍ من افراد النّاس بل يَحصيلَ لبعضٍ دون بعضٍ و يتفاوت شِدّةً و ضَعفاً. و انّما لا يحصل هذا التصّديق لكل احدٍ لأنّ التصّديقه بغايته موقوف على العلم بصحّةِ قولِ المُخبربه اعنى الرّسول و العلم به يتّوقف على التصّديق بكونه رسولاً من عند الله صادقاً مصدِّقاً لا ينطق عن الهوى بل هو وَحيٌ يُوحى اليه و التصّديق برسالته يَتُوقف على معرفته الله و توحيدْه فينتج انّ العلم بأسرار الحجّ اوائُ واجبٍ من الواجبات بل المُستّحبات كما هو حقه يَتَّوقف على معرفة الكامل و اَلتّوحيد الخالص و لذالک ترى انّ كل من كان معرفته اكَمَل و توحيده اَخَلص كان علمه باسرار التكاليف الشرّعيةَ اتَّم و الالتزام بها منه اَحَسن الا ترى انّ الأنبياء و الأوصياء معرفتهم باسرار الأحكام - لاتقاس بغيرهم و التزامهم بالعمل بها كذالک فانّ اَلعَمل و الألتزام به فرع المعرفة و هى فرع معرفة اللهو هذا الباب من ابواب ا لتّوحيد و ما ذهَبنا اليه من انّ معرفة الأحكام و التّكاليف الالهيّة فرع على معرفته تعالى لاريب فيه عندنا و عند منَ سَلک فى هذا اَلمسلَک كيف و هو تعالى لا يُعَرف بغيره بل غيره يُعَرف به ويُوّيده ما وَرد عن المعصومين: **اللّهم عَرفّنى نَفسک فانّک انلم تُعرّفنى نَفَسکَ لَم اَعرف نَبيّک اللّهم عَرّفنى نَبِيّک فانک ان لم تعرفنى نبيک لم اَعرف حُجّتک، اللهّم عَرِّفنى حُجَّتَک فانّک إن لم تُعِرّفنى حجّتک ضَللُت عن دِينى**، و هذا صريح فى انّ معرفة الامام تَتَّوقَف على معرفته الله، فكلّ شيءٍ يَعرَف به، و هو لا يُعرَف بغيرْ و هو المطلوب و هذا هو السِّر فى عدم معرفة البَشر باسرار الخِلقة و الموجودات على ما هى عليها فضلاً عن معرفة اسرار التكاليف الشّرعية و النّواميس الالهّية الّتى ليست الأعلمه الشامل بالمصالح الّتى لا يعلَمها الاّ هو و لغُمَوضته هذه المَعرفة الحقيقية تَرى الناس فى مسالكهم اليها مُختلفه و عقائدئهم و آرائهم متفاوقة فترى بعضهم يَسَلک مَسَلک الأستدلال و آخر يذهب على طريق الكَشف و الشُهَود و فرقة اخرى من طريق الرِّياضة و تزكية

الباطن و هكذا كلّ يَجَرُ النّار الى قُرصته و المعشوق و المَحبوُب فى الْكّل ليس الاّ واحداً و الطّرق اليه مختلفة كما أشير اليه بقوله عليه السلام: الطّرق الى الله بعدد نفوس الخلائق، و احسَن الْطُرق الى نيل المقصود الذّى اختاره الأنبياء و الأوصياء و الأولياء هو الأخير اعنى طريق الرّياضة و الكَشف بتذكيّته الباطن عن رذائل الأخلاق و الأتصاف بالصّفات الحميدة و صَيرورة الأنسان عالماً عقليًا يضاهى عالَم الحّسى و مراةً لِجماله و كماله كما قال على صلى الله عليه وآله من رآنى فقد رَاى الحقّ و هذا لا يمكن الاّ بالعزلة عن النّاس و الأنس به تعالى و قطع العلائق عن الماديّات و الزّخارف الدنّيوية وَ تَوجُّه الكامل اليه بحيث لا يَرى احداً معَه بل لايَرى موَجُوداً حقيقياً الاّ هو ولذالک ترى الاولياء فى زمن الأنبياء السّالفة إنفردوا عن الخلق فى قُلل الجبال تُوحّشاً منهم و طَلَباً للأُنس بالخالق واعَرَضوا عن جميع ما سواه كما اشار اليه فى القرآن و مدَحْهم به حيث قال **«ذالِكَ بِاَنَّ مِنْهُمْ قِسّيسينَ وَ رُهْبانًا»**[1]. فانّ الرهبانيّة فى الأعصار الماضية و الأديان الّسالفة كانت مَمدُوحة لانّها احسن طريق من الطّرق الموصلة الى مقام قُربه تعالى فى ذالک الزمان كما انّ عيسى عليه السلام ايضا كان تاركاً للدّنيا بالمَرَّة و لم يكن له تعلّق بها و كان بمِعَزلٍ عن الخلق و كذا موسى عليه السلام و سائر الأنبياء و هذا ظاهر، الا انّ الكمال الحقيقى لِلأنسان لا يحصل الأبعدالَجمع بين المرتَبَتين مرتبة الواقع وَمرَتبة الظاهر و بعبارةٍ اخرى مقام تكميل الروّح و مقام تكميل البَدن و توضيح ذالک انّ الانسان معَجُونٌ مركّبٌ من الرُّوح المُجرّد الملَكوتى والجَسدالمادّى المُلكى وكلّ واحدٍ منهما يقتضى شيئا غير ما يقتضيه الاخر فاَن قانون السنخيّه يحكم بانّ الروّح يستدعى ما هو من سنخه من الكمالات والّصفات الحَسُنة والادراكات العقّيلية مَن معاشرة الابرار و غيرها و البدن يستدعى ايضاً ما هو من سنخه كالأكل والشُّرب من الماكولات والَمشُروبات المادّية فكمال الانسان انّما هو بتكميل كلا الجزئين

1. المائدة / ٨٢.

وتقويتهما معاً اذ من المعلوم انّ تَقَوية احدهما يستلزم تضعيف الاخر لو لم يلتفت اليه، وهذا المقام لايحصل الاّ بُعسرٍ وَمشقّةٍ ورياضةٍ رُوحيّةٍ وَبدنيّةٍ و هو كمال لِلبشَرليس فوقه كمال ولمّا كانت اُلامم السّالفة لضعفهم و عدم قدرتهم على استيفاء هذا المقام و لم يمكن لهم الوصول اليه امِروا بالرُّهبانيّة وتَرك معاشرة النّاس والأنعزال عنهم حتّى استكملوا بها رُوحًا فقط فانّ المَيسُور لا يُترك بالمَعسُور و مالا يدرك كلّه لايترك كلّه فاستَوطَنوا قلل الجبال واشتَغلوا بالرّياضات الشّاقة و تركوا الماكولات والمَلبُوسات المتعارفة باكلهم النبّاتات وامثال ذالک ممّا هو دأبهم و ديدَنهم فى ذالک الزمانَ تَبعا لانبيائهم و اوصيائهم سلام الله عليهم اجمعين. فلمّا وَصَلت النّوبة فى الِرسالة و النبوّة الى سيّدنا و نبينّا مُحمّدﷺ الذّى هو خاتم النّبيين و لا نَبى بعده الى يوم الدّين غيَّر الحكم، بحسب اقتضاء الزّمان و نُسخِت الّشرايع بشراشِرها بشريعته و طريقته وجاءِ بقانونٍ آخر مُنطبقاً على الزّمان و مُوافقاً لعقول النّوابغ الكاملة بالنّسبة الى الأزمنة الماضية بقانون التكّامل و نُعبّر عنه بالأسلام الذّى لامحَيص عنه لأحدٍالى يوم القيمة وان بَلغ فى العلم والعمل ما بلغ و ذالک لانّه لايعقل دينٌ اكمَلَ منه و شريعة اَجمع من شريعة الأسلام فكما انّ الأحكام الشّرعية صارت به منسو خة فكذالک افعال الطّريقه صارت به مطرودة فالرُهّبانية بالمعنى الذّى ذكرناه ليست فى هذا الدّين بل بطريقٍ آخر ثَبتت اذ الأسلام جامع بين الدّنيا و الآخرة. متُضّمِن لتكَميل الرُّوح و البدن معاً فمن اراد الوصول الى الكمال لايجوز له التوّطن فى قلل الجبال و ترک المعاشرة و كونه حَصُورا بلا زوجة و لا وَلَد و لا سائر اَلتعلّقات بل الوصول اليه ينحصر باتباَع النبىّﷺ فى العَمل بسنّته و طريقته كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّه**﴾[1]. كيف و رسولناﷺ كان معاشراً. مخالطاً مَع النّاس و له زَوجات متعدّدة و مُجَمل القول انّهﷺ كان فيهم كأحدٍ منهم فاذا كان

١. آل عمران / ٣١.

الُمرشد كذالک فعَلَى الأُمة متابعته و هوﷺ مع ذالک كان فى مقام العَبُودَيّة بمَرَتبةٍ لَم تَحصُل لاحدٍ مِن قبله و لن تحصل لأحدٍ من بعده و الحقّ انّهﷺ لقدأنسى بِعلمه و عبادته مَن قَبله من الأنبياء، و لمّا كان الامر كذالک فالرّهبانية التّى اساس التوحيدُ بنى عليها تُصَورت بِصُورةٍ اخرى و تَشَكلّت بشكلٍ آخر غير ما كانت عليه اقتضاءً للزّمان و تسهيَلاً لأمتِهﷺ و تكميلاً لكلا المقامين الصُوّرى و الَمعنّوى و الظاهرَى و الباطنى و الُرّوحى الُمجرّدى و البَدنى المادّى حتّى يَتَحصل له مقام الجَمع كما انّ لرسولنا مقام َجمع الَجمع فأوجَبَ الله تعالى بَدَل الرهبّانية فى الأمم السالفة الحَجّ و قال تعالى: ﴿**وَلِلّٰهِ عَلَى النّٰاسِ حِجُّ الَبيتِ**﴾[1] فالَحجّ رهبّانية الأسلام اذ هو جامعٌ لانّه جامع لِأقصى مراتبها و اَعلى مصاديقها و لذالک وَردفى الآثار انّ الحجّ رُهبانيةٌ الاسلام حين سَئَلهﷺ اهل الملل عنها و عن السِيّاحة فى دينه قالﷺ اَبدِلنا بهما الجهاد و التّكبير على كلّ شرف يعنى الحَجّ. اذا عرفت هذا وانتقَشت ما ذكرناه على صَفحَة خاطرک و لَوح ذِهنک و تعمّقَت و تدَبّرت فيها فنذكر لک من اسرارها بقدر الأستطاقة و وُسع المقام و عليه توكلّتُ و به الأعتصام. فنقول: شرائط الحَجّ الواجب خمسة: التكليف والحُرية و الأستطاعة و امكان المَسير اليه و العقل هذا اذا كان التكليف بمعنى البلوغ فقط و ان كان بمعنى البلوغ و العَقل كما هو الحقّ فالأمر اوضَح و قال بعضهم فى الشُروط الخَمَسة: البَلُوغ، العقل، الحُريّةالأستطاعة و امكان المسير اليه.

١. فالبلوغ: اشارة الى انّ شرط السالك الى الله فى الدَرّجة الأولى انّما هو البلوغ و هو عبارة عن مضّى خَمسَة عشر سنة من سِنّه او انبات الشعّر او الاَحتلام فيه، و السّرفيه انّ الأنسان ما لم يبلغ فليَسَ بملكّفٍ ولا تَتَمّشى منه القربة التّى هى مناط العبادة الخالصة للّه تعالى.

٢. العقل: اشارة الى انّ العَمَل بدون العقل ليس بصحيح والسّر فيه هوَ عدم

---

١. آل عمران / ٩٧.

التَوجّه اذِ لَم يكُن لهعقل و الغَرض الأصلى و الغاية القُصوىٰ فى العبادات انّما هو التَوَّجه الى المَعبُود و رَفَض ما سِواه بالكليّة و هذا مِن بَرَكات العقل و لأجل هذا روى فى الآثار آنّ مدار الثّواب و العقاب فى يوم الحساب على العقل لا على صُورة الأعمالّ.

٣. الحُرّية: اشارة الى انّ الأنسان اذا كان عبداً لغيره فلا بدّله من الأستيذان منه و سرّه ان العد الة المُطلَقة الالّهية لاتقتَضى عدم الأذن من المَولى لئلاّ يلزم الحرَج و المرَج و اختّل النظّام مع انّ الغرض من جعَل الشّرايع و الأحكام هو حفظ النظّم لا اختلاله ...

٤. الاستطاعة: و فيها اشارة الى انّ الانسان لو لم يكن مُستطيْعا فهوّ فاقدٌ للِزاد و الرآحلة و مع ذالك لُواَمر بالحَجّ يلزَم عليه العُسر و الحَرَج المنَفيَّين فى الشَرع المُقدس المنافيَين لعدالته و رحمته.

٥. امكان المَسير فيه إيماءٌ الى انّ الله تعالى لا يُكلفّ الله نفسَاالا وُسَعها كما هو ظاهر. فالّراهب و السّالك الى الله ايضا لابُدّ لهما من اشتراطه لعدم تَحقّق السُلوك من الصَبيّ. امّا العقل: فظاهر لانّ المجنون كيف يكون سالكاً والحُريّة لانّ العبد لااختيار له و انّما هُو و ما فى يده كان لمولاه فُسلوكه بدون اذنه غير معقول. امّا الاستطاعة: فلانّ الانسان فى فقره و استيصاله لا يمكن له التَوجُّه الى المَعبُودان فانّ من لا يقدر على الدُخول فى زُمرة السّلاك و ترك ما سوى الله و التَوَجه اليه و الغضّ عن المخلوقات و الَتعلّقات من الأولاد و الأقارب والأحّباء واللَذّات الجِسمّية فكيف يكون سالكاًفا لسّالك الحقيقى لا محيصَ عنه من كونه واجّدالها...

٢. قاصد الحج: لابد له من تصفية ماله و اداء خقوقه الواجبء والاستحلال عَمّن ظَلَمه و امثال ذالک و فيه اشارة الى انّ من اراد السّفر الى اللّه فلا ينبغى ان يكون مرهُوناً بغيره فان ذالک ينافى الخلوص بل يجب عليه تطهير قلبه و ماله عن الارجاس المانعة عن الوصول الى الغاية و هذا بعينه وظيفة السالک و

شأنه. فمن قصد الحجّ واقعاً حَجّا حقيقياً بعد تحقّق الشرائط الخمسة فيه اذا طهّرَ ظاهره و باطنه عن الكثافات فهو مّمن

قَطع منزلاًمن منازل سُلوكه و وضَعَ قدمه فى الطريق مْتوّجهاً الى اللّه معُرضاً عمّا سواه مُريداً ايّاه حتّى و صل الى الميقات و فيه يومَر بالغسل اوّلاً و لبس الاحرام ثانيا قُربةً الى اللّه

و فى هذا الحكم ايماء الى تطهير البدن عن النجاسات الظّاهرية، و الكثافات العَرَضية لانّه قاصد للوفُود عليه تعالى و فيه اصلان: الغسل و لبس الاحرام. امّا الغسل فاشارة الى ان الورُود على الحقّ المتعال المُنَزه عن الارجاس و التعلّقات لايمكن الّا بعد صيرورته كذالک. و اما الاحرام فاشارة الى انّه تعالى مُجَرّد عن المدّة و المادّيات و الجسم والجسمانيات فكلّ وارد عليه لابدّ له ان يكون عارياً عن القيود منزّهاً عن التّعلّقات الدُنيويّة فأمرَهم بنَزع لباس التّفاخُر و لَبس لِباس التّواضع و لذالک لايجوز الأحرام بالحرير والابريشم لانّهما يوجبان الفَخر والزِّيّنة و اَحسن اَلبَسة الاحرام الكتان الخالص الّذى هو اشبَه بلباس الفقراء و ابعد من لباس الأغنياء و كونه ابيْضاً فاقداً لِلألوانِ المختلفة لانّ الغاية فى هذ السفر الخروج من قيد اللّون و الدّخول فى عَدم اللّون و معلوم انّ البياض كذالك و لِاجل هذه الدّقيقة يكون لباس الاخرة اعنى الكَفَن ايضا ابيضاً، ثمّ بعد الغُسل و لبس الاحرام اللذّيَنهما بمنزلة الخَلع و اللّبس يقول لَبّيكَ اللّهم لَبّيك الخ: و هِو اشارة الى انّ العبد لا مقصد له فى هذا السفَر غير الله تعالى فكانّه يقوله لَبّيك يشير و يفهم بانّى تركَت مالى و اولادى ووَطَنى واحبّائى واعَرَضت عنهم شوقاً اليك فأغثِنى ياغياث المستغيثين. ثمّ انّه فى المَسير نحوالبَيت لا يجوز له الحَرَكة تحتَ السّقف بل لابدّ من ان يكون رأسَه مكشُوفاً تحت السمّاء حتّى يَذُوق ذُلّ العُبَودية و عظمة الالهيّة و يحرم عليه ما يَحرُم حتى خرَج عن لباس الأحرام ففى هذه المدّة لابدّ له من مراعات سُنَن الاحرام و الاّ تجب عليه الكفّارات و لا فرق فيه بين السّلطان، و الرّعية و

العَرب و العَجم و الأسَود و الأبَيض و العالم و الجاهل. و هكذا الأمر فی سائر الأفعال و الاعمال من الطواف و السَّعی و الوُقوف بَعرفات و المَشعرو الحق و التَّقصير و غيرها.

ففی كلّ لفظٍ منه روضُ منِ المُنی و فی كلّ سطَرٍ فيه عقدُ مِن الدّر

فيجب علی العاقل اللَبيب ان ينظر الی الحجّ و سائر الأحكام بعين القلب و رؤية العقل حتی ينكشف له انّ الحجّ ليس إلاّ الرهبانية بمعنا هـا الواقـعی و تفصيل الكلام فيه يُخرَجنا عن المقصود فختم الكلام فيه اَولیٰ و الحَمدُ لله رب العالمين.

■

و من الخطبة له عليه السلام (٢)

و من خطبةٍ له عَلَيه السلام بعد انصرافه من صِفّين

▫ قوله عليه السلام: أَحْمَدُهُ اسْتِتْمامَا لِّنِعْمَتِهِ، وَ اسْتِسلاٰمًا لِّعِزَّتِهِ، وَ اسْتِعْصاٰمًا مِّن مَّعْصِيَتِهِ، وَ أَسْتَعِينُهُ فاٰقَةً إِلىٰ كِفايَتِهِ، إِنَّهُ لايَضِلُّ مَنْ هَداٰهُ، وَ لاٰ يَئِلُ مَنْ عاٰداٰهُ وَ لاٰ يَفْتَقِرُ مَن كَفاٰهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ ماٰوزِنَ، وَ أَفْضَلُ ماٰخُزِنَ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاٰ شَرِيكَ لَهُ، شَهاٰدَةً مُّمتَحَناً إِخْلاٰصُهاٰ، مُمتَقَداً مُّصاصُهاٰ فَتَمَسكَ بِها أَبَدًا ما أَبْقاٰنا، وَنَدَّخِرُها لِأَهاٰويلِ مٰا يَلْقاٰنا، فَأَنَّها عَزيمَةُ الإِيماٰنِ، وَ فاٰتِحَةُ الإِحْساٰنِ، وَ مَدْحَرَةُ الشَّيْطاٰنِ

◁ **اللّغة**

(**صفيّن**): بكسر الصّاد و الفاء اسم موضعٍ فى اَرض الشّام، قرب الرِقّة بشاطئ الفرات فيه و قَعَت الوَقعة العُظمٰى بين علّي و معاوية، و قيل صفيّن بفتح الصّاد و الفاء، تثنيه الصَفّ و عليه فالمراد به صفّ الحَق و الباطل و الاَوّل اَظهَر. (**والأستتمام**): مصدر باب الاستفعال و التّاء للطلب او القبول. (**والأستسلام**) ايضا مصدر من ذالك الباب و التّاء للقبول و معناه الأنقياد. (**استعصاما**): ايضاء مصدر كاخَوَيه والتّاء للطلَب اى طلب العِقمه يئلُ فعل مضارع و الماضى منه وَاَل وِ، المصدر وَالاً اذا لَجاء فَنَجٰى. (**مُصاصها**)، مُصاص،كُلّ شيئٍ خالصه. (**اهاويل**)، جمع هَول و هو الخَوف، والمِاة وٰالمراد الأمورالمخوفة. (**عَزيمةً الأيمان**)، عقد القلب عليها و المراد الأساس و

الاصل، مدحَرة، محل الدحْر و الدحرّ الطّرد اى محّل طَرد الّشيطان.

◁ المعنى

انّ هذه الخطبة قالهاعليه السلام بعد انصرافه من صفيّن و سيأتى شرحها فى محلّه انشاء الله تعالى، **فقال**عليه السلام: اَحَمُد الله تبارك و تعالى على تمامّية نعمته علَينا و انَا مُطيع و مُنقاد لعزته جلّ جلاله وارجُو منه المِصمَة عن العصيان و اطلب منه الأعانة لِأ حتياجى الى كفايته فانّه لايضّل عن صراط الحّق من هَداه اليه و لايُنجى عَدُوّه من الهَلَكات و حملات الّشياطين و لايحتاج عبدٌ الى غيره اذا كفاه فانّ كفايته العبد و توكّل العبد عليه فى الشدّة والرّخاه ارجَحَ ماوزُن بميزان العَدل و اَفضَل ذُخرٍ ليوم المعاد واشَهَد بوحدّانيّة الحّق شهادةً ابداً ما ابقانا الله تعالى و ندّخرها للأمور المخوفة الآتيه التى لابدّ لنا من الملاقات لها فانّ التوحيد حقيقة الايمان و اساسه و فاتحة الاحسان و مَحَلّ الطَّرد للشّيطان.

◁ الشرّح

▫ **قوله**عليه السلام: **أَحْمَدُهُ اسْتِتماماً لِنعِمَتِهِ**: قد مرّ منافى صدر الكتاب شرحاً وافيا فى معنى الحَمد و الشُّكر والمَدح والفرق بينها فلانعيده و امّا قوله استتماماً لنعمته فهو اشارة الى انّه تعالى قداً تَمَّ نعمَته على العباد من كلّ جهة ظاهّرية و باطنيّة و قد مضى شرحها ايضاً فراجع.

▫ **قوله**عليه السلام: **وَ اسْتِسْلاماً لِعِزَّتِهِ**: اشارعليه السلام به الى انّ العبد لا بدّ له من الأطاعة للرّب والأنقياد فى اوْامره و نواهيه ولا ينبغى له التّمرُّد والطغّيان فانّه من عَمَلِ الشّيطان و لا يَليق بمقام العبُّودية فانّ العَبد مَقهْورٌ فى قبال عظَمته ذليلٌ فى جَنب عزّته لا يقدرعلى شيئٍ بل لَيسَ له وجُودٌ مُستقّلٌ حتىّ يمكن له اظهاره فالعَبد و ما فى يده كان لمولاه.

▫ **قوله**عليه السلام: **وَ اسْتِعْصاماً من مَعْصيتِهِ**: غرضهعليه السلام انّ ترك المعصية، لا يمكن الاّ بتوفيقٍ منه تعالى فانّ النفس الأمارة فى الأنسان لاتُساعد الطّاعة كما قال الله

تعالى فى كتابه: ﴿وَ ما اُبَرِّءُ نَفْسى اِنَّ النَّفْسَ الْاَمّارَةِ بِالسُّوءِ اِلّا ما رَحِمَ رَبّى﴾[1] فالبَشَر من حيث كونه حيواناً واجداً لقوى الحَيوانية كالشَهوَة والغَضَب والحِقد والحَسَد والبُخل و سائر الصفّات لا يقدر على مخالفتها الاّ ان يشاء الله تعالى فانّ القوىٰ و ان كانت تابعة للروح الاّ انّ الأنسان بحسب حبلّته الأوّلية و غرَيزته الحَيوانيّة الى المعاصى التى كلّها موافقه لمشتَهيات النفسّ أميلَ و اشوَق من تركها فانّ ترک ما تشتهيه النفّس فيه مشقّة كثيرة و لذالک عُبّرُ عنه بالجهاد الأكبر فى لسان سيّد المُرسلين حيث رجع عليه السلام مع اصحابه عن احدى الغَزوات، فقال له صلى الله عليه وآله: بعض اصحابه رجَعنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله عن الجهاد بالفتح والنّصر فقال عليه السلام فى جوابه رجَعتُم عن الجهاد الأصغر و عليكم بالجهاد الاكبر فقيل له يا رسول الله وما جهاد الاكبر قال الجهاد مع النّفس، و الانسان لا يقدر على الجهاد مع النّفس و خذلانها الاّ بتأييدٍ مِن اللّه تعالى و لذالک ورَدَت فى القرآن آيات كثيرة فى الحّث على الأعتصام به تعالى من شرّ النّفس و مكائد الّشيطان.

قال اللّه تعالى: ﴿فَاَمَّا الَّذينَ اٰمَنُوا بِاللّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فى رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ اِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقيماً﴾[2]

قال اللّه تعالى: ﴿و قالَتْ فَذالِكُنَّ الَّذى لُمْتُنَّنى فيهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُّه عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما اٰمُرُه﴾[3]

﴿وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِىَ اِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾[4]

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعاً وَ لاتَفَرَّقُوا﴾[5] و انت اذا تَأمّلت مضامين الأخبار و الآيات تجَدها مَشحُونة بالأعتصام به والتَوكّل عليه فى الأمور ﴿فَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُه﴾[6] قوله واستُعينه فاقة الى كفايته. والمقصود انّ من استعان به

---

١. يوسف / ٥٣.
٢. النساء / ١٧٥.
٣. يوسف / ٣٢.
٤. آل عمران / ١٠١.
٥. آل عمران / ١٠٣.
٦. الطّلاق / ٣.

فهو يكفيه و لابدّ لكلّ اَحَدٍ من الأستعانة به لانّ ازمّة الأمور بيده تعالى و ما سواه محتاج اليه كما قال السبزواری:

اَزمّــة الامُـور طُـرّاً بـيده و الكلّ مُستمّدةٌ مِن مَدَده

و لذالک ورد فی سورة الحمد ايّاک نعبد و ايّاک‌نستعين و معنی الاستعانة هو انّ العبد يَستّمده و يستعينه فی الحوائج كلّهاحتّی لاينقطع ربطه مع خالقه فان كلّ مخلوقٍ له ربطٌ بخّالقه لابدّ له من حفظه و هذا هوالأستعانة و اذ كان كذالک فلامحالة لا يری نفسه الاّ محتاجا اليه، و غير محتاج الی غيره فبا النّتيجة يصير آيسِاً عما سِواه و هذا مقام شامخ للمُوحِدّين قال ابو عبد اللهعليه السلام: اذا ارادَ احَدكم ان لا يسئَل ربّه شَيئاً الاّ اعَطاء فَليا يُس من النّاس كلّهم و لا يكون له رجاء الا عند الله عزَّوَجل فاذا عِلَم اللهُ ذالك من قَلِدّ لمَ يَسئل الله شيئاً اِلاّ اعطاء انتهی[1] و قال الله تبارك و تعالی: **﴿اَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾**[2].

وفی قولهعليه السلام فاقة: اشارة الی دقيقةٍ اخَرٰی وهی ان الفاقة بمعنی الأحتياج و وقعت فی الكلام تمييزاًللفاعِل المُستتر فی قوله اسَتعيُنه، فصار محصّل المعنی انّ الأستعانة به تعالی منّی لأجل الأحتياج والأفتقار لابسببٍ آخر واذا كان عليٌّ مع عُلوّ شأنه و رفَعَة جلاله ومقامه مُحتاجاً اليه فسائر الناس احَوَج كيف وقد قال سيّد الأبراءصلى الله عليه وآله الفقَر فَخَری، وقال تعالی فی كتابه: **﴿يا اَيُّـهَاالنّـاسُ اَنْـتُمُ الْفُقَرٰاءُ اِلَی اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِي﴾**[3].

▫ **قــولهعليه السلام:** انّــه لا يَــضِلّ مَـنْ هَـدٰاهُ وَ لا يَـئِلُ مَـنْ عٰـادٰهُ: وفـی هـاتين الفَقَرتين‌اشارةعليه السلام الی انّه مَن كانت العناية الّربانيّةشاملة له فهَداه فليس له بعد الهداية من اللّه تعالی ضلالة و غواية و هذا لايمكن الاّ فی حَق المُجيّن له و امّا الأعداً والمُبغضين له تعالی فلانجاة لهم ابَداً بل لابدّ لهم من الدّخُول فی النّار والمَقَرّ فی تحت الثّری و قد اَشارَ اليهمافی كتابه الكريم قال اللّه تـعالی فـی

---

۱. اصول كافی، باب الاستغناء عن الناس. ۲. الزّمر / ۳٦.

۳. فاطر / ۱۵.

الأوّلى: ﴿وَ ما كانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ اِذْهَدايهُمْ حَتّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُون﴾[1]

و ﴿وَ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَما لَه مِنْ مُضِلٍ اَلَيْسَ اللّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انْتِقام﴾[2]

و من الثانى ﴿وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَلَه سَبيلاً﴾[3]

و ﴿مَنْ يَهْدِى اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَ مَنْ يُضْلِلْ فَاوُلئِكَ هُمُ الْخاسِرُوْنَ﴾[4]

و ﴿و مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هادِىَ لَه وَ يَذَرُهُمْ فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[5]

و ﴿وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمالَه مِنْ هادٍ﴾[6]

و ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ اَوْلِياءَمِنْ دُونِه﴾[7]

و ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَه مِنْ وَلِىٍّ بَعْدِه﴾[8] والآيات كثيرة

▫ **قوله**ﷺ: **وَ لاٰ يَفْتَقِرُ مَن كَفاهُ**: والغرض انّ العبد اذا ستعان به فى اموره و كفاء الله تعالى فلايفتقر الى غيره و هو واضح لانّ افتقاره الى الغير مناف لكفايته تعالى ايّاه عمّا سواه فيلزم ان يكون كافياً له و غير كافٍ له و هو محال للزومه اجتماع اَلنّقيضين.

▫ **قوله**ﷺ: انّ الحمد على نِعمَه و الأستسلام لعِزّته و الأستعصام من معصيته و الأستعانة به كلّ ذالك من اَفضَل الاعمال اذا وزْنِ وارجَحَ الاعمال اذا خَزِنُ ليوم لاينفَعَ فيه مالٌ و لا بنَوْن الاّ من اتى الله بقلبٍ سليم و هذا ممّا لاشّك فيه فانّها اصولُ الأيمان و اساس الأعتقاد و اصل شَجَرة اَلتوحيد و بذر ثَمَرة المعرفة وَ قوله: وَ اَشهد ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له، اشار اليه بكلمة التوحيد اَلّتى مدار الاسلام والأيمان عليها و هى اوّل جملةٍ كان النبىﷺ قد اَمَر با بلاغها فى بَدو البِعثة قالﷺ قُولوا لا الاّ الله تفْلحُوا و قد وَرد انّ من قال لا اله الاّ الله خالِصاً مُخلصاً و جَبَت له الجنّة و قال تبارک و تعالى: كلمة: لا اله الاّ الله حصِنى فَمَن دخَل حصِنى اَمِنَ منِ عَذابى، و روى فى الكافى عن **الباقر**ﷺ

---

١. التّوبه / ١١٥.
٢. الزّمر / ٣٧.
٣. النساء / ٨٨.
٤. الاعراف / ٧٨.
٥. الاعراف / ١٨٦.
٦. الرّعد / ٣٣.
٧. الاسراء / ٩٧.
٨. الشّورى / ٤٤.

انّه قال: ما من شيئى اعظم ثواباًمن شهادة ان لا اله الّا اللّه انّ الّه غزَّو جلَّ لايَعِد له شىء و لا يشركه فى الأمور اَحَد. و فيه ايضا قال رسول الله ﷺ من قال لا اله الاّ الله غِرُسِت له شجرة فى الجنّة مِن يا قوتة حَمراءِ مَنبَتها فى مسكٍ ابيَضَ اَعلٰى من العَسَل و اشَدَّ بياضاً من الثلجَ و اطَيَب ريحاً من المِسكٍ فيها امثال ثَدى الاَبكار تَعلُوله عن سبعين حُلّة. ـ قال رسول اللّه الله ﷺ خير العبادة قول لا اله الاّ الله و خير العبادة الأستغفار و ذالك قول الله عزّ و جل فى كتابه فاعلم اّنه لا اله الاّ الله و استغفرلذنبك انتهى ... و فيه ايضا بسنده عن ابان ابن تغلب عن ابيعبد الله قال عليه السلام يا ابا ن اذا قَدمِتَ الكوفة فأروِ هذا الحديث من شَهِد ان لا اله الاّ الله مُخلصِاً وجَبَت له الجنّة قال قلتُ انّه يأتينى مِن كلا صِنفٍ من الأصنافَ افَارُوِي لهم هذا الحديث قال نِعَم يا اَبان اذا كان يوم القيلمة و جَمَع اللّه اّلاوليّن والاخرين فتُسلب لا اله الاّ الله منهم الاّ من كان على هذا الأمرانتهى.

ورَوى الصّدُوق فى المجالس والعيون باسناده عن اسحق ابن راهوية قال لمّا وافى ابوالحسن الرضاعليه السلام نيشابور و ارادان يدخل منها الى المامون اجتمع اليه اصحاب الحديث فقالوا له يا بن رسول الله تَرَحل عَنّا ولا تُحدّثنا بحديث نستفيد منك و قد كان قَعدَ فى العِمارية فاطلَع رأسه وقال سمعتُ ابى مُوسى ابن جعفر يقول سمعتُ ابى جعفر ابن مُحمّد يقول سمعتُ ابى محمد ابن على يقول سمعت ابى على ابن الحُسين يقول سمعتُ ابى الحُسين ابن على يقول سمعتُ ابىَ علّى بن ابيطالب يقول سمعتُ رسول الله ﷺ يقولِ سمعتُ جبرئيل بقول سمعتُ الله عز و جل يقول لا اله الاّ الله حِصِنى فَمن دخَلَ حصنى اَمِنَ مِن عَذابى، فلمّا مرَّتَ الراحلة نادانا بشُروطها وانا من شُروطها انتهى...

و روى الصدوق قده فى ثواب الاعمال باسناده عن ابيعَبدالله عليه السلام: قال من قال لا اله الاّ الله مُخلِصاً و جَبَتَ له الجَّنة ودخل الجنَّة و اخلاصه ان يَحجُزه لا

اله الاّ الله عمّا حرّم الله انتهى.

اقول: لاشك انّ لا اله الاّ الله اصل التّوحيد فانّه اعظَمَ ما يتّعلق به من الأذكار اذ تدّل على اتصّافه لجميع الصفات الكماليّة و على نفى الّشريك و الأنداد عنه و على احتياج كلّ موجودٍ سواه اليه و لذا صارت من بين جميعها سببا للدّخول فى الأسلام و توقّفت عليها صحّة سائر العبادات. و لمّا لم يكن ذكر هذه الكلمة على اطلاقها مفيداً لما ذكرناه بل لابدّ لها من شرائط عقّبَ عليه السلام كلامه بشرائطها و قال عليه السلام. ما قال

▫ **قوله عليه السلام: شهادةً مُمتحناً اخلاصها:** والمقصود انّ شهادته عليه السلام بكلمة لا اله الاّ الله لم تكُن مُجَردَ دَعوَى و لقَلَقة اللّسان كاكثَر الناس فى زمانه عليه السلام حيث كانوا يقولون ما لا يفَقّهون بل شهادته عليه السلام بها صارت مُمتَحنة من حيث الأخلاص و نفى شائبة الرّيا و قد دّل على هذه الدّعوى اجماع الامّة، من الشّيعة و غيرهم فانّهم متّفِقونٍ على انّه عليه السلام بعد رسول الله كان اوّل القوم اسلاماً و اَحكمهم اِيماناًو اَثبتَهم اعتقاداً لم يشرک باللّه طرفة عَين وَ لم تِأخذه فى اللّه لَومة لائم فهو مظهر التّوحيد واصله كيف و قد قال من رآنى فقدّ رأى الحقّ و سينكشفُ لك فى هذا الكتاب شِمّةٌ من حالاته و قطرةٌ من بحار اوصافه فانّ مَعرفة له على وجهها لا يمكن الاّ لخالقه و رسوله صلى الله عليه و آله كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى حديث ابى ذر و عُمر.

▫ **قوله عليه السلام: (مُعتقداً مُصاصها):** اشار به الى اعتقاده الخالص من كلّ شيئٍ و هو كناية عن اِستغراقه عليه السلام فى بحر التوحيد و فنائه فيه بحيث انّه لم يكن غير التوحيد شعاره و لا غير الأخلاص باللّه تعالى دثاره.

▫ **قوله عليه السلام: نَتَمَّسَكُ بِهٰا أَبَدٰا مّا أَبْقانٰا وَ نَدَّخُرهاٰ لِاهٰاوِيلِ مٰا يلقَانٰا:** ذَكَر فائدتين مُترّتبتَين على كلمة التّوحيد: الأولى التّمَسُّك بها فى الدُّنيا والثّانيّة الأستفاده منها فى آلاخرة وكلتا هما لا كلام لأحدٍ فى كونهما حقّاًفانّ الأنسان محتاج الى اللّه و عناياته الخاصة فى الدّنيا والاخرة ولابدّ لكونه مشمُولا لها ان

يكون مُرتبطاً به مُوحدّاً اياه مُعرضاً عَمّا سواه مُقبلاً الى جنابه بأ عماله النّاشئة عن العقائد الصّحيحة و بذَرها هوالتوحيد الذّى عبارة فى اللّسان عن ذكر هذاالكلمة وفى القلب عن الأعتقاد بها فكمال السعّادة فى النَشأتَين ليس الاّ فى ظلّ شجرة لا اله الاّ الله . والمقصود من الأهاويل التّى هى جَمع هَول و هو الخَوف، المنازل المَخُوفة التّى لابدّ لِلانسان من الورود عليها و المَقَّربها و العُبُور منها و هى كثيرة جدّاً، **فاوّلها**: المَوت و**ثانيها**: القَبر و**ثالثها**: سئوال مُنكَرٍ ونكيرٍ و**رابعها**: عالَم البَرزَخ و**خامسها**: العُبُور على الصّراط وهكذا مرحلةً بعد مَرحلةً حتى ينتهى الأمر الى المَحشَر وهذه المراحل كلّها مَخُوفةُ مُوحِشة نعوذ باللّه منها، وقد ورد بذالك آيات كثيرة فى القرآن المجيد: قال الله تعالى: **﴿يَوْمَ يَفِرُّالْمَرْءُ مِنْ اَخيهِ، وَ اُمِّهِ وَ اَبيهِ، وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنيهِ، وُ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَّ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ، تَرْهَقُها قَتَرَةٌ، اُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾**[1]

و**﴿فَاَمّا مَنْ طَغى، وَ اثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا، فَاِنَّ الْجَحيمَ هِيَ الْمَأْوى، وَ اَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسِ عَنِ الْهَوى، فَاِنَّ الْجَنَّةِ هِيَ الْمَاْوى﴾**[2]

و **﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَّ لابَنُونَ، اِلاّ مَنْ اَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ﴾**[3] و غيرها من الايات.

و من المعِلوم انّه ليسّ لنا زاد و لا راحلة اِلاّ الأ خلاص فى العمل الذّى لايمكن بدون التّوحيد.

▫ **قوله**ﷺ: **فَاِنَّها عَزيمَةُ الاِحْسانِ وَ مَدْحَرَةُ الشَّيْطانِ**: رتّبَ على هذه الكلمة وألا خلاص لها اُصُولاً **ثلاثه**:

الاوّل: انّ كلمة التوحيد اذا كانت ناشئه عن الأعتقاد الصّحيح فهى عَزيمة الأيمان و اساسها و ذالک لانّ الأيمان ليس الأقرار بالشهادتين و الأعتقاد بهما و العمل على طبق الاّ قرار و الاّ عتقاد، فاَن قلت فعلى هذا كلمة الأخلاص لا

---

١. عبس / ٣٤-٤٠.
٢. النّازعات / ٣٧.
٣. الشعراء / ٨٩.

تنفَعَ و حَدها اذا لم تكن مقَرونة بهما فكيف تكون عزَ يمة الأيمان و قد فسَّرَواالعزيمة بعقد القلب عليه و بعبارةٍ اخرى كلمة التَّوحيد احَدَالأركان الثلاثة المشروطة فى الايمان فاَن الأيمان له ثلث شعب: شهادة بالتوحيد، والاعتقاد بها، و شهادة بالرّساله و الأ عتقاد بها، والعمل على طبق الشّهادتين. قلت: نعم ولكّن التّوحيد اصله و اساسه و ذالک لانّ العمل مُتفرّعٌ على الأقرار و الأعتقاد بالرّسالةِ وهى مُتفرعة على التوَّحيد فمن لم يَعرِف الله كيف يقول بالرّسول ثمّ كيف يعَمَلَ للّه و لذالک قالﷺ عَزيمة الأيمان ولمَ يَقل هى الأيمان كلّه اذمن المعلوم انّ التوحيد بدون النّبوة و هما بدون العمل لا فائدة فيه.

الثانى: قوله و فاتحة الاحسان: و هذا ايضا مُتَرتب على الَتوّحيد فانّ الأحسان و الخير كلّه منه تعالى و بتوفيقه اِذٍ هو منَبع الأحسان و مصدر الخيرات فكلّ احسانٍ و خيرٍ صَدر فى العالم رَشحٌ من رشَحَات فيضه بلاكلام اذا عرفت هذا: فالتَعّبير عنه بفاتحة الأحسانِ للأِشارة الى انّ الله تعالى مَبدء الخيرات و مِنشائها اوالمردانّ كل خير صَدَرعن الانسان اذا لم يكن للِله تعالى فلاخيرفيه لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**[1]

الثالث: قوله و مدَحَرة الّشيطان و ذالک لِانّ الخلاص من مَكر الشيطان و كَيده و تضليله لايمكن بدون الأستعاذة منه تعالى و لذالک ورَد: اعوذباللّه من الشِيّطان الّرجيم، و **﴿فاستَعذِ باللّه من الشّيطان الرّجيم﴾**[2] فرَجم اَلشيّطان و ابِعاده عن حريم العَمَل لايمكن بدون التّوَسُل اليه تبارک و تعالى و لذالک آمَرنا بالتَسميّة فى كلّ امرٍ ذيبالٍ والتسميّة و كلمة التوحيّد فى الواقع لافرق فيهما كما هوظاهر، وعداوة الشّيطان لاولادِآدم معلومة وآيات القرآنية فى التّحذير عنه مَوجُودة فمن اراد الخلاص عن مكائده فعليه بالأستعاذة منه تعالى و الألتجاء اليه نعوذ باللّه من شّرالشياطين.

---

١. المائدة / ٢٧.
٢. النحل / ٩٨.

▫ قوله عليه السلام: وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ وَ الْعَلَمِ الْمَاثُورِ، وَ الْكِتَابِ الْمَسطُورِ، وَ النُّورِ السَّطِعِ، وَ الضِّيَاءِ اللامِعِ، وَ الْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِذَاتحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَ احتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَ تَحْذِيراً بِالْايَاتِ وَ تَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، وَ النَّاسُ فِي فِتَنٍ انجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَ تزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَ اخْتَلَفَ النَجْرُ، وَتَشَتَّتَ الْاِمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَ عَمِيَ الْمَصْدَرُ فَالْهُدىٰ خَامِلٌ وَّ الْعَمٰى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَحْمٰنُ وَ خُذِلَ الْأَيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ، اَطَاعُواْ الشَّيْطَانَ فَسَلَكُواْ مَسَالِكَهُ،و وَرَدُ وَ امنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ اَعْلَامُهُ، وَ قَامَ لِوَائُهُ، وَ وَطَئَتْهُمْ بِاظْلَافِهَا فى فتَن سَتَهُم باخَفافها، وَ قَامَتْ عَلٰى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ، حَائرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتونُونَ فِى خَيْرِ دَار و شَرِ جِيرَانٍ، نَوْمُهُم سُهادٌ، وَ كُحْلُهُم دُمُوعٌ بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجمٌ، وَّ جَاهِلُهَا مُكَرَّمٌ.

◁ اللّغة

(علَمَهْ) عَلَماً، وسَمَه. (المْاثُور) المَنقُولِ و قيل هوالمُقَّدم على غيره. (الكتاب) المقصود به القرآن. (المَسطُور)، سَطَره سَطراً كتَبَه فهوَ مكُتوبٌ. (السّاطع) سَطع، سَطعاً وَ سُطوعاً و سَطيعاً ارتَفَع و انتَشَرو السّاطع اسم الفاعل منه. (الصّادع) صَدَع صَدعاً والصّادع فاعل منه و صَدَع الشَيئى شَقّه كشَّقه و بَيّنَه و هو المقصود. (شُبَهات) جمَع شُبهبة. (والمَثُلات) قال البحرانى قده جمع مَثلة بفتح الميم و ضّم الثاء. (فَتِن) بكسر الفاء و فَتح التاء و سكُون النُوّن جَمع فِتنة. (انجَذَم) انقَطَع. (الزَعَزَعة) الأضطراب. (سوارى) اساطين. (الَّنجر) الأصل. (حامل)، الّساقط. (انهارت)، انَهَدمت. (دعائم) الأركان. (معالم) الآثار. (سُبُله) سُبُل جمع سَبيل و هوالطّريق. (الشَّرَك) بفتح الّشين و الّراء معظَم الّطريق. (مناهل) جمَع منَهَل و هوالمَشَرب. (الأظلاف) جمع ظِلف بكسرالظّاء و هو لِما اجَتَّر من الحيوانات كالبَقَرة و الظَّبى بمنزلة الحافر للِفرس، و قديقال الظِلّف بمعنى الحاجِة و شِدة المَعيشة. (والأخفاف) جمع خفّ

للأبل. (**سنابک**) جمع سَنَبکة اطراف مَقُدَم الحَوافر.

◁ اَلمعنٰی

ثمّ انّه عليه السلام بعدالأقرار بكلمة التَوحيد و اَلتوّسل والتّمسک - باللّه تعالى فى جميع اموره الذّى هوالأصل فى مقام العُبوّدية اردَف كلامه بالرُكن اَلثانى من الأيمان ليكون الكلام تامّا والأيمان كاملاً فقال عليه السلام (**اَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ**) جاء بالحّق من عنده (**اَرسَله**) الله تعالى (**بالدّينِ الْمَشْهُور**) و هو الأسلام (**وُالْعَلَم الْمأثُورِ**) المنقول فى الكتب اَلسماوية التّى اخَبَرت برسالته صلى الله عليه وآله (**و الِكتابِ الْمَسْطُورِ**) الذّى هوالقرآن فانّه (**اَلّنوُرِالسّاطِع**) يستضيئى به كلّ من اراد الأستضائة به و هو الضَّياعِ اللاّمع و الأمراَلصادع: الكاشف للحقائق لِأزاحة الشُّبهة والأحتجاج بالأمور اَلبينة الجليّة و التّحَذيربالآيات الآلهيّة الواردة فيه والتّخويف بالعُقوبات فى الدّنيا والآخرة و قد وقع كلّ ذالک فى زمان انقَطَع فيه حَبلُ الدّين بسبب المعاصى واطاعة النّاس للشيّطان و اضَطَربت فيه اساطين اليَقين فاَن اَلناس كانوا فى شكٍّ و حَيَرة فأختلف الاصل و تَفَّرق الأمروضاق المَخَرج بحيث يشكل الخروج عن هذه الوَرطة، فلاجرم فى تلك الزمان صارت الهداية خاملة ساقطة لمعصيتهم اَلرحمن و نصَرَتهم الشّيطَان وسلُوكهم مسالكه وَ وُرُود هم مناهله و مشاربه بسبب هذه الأفراد الذّين هم اتباع اَلشياطين صار الأيمان مَخذُولاً وانَهَدمت اركانه و زالت آثاره و انسَّدَت ابواب الهداية كيف و هم اتباع اَلشيطان سالكون مَسَلكه واردُون مناهله بسبب هذه الجّهال سارت اعلام الشّيطان و قَويت شوكته و استحكم خُبائله و هم فى فَتِن داسَتهم اى وطَائهم ثمّ قال عليه السلام: فهم فى هذه الفتن تائِهوُن اى ضالُّون عن القَصد، حائرون مُتحَيرّون جاهلون غير عالمين بالَحّق مفتوُنون بالفَتِن العَمياء الصّماء فى خير دارٍ و شرّ جبرانٍ نوَمهم فيها يقظة و كحُلُهم دمُوع تجرى من اعينهم بارضٍ عالمها فيها مُلَجم لا يقدر على ذكر الحقائق و جاهلها مُكَّرم مطلق اللّسان.

◁ الشّرح

▫ **قوله عليه السلام: وَ اَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدا عَبْدَهُ وَ رَسُولُهُ:** شَهِدَ عليه السلام بعد الشّهادة بوحدّانيّة الله تبارک و تعالى بانّ مُحمّداً صلى الله عليه وآله عبده و رسوله و فيه اشارة الى قوله تعالى فى كتابه: حيث قال: **﴿فَاَوْحىٰ اِلىٰ عَبْدِهِ مٰا اَوْحىٰ﴾**[1] وقال اللّٰه تعالى: **﴿وَ مٰا كٰانَ مُحَمَّدٌ اَبٰا اَحَدٍ مِنْ رِجٰالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾**[2] فتارةً عبّرعنه صلى الله عليه وآله بالعَبد و تارةً بالرَّسُول و لمّا كان مقام العبّودية مُقدّماً على مقام الرّسالة قدّم ذكرها فى الشهادّة بالّرسالة قال الله تعالى: **﴿سُبْحٰانَ الَّذِي اَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ﴾**[3] قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال اشَهدُان لا اله الاّ واشهدانّ محمدا رسول الله فجرى بها لسانه و اطَّمّان بها قلبه حَرُمَت الّنارعليه. و وجه اقتران هذه الكلمة بكلمة الأخلاص هوآن الاخلاص بها لا يحصل الاّ بسلوک مراتبها و هو لا يحصل الاّ بمعرفة كيفّتة السّلوک و اَلرّسول شانه ارائتها فا لتّوحيد لا يتّم بدون الرّسالة و امّا معنى الرسول و المقصود من بعثه فقد تكلّمنا فيه مفَصلاًفلا نعيد بذكره.

▫ **قوله عليه السلام: اَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ:** عنى به الأسلام قال الله تعالى: **﴿اِنَّ الدّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الاِسْلاٰمُ[4] وَ قٰالَتِ الْاَعْرٰابُ آمَنّٰا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوا اَسْلَمْنٰا﴾**[5] و معنى الدّين فقد مضى شرحه فى اوائل الكتاب قوله عليه السلام وَالْعَلَم اَلْماثُورِ: والمقصودمنه ايضا هو الأسلام من حيث انّه قد أخبر به فى الكتب السّالَفةَ بناء على كون المأثُور بمعنى المَنْقول، و امّا اذاكان بمعنى المُقدّم على غيره كماذهب اليه الشارح البحرانى فالمعنى آن الله تعالى ارسَلَه بالّدين المّقدم على سائرالاديان واقعاً و ان تاخرّ عنها ظاهراً فانّالاسلام هوالغاية لتمام لأديان الّسالفة و العلّة الغائية شانها المتقّدم واقعاً وَ التّاّخر ظّاهراً بمعنى ان

---

١. النّجم / ١٠.
٢. الاحزاب / ٤٠.
٣. الاسراء / ١.
٤. آل عمران / ٨٥.
٥. الحجرات / ١٤.

وجودها الذِّهنی مُقدّم و وجودها الخارجی مؤخّر.

□ **قوله**ﷺ: **وَ ألْكِتابِ ألْمَسْطُور، وَ النُّورِ السّاطِعِ وَ الضّياءِ اللاّمِعِ وَ ألأَمْرِ الصّادِعِ**: والمقصود منها القرآن فانّه تارةً يعبّر عنه بالكتاب المَسطور كَما قالِ الله تعالیٰ: **﴿والطّور و كتابٍ مَسطور﴾**[1] و تارةً يعبّر عنه بالنّور كما قال الله تعالی **﴿قَد جاءَكُمْ مِّنَ اللهِ نُورٌ وَّ كِتابٌ مُّبينٌ﴾**[2]

و **﴿إنّا أنْزَلْنَا التَّوْراةَ فيها هُدىً وَ نُوراً﴾**[3] **وَ آتَيْناهُ الْإِنْجيلَ فيهِ هُدىً وَ نُورٌ﴾**[4]

و **﴿فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذي أنْزَلْنا﴾**[5]

و **﴿ما كُنْتَ تَدْري مَا الْكِتابُ وَلاَالْإيمانُ وَ لٰكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً﴾**[6] و غيرها من الايات.

وتارةً يُعبّر عنه بالضيّاء قال‌الله‌تعالی: **﴿مَنْ إلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَاتيكُمْ بِضياءٍ أفَلا تَسْمَعُونَ﴾**[7] و تارةً بالأمر قال الله تعالی: **﴿يَتَنَزَّلُ الْأمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيئٍ قَديرٌ﴾**[8]

و **﴿ذالِكَ أمْرُ اللهِ أنْزَلَه عَلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّاتِهِ﴾**[9] فقوله و الكتاب المَسطور الی آخره اشارة الی انّ القرآن كتاب و نوُر و ضياء و امر امّا تسميتهُ با الكتاب فلانَ الكتاب مَصدر مشتقّ مِنِ الكتب و هو ضَمّ الَحروف بعضها الی بعض بالخَطّ فالأصل فی الكتابة النَظّم بالخطّ و لذاسمّی كتاب الله كتابا و ان لم يكتب و الكتاب فی الأصل مَصدر ثُمّ سُمّی المكتُوب فيه كتاباً كذا) قال الراغب فی مفرداته: فعليه وجه تسمية القرآن بالكتاب لانّه نُظِم بالخطّ و ان لم يُكتَبَ و من هذا يظهر وجه اتصَافه بالمَسطُور ايضاً. و امّا وجه تسميته بالنّور فلانّ النّور على ما فَسّرُوه اهل الحّق هو الظاهر بذاته و المُظهَر لغيره و القرآن

---

١. الطّور / ٢.
٢. المائدة / ١٥.
٣. المائدة / ٤٤.
٤. المائدة / ٤٦.
٥. التغابن / ٨.
٦. الشورى / ٥٢.
٧. القصص / ٧١.
٨. الطلاق / ١٢.
٩. الطلاق / ٥.

هكذا امّا كونه ظاهرا بالذّات فواضح لانّه كلام الحق المتعال الّذى هو اصل النّور و حقيقته: قال الله تعالى: ﴿اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوةٍ﴾[1] فكلامه ايضا نُور اذ لا يوجد من النّور الّا النّور و امّا وجه اتّصافه بالسُّطوع فقد ظهر ممّا ذكرناه فانّ لازم النّور السُّطوع و الاّ لم يكن مُظهراً للغير فالوصف يعرف من تعريفه. و وجه تسميته بالضّياء ايضا ظاهر فانّ القرآن من حيث انّه كلام الحَق نوركما ذكرنا و من حيث ذاته مع قَطع النّظر عن تلك الجهة يَتصفّ با الضِيّاء و يسمّى به فانّ الضياء مُنبَعث من النّور و من المعلوم انّ كل ضياء لامعٌ، ووجه تسميته بالأمر لأنّ القرآن امَر الحَق او فَعِله و هذا دليل على انّه حادث لَيس بقديم و انّما اتصّفَ بكونه صادِعاً لانّه مُبّينّ الحلال و الحرام و كاشفهما كما هو واضح قال الله تعالى: ﴿وَلا رَطْبٌ وَّ لا يابِسٍ اِلّا فى كِتابٍ مُبينٍ﴾[2].

▫ **قوله عليه السلام: اِزاحَةً لِّلشُّبُهٰاتِ: وَ احتِجاجاً بِالْبَيِّنٰاتِ، وَ تَحْذِيراً بِالاٰيٰاتِ وَ تَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ:** ثم بعد ذكر الكتاب بالوجوه الأربعة تعَرَّض للفوائد المُترتّبة على الأمور الّتى لاجلها نَزَل الكتاب و هى اربعة:

الاوّل: قوله ازاحةً لِلشّبهات، و ذالک لانّ الأمور قبل نُزول القرآن كانت مُشتبهة مختلفة و النّاس حيارای لايَعلمُون ما يَصنَعون و بعد نزوله تَبيَّن الحرام من الحلال و القبيح من الحَسَن و الخير من الشّركلّ ذالک ببركة وجود القرآن و قد سبق منّا القول فيه.

الثانى: قوله: و احتجاجاً بالبيّنات: و فيه اشارة الى الفائدة الثانية و هى الأحتجاج بالبيّنات على اهل الكتاب و غير هم من اصحاب الملل كما قال الله تعالى مخاطبا لنّبيه: ﴿اُدْعُ اِلىٰ سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتى هِىَ اَحْسَنُ﴾[3]

الثالث: قوله عليه السلام: وَتَحذيراً بِالآيٰاتِ و فيه اشارة الى الفائدة الثالثّة المُترّتبة

---

١. النّور / ٣٥.
٢. الانعام / ٥٩.
٣. النّحل / ١٢٥.

على القرآن و هو التّحذير بالايات الواردة فيه كالايات الّتى ورَدَت فى سُوء حال المنافقين كقوله ﴿إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّٰارِ﴾[1] و ما وَرَدَت فى شان الكفّار ﴿وَلِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ﴾[2] و ما وردت فى كَيفيّة عذاب العُصاة يوم القيمة و آيات الوعيد فى القرآن كثيرة و الغرض من ذكرها ليس إلاّ تحذير النّاس من عذاب الله تعالى فى الدّنيا و الآخرة و فيه نفع عظيم لأولى الأيد و الأبصار.

الرابع: قولهؑ: وَ تَخْوِيفاً بِالْمَثُلات فيه اشارة الى العُقُوبات الواردة على الْأُمَم الّسالفة بسببِ عصيانهم و تَمَرّد هم عن طاعة الله كقضيّة قَوم لوط و قوم عاد و ثَمُود و قوم نُوح و يُونس و غيرها كلّ ذالک لِانَّ يعتبرُو به و لا يَحذُوحَذَوهم كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذٰالِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصٰارِ﴾[3] فانّ الله تعالى و تبارک لبالمرصاد و قال فى المُنجد و المَثَلة ايضاً ما اصاب القرُون الماضية من العذاب و هى عِبَرٌ يُعتَبر بهاج مَثَلات.

▫ قولهؑ: **وَ النّٰاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهٰا حَبلُ الدِيِّن:** اقول و فى هذه الجملة و ما بعدها اشار اليهم من حيث كونهم فى الفتن الّتى انقَطع و انفَصَل حبل الدِّين بها و معلوم انّ الفِتنة من حيث اشتمالها على التَشَتُّت و النّفاق فاطعة لحبل الدّين فانّ الحَبل كناية عن الاتّحاد، بين المُسلمين كما قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا﴾[4]، و زوال الأتّحاد مساوق لقطَع حَبله و هذا ظاهر، ثمّ انّه اختلف الشّارحون لكلامهؑ فى المقام فى المقصود من كلامهؑ هل المراد بر فى زمان الجّاهليه قبل البعثة اوالمراد النّاس المَوجُودوُن فى زمانه من المُسلمين و لا سيّما اهل الشّام.

فالشارح البحرانى قده كانّه مالَ الى الثّانى و الخوئى إحتَمل الاوّل، وَ الثّانى و المعتزلى اصَّرَ على الاوّل فان كان المراد بهم النّاس فى زمان الجاهلية فالواو

---

١. النساء / ١٤٥.
٢. المجادلة / ٤.
٣. آل عمران / ١٣.
٤. آل عمران / ١٠٣.

فی قوله وَ النّاس للحال مَعطوفة علی ما سبق و علی القول الثّانی فـالوا هـو لِلأستیناف وَ کلا التَقدّیرین مُحتملٌ.

امّا القول الاوّل فهو انسَبِ بسیاق العبارة اذ کِلامه علیه السلام یَدور مَـدار البِـعثة و مقتضیاتها و منافعها المترّتبة علیها و علیه فالحقّ علی الظّاهر مع القَول الاوّل فانّ الخروج عن سیاق العبارة و ظاهرها یحتاج الی قـرینةٍ صـارفة و لیست قرینة علیه.

و **امّا القول الثّانی:** فهو خروج عن ظاهر العبارة و اَظُن انّ سبب حَـملَهُم اللّقط علیه هو انشائه علیه السلام الخطبة بعد انصرافه من صِفّین و یمکن ان یکون هذه الجهة هی القرینة الصّارفة و الحَقّ فی المقام هو ان یقال عنی بهم النّاس فی زمان الجاهلیّة لا مطلقاً بل باعتبار تطبیق حـالاتهم و اعـمالهم عـلی الأفـراد الموجودین فی زمانه فانّ الجمع مهما اَمکَن اَولیٰ من الطَّرح و لیس فیه کثیر اشکال اذاالفِتنَةَ فی زمانه علیه السلام اَشدَّ منها فی زمان الجاهلیّة یقَیناً و کـیف کـان فاشار علیه السلام فی کلامه الی عدم مبالاتهم و اعتنائهم بـالآیات البَـیّنات و الطُـرُق الواضحات من القرآن و العِترة اللذّین قال رسول الله فی حَقِهِمَا: انّی تـارک فیکم الثِقلّین کتاب الله و عِترتی اهل بیتی الخبر.

▫ **قوله علیه السلام: وَ تَزَعْزَعَتْ سَوٰارِی الْیَقینَ:** و هذه هی البَلّیة الثّانیة المُترتّبة عَلی الأختلاف و النِّفاق و تَشَتّتُ الآراء بسبب عدم الأتباع عن الحّق و ذالک لانّ حَبل الدّین لوانقَطَع فلامحالة تصیر اساطین الیقین مُضطربة متزلزلة.

▫ **قوله علیه السلام: وَ اخْتَلَفَ النَّجرُ:** و هو البّلّیة الثالثُ لثة لانّ الأختلاف الشّدید فی الفروع یوجب الأختلاف فی الأصـول فـانّ بـعض النّـاس لضـعف ایـمانهم یقولون لوکانت البِعثة و القرآن حقّا لما کانت هذه الأختلافات الکثیرة فیما بین رؤوس المُسلمین موجودة و ذالک لانّهم اعرَفَ بحقیقة الأمور مِنّا، فان کان غرضهم تَرویج الدّین و اعلاء کلمة التوحید کما هو مدّعا هم فلِم کلّ واحدٍ منهم کان یجرّ النّار الی قرصته ولهذه الدّقیقة و افَقَ امیرالمومنین ظاهراً بـعد

رسول الله ﷺ خلفائهم و قال ﷺ ولكنّى اسفَفت اذا سَفَو و طرِتُ اذ طارو الخ كما سياتى فى الخطبة الشِقّشِقية مفصّلاً ان شاء الله .

فيا عَجَباً من معاوية و امثاله مع انّهم من اراذل الخلق و ابعَدهم عن رحمة الله تعالى لِسوء سريرتهم و عدم طهارة مولدهم و شقاوتهم و عصيانهم لله و لرسوله كيف ادّعى الخلافة لِلّه و لرسوله واعجَب من ذالک مُوافقة بعض الأشرار من) المنافقين الذين لم يكن لهم حَظٌّ فى الأسلام و الأنسانية واقعاً له لأجل الدّنيا و زُخرفها و تجمّلاتها و مقامها، اوَ لَم يَعلَموا انّ هذه الحيوة مُستعارة فانية و هذه اللّذات داثرة غير باقية، و لايكون لهم إلّا اللّعن الأبدى و العذاب السّرمَدى نعوذ بالله من هذهالروّيّة الرَدّية.

▫ **قوله ﷺ: وَ تَشُتتَ الأمر**: و هذا هو الفساد الرّابع المُترتّب على هذا المَسلَک والغَرض مِن تشتّت الأمر هو اختلاف الكلمة بين المُسلمين الذّى هو اَحدٌّ من السّيف فى قَطع رُؤسهم لَوكانوا عِلموا بذالک و تَنَبهوا به.

▫ **قوله ﷺ: وَ ضاقَ اَلمَخرَجُ وَ عَمِيَ اَلمَصدَرُ**: و هذان ايضاً فسادان آخران يَترتّبان عليه و المقصود من ضيق المَخرَج انّ الانسان اذا وَقَع فى هذه الفتن لايمكن له الخرُوُج منها إلّا بعنايةٍ من الله و بصيرةٍ فى دينه و امّا عمى المصدر فهو كناية عن جَهله بمَنشَاء الأختلاف و مَصدَره و لا يعلم انّ المخالف هو الّذى شَتَّت امرَهم و اوقَعَهم فى النّفاق و الجدال حتّى يُضَعف بذالک دينهم و استراحَ منهم فان وَحدَة الكلمة بين المسلمين بضرر الكُفّار و المنافقين.

▫ **قوله ﷺ: (فَالهُدى خافِلُ وَّالعَمى شامِل)**، و الفاء للتفريع اى بناءِ على ما ذكرناه فنور الهداية ساقطة من اصلها و ظلمة الغّى و الضَلالَةِ شاملة لَهُم اذا الأنسان فى هذه الوَرطَة العظَيمة لايمكن له الأستضائة بنور الَحق فلاجرم يَقَع فى تية الهَلكَة و الغواية، و اذا كان الهُدى خامل فلابدّ من ان يكون العمى شامل لاستحالة ارتفاع النقيضين قال الله تعالى فى كتابه: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَبيلَ إِمّا شاكِراً**

وَ إِمّا كَفُوراً»[1].

▫ **قوله عليه السلام: عُصِيَ الرَّحمنُ وَ نُصِرَ الشّيطانُ وَ خُذِلَ الأيمانُ:** يعنى اذا كان الهُدٰى خامل والعمى شامل عصى الرّحمن لامحالة لِانّ طاعة الرّحمن تتّوقف على وجود الهداية بالقرآن و العِترة فاذاتخلّف النّاس عنهما و اَتّبعو اَهوائهم فكيف يُطاع الرّب ومعلوم انّ عصيان الرّب ملازم لِأطِاعةالشّيطان أذالأُمر فى الطّاعة و المَعصية يدورّ مدارهما و لا يمكن ان تكون الطّاعة و المَعصية خالية عن متابعتهما و مخالفتهما فانّه لا فاصل بين الحَق و الباطل، و اذا نُصِرَ الشيطان بسبب اطاعة النّاس له فالأيمان مَخذُولٌ منكوبٌ فانّ الأيمان لا يلائم إطاعة الشّيطان فَظَهر انّ عصيان الرّحمن نُصرة الشّيطان و خذ لان الأيمان مُترّتب على خمول الهداية و شمول العماية و هو المطلوب.

▫ **قوله عليه السلام: فَانهارَت دَعائمهُ و تَنَكَّرت مَعالِمُهُ، وَ دَرَسَت سُبُلُهُ و عَفَت شركُهُ:** و هذه كلّها مُتفرّعة على معصية الرّحمٰن و اطاعة الشّيطان و خذ لان الأيمان فاذا كان الأمر كذالک فلاجرم انهارت اى انهدمت اركان الدّين و ذالک لانّ الانسان اذا كان فى دينه على شَكٍّ و ريَبٍ غير مُتيقّنٍ بما جاء به النبّى صلى الله عليه وآله وسلم من الأحكام فهو مُضطربٌ فيه اضطراباً يؤقعه فى الهَلَكة فلا يبقٰى له دينٌ اصلاً و كيف يكون لمُطيع الشّيطان و مريده دِينٌ يُعباء به و اذا انهَدَمت اركانه فلا محالة تنكَرَت و تَغَيّرت آثاره الدّالة عليهفانّه لايرى من اثاره الاّ معاوية و من تبعه و اعماله الخَبيثَةالمَردودة من الكِذب و الظُّلم و الفسق و امثالها ممّا هو منتهى آمال الشّيطان و حِز به فان المعالم، جمع مَعلَم و هو الأثرالّذى يُستدّل به على الطّريق و المفروض انّ الآثار فى ذالک الزّمان هى حزب الشّيطان و اعماله و لذالک قال عليه السلام و دَرَست سُبُله فالطّرُق المُوصلة مُندَرسة مُضمَحِّلة اذ لا يَجد الأنسان طريقاً واضحاً فى صورة اختلاط الحَق بالباطل بل تَجَّلى الباطل بصُورة الحقّ فلا يَتَمَكّن من تشخيص الطّريق المُعظَم و المقصود منه الحُجّة القائمة

---

١. الانسان / ٣.

بعد النبی ﷺ للخلق و هو نفسه فی ذالک الزّمان و لأجل هذاکان کالغَریب بین ابناء زمانه کیف لا و اکثر النّاس لَم یفرقوا بَیْنه و بین معاویة.

▫ **قوله ؑ: اَطاعُوا الشَّیطانَ فَسَلَکُوا مَسالِکهُ، وَ وَرَدُوا مَناهِلَه**: و المقصُود انّهم عبید الشّیطان فلاجَرَمَ اطاعوه و سَلَکُو مَسلَکه اذا الأطاعة حقیقتا لا یتصوّر بدونه و وَرِدُوا مناهله ای شَربوا ممّا شَرِب منه الشّیطان من کأس الغوابة و الضّلالة و محصّل الکلام انّهم تابعوه و شایعوه بنحوالأتَم الأکمل لانّهم کانوا عبید الدّرهم و الدّینار و اسیر الشّهوات و اللّذات الجسمانیّة و هده النِقَم لا توجد الاّ فی مکتب الشّیطان و مَنهَله.

▫ **قوله ؑ: بِهِم سارَت اعلامُهُ، و قامَ لِوائُهُ**: والباء للسببیّة، ای بسَبَب اطاعتهم الشّیطان و متابعته قام لوائُهُ و ارتَفَع و فیه استعارة فانّ اعلامه و لوائه کنایة عن مرامه و مَقصَده الّذی لیس الاّ الأضلال و المعنی انّ قدرة الشّیطان فی اجراء منویّاته لیَسَت الّا بسبب مساعدتهم ایّاه فی العَمَل فانّهم لَو لَم یَنصُروه عَمَلاً لم تحصل له شوکة و جلال و هذا واضح فانّ الباطل فی کلّ زمان یَظهَر بمساعدة اعَوانه و انصاره و لو لا هم لم یکن منه عین و لا اَثَر، و هذا لا یَختَّص بزمانٍ دون زمانٍ فانّ قدرة فرعون فی قبال موسی و نمرُود فی قبال ابراهیم و هکذا لیَسَت مُستندة به وَحدَه فانّ فرعون مثلاً مع قطع النَّظر عن اعوانه لم تکن له قدرة لانّه شخص واحد و هکذا الأمز فی غیرة فَصَّح قوله بهم سارت اعلامه و قام لوائه.

▫ **قوله ؑ: وَ وَطِئَتَهُم بِاظلافِها فی فِتَن داسَتهُم باخفافِها، و قامَت عَلی سَنابِکِها**: و المعنی انّ الشّیطان بعد ما اطاعوه لَم یرحَمَهم بل وطَئَهتَم الخ و هو کنایة عن سُقوطهم بمتابعته الی الدَّرَکَات الرّدیه و هُبوطهم عن مقام الأنسانیّة الی مَرتَبة الحیوانیّة بحیث لَم ینظر الله الیهم نَظَر الرّحمة فی الدّنیا و الآخرة و ذالک لأستحقاقهم به و قوله قامت علی سنابکها، اشارة الی انّ لشّیطان بعد نیله الی مقصوده استراح منهم فجعل ینظر الیهم و یَضحَک علیهم فَظَهر مصداق

قوله: قالَ ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]

□ **قوله عليه السلام: فَهُم فِيها تائِهونَ حائِرُونَ جاهِلُونَ مَفتُونُونَ فِي خَيرِدار وَّ شَرِّ جِيران نَومُهُم سُهُاد وَّ كُحلُهُم دُمُوع بِأَرض عالِمُها مُلجَم وَّ جاهِلُها مُكَرَّم:**

و المقصود من هذه الكلمات انّ النّاس بسبب وُقُوعهم فى هذه الفتن صاروا متَحَيّرين مُتفكّرين لم يَعلمُوا شيئاً فكانوا عن طريق الحَقّ لمَحجُوبُين و فى سبيل الغَى و الضّلال خائضين لانّهم وَقَعُوا فى الفتنة العَمياء و البليّة الصَمّاء مع انّهم ساكنون فى خيردار و المراد بها امّا مَكّة المكرّمة او ارض الشّام فانها مقدّسة لكون البيت فيها او ارض الكوفة على اختلافٍ فى تعيين المراد فيها كما وَقَعَت الأشارة اليه فى صدر الخطبة، و على ايّ تقدير لا خلاف فى كونها خيردار و امّا قوله عليه السلام شَرّ جيران فان كان المراد بها ارضَ مَكّة فالمقصود من شَرّ جيران هو كفّار قريش و ان كانت الشّام فَشَرّ جيرانها الرُّوم او حوالى الشّام و ان كانت كوفة فشرّ جيرانها اتباع معاوية و امثالهم. ثّم قالوا غرضَه مِن نَومهم سهاد و كُحلُم دُمُوع هوانّهم لانوم لهم من الحُزن و الغَمّ اللّذَين عَرضا عليهم بسَبَب القتلى فى غَزوَة صِفّين لانّهم كانوا يبكون عليهم عالمها مُلجَم لا يقدر على الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و جاهلها مُكرّم و مُعَزّز بينهم هذا اذا كان المراد بالأرض الشّام و ان كان المراد مكة فضمير نومهم يرجع الى جيرانهم من الكفار و ان كان الكوفة فالضمير يرجع الى اصحاب معاوية و المقصود من قوله عليه السلام: عالمها انّما هو نفسه عليه السلام و جاهلها مكرّم المقصود به معاوية و من حَذىٰ حَذَوه هذا خلاصة الكلام فى شرح الخطبه الشّريفة.

اقول: و يستفاد من هذه الخطبة حقائق لابدّ من التّنبيّة عليها بعون الله و توفيقه و لابدّ لنا قبل ذكرالمقصود من مقدّمة مُوضحة للمراد مَبيّنة لما نحن بصدده فنقول: اعلم انّ الايات القرآنيّة و الأحاديث المَرويّة و الخُطَب الواصلة

---

١. ص / ٨٣-٨٢.

منهم عليهم السّلام الينا كلّها غير مُختصّةٍ بزمانٍدون زمانٍ، و ذلک لِعُموم الخطابات من باب الأشتراک فی التکالیف و ان کان الخطاب فی الظّاهر خاصّاً و هذا ثابت فی محلّه، اذا ثبت هذا فکلّ ما وَرَد فی الشّریعة المُطهّرة یشْمُل جمیع المکلفین الی یوم القیمة فاذا فرضنا انّ الامامعليه السلام مَدَح قوماً لسخاوتهم او ذَمَّ قوماً لبُخلهم فبعین هذا الملاک نحن ایضا امّا ممدوحُون او مَذمُومُون فی لسانهعليه السلام واقعا فان کنّا اسخیاء فکانّه مَدحَناعليه السلام و ان کنّا ظالمین او بُخَلاء فکانّه ذَمّنا و ان لم ندرک زمانهعليه السلام و هذا ممّا لاشک فیه و الرّوایات به کثیرة فالّذی حِصل لنا من هذه الخطبة امور.

الاوّل: انّهعليه السلام: جَعَل اصل الدّین بعد الشّهادة بوحدانیّة تعالی: الشّهادة برسالة الرّسُولصلی الله علیه و آله و الایمان بما جاءَصلی الله علیه و آله من الکتاب المَسطُور الخ و هذا اصل یُبنیٰ علیه سائر الفروغ فاِنّ مَن لَم یشهَد باللّه و رسوله فلیس بمُسلم و لاکلام لنا معه و الی هذا الأصل اشارعليه السلام بقوله اشهد انّ محمدا عَبده و رُسولُه الی قوله: و النّاس فی فِتَن فکلّ من قال بهذه المقالة، فهو مُسلِمٌ تَترتبّ علیه آثار الأسلام من الطّهارة و اکل الذّبیحة و المناکحة و سائر الاثار المترتبّة علی الأسلام.

الثّانی: انّ المُسلِم بعد الاقرار باالشّهادتَین لابدّ له من الأعتقاد بهما و العمل علی مقتضی الشّهادَتین، و معناه الألتزام بکلّ ما جاءَ به النّبیصلی الله علیه و آله من الأعتقادات و الأخلاقیّات و الاحکام و السّیاسات و العمل باؤامره، و ترک نواهیة و نُعبّر عنه تبعا لِلشّریعة بالأیمان فانّ الأیمان علی ماعُرِّف فی الرّوایات، له ثلاث شُعب الأقرار باللسّان، و الأعتقاد بالجنان و العَمَل بالارکان و من المعلوم انّ المؤمن لایکون فی دینه مُتحیِّراً مُضطرباً لانّه ینظر بنور الله اعنی الحُجّة القائمة من قِبلَه تعالی علی الخَلق فانّ الحُجّة فی کلّ زمانٍ نور الله بلاکلام.

فقولهعليه السلام: **وَ النّاسُ فِی فِتَنٍ انْجَزَمَ فِها حَبْلُ الدِّین**الی آخر الخطبة لیس

مُتعلّقاً و مَربُوطاً بالمؤمنين بل كلامه عليه السلام يَدور مدار الفسّاق و الفجّار الذين هم اكتفوا فى دينهم بمُجرّد الاقرار اللّسانى مع خُلُوذِهنهم، و بُعد اعتقادهم عنه و من المعلوم انّه فى صورة عدم الأعتقاد اعمالهم لا تكون مطابقا للشّرع فَيَستوجَبون الذّم بذالک و لاجل هذا ذَمَّهم عليه السلام على سُو إفعالهم، وَ رَدّية اعتقادهم و خُبث سريرتهم و هذا الذّم ثابت لكلّ من يَحذُ، و حَذوهم الى يوم القيمة فانّ الشيطان حيٌّ موجود و اتباعه و اشياعه ايضا موجودون فيجب على كلّ مسلمٍ ان يكون مؤمناً واقعيّاً ذا بصيرة فى دينه حتّى لا يضطرب و لا يتزَلزَل فانّ المؤمن كالجبل الرّاسخ لا تُحرّكه العَواصف. قال الله تعالى فى كتابه: **﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَه أُولٰئِکَ الَّذِينَ هَدٰا هُمُ اللهُ وَ أُولٰئِکَ هُمْ أُولُوا الْاَلْبابِ﴾**[1] مَدح الله من كان من عباده مُستمعاً لِلقول الأحسَنَ و هو قول الحقّ، و مفهوم الاية يدّل على ذمّ من لمَ يكن كذالک و هم الَّذين يَستمعون الأقوال ولايَتّبعون احسَنَها يَتّبعون قول الشّيطان و اتباعه فى كلّ زمانٍ فانّ علياً عليه السلام و معاوية قد ماتاً يقينا الاّ انّ مَرامهما و مَسلَكهما لم يمُت و لِكلّ منهما اشياع و اتباع الى يوم القيمة، الا ترى انّ عمّار ابن ياسر و مالک ابن الأشتر النَّخعى و سلمان و اباذر و المقداد و سائر اصحابه بعد و فات الرّسول صلى الله عليه وآله كيف حفظوا دينهم و تَمَسّكُوا بولاية علّي و اولاده و لَم يَسمَعوا الى اقوال المخالفين لهم كلّ ذالک بِبَركة الأيمان الّذى هو مايزٌ بَين الحقّ و الباطل و الى هذا يشير قوله عليه السلام و النّاس فى فَتِنٍ الى قوله بهم سارَت اعلامه و قام لوائه.

الثالث: قوله بهم سارت اعلامه و قام لوائه الى قوله فهم تائِهُون الخ. و فيه اشار عليه السلام الى مفاسد متابعة الشّيطان و الأِعراض عن الحقّ فانّ ثَمرته بلوغ الشّيطان و خلفائه الى اَوجِ القدرة و كمال الشّوكة و ذالک لانّه اذا وَجَد لمرامه و مَسلَكه اتباعٌ و اَشياعٌ فلا جَرم يصيرُ مُقتدراً قوّياً على ترويج الباطل، و

---

١. الرّوم / ١٧.

اضمحلال الحقّ و إعلاءِ كلمة الشّرک و النّفاق و رواج الظلم و الطغيان و اطفاءِ نور الحقّ و الأيمان ففی ذالک الزّمان لا يبقی من العدل و الأحسان الاّ إسمهما من القرآن الاّرسمه و من الأحكام الاّ نقشها ورّقشها و انّا لا نحتاج فی اثبات هذا المعنی الی البحثِ فی حكومة معاوية و امثاله من خلفاءِالجَور فی صَدر الأسلام بل نجده فی زماننا هذا اضعافاً مضاعفةً بحيث ان قِسنا زماننا هذا بزمانه و انصَفنا لَنقُول هذا من قبيل قياس القَطَرة الی البحر و لتفصيل البحث فيه مقام آخر. و امّا قوله عليه السلام فی فِتَنٍ داسَتهُم فقد اشار عليه السلام به الی قول رسول الله صلی الله عليه و آله من اعان ظالماً سَلّطه الله عليه و حيث انّهم اعانوا الشّيطان و نَصرَوه بأعمالهم و اَفعالهم و اَقوالهم فَسَلّطِ الله عليهم فَداسَتُهم بأخفافها الخ.

والرابع: قوله عليه السلام: فهم فيها تائِهون الی آخر الخُطبة: فقد اشار عليه السلام به الی انّ نتيجة هذا العمل الحَيرَة و الضَلاّلة فی دينهم و جلوس علمائهم فی زوايا البيوت و ظهور الجّهال الذّين هم عن الحقّ معرضون فيما بينهم و لنعم ما قيل:

اذا كان الغُراب دليل قوم سَيهَديهم سَبيل الهالكين

▫ **و منها يعنی آل النبی صلی الله عليه و آله قوله عليه السلام: هُم مَوضِعُ سِرِّه وَ لَجا اَمْره وَ عَيْبَتَهُ عِلمِهِ وَمَوْئِلُ حِكمِهِ وَ كُهوفُ كُتبِهِ وَ جِبالُ دِينِه بِهم أقامَ انْحِنا ظَهْرِهِ وَاَذْهَبَ اِرْتِعادَ فَرائصِهِ.**

◁ اللّغة

مَوضع اسم مكانٍ من الوَضع و كذا. **المَوئِل.** (**لَجا**) المَلَجاء. (**العَيبَته**) ما يُودَع فيها لِلصَّون عن التَّلِف. (**مَوئَل المَرجع**) من آل يؤُل اذا رَجَع. (**كُهوُف**) جمع كَهف. و (**الفرائص**) جمع فَريصة و هی اللَّحمة التّی بَينَ الجَنب و الكتِف.

◁ المعنی

قال عليه السلام: فی شان آل النّبی صلی الله عليه و آله هم ای آل النّبی مَوضع سِرّ الله و المَلَجا لأمره و المَستودَع لعِلمه و المَرجَع لحُكمه و الحافظون لِكتُبه و الأسباب

لأستقرار دينه بسبب وجودهم اقام الله تعالى اعوجاج ظَهر النّبى و اذهَبَ الأرتعاد عنه كلّ ذالک استعارات لطيفة حَسَنة، قال ابن ميثم البحرانى قده فى شرح هذه العبارات و الضّمائر المُفردة كلّها راجعة الى الله تعالى الاّ الضمير فى ظَهره و فرائصه فانّهما لِلرّسول كما سَبَق ذكر الله، و رسوله فى صدر الخطبة و قيل الكلّ لِلرّسول و اشار بكونهم مِوَضِعُ سِرّه الى كمال استعداد نفوسهم لأسرار الله و حكمته اذا المَوضع الحقيقى لِلشّيئى ما قَبلِه و استَعَدّ له، و بكونهم مَلَجا امَره الى انّهم النّاصرون له و القائمون بأوامره، و الذّابون عن الدِّين فأليهم يُلتَجى و بهم يقوم سُلطانَهُ و كونهم عَيبَة علمه مرادف لكونهم موضِع سِرّه اذ يقال فى العرف فلان عَيبَةُ العلم اذا كان موضع اسراره و لفظ العَيبَة استعارة لنفوسهم الشّريفة و وجه المشابهة ظاهر، اذا العَيبَته لمّا كان من شانها حِفظ ما يُودَع فيها و كانت اذهانهم الطّاهرة حافظة للعلم عن عَدَمه و صائنةٌ له عن تَدَنّسُه بأذهان غير اَهله لا جَرم حَسُنت استعارتها لأذهانهم. و بكونهم مَوئل حُكمه اشار الى كونهم مَرَجعا لحِكمته اذا ضَلّت عن اذهان غير هم فمنهم تُطلَب و عَنهم تُكتسب و بكَونهم كُهوف كتبه الى انّهم اهل حفظها، و دِرْسَتها و تفسيرها و عندهم علمها و تأويلها و الكُتُب اشارة الى القرآن و غيره من كُتُب الأنبيا و بكونهم جبال دينه الى دين الله سبحانه و تعالى اى بهم يعتَصِم عن وَصَمات الشّياطين و تبديلهم و تحريفهم كما يعتصم الخائف بالجَبَل مِمَّن يُؤذِيه و هى استعارة لطيفة انتهى موضع الحاجة منه.

◁ الشرح

▫ **قوله عليه السلام: هُمْ مُوضِعُ سِرّه:** اعلم انه اَثبَت لآل محمدٍ فى هذا المقام ثمانية اوصاف تدّل على عُلُوّ مقامهم و سُمّو مكانهم و رَفعة شأنهم و نحن نشرح كلّ واحدٍ منها بحسب ما يقتضيه المقام:

الاوّل: قوله عليه السلام هُم مَوضِعُ سِرّه، يعنى آل محمد صلى الله عليه وآله مَوضع سِرّ الله تبارک و تعالى و يدّل عليه النَقّل و العقل امّا النَّقل: **فمنها ما رواه فى البحار باسناده**

عن ابي بصير قال: قال ابو عبد الله عليه السلام يا ابا محمّد انّ عِندنا سرّاً مِن سِرّ الله و عِلماً من علم الله تبارک و تعالى لايحتمله مَلَك مقرَّب و لانبى مُرسل و لا مؤمن امتَحَنَ اللّه قلبه للأيمان واللّه ما كلّف اللّه احَداً ذالک حَمل غيرَنا و لا استبَعَد بذالک احداً غيرنا و انّ عندنا سِرّاً من سِرّ اللّه و عِلماً من علم اللّه اَمرَنا الله بتبليغه فَبلَغنا عن الله عزّ و جل ما اُمرِنا بتبليغه ما لَم نَجد له مَوضَعاً و لا اَهلاً و لا حمالة يَحمِلونه حتى خلقِ الله لذالک اقواماً خلقوا من طينةٍ خُلق منها محمّد (ص) و ذُريّته و من نور خلَق اللّه منه مُحمّداً و ذريته الحديث.

اقول: هذا الحديث الى آخره نقله الشارح الخوئى فى شرحه ان شئت فراجعه و منها: ما رواه فى الكافى بسنده عن ابن جعفر عليه السلام انّه قال: و الله انّا لَخزّان الله فى سَمائه و اَرضه لا على ذهبٍ و لا على فضّةٍ الاّ على عِلمه انتهى.

و منها: ما رواه فيه ايضا بسنده عن سَدير عن ابى جعفر قال قلت له: جعلت فداک ما انتم قال عليه السلام نحن خُزّان عِلمِ الله و نحنُ تَراجمةُ وَحيِ الله، و نحن حُجَجهُ البالغة على مَن دُون السّماءِ و مَن فوق الأرض انتهى.

و منها: ما رواه فيه ايضا بسنده عن ابى الحسن موسى عليه السلام قال: قال ابوعبد الله انّ اللهِ عزَّ و جلّ خَلَقنا فاَحسَن خَلقنا و صَوّرنا و اَحسَن صُوَرَنا و جَعَلنا خزائنه فى سَمائه و ارَضه و لنا نطقت الشَّجر و بعبادتنا عُبد الله تعالى و لَولانا ما عُبد الله انتهى.

و منها: ما رواه فى المجلّد السّابع من *بحار الانوار* بسنده عن ابى جعفر عليه السلام قال اِنّ مِنّا لَخَزَنة الله فى الأرض و خَزَنته فى السّماء لَسنا بُخزّانٍ على ذهبٍ و لافضةٍ انتهى.

و منها: ما رواه بسنده عن ابى جعفر عليه السلام قال انّا لَخُزّان الله فى سَمائه و خُزّانه فى اَرضه لَسنا بخزّانٍ على ذَهَبٍ و لا فِضّةٍ و اِنّ منّا لَحمَلةُ العَرش الى يوم القيمة انتهى.

و منها: ما رواه فيه ايضا بسنده عن ابى جعفر عليه السلام قال عليه السلام نحن خُزّان الله

فی الدّنیا و الآخرة و شیعتنا خُزّاننا انتهی.

و منها: ما رواه فیه ایضابسنده عن جابر الجعفی عن ابی جعفر علیه السلام قال و الله انّالَخُزّان الله فی السّماءِ و خُزّانه فی الأرض انتهی.

و منها: ما رَواه بسنده عن عبد الرحمن ابن کثیر عن ابی عبد الله یقول نحن ولاة امر الله و خَزَنة علمه و عَیبَة وحیه انتهی.

و منها: ما رواه فیه ایضا بسنده عن حمران عن ابی جعفر علیه السلام قال انّ الله تبارک و تعالی اَخَذ المیثاق علی اوُلی العَزم اِنّی ربّکم و مُحَمّد صلی الله علیه و آله رسولی و علیّ امیر المومنین و اوصیائه من بعده وُلاةُ امری وَ خُزّان علمی و انّ المهدی اَنتَصِرُ به لِدینی.

و امّا العقل: فَلِمّا مَرَّ مِنّا مراراً انّ انوار هم عَلیهُم الّسلام خُلقت قبل سائر الأرواح بالَفَی عامٍ اَو اَقَّل او اَکثر و سائر الخلق مَوجُودون بوجودهم و مخلوقون بخلقهم و مَرزوقون برزقِهم لو لا هم ما خَلَق الله خَلقاً سَمّاویاً او اَرضیّاً فَبوُجودهم ثَبَتت الأرض و السّما وَ بِیمُنهم رزقُت الوَریٰ و اذا کان الأمر کذالک فلا مخلوق فی عالم الوجود اَقرَب الله تعالی منهم و القُرب قُرب شَرَفٍ لا قُرب مکانٍ فَهمّ الأشرَفُون و الأقرَبونَ الی المبدأ و قاعدة امکان الاشرفِ یقتضی تَقدَّمهم فی الوجود و الاّ یلزم تقدّم الأخَسّ علی الأشرف و هو محال عقلاً کما ثبت فی محلّه اذا عرفت هذا فاعلم انّ اوّل ما خلق الله بمقتضی هذه القائدة هو روُح نبینّا کما قال صلی الله علیه و آله اوّل ما خَلَق الله رُوحی و قد مرّ البحث فیهُ مفصّلاً فی اوائل الکتاب.

و حیث قد ثبت انّ ارواح الائمّة علیهم السّلام مُنشَعبة من نُوره و مُنفَصلة من شَجَرة قُربه و دُنوّه بحیث لا یمکن لنا القول بالفَصل بین هذه الأنوار کما قال صلی الله علیه و آله انا و علیٌّ من شَجرةٍ واحدةٍ و قال صلی الله علیه و آله خَلَقنی و علیّاً من نورٍ واحدٍ و غیر ذالک من الاخبار فبضمَیمة القول بعدم الفصل یثبت لهم ما ثَبَت للرسول اِلاّ الرسالة و لا شکّ عَقلاً و نقلاً انّه صلی الله علیه و آله علّة الغائیة لِأیجاد الممکنات کما قال

تعالى مخاطباً ايّاه لو لاک لَما خَلقتُ الأفلاک، فکذالک الأئمة عليهم السلام کما قال عليه السلام: بنا عُرف الله و بنا عُبد الله لو لا نا ما عُرف الله لو لا نا ما عُبد الله، و قد تَظافرت الرّوايات على انّه لو لا هم لَما خَلَق الله خَلقاً. و قد ثَبَت فى العلوم العقليّة ان الصّادر الأوّل كل ما يمكن اثباته له بالأمكان العام فلابدّ من ان يكون فعلِيّاً له و ليست هناک حالة مُنتظرة، و هذا من خواصّه و لا يلزم منه ان يكون واجباً فانّ الواجب ايضا واجد لهذه الخاصيّة اعنى لَيسَت فيه بالنِّسبة الى كمالاته حالَة منتظرة و ذالک لانّ الصّفات الكماليّة فيه بالوجوب الذّاتى و فى الصّادر الاوّل بالأمكان و بينهما فرقٌ بعيد. فلابدّ من كون الصّادر الاوّل واجداً لكمالات العِلّة بالأجمال، و هى واجدة لِكمالات المعلول بالتّفصيل كما انّ العِلّة و المَعلُول من حيث الوجود ايضا كذالک فانّ وجود العلّة وجود المعلول تفصيلا و وجود المعلول وجود العلّة اجمالاً و هكذا الأمر فى سائر الصّفات من العِلم و القُدرة و الأرادة و غيرها و لأجل هذه الدّقيقة يقال علم العلّة بالمعلول تَفصيلىٌ و علم المعلول بالعِلّة إجمالّى لعدم قدرة المعلول على العلم بالعلّة عِلما اكتناهيّاً. و بسبب ذالک يقال المعلول لَيس إلاّ رشحاً من رَشَحات وجود العِلة و بعبارةٍ اُخرى مَرتبة ناقصة نازلة منها فكيف يمكن العلم الأكتناهى للنّاقص النّازل بالكامل مع انّ العلم بالشّيئى علماً واقعيّاً حقيقيّاً يستلزم ادراک المعلوم كما هو حقّه و لمّا لم يمكن لِلنّاقص ادراک الكامل الاّ بوجهٍ من الوجوه، قال صلى الله عليه وآله ما عَرَفناک حقَّ مَعرفتک.

فاذا علمَت ذالک و تدَّبرَت فيه حق التَّدَبُر فقد انكَشَف لکَ انّ الصّادر الأوّل من حيث قُربه الى المَبدَأ وَ وفُور استعداده و قابليّته واجدٌ لِكلّ كمالات المَبدأ على نحو الأجمال بقدر استعداده و هذا هو المقصود من قوله عليه السلام هم مَوضع سِرّه فآل مُحمدٍ صلى الله عليه وآله من حيث انّهم نور واحد و هو نور النّبى الّذى هو الصّادر الاوّل المَخزون فيه عجائب الأسرار و دقائق الأيجاد فلا جرم صاروا مَوضع سِرّه تعالى و الله العالم بحقائق الامور.

و بهذا الدليل العقلى بعينه يثبت لهم عليهم السلام باقى الصّفات السّبعة الآتية الثّابتة لَهم فى هذا المقام فانّ الكمالات المُودَّعة فى المَعلُول الأوّل لا تَختَصّ بواحِدة دون واحدةٍ بل حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد كيف و المعلُول الاوّل كما ذكرناه آنفاً مقام اجمال العلّة من حيث الذّات و الصّفات و الصفّات فى المبدأ عين ذاته فمقام اجمال الذّات مساوق لمقام اجمال الصّفات من العلم و الحكمة و القُدرة و غيرها و مُحصّل الكلام هو انّه لما ثَبتَت هذه القائدة فكلّما اَثبَتناه للعِلة بنحو الكمال و التّمام و الوجوب فَنُثبته للمعلول بنحو النّقص و الأمكان فالمَعلُول الاوّل لعدم الواسطة بينه و بَين عِلّته مَخزَن اسراره كُلاًّ و طُراً بحيث لا يَشُذّ عنه شيئى فلا فرق بينهما من حيث الوجود الاّ بالوجوب و الامكان و الكمال و النّقص و الشّدة و الضّعف و لا فرق فى علمِهما و قدرتهما و ارادتهما و سائر صفاتهما ايضاً اِلاّ بما ذكرناه او الأجمال و التّفصيل فالارادة فيهما واحدة و العلم واحد و القدرة واحدة و هكذا كما قال الصادق عليه السلام ان شِئنا شاءَ الله و ان شاء شِئنا و ان ارَدنا ارادَ الله و ان ارادَ ارَدَنا، و غير ذالک فاغتنم بهذا التحقيق فانّه رشيق جِداً بل هو باب يُفتَح له الف باب و هو ممّا الهَمَنا الله تعالى ببركة صاحِب هذا الكتاب الذّى نحن بصدد شَرحه عند شرحنا فى هذا المقام و الحمد للّه ربّ العالمين.

الثانى: قوله عليه السلام: ولَجَاءِ اَمره: و فيه اشار عليه السلام الى الوصف الثّانى من الأوصاف الثّمانية قال فى المنجد لَجَاءِ لَجاً و لَجُوءً و لجئَ لجاءً و إلجاءً الى الحصن او غيره لاذَ اليه و اَعتصَمَ به انتهى، و الأمر بالنسبة اليه تعالى يطلق بحسب الصّناعة على الأمر التّكوينى و الأمر التّشريعى و الأمر التّكوينى اِلالّهتى عبارة عن فِعله اعنى الوجودات المُنبَسطة على هَياكل الموجودات قال الله تعالى: انّما اَمرِنا اذا ارَدنا شيئاً ان نقول له كن فيكون، فكلمة كُن تدّل عليه، و امّا الأوامر التّشريعية فهى عبارة عن الأوامر الصادرة منه تعالى فى الأحكام و الشّرايع الدّينيّة بتوسط الأنبيا عليهم السلام كالأمر بوجوب الصّلوة و الصّوم و الحِجّ و

الزّكوة و الخمس و غيرها اذا تيقّنت هذا فقوله عليه السلام و لَجاءِ امره، حَمَله الشّارحون على الأوامر التّشريعية بتقريب انّ النّاس لابدّ لهم من الألتجاءِ اليهم عليهم السلام فى الأحكام الشرعيّة و اخذهم الأوامر و النّواهى عنهم و هذا ظاهر من العبارة فى بادى النّظَر و لنا معهم كلام لابدّ من ذكره.

و هو انّ المقصود من كلمة الأمر لو كان ما ذكروه قدّس الله اسرارهم فينبغى له عليه السلام ان يأتيه بلفظ الجمع و قال اوامره لانّ الأمر منه تعالى ليس بواحدٍ بل اَوامره مُتعدّدة مُتكثّرة فلاىّ شيئٍ اَتىٰ بالمُفرد، لا يقال المقصود منه جنس الأمر و هو يطلق على القليل و الكثير و المفرد و الجمع لانّا نقول لفظ الأمر بدون الالف و اللام لا يفهم منه الجنس الاّ بقرينة تدّل عليه و ليست قرينة فى المقام الاّ على القول بانّ المصدر المُنكر يفيد المعموم و فيه كلام و على فرض تماميّته المُدّعىٰ اىّ دليلٍ دَلّ على انحصار المراد به الأوامر التّشريعية مع احتمال اللفظ غيره ايضاً و عدم قرينةٍ على الخصوص فانّ كلمة الأمر كما قلنا تطلق على المعَنَيين بالأشتراك فارادة الخّاص لادليل عليها.

وثانيا: ان كان المراد منه ما ذكروه فما الفرق بين هذا الجملة و الجملة الاتية و هى قوله و مَوئِل حُكمه، فان المَوئِل ايضاً الملَجَا و الحكم منه تبارك و تعالى ليس الاّ اِوامره التّشريعية من الواجبات و المُستحبّات و هذا يقتضى الفرق بين الجملتين باللّفظ فَقَط دون المعنى و هو كما ترى. و الّذى يقتضيه التّحقيق حسب مايؤّدى اليه النّظر الدّقيق هو ان يحَمَل لفظ الأمر على الأعم من التّشريعيات و التّكوينيات فانّ الجمع مَهما امكن اَولىٰ من الطّرح وانّ المقصود و الله العالم هو انّ الائمّة عليهم السلام لَجَأِ امره تعالى فى الأمر التّكوينى المُتضمّن للأمر التّشريعى ايضاً بدلالة المطابقة، كما فَهمه الجمهور و تقرير ذالک يستدعى رسم مقدمة زيادة للبصيرة و مَزيدٌ اِلتوضيح فنقول: قد ذكرنا مرارا انّ الأئمّة سلام الله عليهم هم الوسائط فى الأيجاد بحيث لو لا هم لما كان فى عالم الوجود موجودٌ و هذا اصلٌ تُبتنى عليه فروع كثيرة نافِعة.

فالوجُود المُنبَسط الّذی هو فِعله وَ امَره وَ لیسَ الاّ واحداً کما قال تعالی و ما امَرنا الاّ واحدة، مَلَجائه و ملاذه انّما هو المَعصومون علیهم السلام فی جمیع شؤنه فی امور الدّین و الدّنیا فما من مَوجودٍ فی عالم الوجود الاّ و هو ملتجئی الیهم عَلِم به اوَ لَم یَعلمَ فی وجوده و جمیع امُوره لانّه لو لا الحُجّة لساخَت الارض بأهلها، فالحُجّة فی الحقیقة عِلّة مُبقِیة لبقاءِ الأرض و السّماء و ما بینهما من الموجودات و لیس للملاذ وَالمَلَجا معنی غیر هذا.

فقولهعلیه السلام: یُشیر الی لزوم الحُجّة و نَفعَها و ثَمَرتها و من المعلوم انّ الموجودات اذا کانت بوجودها و جمیع امورها مُلتجیة الیهم علیهم السلام ففی امور دینهم بطریق اَولیٰ فافهم و یدّل علیه ما فی الآثار المروّیة عنهم علیهم السلام.

فمنها: ما رواه فی الکافی بسنده عن ابی الحسن الرضاعلیه السلام **قال**علیه السلام**: الأئمّة خلفا الله فی ارضه انتهی.**

و تقریب الاستدلال به هو انّ معَصیتهم معَصیة الله و طاعتهم طاعته و امرَهم امرَه و نَهیهم نَهیه فالثابت لهم بحکم الخلافة هو الثابت له تعالی اِلاّ الالُوهیّة و لا شَکّ انّ الله مَلَجاءٌ و معاذٌ للمخلوقات کما تقول: اعوذ باللّه، فالخُلفاءِ ایضاً یکونون مَلَجاءً و معاذا لِما سِوی الله تعالی، لانّ المفروض انّ کونهم مَلَجا هو انّ الله مَلَجأ فالألتجا الیهم هو الالتَجاالی الله تعالی و هو المطلوب.

و منها: ما رواه فیه ایضا بسنده عن ابی بصیر قال قال ابو عبداللهعلیه السلام **الأوصیاءِ هم ابواب الله عزّ و جل الّتی یُوتیٰ منها و لو لا هم ما عُرف الله تعالی و بِهِم اَحتَجَّ الله تبارک و تعالی علی خلقه.**

الثالث: قوله**علیه السلام** **و عَیبَته علمه**: و فیه اشارة الی اتصال علوم الأئمّة بعِلم الله تعالی و اَخذهم العلُوم منه بدون واسطة فَعلُومهُم لیست بکَسبیته بل لَدُنیّةٌ حُضوریّة و ذالک لانّ من کان عَیبَة عِلم الله ای عِلمه مُوَدَّع عنده لا یکون علمه

كَسَبياً اذ العلوم الكسبيّة الحُصُوليّة تُوجَد شيئاً فشيئاً و مع ذالک لا تُؤمَن من الغَلَط و الأشتباه و هذا بخلاف العلم المأخوذ، من الحیّ الّذی لا یَمُوت فانّه ینکشف عن الواقع انکشافاً حقَیقیّاً و لذالک تراهم لا یخطئون فیما یقولون و لمّا کانوا سلام الله علیهم غَیبَته عِلمه تعالی فلا جرم کانوا برئیون من الجَهل و الوَهم و السّهو و النّسیان و یُستنبَط منه امور:

الاوّل: انّ علومهم من الله تعالی و ذالک لانّهم غَیبته عِلمه و [illegible] عِلمه تناهی علمه تعالی فانّ ذاته و صفاته غیر متناهیة فهم عالمون بکلّ ما کان و ما یکون و ما هو کائن الی یوم القیمة و یدّل علیه ما رواه فی البحار بسنده عن المفضل عن الصّادق علیه السلام قال قلت له جعلت فداک یفرض الله طاعة عبد علی العباد ثم یحجبُ عنه خَبَرالسمّاء، قال اللّه اَکرَم و اَرافَ بعباده من ان یَفرض علیهم طاعة عبد یَحجُب عنه خبر السّماء صَباحاً و مَساءً انتهی.

و ما رواه فیه ایضا بسنده عن ابی جعفر علیه السلام یقول لا وَالله لا یکون عالمٌ جاهلاً ابداً عالمٌ بشیئٍ جاهلٌ بشیئٍ، ثُمّ قال الله اَجَّل و اَعزّ و اعظَمَ و اَکرَمَ من ان یفرض طاعةً عبدٍ یَحجُب عنه علم سَمائه و ارَضَه ثمّ قال لا، لا یَحجُب ذالک عنه انتهی.

و ما رواه فیه ایضا بسنده عن ابی عبدالله علیه السلام یقول للرّجل اَفتَریٰ الله یمُنّ بعبدٍ فی بلاده و یَحتَّج علی عباده ثم یَخفیٰ عنه شیئاً من اَمره انتهی.

و ما رواه فیه ایضا عن امیر المؤمنین علیه السلام حیث سئل علیه السلام عن علم النّبی صلی الله علیه و آله و سلم، فقال علم النّبی علم جمیع النبیّین و علم ما کان و علم ما هو کائن الی قیام الساعة ثمّ قال و الّذی نَفسی بیده انّی اَعلَمُ عَلِم النّبی و علم ما کان و علم ما هو کائن فیما بَینی و بَین قیام السّاعة انتهی.

اقول: ویثبت هذا المعنی فی باقی الأئمة بعدم القول با لفصل و ما رواه فیه ایضا عن ابی عبد الله علیه السلام قال ابتداءً منه و اللّه انّی لأعَلم ما فی السّماوات و ما فی الأرض و ما فی الجَّنة و ما فی النّار و اعلَمُ ما کان و مایکون الی ان تقوم

السّاعة ثم قال اعلَمُه من كتاب الله اَنظُر اليه هكذا، بَسَطَ كَفَيّة ثمّ قال انّ الله يقول و اَنزَلنا اليک الكتاب فيه تبيان كلِّ شيئٍ انتهى. والأحاديث فى الباب كثيرة فمن اراد الأطّلاع عليها فعليه بمراجعة البحار و الكافى و غيرهما من المفصّلات.

الثانى: انّ عُلوَمَهم مأمُونة من الغَلَط و الأشتباه و الخطاء والسَّهو والنّسيان و ذالک لانّهم اذاكانوا عيبته علمه فَليَس لهم علمٌ الّا علم الله تَبارک و تَعالى و العلم فيه مأمونٌ من الغَلَط فكذالک فيهم كما وردانّ الرّاد عليهم كَالرّادّ على الله و من اطاعَهم فقد اطاع الله و امثال ذالک و يدّل عليه كثير من الاخبار. فمنها ما رواه فى الكافى بسنده عن ابن جارود قال قال علىّ ابن الحسين عليه السلام ما يَنقُم النّاس مِنّا فنَحنُ و الله شَجرَة النُبوّة و بيت الرَّحمة و معدن العلم و مختلف الملائكة انتهى...

و منها ما رواه ايضا فيه بسنده قال اميرالمومنين عليه السلام إنّا اهل البيت شّجرة النّبوة و موضع الرّسالة و مختلف الملائكة و بيت اَلرّحمة و معدن العلم انتهى. و منها ما رواه فيه ايضا عن يزيد ابن معوية العجلى قال سئلت ابا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ و جل إتَقُو الله و كُونوا مع الصّادِقين. قال الصادق هُم الائمّة و الصدّيقون بطاعتهم انتهى...

الثالث: قوله عليه السلام و مَوئِل حُكمه: و قد اشار عليه السلام بهذا الى انّ الائمّة هم المراجع فى احكام الله تعالى و اليه اشار فى كتابه الكريم:

﴿يا اَيُّها الَّذينَ امَنُوا اَطيعُوا اللهَ وَ اَطيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَاِنْ تَنازَعْتُمْ فى شَيْئٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[1]

﴿وَ لَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَ اِلىٰ اُولِى الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطُونه مِنْهُمْ﴾[2]. و ذالک لانّهم اهل الذّكر الّذى امُرنا با لسّئوال عنهم و التّمسک بهم فى الأحكام الدّينية كما وَردَت به روايات كثيرة: **منها ما رواه فى الكافى باسناده**

---

١. النساء / ٥٩.

٢. النساء / ٨٣.

عن ابی جعفر عليه السلام من قول الله عزّ و جل: ﴿فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الذِّكرَ اَنا و الاَئمّة و اَهل الذِّكر فی قوله عزّ و جل: ﴿وَ اِنَّه لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ[2]﴾.

قال ابوجعفر عليه السلام: نحن قومه و نحن المَسئولون انتهی. و منها ما رواه فيه ايضا عن ابی الحسن الرضا حيث سئل عليه السلام عن ﴿فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ﴾ فقال عليه السلام نحن اهلِ الذِّكر المَسئُولون قلت فانتُم المَسئولون و نَحن السّائلون قال نعم قلت حقاً علَينا ان نَسئَلَكُم، قال نعم قلت حقاً عَليكم اَن تُجيبونا قال لاذاک الينا إن شِئنا فَعَلنا و إن شِئنا لَم نفعل اما تَسمع قول الله هذا عطاؤنا فامْنُن او امسِک بغيرِ حساب انتهی.

و منها ما رواه فيه ايضا عن ابی عبد الله فی قول الله عزّ و جل و انّهُ لَذِكرٌ لَكَ و لِقومِكَ و سَوف تُسئلون فرسول الله الذّكر و اهل بيته المُسئُولون و هم اهل الذّكر انتهی. و منها ما رواه فيه ايضا عن ابی عبد الله فی قول الله تبارک و تعالی: ﴿وَ اِنَّه لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ﴾ قال الذّكر القرآن و نحن قومه و نَحن المَسئُولون انتهی.

و منها ما رواه فيه ايضا بِاَسناده عن جابر عن ابی جعفر عليه السلام فی قول الله عزّ و جل: ﴿هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُو الْاَلْبَابِ﴾[3] قال عليه السلام نحن الّذين يَعلَمون، و الذّين لايَعلَمون عَدُّونا و شيعتنا اؤلُو الالباب انتهی.

اقول: و السِّر فيه هو انّهم عليهم السلام كانوا حافظين لدينه والمُفسّرين لِكلامه و مَرجَع حُكمه و خلفائه فی ارضه فلابدّ لنا من الرّجوع اليهم فی الأحكام الشّرعيّة و الرّجوع اليهم بعَينه هُو الرّجوع الی الله تعالی. و قد روی ان معاوية ابن ابی سفيان دَخَل المدينة فی زمان خلافته فاتی يوما مسجد

---

١. الانبياء / ٧.
٢. الزّخرف / ٤٤.
٣. الزّمر / ٩.

النّبی ﷺ و عبد الله ابن عباس و جماعة فی المسجد و ابن عباس یفسّر کلام الله لهم فقال معاویة لعبد الله اِتق الله و لا تُفسّر القرآن برأیک و اسئَل اَهلَه فی تفسیره فقال له عبد الله و مَن اَسئَلُه قال اَهل الذِّکر الذّی قال تعالی فی حقّه: ﴿فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّکْرِ﴾ قال عبد الله و مَن اهلُ الذِّکر قال سَمَرة ابن جُندُب و ابوهُریرة وانَسَ و امثالهم.

قال عبد الله یا معاویة اِنّ القُرآن نَزَل فی بُیوتنا و نَرجع فی تفسیره الی بنی اُمیّة و امثالهم انّ هذا النسیئ عَجاب انتهی.

اقول: الحَق فی الاحتجاج مع عبد الله ابن عباس و معاویة ایضا عَلِم به الاّ انّ انْمُلک علیهم و علی کُلّ حال لو کان الناس بعد النّبی مُتمسّکین بهم فی دینهم و دُنیا هم لَما کان لِمعاویة و ابنه یزید و من تقدّم علیهما و من تاخر عنهما حظّ ولا نَصیبٌ فی الخلافة الأسلامیة و الحکومة علیهم و الحکم فیهم بخلاف ما اَنزَل الله تعالی فی کتابه فما وَقَع فی الاسلام انّما وَقَع من طَرد اَولاد رسول الله عن حُقوقهم المُسلّمة و قَتلَهم و سَلبَهم و نهَب اَموالهم و تبعید هم عن اوطانهم و اِجراءِ الظّلم علیهم و علی غیر هم و امثال ذالک من الوقایع و الدَّواهی من صدر الأسلام الی زماننا هذا و الی زمان ظهور المهدی ﷺ الذّی یَملأ الأرض قِسطا و عدلاً بعد ما مُلئت ظُلماً و جَوراً اللّهم اَجعَلنا من اَعوانه و انصاره بحقّ محمدٍ و آله.

الرابع الخامس: قوله ﷺ **کهُوف کتبه:** یعنی انّهم علیهم السلام اللّمَجأ و المَلاذ لِکُتبه السّماویة النّازلة علی الأنبیا و الرّسُل و ذالک **یدّل علی** امور **الاوّل:** انّهم علیهم السلام حافظون لِلکتب **عن الأندراس** و التّغییر **عمّا هی** علیه. **الثّانی:** انّهم المَراجع **فی تعیین** المراد منها **و تفسیرها علی ما هی** علیه و قد دَل علیه الحکم السّابق **ایضا. الثّالث:** انّه لولا **هم** لم یکن لها مَصُونیّة عن تَصَرّفات الشّیطان و اتباعه فیها بزیادةٍ او نقص فیها. **الرّابع:** ان العلم بما تحویه الکتب مِن الأحکام و السّیاسات و غیرها منحصر بهم علیهم السلام و ما سواهم لا

بُدَّلهم من الأتِبَاع و السّئوال عنهم كما ورد من فَسَّر القرآن برايه فلْيَتَبَوْ مَقعَده من النّار فلايجوز تفسير القرآن الاّ بما وَرَد عنهم **الخامس:** قال كتبه بصيغته الجمع و ما قال كتابه للأشعار بانّ الائمة ليسوا كُهوف القرآن فَقط بل كما انّهم كُهوف بالنسبيّة الى القرآن فكذا لک سائر الكتب الّسماوية و هو يدّل على احاطة علمِهِم تفصيلاً بها و قد ورد بها روايات منها: **مارواه فى البحار** باسناده فى حديث بُريهة النّصرانى انّه جاءِ مَع هشام حتى لِقَىْ موسى ابن جعفر عليه السلام، قال عليه السلام: كيف ثَقتُکَ بتأويله؟ قال: ما اوثَقَنى بعلمى فيه قال فأبتَدأنى موسى بقرائة الإنجيل فقال بريهة و المَسيح عليه السلام يَقرُوها هكذا و مَاَقرأ هذه القرائة اِلاّ المَسيح قال بُريهة ايّاک لقد كُنتُ اَطلُب منذ خمسين سنةً فاَسلَم على يَدَيه انتهى.

ومنها ما رواه فيه ايضا عن هشام ابن الحكم قال جاء بُريهَة جاثليق النّصارى فقال لأبى الحسن جعُلت فداک اَنّى لكم الحوارية و الأنجيلّ و كُتُب الأنبيا قال عليه السلام: هى عندنا وراثة من عندهم فَنَقرؤَها كما قَرَؤها و نقولها كَما قالوها انّ الله لا يجعل فى ارضُه حُجّة يُسئل عن شيئٍ فيقول لا اَدرى الخبر.

و منها ما رواه فيه ايضا باسناده عن الثّمالى قال قال علىٌ لوثنِيّت لِىَ الوَسادة (وسادة) لحكمتُ بين اهل القرآن بالقرآن حتى يزهر الى الله و لحكمت بين اهل الأنجيل با لأنجيل حتّى يَزَهر الى الله و لولا اية فى كتاب الله لأنباتُكُم بما يكون حتى تَقوُم السّاعة انتهى...

اقول: و الاية «**يَمْحَوْا اللهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَه أُمُّ الْكِتابِ**»[1]، بالجملة لاشكّ عندنا و عند اهل الحق انّ الأئمّة المعصومين كانو عالمين با لكتب السّماوية بل هم حقيقة الكتب وَ لبُّها كما قال علىٌ مُشيراً الى القرآن هذا كتاب الله الصّامت و انا كتاب الله النّاطق، و سياتى منّا تفصيلٌ فى هذا الباب انشا الله تعالى.

السادس: قوله عليه السلام **و جبال دِينه:** و هذه هى الصِّفة السّادسة الثّابتة لهم

١. الرّعد / ٣٩.

علیهم السلام و فیه ایضا استعارة عَجِیبة حیث انّه علیه السلام اثبت لها ما اثبت للجبال بِالنِّسبیة الی الأرض و ذالک قوله تعالی ﴿وَ الْجِبالَ أَوْتاداً﴾، فَعلی مَسلَک المشهور من انّ الجبال فی الأرض کالأوتاد بالّنسبة الی السّفینة مثلاً من جهة انّها تمنعها من التّزلزل و الأضطراب فکذالک الأئمّة علیهم السلام بمنزلة الأوتاد فی ارَض الدِّین حیث انّهم یَمنعُون الدّین عن الأضطراب و الأرتعاش. و امّا بنا علی ما ذهبنا الیه فی هذا المقام عند شرح قوله علیه السلام (وَ **وَتَّد بالصَّخور مَیَدان اَرضه**) و قلنا ما قلنا فالأمر لیس کما ذکروه بل اَعلٰی و اشرَف و الله اعلم بحقائق الامور فراجعه.

و علی ای تقدیرٍ لا خلاف فی انّهم کانوا حافظین لدین اللّه بل الدّین لیس الّاحقائق ذواتهم المقدّسة فانّ الأحکام الظاهریة فی الشّریعة المُقدسّة لیست الاّ القُشُور و امّا اللّب فهو عبارة عن ولایتهم و مَحبّتهم و قد دَلَّت علیه الروایة المشهورة بنی الأسلام علی خمسٍ الی ان قال و ما نودی بشیئی منها کما نُودِیَ بالولایة.

و الروایات الدّالة علی انّ الانسان لو عَبد الله مُدَّة عُمره و لم یَعصه طَرَفة عَینٍ و لم تکُن له محَبة اهل البیت و و لایتهم فَحَقٌّ علی الله ان یُدخِله النّار، و امثالها. و فی استعارَة لفظ الجبال عنهم فی المقام جهات:

الأولی: انّ الجَبَل فی الأرض مَلَجاء و ملاذٌ للناس لِعُلُوّهِ و ارتفاعه الاتری انّ الأنسان بل الحیوان یَلوُز به عند الشّدة و الخوف من العَدُّو، و یتَخِذه مَأمنًاله کما انّ الحَسَنِ الصَباح رئیس الأسما عیلة قد استَقَرّ هو واصحابه فی قُلَل الأجبال و بَنَوا اَبنیةً شامخةً علیها فی حیاته حتی لایکون لِلأعداء سُلَطة علیهم و کذا الحَیوانات و لا سیّما السّباع منها غالبا تَعیشُون فی الأجبال و هذ اظاهر...

فا لائمّة المَعصومون علیهم السَّلام کالأجبالِ فلابدّ لِمَن ارادَ ان یکون مأمُوناً من شیاطین الجِنّ و الأنس ان یَلوذَبهم و یَلتجیٌ الیهم حتی یکون دینه و دنیاه مَحفُوظَین کما دَلَّ عَلَیه کثیرٌ من الاخبار کحدیث الثَقَلین، و اترابه.

الثانية: انّ الأجبال لصلابتها و استحكامها و رسُوخها فى اَعماق الأرض لا تضطَرب و لاتَتزلزل من الرّياح الشَديدة و كذالک من كان ساكنا فيها محفوظ من الرّياح و صَدَماتها و لطماتها و الأضطراب النّاشى منها، و حيث انّ المَعصُومين عليهم السلام فى الدّنيا لا يَضطربُون و لايَتزَلزلَون من العَواصِف و الرّياح المَسمُومة التى لازالِت تهّب مِن اُفُق الشّيطان و تُضّلِ من ليس له ايمان كامِلٌ كذالک منَ تَمَسّک بهم فاَنه ايضا مَصُونٍ من هذه الخَطَرات فلاجَرم صَحَ تشبيه المعصُومين عليهم السلام بالجبال كما وَرد ماخابَ مَن تَمَّسک بكم و اَمِنَ مَن لَجاَء اِليكم.

الثّالثة: انّ الجبال فى الأرض تاخذ الرَّحمة الألهية قبل سائر الموجودات و بعدها فانّ المَطَر اذا نزَلَ من السّماء فَاوّل ما يأ خذه من الأرض هو الجبال و اَخره ايضا هو الجبال و ذالک لِعُلّوها و ارتفاعها من الأرض و من المعلوم انّ المَطَر فى نُزُوله يصَل الى رؤس الجِبال قبل بلوغه الى الأرض و المعصُومون ايضا كذالک بالنّسبَة الى فيوضات الرّبانّية حيث انّ الفيَض يصَلِ الى الأنسان الكامل اوّلاً والى سائر النّاس ثانيّاً لعِلُوّ شانهم و ارتفاع مقامهم فَصَّح تشبيهم بالجبال .

الرّابعه: انّ الأمطار النّازلة من السماء اذانَزَلت على الجبال يجرى منها الماء بصورة الأنهار العَظيمة الجارية على سطح الأرض لشرب الأنسان و الحيوان و النّباتات فلو لم يُمَطر على الجبال لم تكن هذه الانهار فى سطح الأرض و كيف يمكن للموجودات الأنتفاع بها و هذا المعنى جار فى حقهّم عليهم السلام بالنسبَة الى الأفراد و الأنهار الجارية من العلوم و المعارف تجرى من جبال وجود هم على سطح اراضى الأبدان لتشربوا منها و تنتَفَعوابها ولولا هم لما كان من البقاء و التَعيُّش فى الموجودات عينٌ و لا اَثَرٌ...

الخامسة: انّ البركات السّماوية الّتى تَنزل على الأرض لِأنتفاع الموجوداتِ بِها فَاَوّل نُزولها على رؤس الجبال و آخر ايضا كذالک، الاتَرى انّ المَطَر اوّل

قطرةٍ منه على رؤوسِ الجبال الشامّخة لارتفاعها و آخر القطرة منه ايضا كذالک و الشّمس اذا طَلَعت فاوّل طُلوعهايُشاهَد على رؤوس الجبال و غروبها ايضا عليها كما مرّفى الجَهَةِ الثالثة، و المعصومون ايضا بهذه المثابة فالنّعم الالهية اعنى بها الكمالات النفسانيّة و العلوم و المعارف الحَقّة بل النَعَم الظّاهرية كلّها يُفتتح بِوُجوداً وَّ لِهم و هو رسول الله ﷺ و يـخَتَتم بـوجود آخـرهم و هـو المهدى عليه السلام و بموته عليه السلام ينقَطع الفَيض و هذا معنى قوله عليه السلام لولا الحُجَة لساخَت الأرض بأهلها فابتداء النِعّمة فى عالم الوجود بهم لولاک لما خَلَقت الأفلاک و الاختتام ايضا بهم و فيه سِرٌّ عظيم و هو انّ الدنيا و ما فيها ليست الّا لَهُم و لأ جل ذالک ورد فى الحديث انّ كلّ من لم يُوالِ عَلّيّاً و اولاده المعصومين و هو مَشى على الأرض و اكَل مِن نِعَمها فهو غاصب.

السّابع: قوله عليه السلام **بهم اقام انحناء ظَهره و اَذهب ارتـعاد فـرائـصه:** قـال المحقق البحرانى الضمير فى ظهره و فرائصه يرجع الى الرسول و الضـمائر الّتى مَضَت كَلها يرجع الى الله تعالى و تبعه على ذالک سائر الشراح و عليه فا لمعنى هو انّه تعالى بسبب آل محمد ﷺ اقام اعوجاج ظَهر الرّسول و اذهبِ ارتعاد فرائصه قال قده ما هذ الفظه، و قوله عليه السلام **بهم اقام انحناء ظَهره** اشارة الى انّ الله سبحانه جَعلَهم لَه اعَضاداً يَشُدّون ازرَه و يُقوّمُون ظَـهره و يؤيّدون امره و انحناءالظهَر كنايةً عن ضَعفه فى بَدوالأسلام فبالحرّى انَ يكون اقامتهم لانُحناء ظهره تقويتهم ذالک الضَعف بالنّصَرةِ لِلدِّين و الذّب عـنه و قوله **واذَهَب ارتعاد فرائصه** اى انّ الله ازالَ عنه بمعوُنتهم خـوفه الذّى كـان يَتَوقّعه من المشركين على حَوزة الدّين و هوكناية عن الشيئى ببعض لوزامه اذكان ارتعاد الفرائض من لوازم شدّة الخوف و كلّ هذه الأمور ظاهرة لأهله الاّ دنين من بنى هاشم كالعبّاس و حمزة و جعفر و علىّ ابن طالب فى الذّب عن الرسول ﷺ و الهداية اليه و البلاء فى الدّين و الله اعلم انتهى.

و انا اقول: فى كلامه مواضع من الأنظار:

امّا اوّلاً فأىّ دليلٍ دَلَّ على انّ الضمائر كلّها راجعة الى الله الّاالضمير فى قوله: **ظهره و فرائصه** فانّهما يرجعان الى الرّسُول مع انّه ليس فى الجُملاتِ من الرّسُول عينٌ و لا اثرٌ اليسَت النُحّاة مُتفقيْن على انّ مَرجع الضمير لابُدّله من التقَدم لفظاً او حُكماً و المقام ليس كذالک و لعّله ظنّ انّ قوله و منهايعنى آل النّبى، كان من كلامه عليه السلام و عليه فالنّبىّ قدتقدّم ذكره و ليس الأمر كذالک فانّه من قول الرّضى لامن قوله عليه السلام فعود الضّميرين الى النّبى لادليلٍ عليه.

و ثانيا: لم يكن له صلى الله عليه وآله فى صدر الأسلام ضعف حتى يكون مُنجبراً بنصرتهم و ذَبّهم عنه فانّه صلى الله عليه وآله فى كمال القدرة و الشّوكة مُويّداً من عند الله و كيف يكون ضعيفاً من قال فى جواب عَمّه ابوطالب ما قال و هذا ظاهر لمن كان له ادنى تأملٍ نعم كان الدّين ضعيفاً غريباً كما قال صلى الله عليه وآله بُدءِ الاسلام غريباً و سيَعُود غريباً و هذا امرٌ آخر...

و ثالثا: لوكان الأمر كما ذكره من ضعفه عليه السلام فى صدرالاسلام فلا معنى لقوله تقويتهم ذالک الضعف بالنُصرة للدّين و الذّب عنه فانّ ظاهر التّعليل مُشعر بكونهم عليهم السلام ناصرين لدينه و ذابيّن عنه لانّ النُصرة و الذّب منهم ان كانت للدين بعد النبىِ فكيف يقول بانّ النبى فى بَدء الأسلام كان ضعيفاً بل لابُدله من القول بضعف الدّين حتى بعد موته صلى الله عليه وآله ليصدق ضعفه و نُصرتَهم له و هو مناف لقوله صلى الله عليه وآله اليوم اَكملتُ لكم دينكم و اَتمَمتُ عليكم نعمتى و رضَيتُ لكم الاسلام ديناً.

و ان كانت النُصّرة منهم له صلى الله عليه وآله فان كانت النّصرة لشخصه صلى الله عليه وآله مع قطع النظرعن الدّين فلامعنى له و ان كانت باعتبار الدّين حيث انّ نُصرتة نصُرة الدّين فيلزم ما ذكرناه. و ثالثا: قوله قدهاى ازالَ عنه بمعُونتهم خوفه الذّى كان يَتَوّقعه من المشركين، كلام بلامحصّل فان الحافظ للدّين هو الله تعالى قال فى كتابه الكريم انّانحن نَزّلنا الذّكر و انّا له لحافظون. فَتَحصّل ممّا ذكرناكلّه انّ هذه الأستخراجات الظّنية لايتّم بها المقصود و اعجَب من ذالک كلّه ماقال فى آخر

كلامه حيث قال كلّ هذه الأمور الخ و ادخاله العبّاس و حَمزَه و فی آل بیت الرسول کما تفطّن به الشارح الخوئی ایضا و لاسیّما العباس فانّه لم یکن من اهل بیته و لا من الذّابین عنه ﷺ فهو لایقاس بحمزة و جعفر فضلا عن علیٍ ﷺ فهذه الصفات لاتثبت الّا لِلخاصّة من اهله ﷺ و هُم المَعصُومون لا غیرهم والذّی حَصَل لنافی شرح هذه الکلمات بعنایةٍ من المَلِکَ الوّهاب، هو انّ الضمایر السّابقة لاشک فی رجوعها الی الله سبحانه و امّا الضمیر فی قوله ظَهره و فرائصه فأمره یَدوُر بین امرین:

الاوّل: ان یرجع الضّمیرفی کلتا الجُملتین الی دینه فی قوله ﷺ و جبال دینه و کان المقصود من الدّین اصله و حقیقته لا الأحکام الظاهریة فانّ الدّین تارةً یطلق و یراد بهالأحکام الصّورَیة من الصّلوة والخمس والصّوم و امثالها و تارة یُراد به لُبّ اللبّ و نُعَبّر عنه با الِولایة التی مانُودِی بشیئٍ کما نُودی بها.

فانّ کان المرادبه هو المَعنی الأوّل فلاشک انّه قد کمل فی حیاة النّبی اذا النبی قبل اکمال الدین بهذا المعنی لایموت و الّایلزم نقض الغرض و لیس لأحدٍ غیره جعَل حکم من الأحکام و لا رفَعه فحلاله حلال الی یوم القیمة و حرامه کذالک، فالدّین بهذا المعنی کاملٌ و مُکَمِّل و هذا لا شک فیه. و ان کان المراد به هو المعنی. الثانی اعنی اصول الدّین من التَوحید و العدل و الرّسالة بحسب الاقرار اللسّانی فهذا ایضا کالمعنی الاوّل ماکان فیه ضعفٌ و لانقْص و لایحتاج الی مُکمّلٍ و ناصرٍ فانّ النّاس کانوا یَتَفوهّوَن بها صَوناً لدَمائهم و اموَالهم و سایر ما یَترتّب علیه من النکاح و الطّلاق و البیع و الذّبیحة و امثالها.

و ان کان المراد مَعنی الثّالث کما هو الحَّق الحقیق و الاصل الرشیّق اعنی الولایة فهو یحتاج الی وجود من ثبَتَت له الولایة حتی کمل الدّین و شدّ عضده و ازرَه و هذا لا کلام فیه. فعلیه یصیر معنی الجملتین هکذابوجودهم اقام الله تبارک و تعالی انحناء ظهر الدّین و اعوجاجه و ارتعاد فرائصه اذا المفروض انّ الدّین لایستقیم الّا بولایتهم فالدّین الذّی لیست له الولایة مُنحنی الظهر مُرتعدا

لفرائض لاثُبات له و لاقوام و فيه استعارة عَجيبة فاقام الله تعالى ظهره و اَثبت فرائصه بوجودهم و هذامعنى قوله عليه السلام مانُودى بشيئى منهاكما نودى با لولاية فانّها اللُّب و الأحكام قُشُوراً و هى الأصل و الأحكام فروع و اليه اشارت الروايات الواردة من انّ الله لا يَقبَل عملاً من عاملٍ الأبولايتهم و مَحبّتهم (و روى عنه صلى الله عليه و آله انّه قال لو انّ عبد اَصام و صلىّ و قام ليله و صام نهاره و اَتى بالواجبات و المَستحبات كلّها و ترَك المَحرّمات و عَبَد الله كذالک طُول عمُره بين الْرّكن و المقام حتى يموت فحَقٌّ على الله تعالى ان يدخله النّار) و الرّوايات فى هذ الباب كثيرة و انت ترى ان هذا التّفسير معانّه موافق لظاهر العبارة من اثبات مرجع الضمير اَوفق بالمقام من قوله قده و عمَلَه و تَفسيرٌفانّه من قبيل الأكل من القَفاء و لايساعده العَقل و العبارة و سياق الكلام هذا.

و لنا فى المقام تفسير اَخرا دّق و اتْفَن و احكم نذكره لک ان كنت من اهله ولست من الجاهلين حتى تكون على بصيرةٍ من دينک و اصبَر حتّى يأتيک اليقين فنقول:

يمكن القول بانّ الضمايرِ كلّها راجعة اليه تعالى من غير استثناً فيها و عليه، فالضمير فى قوله انحناء ظهره و ارتعاد فرائصه ايضا يرجع اليه تعالى و ذالک لا اشكال فيه بل سياق العبارة يقتضيه والكلام يَدُور مدار الأستعارة و لابدّ لنا من تقديم مقدّمة.

و هى انّه لاشک عند اوُلى الألباب بالادّلة القاطعة و البراهين السّاطعة انّ الله تبارک و تعالى مُنزّه عن مُشابهة المخلوقات و مجانسة المَصنوعات ليس بجسم و لا جسمّانى و لا بمُركّبٍ و لا بمَرئى و لا فى محلٍّ و غير ذالک و اذا لم يكن لَه جِسمٌ فلم يكن له اعضاء و جَوارح من العين و الأذُن و اليَد و الرِّجل و الصَدرِ والرأ س وَ ماشا بها لانّها من لوازم الجسم و حيث انتفى فيه الجسم فانتَفت الأعضاء و الجوارح و الحواس و غيرها اذا انتفاء الملزوم يستلزم انتفاء اللّازم و للكلام فيها محلّ آخر.

إلاّ انّا نرى فى مضامين الآيات و الآثار ذكر بعض الأعضاء و اسناده اليه تعالى كقوله ﷺ يَدُالله مع الجماعة و قوله ﷺ **«يَدُ اللهِ فَوْقَ اَيْدِيهِمْ»**[1] و قوله عليه السلام أُذُن الله الواعية

و **«اَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»**[2] و **«وجاء ربّك و المَلك صفّاً صفّاً»**[3]

و **«بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ»**[4]

و امثالها ممّا لابدّ لنا من حملها على غير ظاهرها اذا ظَهَرت لک هذه المُقدّمة و صِرتَ من المُوقنين فايّ اشكالٍ فى اثبات الظَّهرو الفرائص لِلّه تعالى مَجازاً و كونهما استعارتان كما ثبت فى غير هما من اليَدو العَين و الأُذن و امثالها و كما نقول به هناک نقول به ههيهنا فانّ المجاز له باب واسع لا يختَصّ بشيئٍ دُون شيئٍ فكما انّ اليَد فى قوله: **«يد الله فوق ايديهم»** كناية عن قدرته فكذالک الظَهر فى المقام كناية عن وحدانيّته او مَعبُودّيتة او وجوُب وجوده و ارتعاد فرائصه كناية عن ارتعاد توحيده و ارتعاش معرفته و تزلزل النّاس فى عبادتة.

فالمقصود من العبارة انّ الله تبارک و تعالى لمّا علم انّ توحيده و مَعبودّيته و معرفته لايَتّم و لايَستقيم الّا بوجود المَعصُومين عليهم السلام. فلذالک خَلقَهم و اَوجدَهم فى نشأة الوجود تتّميماً لأمر العبادة و تكّميلا لِحقّ المعرفة و المَعبُودّية ففى كلامه اشارة الى انّ الوصول الى كمال التّوحيد و البلوغ الى اقصى المعرفة لا يمكن لأحدٍ الاّ من طريق اهل بيت العِصمَة اذهُم المظاهر لأسمائه و صفاته حقّاً كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام من رآنى فقد رأى الحُق، و قال عليه السلام: مَعرفتى بالنُّورانية مَعرفة الله.

و يدّل على ما ذكرناه من التّفسير قول الصّادق عليه السلام فى حديث رواه فى الكافى و نقلناه ايضا فى هذا الكتاب قال عليه السلام بنا عُرِف الله بنا عبِد الله لولانا ما

---

١. الفتح / ١٠.
٢. الحج / ٦١.
٣. الفجر / ٢٢.
٤. المائدة / ٦٤.

عَرفِ الله لولانا ما عُبِد الله الحديث و هو صريحٌ فی انّ مَعرفة اللّه و عبادة النّاس ایّاه لایتم الاّ بوجود المعصومین و لمّا کان التّوحید و المعرفة له تعالی اصل الدّین و اساسه و سائر الأحکام متفرّعٌ علیه کما انّ الظهر فی الجسم ایضا کذالک فصحّ استعارته له و اذا کان هذا الأصل لا یستقیم إلّا بهم و فرائصه و ارکانه لاتتمّ الاّ بوجودهم فصحّ قوله علیه السلام بهم اقام انحناء ظهره و ارتعاد فرائصه، فأغتنِم هذا فانّه ثمین ...

«و منها یعنی قوماً آخرین»

▫ **قوله علیه السلام: زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَ سَقَوْهَا الْغُرُورَ، وَ حَصَدُوا الثُّبُورَ، لایُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلی الله علیه و آله مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ اَحَدٌ، وَ لایُسَوّیٰ بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَیْهِ اَبَداً، هُمْ اَساسُ الدّینِ، وَ عِمادُ الْیَقِینِ، اَلَیْهِمْ یَفِیئُ الْغالِی وَ بِهِمْ یَلْحَقُ التّالِی وَ لَهُمْ خَصائِصُ حَقِّ الْوِلایَةِ، وَ فِیهِمُ الْوَصِیَّةُ وَ الْوِراثَةُ، الْآنَ اِذْ رَجَعَ الْحَقُّ اِلیٰ اَهْلِهِ وَ نُقِلَ اِلیٰ مُنْتَقَلِهِ** – متن...

◁ اللغة

(**الفُجُور**) مَصدَر یقال فَجَر فُجوراً عن الحَقّ عدَل، (و **الغُرُور**) الغَفلة. (**الثُّبور**) الهَلاک. (**والقیاس**) نسبة الشّیئی الی شیئی آخر و الحاقه به فی الحکم. (**یَفِئُ**) مضارع من فأیَفُیُ اذا رَجَعَ. (**الغالی**) اسم فاعلٍ من الغُلوّ و هو تجاوز الحَدّ و (**التّالی**) التّابع. (**خصائص**) جمع خَصیصَة و باقی اللّغات معلوم.

◁ المعنی

انّ المخالفین لِآل محمّدٍ صلی الله علیه و آله (**زَرَعُوا الفُجُور**) و التّجاوُز عن الحقّ فی اراضی قلوبهم باتبّاعهم الباطل و اعراضهم عن اَلحَق ثمّ (**سَقَوه الغُرور**) و الغَفلة ثمّ بعد ذالک حَصَل لهم الثّبور و الهلاک (**لا یقاس بآل محمدٍ اَحَد من هذا الأُمّة و لایُسَوّیٰ**) بآل مُحمّد صلی الله علیه و آله (**من جَرت نعمتهُم عَلَیه اَبداً**) بحیث

لولاهم لم يكن له وجودٌ و دينٌ كيف وآل مُحمّدٍ **(اساسُ الدّين)** و اصله **(و عماد اليقين)** و الى آلِ محمدٍ. يرجع الغالى **(و بهم يلحق التّالى)** و فيه اشارة الى انّه لا يمكن للبَشَر الاّ متابعتهم فى امر الدّين و كسب الفضائل فالمُفرِط يرجع اليهم و المُقصرّ يلحق بهم و لهم الخصائص الّتى لابدّ لكلّ من تَصدّى لأمر الخلاقة لا غيرهم **(و فيهم الوصية)** من الله و الوراثَة من النّبى و الآن اذ رجَع اَمر الأمة الى اهله و نُقِلَ الى مَحَلّه الذّى يليق به...

◁ الشرح

▫ **قوله**ﷺ: **زَرَعُو الْفُجُور**، اشارﷺ به الى انّ المعاندين له و لأهل بيت الرّسُول زَرَعوافى اراضى قلوب النّاس الفُجُور و العُدُول عن الحقّ و العدالة و ذالک لانّه كان واجبا عليهم اتباعهم و التّمسّک بهم، و التّوَسّل الى ذيل عنايتهم بوصيّتهٍ من الله و رسوله حتى يتّصفّوا بالصّفات الكَمّالية من العدالة و السخاوة و الشّجاعة و الزّهد و امثالها و يدخلوا فى باب التّوحيد والمعرفة و يمكن لهم الاتيان بالواجبات والأعراض عن المُحرّمات على وجهها ولمّا تركو اهل البيت واتبعو اهوائهم فلاجرم وَقَعّوا فى الفُجُور و المعاصى و غَرقُوا فى النّفاق و الضلّالة و ادامُو اعلى هذه الرّويّه الباطلة و لَم يَرجعوا الى الحقّ ولم يَراعوا قَول الله و رسوله حتى صارت تلک الخبيثات المُرتكَزة فى اذهانهم كالأشجار المَغرُوسة و النّبَاتات المَسمُومة الباطلة اذ كلّ ثمرة لا بدّ لها من بَذرٍ فان كان البَذر بلاعيبٍ و نقصٍ فى الأراضى الصّالحة فيثمُر ثمرةً حَسَنة و ان كان البَذر مَعْيوباً فلا يحصل له شيئى يستفاد منه.

و يظهرمن قوله هذا ثبوت الأختيار لِلبَشر دون الجَبر و ذالک لانّه قال وزَرَعوا الفجور، و لم يقل زَرَع الله الفُجُور، و يُفهم من قولهﷺ انّ الزّرع كان سَيّئاً للأرض الّتى زَرَعوا فيها اذ كانوا متّمكنيّن من زَرع الحَسَنات فيها و لو كان هذا الأمر بيد غير هم لمّا صّح قولهﷺ: **زَرَعُوا الفُجُور**، و اذا كان الزّرع و البَذر مَعيُوباً ناقصاً فثمرته ايضا تكون مَعيُوبة ناقصة و ان كانت الأرض الّتى وقع

البذر فيها صالحة و هذا ظاهر...

فيستفاد منه انّ ارضَ قلب الأنسان صالحة للأعمالِ الحَسَنة و المَلَكات الفاضلة و الأهتداء بنور الحقّ إلّا انّ البَشَر بسُوءِبسَريرته يعَدل عنِ الحقّ و يتّبع الباطل و هذا عين الأختيار، ثمّ انّ لكلّ زَرع لابُدّ له من السّقى با لماء والّا لا يَكملُ و لا ينَمُوسَيئاً كان او حَسَناً اذا الماءُ مَنشأٌ لحياةِ كلّ شيي فقالعليه السلام: **وَ سَقْوُهُا الْغُرُورَ**: يعنى انّهم سَقَوا ذلک الزَّرع با لماء و لمّا كان الزَّرع، الفُجُور فلاجرم يكون مائه الموجب لنُموّه الغُرور و الغفلة اذمأكلَ بذرٍ يكون بحسَبه و انمّا عَبَّر عن الماء بالغُرور دون غيره لانّ الغرور موجب لِنمُّو هذا الزَّرع فانّ الانسان اذا لم يكن مَغروراً و غافلاً عمّا هو عليه فَيتُوب و يَرجع عَمّا كان عليه و اذا رَجع عنه و مال الى الحقّ فلا يكون للزّرع الفاسد نُمُّوّ اصلا و جهَة غفلتهم هو انّهم كانوا مأمورين بِاتباَعهعليه السلام و اتباع اولاده فاستَحوذَ عليهم الشّيطان فانَسيهم ذكرَ الله فَأعرَضوا عنهعليه السلام و مالوا الى اعدائه اعنى معاوية و مَن تقدّم عليه و امثالهم.

و لمّا كان السَّقى بالغَفلة فى مدّةٍ طويلةٍ اوجَبَ لهم رُشد هذا الزّرع و نُمُوّه الى اَن حَصَل لهم وقت الأستفادة منه و حصَدِه فحَصَدُ و اما زَرَعُوا و جَمعوا ما كانوا مُتَرَقِباً له و هو ليس إلّا الثُّبور و الهَلاک ضرورة انّه اذا كان البَذر هو المعاندة لعلّيعليه السلام و اولاده و سَقيه هو الغَفلَة و عدم الرّجوع من الباطل الى الحَق فلاجرمِ ثَمَرته ليس إلّا الهَلاک و الخلود فى العَذاب، فُضِرَبت عليهم الذِّلة و المسكنَة و خَسران الدّنيا و الآخرة ذالک هو الخسران المُبين و المقصود من هذه الافراد هو المنافقين فى صدر الاسلام الذّين قداضَمَروا العَداوة و البغضاء للِرّسولصلى الله عليه و آله و اهل بيته و كانوا ينتظرون الفُرصة الى اَن ارتَكَبوا ما ارتَكَبوا و كلّ مَن شايعَهم و تابعَهم من ذالک الزّمان الى يوم القيمة فانّ سبيل الحقّ مُنحصرٌ فى الأهتداء بهم كما انّ سبيل الغَيّ فى مخالفتهم و اللهُ يهَدى مَن يشاء.

▫ **وقولهعليه السلام: لاٰ يُقٰاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍصلى الله عليه و آله مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ اَحَدٌ**: غرضه عليه

السلام افضلّية آل محمّدٍعلى جَميع الأُمّة المرحُومة من غير استثناءٍ و هذا ثابت با لعقل والنّقل ولَم يُخالف فيه ذُومسكةٍ من العامّة فضلاً عن الخاصة الّابعضِ المُتعصّبين المنكرين لفضائلهم و مناقبهم ممّن هو مصداق لقوله تعالى:

﴿اَمْ يَحْسِدُونَ النّاسَ عَلىٰ ما اٰتيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.[1] و نحن نستدلّ على اثبات الموضوع بالعقل و النّقل تنبيها للغافلين و ايقاظاً للنائمين و ان كان المُدّعىٰ فى الواقع لاخفاء فيه عند اهله بل يكاد يكون الأستدلال بـه مـن قـبيل تـوضيح الواضحات فنقول:امّا العقل فلانّ الفضيلة و الشَّرَف لا تَـخلُوا مـن وجـهَين: الفَضيلة عندالله، و الفضيلة عند الخلق، و كلتاهما ثـابتتان لهـم، امّـا الفـضيلة عندالله فملاكهاالتَّقوى، لاغير فكلّ من كان اَتقٰى و ازهَدَ فهو اَفضَل و اشَرَف عنده و الدّليل عـليه **﴿اِنّا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَّ اُنْـثىٰ وَ جَـعَلْنٰاكُـمْ شُـعُوباً وَ قَـبائِلَ لِتَعارَفُوا اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ اَتْقيكُمْ﴾**[2] و حيث انّهم كانوا اتَقى النّاس فكانوا اكرَم و افضَل عندالله و هو المطلوب **امّاالكبرى:** فثابتة بالآية، **وامّـا الصُـغْرى:** و هـو كونهم اَتقىٰ و اَورَع فلم ينكره الّا متُعصّبٌ عَنيد و نحن بعد ما اَثبتنا بالعقل و النقّل عصمتهم عن الخَطاء و الزَلَلّ فلا نحتاج الى اثبات كونهم اَتقىٰ و اوَرَع اذا المراد منها ليس اِلّا هذا فينتج انّهم اتقىٰ و اَورَع و افضَل و اشرَف عندالله و من المعلوم انّ كلّ من كان افضل عندالله فلا يقاس به احدَ و هذا ظاهر.

و امّا الفضيلة و الشّرف عند الخلق: فكلّ من كان واجدً ألأُصُولِ الشَّرَف بنحو الأَتم و الأَكمَل فهُو اشرَف ممّن ليس له هذا الشّان و اذا تفَحَّصتا الكتب و الآثار وَنُخّلِي اذهاننا عن العَصَّبية الجاهلية لَعِلمنا بانّ المَعصُومين سلام الله عليهم اصَل اَصُول الشّرف و لُبّ لبا به بل كلّ من كان بصدد الأتصاف بـالكمالات النَفّسانيّة، لابدّ له من الأتباع لهم و اخَذ طريقةٍ من مَكتبهم بل نقول انّ الصفات الحَسَنة و الكمالات العالية تُعرف بهم لا انّهم يُعرفُون بها و لنعم ما قال حسّان ابن ثابت فى رسُول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث قال:

---

١. النساء / ٥٤.

٢. الحجرات / ١٣.

ما ان مدَحتُ محمّداً بمقالتی لکن مدَحتُ مقالَتی بمحمّدٍ
اذاالمکارم فی آفاقنا ذُکِرت فانّما بِک فینا یُضرَب المَثَل

و نحن نتعرّض لشطرٍ منها: فمن الکمالات و الفضائل التّی توجب الافَضیلَتة فی النّاس العلم فانّا نری الخلق علی اختلاف طبقاتهم خاضعین للعلماء مُحبّین لهم مُطیعین لاوأمِرهم و مُعرِضین عن مخالفتهم کیف، و قد قال الله تعالی: **﴿هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ﴾**[1] و قال ایضا **﴿یَرْفَعِ اللهُ الَّذِینَ اٰمَنُوا وَ الَّذِینَ اُوتُو الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ﴾**[2] (و قال رسول الله ﷺ: فیهم فضل العالم علی العابد کفضلی علی ادناکم) و امثال ذالک، فکلّ من کان اعلَم فَهُو اَشرَف و اَفضَل عند الخلق اذا ثبت هذا فلا شک انّ المعصُومین علیهم السلام بعد رسول الله اَفضَل و اَعلَم افراد الأمّة و فی هذا الحکم اطباق الامّة و اجماعهم حتی انّ العامة اعتَرَفوا و اقَرّوا به و لم یقل احدٌ من العامة بأعلَمیَّة غیر هم علیهم هذا ابوحنیفة امامهم الأعظَم من افتخاراته التَّلمذ علی الصّادق علیه السلام و سائرائمتهم قد اَخَذوا عن ابی حنیفه و قال علّامتهم الفخر الرّازی لوَوُزنَ علوم الباقر علیه السلام مع علوم جمیع انبیاء السلَف لرجَحَهم و هذا ابن ابی الحدید المعتزلی احداعیان العّامة قد اثبت فی شرحه علی نهج البلاغه انتساب جمیع العلوم الیهم.

و منها الجود و السَخاء و المَعصُومون علیهم السلام مظاهره الأَتم الأکمَل و هو اَظهَر من الشّمس و اَبیَن من الأمس کیف و الرّوایات من العامّة و الخّاصة مشحُونة بذالک و قد نطق به القران قال الله تعالی: **﴿اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ اَمْوٰالَهُمْ بِالَّیْلِ وَ النَّهٰارِ﴾**[3] قال فی ینابیع المَوّدة، مُوفّق ابن احمدو الحَمَوینی و الثَّعلبی و المالکی و ابونعیم الحافظ بسندهم عن مجاهد عن ابن عباس انّه قال کان عندعلی کَرَّم الله و جهه اربعة دراهم فتَصَّدق بواحدٍ لیلاً و بواحدٍ نهاراً و

۱. الزّمر/ ۹.
۲. المجادلة / ۱۱.
۳. البقرة / ۲۷٤.

بواحدٍ سِرّاً بواحدٍ علانيةً، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوالَهُمْ﴾[1] و منهاالشجّاعة و هی ایضاً ثابتة لهم قال علیّ و الله لو تظاهرَت العَرَب عَلیٰ قتالی لما ولیّتُ منهم، و هکذا فی سائر الائمّة لعدم القول بالفضل بینهم لانّهم نورٌ واحد. و منها العِفّة و الحکمة فاهل البیت ینبوعهما و اصلهما و کلماتهم دالّة علیه و کفاک هذا الکتاب الذّی بین ایَدینا.

و منها: الزُهد و الورع و قدَمَّر الکلام فیه آنفاً. و منهاالحلم و الصَّبر قال الله تبارک و تعالی فی نبیّه ﴿وَّ اِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظیمٍ﴾[2]. و الأئمة کذالک لعدم القول بالفصل مع انّ الکتب المَوضُوعة لذکر فضائلهم و مناقبهم اکثر من ان تُعَدّو تحصٰی و هکذا الصفّات واحدةً بعد واحدةٍ التّی یطول ذکرها فکیف یمکن ان یقاس غیرهم بهم ولنعم ما قیل فیهم:

بآل مُحَمّدٍ عُرف الصَّوابُ ... وَ فی اَبیاتِهم نَزَل الکِتابُ
و هُم حُجَج الاِلٰه علی البِرّایا ... بِهِم و بَجَدّهم لا یُستَرابُ
و هُم کلماتُ آدمَ اِذ تلاها ... فَتَابَ بِهَا عَلیه و استَجابُ
و لاسِیّما ابا حَسَنٍ علّیٍ ... له فی الحَرب مَرتبةٌ تهاب
طعامُ سُیُوفه مُهَج الأعادی ... و فَیضُ دَم الرِّقاب لها شرابُ
فَضَربتُه کَبَیعَتهِ بِخُم ... معا قِدها من القُوم الرِّقابُ
وَ بَین سَنانه والدِّرع صُلحٌ ... و بَین البِیضِ وَ البیضِ اصطحابُ
عَلّیُ التِّبرو الذَهَّبُ المُصفٰی ... و باقی الناس کُلّهم تُرابُ
اذالَم تَبرَء من اعداء علّیٍ ... فمالکَ فی مَحَبَّته ثَواب
هو البَکّاء فی المحراب لیلاً ... هو القَتال اذا شَتَّد الضَّراب
هو النَّبأُ العَظیم و فُلک نوحٍ ... و بابُ الله و انقَطَع الخطاب

و قد روی انّ هشام ابن عبدالملک ابن مَروان حَجَّ فی سنةٍ و دخل المسجد الحرام لیطُوف بالبَیت و استَلم الحَجَر فلم یَقدر علیه من الزحام فنُصِبَ له مِنبَر

---

۱. البقرة / ۲۶۵.
۲. النساء / ۵٤.

فجَلَس عليه و احاطَ به اهل الشّام فبينا هو كذالک إذا قَبَل علّی ابن الحسين عليه السلام و عليه إزارٌورٍ داءٌ من احسَنُ النّاس وجهاً و اطيَبهم رايحةً بين عينيَه سجآدة كانّها ركّبَة عنز فَجعل يطوّف فاذا بَلَغ الی مَوضع الحَجَر تَنحّی النّاس حتّی يستِلمهُ هيبةً له فقال شآميّ من هذا، يا امير المؤمنين فقال هشام، لا اعرفه لئلا يَرغَبِ فيه اهل الشّام فقال الفرزدقِ وكان حاضراًلكن انا اَعرفْه فقال الشّامی من هو يا ابافراس، فانشاء قَصيدةً فی وصفه عليه السلام و اوصاف ابائه و هی هذه:

يا سائِلاً اَينَ حَلَّ الجُودَ وَ الكَرَمْ ... عندی بيانُ اذاطُلّا به قَدِموا

هذا الذّی تَعرفُ البَطحاءِ وطَأتَهَ ... و البَيت يَعرِفه والحِلّ والحَرَم

هذا ابنُ خَير عبادالله كُلّهُم ... هذا التّقِی النّقِی الطّاهِرُ العِلم

هذا الذّی اَحمَدُ المُختار والِدُه ... صَلّیَ عليه آلِهی ماجَریٰ القَلم

لَويَعلَم الرُكن من جاءِ ليَلثِمه ... لخَّرياثِمُ منه ما وطَی القَدمُ

هذا عَلیُّ رسُولُ الله والدُه ... امسَتَ بنُور هُداه تهتَدی الاُمَم

هذا الذّی عَمّهُ الطيّار جَعفره ... المَقتول حَمزَة ليثُ حُبّه قَسَمُ

هذا ابن سَيدّة النِسّوان فاطمة ... و ابْن الوَصی الذّی فی سَيفه نَقُم

إذ رأتَه قُريشُ قال قائلها ... الی مكارم هذا يَنتِهی الكَرَم

يَكادُ يُمسِكه عِرفانْ راحَتَه ... رُكنُ الحَطيم اذاما جاءَ يستِلمُ

و ليسَ قَولکُ مَن هذا بضائِره ... العُرب تعرفُ من انكَرَت و العَجَمُ

يُنِمیٰ الی ذُروة العّزِالتّی قُصْرت ... عن نَيلها غَرُب الاْسلامِ و العجمُ

يُغضی حَياءً و يُغضیٰ من مَهابته ... فلاُيُكِلّم الّا حِينَ يبتسِمُ

ينجاب نور الدّجَی عَن نور عزّته ... كالشَمسّ ينجاب عن اشرَقها الظلم

بكِفَّه خَيزرانُ ريحُه عَبِقُ ... من كف ارَوُع فی عِرنيه شِمَمُ

مَا قال لاقَطُ اِلاّ فی تشَهُّده ... لولا التَشَهُّد كانت لائه نِعَمْ

مُشَتقةُ مِنِ رَسُول الله يَنعته ... طابَت عِناصره و الخِيم و الشِيَم

حمّال اثقالِ اقوامٍ اذا مَدَحوا ... حَلُّوا الشَمائل تَجلُو عنده نَعِمُ

ان قال قال بما يَهوى جميعُهم وَ ان تكَلَّم يَوماً زانه الكَلِمْ
هذا ابنُ فاطمة ان كنتَ جاهله بجَدّه انبياءِ الله قد خُتموا
الله فَضّله قِدما و شَّرفَه جَراى بذاک له فى لوحه القلم
مَن جَدّه دان فَضل الأنبياء له و فضل اُمّته دانت لها الاُمم
عَمّ البَرّية بالأحسان وانقَشَعت عنهاالعِماية و الأملاق و الظُلَم
كلتايدَيه غياثُ عَمَّ نفعهما يستوكفان و لايَعرُوهما عَدَمُ
سهل الخليقة لاتُخشى بَوادره يُزينه الخصلتان الحلم و الكَرَم
لايَخلفُ الوعَد مَيمُوناً نقيبته رحب الفَناء اَريبُ حين يعترمُ
من معَشَرٍ حُبّهم دِينُ و بغْضُهم كُفرُ و قرْبهم مَنجىٰ و مُعتَصمُ
يُستدفع السّوءُ و البَلوىٰ بُحبّهم ويُستزاد به الأحسان و النَعَّم
مُقدَّمُ بعد ذكرالله ذِكرهم فى كلّ فَرضٍ و مختومُ به الكَلِم
ان عُدّ اهل التُقّى كانوا ائمتّهُم او قيل مَن خيراً هل الأرض قيلَ هم
لايسْتطيعُ جوادُ بُعِد غايتهم و لا يدانيهم قَومُ و ان كْرمُوا
هُم الغُيُوث اذا ما ازِمةُ ازَمت و اُلأسد أسدُ الثَرى و الباسُ مُحتَدِم
يا بى لهم ان يحِلّ الذَّم ساحتهم خيمُ كريمُ وايَدى بالَندّى هِضَمْ
لا يقبض العُسر بَطاءً مَن اَكُفّهم سَيّانَ ذالک ان اثرُو وانِ عدموا
ايُّ القبائل ليست فى رقابهم لاَوّليَةِ هذا اوَلَه نعمْ
مَن يعرفُ الله يعرف اوَّليتهَ فالدّين من بيتِ هذانالَه الأمم
بُيُوتُهم فى قُريشٍ يُستضاء بها فى النّائبات و عند الحكم ان حَكَمُوْ
فجَدَّه من قريشٍ فى اُرومتها مُحمّدُ و عَلّىُ بعده عَلَمْ
بَدرُ له شاهدُ و الشَعَّب من احَدٍ و الخندَقان و يوم الفتح قد علموا
و خيبرُ و حُنينُ يشهَدان له وفى قُرَيظة يومُ صَيلَمُ مُتَمْ
مواطنُ قدعَلَتَ فى كلّ نائبةٍ على الصّحابة لَم اكَتُم كماكتَموا

و هذه القصيدة من اَحسَن القصائد التّى انُشاءِت فى مدح اهل البيت و لَم اَر

مثلها فی مارایتْ ولأجل احتوائها علی فضائل اهل البیت و مناقبها ذکرتُها بطولها و تَفصیلها لاشتمالها علی الفوائدالتّی لاتحصٰی، اللّهم احشره مع الأئمة الابرار قیل فغضب هشام و مَنَع جائزته و قال الاقلت فینا مِثلها قال هات جَدّاً کَجَدّه و اباً کابیه و اُمّاً کاُمِّه حتّی اقول فیکم مثلها فَحَبسه بعسَفان بین مکّة و مدینة فبلغ ذالک علّی ابن الحسین فبعث الیه بأثنیٰ عشرالف درهم قال یابن رسول الله ماقلت الذّی قُلتُ الاّحُبّاً للهِ و لرسوله و ما کنت لِأرزء علیه شیئاً فرَدَّها الیه و قال بحقّی علیک لمّا قبِلتها فقد رأی الله مکانک و علِم نیّتک فقبلها ولنعم ما قیل:

یا آل بیت رسولِ الله حُبّکم فَرضٌ علی النّاس فی القرآن انزَلَه
کفاکُمْ فی عَظیمِ الفضَل انکُم مَن لم یُصَّل علیکم لا صلوة له

و العجب انّهم علیهم السلام ممُد و حُون علی لسان المُحّب و المُبغض فکثیراً مانریٰ لبعض اعدائهم یقولون فیهم مایُفضی الی التَعَجُب و التَحیُّر، هذا معاویة ابن ابی سفیان مع انّه من اَشَدّاعداء علیٍ و اهل بیته و شیعته یقول هَیهات من ان تلدن الأُمهات بمثلِ علیٍ و نقل صاحب ینابیع المودة عن بعض الشّافعیة اشعارا فی مدح اهل البیت فمنها ما قال بعضهم فی قصیدته الدّالیة:

وَ سائِلی عَن حُبّ اَهل البَیت هل اَسِرُّ اِعلاناً بِهم اَم اَجحَدُ
و الله مَخلُوطُ بلحَمی و دَمی حُبّهُم هُم الهُدیٰ وَ الرَّشَد
حَیدَرةُ وَالحَسَنان بَعدَه ثُمّ عَلّیُ و ابنَه مُحمّدﷺ
و جَعفرِ الصّادق و ابن جَعفر مُوسیٰ و یَتلُوه علیَّ السَّنَد
اَعنی الرّضا ثُمَّ ابنه مُحمّدُ ثُمّ عَلّیُ و ابنه المُسَّدد
و الحَسَن التّالی و یَتْلو تِلَوه مُحمّد اِبن الحَسَن المُمَّجد
فَانّهم اِئَمّتی و سادَتی وَ اِن لحانی مَعشَرُ وَ فَنَدُّو
اَئِمَةُ اکرم بِهِم اَئمّةُ اسمائهُم مَسرودةُ تَسطَرِدُ
هُم حُجَج الله عَلیٰ عِباده و هُم اِلیه مِنَهجُ و مَقّصَدُ

هُـمُ النَّـهارُ صَـوّمٌ لِـرَبِّهِم و فـی الدُّیـاجی رُکَّعٌ و سُجَدُ
قَـومٌ لَـهُم مَکَّـةَ و الاَبـطَحَ و الحَنیف و جَمعٌ و اَلنَّقیع الفِرقَد
قَـومٌ مِـنٰی و المَشـعَران لَـهُم و المَـرَوتان لَـهُم و المَسـجِد
قـومٌ لَـهُم فِی کـلَّ ارضٍ مَشـهَدٌ لابَل لَهُم فی کـلِّ قلبٍ مَشـهَدُ

و قال امامهم الشافعی علی ما نَقَل عنه ابن حَجَر فی صواعقه المحرَمة:

یـا راکـباً نَـحوَ المُـحصَّب مَـن مِـنی و اهتَفَ لساکـن خـیفها و النّـاهِضِ
سَـحراً اذا فـاَض الحَجیج الی مِـنی فَـیضاً کُـمنِّحلِّ الفَـرات الفـائِض
و أخـبِرهُمُ اِنّـی مـن النَّـفر الذّی لِـولاء اَهـلِ البَـیت لیسَ بـنا قضِ
اِن کـانَ رَفـضاً حُبّ آلِ مُـحَمّدٍ فَـلیَشهَد الثَـقَّلان انّـی رافـضُ

و ممّا نسب الیه ایضاً ما قاله فی مدحهم و هو من غرر اشعاره و ابکارها

اذا فِـی مَـجلسٍ ذَکَـروُا عِـلَیّا وَ شِـبلَیه و فـاطمةَ الزَّکـیَّة
یـقال تَـجاوزُ و ایـا قـوم هـذا فـهذا مـن حـدیثِ الرّافِـضّیة
هَـربُتِ الی المُـهیمَن مـن اُنـاسٍ یـرَوَن الرَّفـضَ حُبَّ الفـاطمیّة
عـلی آل الرّسـول صـلٰوة ربّـی و لَـعنَتُه لتِـلکَ الجـاّهِلیتة

و قال بعض العرفاء من العّامة فی اهل البیت علیهم السلام:

قـد جَـلَّ عـنِ سـائرالتَشَّـبیه رُتـبته
اذِفـوقَه لَـیسَ اِلاّ الله فـی العِـظَمِ
هـواهُ دِیـنی و اِیـمانی و مُـعتقَدی
و حُبُّ عـترته عَـونی و مُـعتَصَمُ
ذُرِیّـةُ مـثل مـاءِ المُـزن قـد طَـهُروا
و طَـیَبُوا فَـصفَت اَوصـاف ذاتِـهِمُ
ائـمَّةُ اخَـذَ الله العُـهُود لَـهُم
عَـلی جَـمیعِ الوَریٰ مِـن قـبل خَـلقِهِمُ

قد حَقّقَت سُورة الأحزاب ما جَحَدَت
اعـــدائـــهم وآبـــانَت فـــضَلُ و جَـهِهمْ
كَـــفاهُم مـــا بَـــعَّمٍ والضُّـــحىٰ شَـــرَفاً
والنُّـــور والنَّـــجم مِـــن آيٍ آتَتِ بِـــهِمْ
سَـلِ الحَـوامـيم هَـل فِى غَـيرِهم نَـزَلت
وَ هَـــل اتـــىٰ هَـــل اتـــىٰ اِلاّ بِـمَدحهمْ
اكـــارمُ كـــرَمَت اخـــلاقهم فـــبَدَت
مِـــثل النُّـــجوم بـــماءٍ فَـــى صَـــفاتهُم
اطـــــائبُ يَـــجِدُ المُشـــتاق تُـــربَتِهم
رِيـــحاً تَـــدُل عـــلى لَـــذّات طِـــيبِهمْ
شكـــــراً لآلاء رَبِّـــى حَـــيْث اَلهَـــمَنى
ولاِ هُـــــمْ و سَـــقانى كـــاسُ حُـــبُّهُم

قال عليه السلام: **نَزّلِوُنا عن الرُبُّوبية و قُولوا فينا ما شئتُم**، و هذا الحديث يـدّل على انّ رُتبَتهم دون الخالق و فوق المخلوق فكيف يمكن ان يقاس احدٌبِهم ولنِعَم ما قال ابو نواس فى مدح الرّضا عليه السلام و آبائه:

مُـــطَهّرُونَ نَـــقيّات ثِـــيابهم ... تُتلِىُ الصلّوة عليهم اَينَما ذُكروا
مَـن لَـم يكُـن عَلّوياً حَين نَـنسبُه ... فـمالَه قـى قَـديم الدَّهـر مُـفتَخرُ
وَ الله لمَّـــا بَـــرأ خَـلقاً، فـأتقَنَه ... صّفاَكُم واصَطفاكم ايّها البَشَـر
فـأنتُم المَـلَاَء الأعـلىٰ و عِـندكم ... عِلمُ الكِتاب و ما جائَت به السُّور

و قال ابوانواس ايضاً فى مَدح الرّضا عليه السلام بحضور المامون:

قـيل لِـى اَنتَ اوحَـدَ النّاس طُـراً ... فـــى فُـنُونٍ مـــن الكـــلام النَـبيّه
لَكَ مِـــن جَـوهِر الكـلام بَـديعٌ ... يُـــثمِر الدُّرِ فـى يَـدَى مـجُتنَيه
فَعَلىٰ ماتِركَتَ مَدحَ ابن موسى ... والخِـــصالَ التّـــى تَـجَمَّعن فـيه
قـــلتُ لا اَهـــتدى لمَـدحِ امـامٍ ... كـــان جـــبريل خـــادماً لأبـيه

و قال ابی الغوث اسلَم ابن مهوز فی مدح اهل‌البیت قصیدة فاخرة و هی هذه:

و لَهَتُ اِلی رؤیا کِم و لَه الصّادِی ... یُذاد عن الوَرد الرَوِّی بِذّواد
مَحَلّی عن الوَرد اَللّذید مساغه ... اذا طاقَ وُرادُ به بعدَ وُرّادِ
فأ علَمتُ فیکم کُلٌّ هو جاء حسرةً ... ذُمؤُل السَرّی یَقتاذ فی کلّ ققتادِ
اَجوُب بها بیَد الفَلا و تَجوُب بی ... الیک و مالی غَیر ذِکرِک مِن زادِ
فلمّا تَرأَت سِرّ مَن رَای تَجَشَّمت ... الیکَ فَعَوم المإ فی مُفحَم الوادِی
اذا ما بلغَتَ الصّادِقینَ بنّی الرّضا ... فَحَسبک من هادٍ یَشیرالی هادِ
مقاویل اِن قالواابهالیل ان دُعُوا ... وفاةُ بمیعادٍ کفاةُ بِمرتادِ
اذا اوعَدُوُا اَعَفَواو انِ وعَدُوا اوَفُوا ... فَهُم اهل فضلٍ عندوَعدٍ و ایعادِ
کرامُ اذاما اَنفقُوا المال اَنقَدُو ... ولَیس لعلمٍ انفَقَوهُ مِن انفادِ
یَنابیعُ علمِ الله اَطواد دینِه ... فهل من نفادٍ اِن علمَت لأطوادِ
نُجُومُ مَتیٰ نَجمٌ بَدا مثله جَنا ... فَصَلّیٰ علی الحابی المُهیَمن و البادی
عبادُ لِمَولاَهُم موالی عِبادِه ... شُهُودُ عَلَیهِمَ یومَ حَشرٍ واشهادِ
هُمُ حُجَج الله اثنتی عشرة متی ... عَدَدَتَ فثانی عشرهم خَلف الهادی

و قال بعض المُحقّقین من علمائنا الماضین حین سَئل عن فضیلة علّیٍ و اولاده ما اقول فی حق من اَخفیٰ الأحِبإءِ فضائله من خَوف الأعداء وسعی اعدائِه فی اخفاء فضائله من الحَسَدو البغضاء و مع ذالک ظَهَر من فضائله ما مَلاٍ المشرق و المغرب... و فضائلهم کثیرة فی کُتب العّامة وِ الخّاصة بِحیث لایمکن لأحدٍ احصائها ففی هذا المقام الأعتراف بالعجز، و القُصور اَولٰی.

▫ **قوله**ﷺ: **وَلاٰ یُسوّیٰ بِهِم مَن جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَیْهِ اَبَداً**: و هذا بمنزلة التّعلیل، لقوله ﷺ لایقاس بآل محمّدٍ الخ، فکانّه لمّا قال ﷺ لایقاس الخ قیل له ﷺ وَ لَم قال فی جوابه و لایُسوّیٰ الی آخره و ذالک لانّ آل محمد صَلّیَ الله علیه و آله اولیاء النِّعم بالنسّبة الی غیرهم وَ اَفضِلیّته ولیَ النّعمة علیَ غیره

معلوم لايحتاج الى دليلٍ و صورة القياس هكذا. آل محمد اولياء النّعم بالنّسبة الى المخلوقات و كلّ من كان كذالک فهو افضَلَ من غيره فآل بيتَ الرّسول افضَلَ من غير هم و هو المطلوب.

امّا الصُغرى: و هو كونهم اوليا النِّعم فلِمّا مرَّ من الأحاديث الدّالة على هذا المعنى من انّهم وسائط بين الخالق و المخلوق فى دينهم و دنياهم بل فى ايجادهم ايضاً بحيث لولاهم لماكان من عالم الوجود عَينٌ ولا اَثَر بل ما عُبدِ الله و ما عُرفِ الله و الرّوآيات فى هذا الباب فى الكافى و البحار و سائر كتب المفصّلة كثيرة و نحن نقلنا شطراً منها فراجع، و ممّا يويّد هذا المعنى ما ورد فى زيارة الجامعة الكبيرة قال عليه السلام ...

السلام عليكم يا اهل بيت النّبوةالى ان قال عليه السلام و خُزّان العلم، و مُنتهى الحِلم و اصُول الكَرَم و قادَة الأُمم و اوليا النّعم الخ، و قد ورد فى تفسير **﴿اَن تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لاٰ تُحصُوهٰا﴾**[1] انّ المراد بالنِّعمَة آل مُحمّدٍ عليهم السلام.

امّا الكبرى: و هى كون اولياءِ النِّعم افضَل فَلاشكّ فيه و ذالک لانّ و سائط الفَيض لابدّ من كَونها ارجَح و اشرَف من غيرها و الّا لم يَحتج الى واسطةٍ اَصلاً فكّل اَشرَفٍ واسطةٌ لوصول الفَيض الى الأخَس على مآتقتضية قاعدة الأمكان الأشرَف و قد ثبت هذا المعنى فىالفلسفة بما لا مزيد عليه...

و اذاثبت هذا الامر، اعنى الصُغرّى و الكُبرى فالنّتيجة قطّعية، فاذاً بَطلَت قياس المساوات و هو المطلوب. قوله عليه السلام: **هُمْ اَساسُ الدِّينِ، وَ عِمادُ الْيَقينِ.** ثم اَثبَت عليه السلام لهم و صَفينَ آخرينَ يدّلان على شَرَفهم و فضلهم وَ عدم جواز قياس غيرهم بهم و هو كونهم اساس الدّين و عماد اليقين. امّا كونهم اساس الدّين فلِما مرّ ايضاً من انّ الدّين ليس اِلاّ ولايتهم و مَحبتّهم فى الواقع و نفس الأمر كما ورد عنهم عليهم السلام، لكلّ شيئٍ اساسٌ و اساس الأيمان حُبنّا اهل البيت.

١. ابراهيم / ٣٤.

و يدّل عليه ايضا ما رواه غير واحدٍ عنهم، بنى الأسلام على خمس، الى ان قال و ومانودى بشيئٍ منها كمانودى بالولاية، و هذا اعنى كونهم اساس الدّين ايضا يدّلٍ على انّه لا يقاس بهم اَحَدو ذالک لانّ كلّ من يقاس بهم فلابدّ من كونه مُؤمِناً مُتديّناً زاهداً وَرَعاً تَقيّاً وكلّ ذالک لا يحصل الاّ بمتابعة الدّين و الأتباع بشريعة سيّد المُرسلين و اذا فرضنا انّهم اساس الدّين و اصله فلابدّ من كونه تابعا لهم و كيف يقاس التّابع بالمَتبُوع و الفاضل بالمَفضُول.

و امّا كونهم عماد اليقين فهو ايضاً مُسَلّم فانّ اليقين اَفضَل مراتب الأيمان و انتهأوها و لامقام بعده لِلمؤمِن و قد حُثّ عليه فى الأخبار المأثورة و لا باس بالأشارة الى بعضٍ ما وَرَد فيه. روى ثقة الأسلام فى كتابه الكافى بسنده عن ابى الحسن عليه السلام قال الأيمان فوق الأسلام بدَرَجةٍ والتّقوى فوق الأيمان بدَرَجة واليَقين فوق التّقوى بدَرَجة و ما قُسِّم فى النّاس شيئئ اقّل من اليَقين انتهى. و فيه ايضا بسنده عن جابر قال لى ابوعبد الله عليه السلام: يا ابا جعفرٍ اِنّ الايمان اَفضَل من الأسلام و انّ اليقين اَفضَل من الأيمان و ما من شيئيٍ اَعزّ من اليقين انتهى...

و فيه ايضا بسنده عن ابى بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال ليس شيئى و الاّوله حَدّ قال قلتِ جعلت فداک فما حَدٌّ التوّكل ؟ قال اليقين، قلت فما حدّ اليقين قال الاّ تخاف مَعَ الله شيئاً. و ايضا بسنده عن هشّام ابن سالم عن ابى عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول انّ العمل الدّائم القليل على اليقين خير (اَفضَل) عند الله من العَمَل الكثير على غير اليقين انتهى...

اذا عرفت معنى اليقين و فضله و شَرَفه و حَدّه فاعلم انّه بمنزلة القِشر و الولاية لأهل البيت بمنزلةاللُّب فهو الظّاهر و هى الحقيقة و الباطن فلا معنى له بدونها، و يدّل عليه ماروته فى الكافى ايضا بسنده عن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رسول صلى الله عليه وآله: الأسلامُ عُريانٌ فَلِباسه الحَياء، و زَينَتُه الوَفاء و مُرّوته العَملُ الصّالح، وَ عِماده الوَرَع و لكلّ شيئيٍ اساسٌ و اَساسُ الأسلام حُبنّا اهلِ البيت انتهى...

▫ **فمعنى قوله عليه السلام: هم اساس الدّين وَ عِماد اليقين** هو انّهم عليهم السّلام اساس الأسلام فألاسلام لايقوم الاّ بهم كما انّ اليقين لا قوام له الاّ بهم قوله عليه السلام: **اِلَيْهِمْ يَفِئُ الْغالِى وَ بِهِمْ يَلْحَقُ التّالِى:** قال الشارح البحرانى اشار بقوله عليه السلام: اليهم يَفئ الغالى الى انّ المتجاوزللفضائلِ الأنسانيّة التى مَدارها على الحِكمة و العِفّة والشّجاعة و العِدالة الى طَرَف الأِفراط منها يرجع اليهم و بهم يَلحَق التّالى الى انّ المَقصّر عن بلوغ هذه الفضائل المُرتكب لَطَرف التّفريط فى تحصيلها يلحق بهم عند طَلَبه لها و معاونة الله له بالهداية الى ذالک انتهى...

ثم قال الشّارح الخوئى بعد نقله هذه العبارة منه بعينه ما هذا الفظه اقول و ما ذكره ممّا لاغبار عليه الاّ انّ الاّ ظهَر بملاحظة السّياق و سَبق قوله هم اساس الدّين انّ المراد بالغالى هوالمُفرط فى الدّين و بالّتالى المُقصِّر فيه بخصوصه و ان كان و ظيفتهم عليهم السلام العَدل فى كلِّ الأمور و هم الائمة الوَسَط و النَمَّط الأوسَط كما فى الحديث نَحنُ النَمَّطَ الأ وسَطَ و لا يُدركنا الغالى و لايَسبقنا الّتالى و فى حديث نحنُ آخر النَمَّرقَة الوُسطى بنا يَلحق الّتالى و الينا يَرجُع الغالى ثم قال: قال بعض شارحى الحديث استعار لفظ النَمَّرقة بصفة الوسطى لهم عليهم السلام باعتبار كونهم ائمّة العَدل و يستند الخلق اليهم فى تدبير معاشهم و معادهم و من حقّ الأمام العَدل ان يَلحَق به الّتالى المُفرط و المُقَصر فى الدِّين و يرجع اليه الغالى المُتجاوز فى طَلَبه حَدّ العَدل كما يستند الى النَمَّرقة المتوّسطه مَن علىٰ جانِبيَها.

و انا قول: امّا ما ذكره البحرانى قده من انّ المتجاوز لِلفضائل الأنسانيّة التى مدارها على الحكمة و العفّة والشّجاعة و العدالة الى طرف الأفراط منها يرجع اليهم و يَهتدى بهم فى تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها. فلانفهم معناه و لاندرى ماذا اراد به فانّ الافراط فى هذه الفضائل لامعنى له و ذالک لانّها اصول الفضائل و المَلَكات الأنسانيّة فامااان يتّصف الأنسان بها كما هو حَقُّه اولا يتصّف فانّ اتَصَف بها فهو الأنسان الكامل و الاّ فلا. و امّا الأفراط فى العدالة او

الحكمة او غيرها فكلام بلا معنى، فان كان غرضه قده من الأفراط فيها الخروج عن مصاديقها بمعنى انّ العدالة مثلاً عدم التّجاوز عن الطريق المستقيم و هُو افرَطَ فيها و خرج عنه فهو ليس بعادلٍ لانّ كل ما تجاوزز حَدَّه انعكس ضِدّه فالخُروج عن العدالة بمعناها الواقعى مساوق لضِدّها اعنى الظُلّم وكذا الأمر فى البواقى و ان لم يخرج عن حَدّها فهو ليس بغالى فاالأفراط فيها لا معنى له. و امّا قوله قده و بهم يَلحَق التّالى الى انّ المُقصّرعن بلوغ هذه الفضائل الى آخر ماذكره فهو ايضا لا يرجع الى مُحصّلٍ و ذالک لانّ التّالىلَهُم عليهم السّلام لايمكن له اللُحوق بهم ابداً فانّ اللُحوّق عبارة عن عدم الفصل بين اللاّحق و الملحُوق به و كيف يمكن للتّالى لهم اللُحوّق بهم و الوصول الى مرتَبَتهم مع انّهم مَعصومُون مُكَرَّمون مُقرَّبون اَينَ التُّراب و رَبّ الأرباب و امّا ما ذكره الخوئى قده وَسمّاه الاظهَرَ فهو ايضاً منظورٌ فيه و لايكون ظاهراً فى العبارة فضلاً عن كونه اظهَرَ و ذالک لانّ كونهم ائمّة وَسطاً لاكلام فيه فانّ الأمة ايضا اُمةً الوَسَط كما قال تعالى: لتكوُنوا امّةً وَسطاً، فكونَهم عليه السلام وَسَطاً من هذه الجَهَة لا ينا فى كونهم فى اَعلىٰ مراتب المَوجوديّة و اَقرَبها الى الله تعالى فانّهم عليهم السّلام وان كانوا ائمةً وَسَطاً باعتبار كونهم ائمةً لِلاُمّة الوَسَط إلاّ انّهم من حيث الوجود ليَسُوا من الموجودات المُتوسّطة بل الحقّ انّهم من الموجودات العالية كما قيل فى تفسير ﴿اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ﴾[1] وَالمقصود من العالين آل محمدٍ صلوات الله عليهم اجَمعين فافهم فانّه دقيق، و الحديث الذّى رواه قده من قوله عليه السلام نحن النَّمَط الا وَسَط، لا يدّل على غيرِ ما ذكرناه لانّه اشارة الى كون المَعصُومين عليهم السلام مُجتنبين عن الأفراط و التَّفريط فى امور الدّين و الدّنيا و كذالک شيعتهم بل الأسلام دينِ الوَسَط بمعنى انّه جَمَع بين الدّنيا و الآخرة و مَنَع عن الأفراط و التَّفريط فى العبادات و غيرها و هذا هو المُرّجح له على سائر الأديان السّالفه فكونهم ائمة الوَسَط لاينا فى ما ذكرناه و

---

١. ص / ٧٥.

لا ربط له بما ذكره هذا و الّذی یَختَلُج بالبال فی شرح هذا المقال وجوه:

الاوّل: انّ غُلُو الغالی لایکون الّا لاجلِ صِفاتِهم المَحمُودة کالعلم و القدرة و الشّجاعة و امثال ذالک فانّ الغالین لمّا رأ و فیهم ما لیس فی غیر هم من افراد البَشر و انّهم علیهم السّلام من جمیع الجهات مُبرّؤن عن کلّ النقائص و القُصورات مَعصُومُون عن الذّنوب صغیرةً کانت او کبیرة و البَشر لا یکون کذالک فلاجرم قالوا فیهم بما قالوا فلَولَم یکن لَهُم علیهم السّلام ما کان لما قالوا با لَغلُو اصَلاً و االغَرض من هذه الجملة بیان شرفِهِم و فضلهم و انّهم فی مرتبةٍ لا یمکن للأفراد معرفتهم فکیف ان یقاس اَحَدٌ بهم.

و اما قوله علیه السلام: و بهم یَلحَق التالی اشارة الی المُفرّطین لهم و هم الّذین لَم یعتقدوا بامامتهم کمعاویة و امثال معاویة فانّ عدم الأعتقادو بامأمتهم لیس الّا لاجل عدمِ معرفتهم فالمُحَصّل من کلامه علیه السلام هو انّ النّاس بالنسبة الی آل مُحمّدٍ بَین مُفرطٍ و مُفَرّطٍ و منشأ هما لیس الّا عدم معرفتهم کما هو حقّه و من کان کذالک فکیف یمکن ان یقاس به احَد.

الثانی: ان تکون العبارة اشارة لی انّ رجوع الغالی فیهم والتّالی الیهم با لآخِرة فی یوم القیمة ففیها اشارة الی انّ المُفرِط و المُفَرّط کلاهما یَرجعان و یَلحقان بهم و یُسئَل عنهم یَومَئذٍ عن النّعیم و یویّده ما وَردَ فی الرّوایات من انّ حساب الخلائق معهم کما ورد فیالزّیارة و حسابهم الیکم و فصل الخطاب عندکم. فهم الفاصلون بین الحقّ و الباطل، یوم القیمة کما ورد انّ علیّا یَفصّلُ بین الحقّ و الباطل و انّه میزان الأعمال و غیر ذالک من الرّوایات التی سَتَقرع سَمعک فی هذه الکتاب فهذا ایضایدّل علی بطلان القیاس بالغیر.

الثالث: ان یکون المراد بالغالی من تقدّم علیهم فی الوجود الخارجی کالأنبیاء و الأوصیاء و امُمَهم و بالّتالی ما یَتلُوهم فی الوجود الی یوم القیمة فیصیر المعنی انّ الغالی و الّتالی اعنی الموجودات کلّها ترجع الیهم لانّهم الغایة لأیجاد الموجودات و الغَرَض الأتَم لخلقة المخلوقات، و من کان

كذالک، فلا يجوز قياس غيره به. **الرّابع:** انّ لِلسيّرو السُلّوک الی الله تعالی بداية و نهاية فالسّالک فی بداية اَمره لابدّ له من الأخذ بطريقتهم و الأتباع عن مَسلَکهم و رَوِيّتهم حتّی يَلحَق بمعُونتهم و وساطتهم الی مقام القُرب فالسُّلوک الی الله تعالی لايمکن الاّ بأرشادهم و هدايتهم و هذا معنی قوله عليه السلام **و بهم يَلحَق التالی.** فاذا وصل الی ما وصل يرجع اليهم ايضا لانّ المفروض انّه لولا هم لَما امکَنَ له السُّلوک والوُصول فکلّ ماحَصَل له من القُرب و المَعرفة، راجع اليهم و فيه اشارة الی انّ السالک الواصل لايمکن له السُّلوک بدونهم، و لا يمکن له التّجاوَز عن مقامهم و هُو سِّر قوله عليه السلام: بنا عبدُ الله بنا عرف الله لو لونا ما عُبدِ الله فا ذا کان الأمر بالنّسبّة الی السالکين الواصلين هکذا فما ظَنُّک بسائر الأفراد فلا يقاس بهم اَحَد و الله اعلم بحقائق الامور.

▫ قوله عليه السلام: **وَ لهُم خَصائصَ حَقّ الْولايَةِ و فيهم الْوَصيَّةِ وَ الْوِراثَة،** اشار عليه السلام فی هذه الجملة الی خصائصهم الّتی لا توجد فی غيرهم و هی ثلاثة حقّ الولاية، خصائص الوصيّة، خصائص الوراثة، و نحن نَتَکلَم فيها حسب ما يقتضية المقام، امّا قوله عليه السلام: **وَ لَهُمْ خَصائصُ حَقَّ الْولايةِ:** فالبحث فيه يقع من جهات:

الأولی: فی کلمة الولاية وَ مأ خَذ اشتقاقها. قال فی المُنجد وَلی، يَلی، وَلايةً و وِلايةً الشّيئی قام به او ملک امره. و قال فی لسان العرب: الوَلی هو النّاصرو قيل المُتوّلی لأمور العالم و الخلائق و القائم بهاَ و هو من اسمائه تعالی، و من اسمائه عزّ و جل الوالی و هو مالک الاشياء جميعها المُتصرّف فيها.

و قال ابن الاثير و کان الولاية تشعربا لتَّدبيرو القُدرة و الفعل و ما لم يجتمع ذالک فيها لم يطلق عليه اسم الوالی و قيل الولاية الخطة کاالامارة المصدر، و قال ابن السکيت الوِلاية بالکسر السُّلطان وَالولاية، النُّصرة يقال هم علی ولايةٍ ای مُجتَمَعُون فی النُّصرة. و نقل عن سيبويه انّه قال وِلاية بکسر الواو اسمٌ، و بفتحها مَصدَرو المشهور انّه لا فرق فيهما بحسب المعنی کما قيل:

دَعـيهم فَـهُم اَلبُ عَـلَىّ ولايـة و حَفرهم ان يَعلَمو اذا كُ ذائبُ

وَ جاَ وَلىٰ بمعنى اَحَبَّ فى اللّغة كقوله عليه السلام: اللّهم وال من والاه، اى احَبِ من احَبَّه و المَولٰى مُشتقّ منه الاّ انّه يطلق تارةً على المَحبّة كما قلنا و تارةً بمعنى العَزل كما نقل الزهرى عن بعض العرب انّه قال:

والوُ حَواشى نَعِمكم عن جلّتها، اى اعزِلو اصِغارها عن كِبارها، و تارةً بمعنى التّميز و الأفتراق كما يقال و الينا هما فتوالَت اذا تميّزت قال الشاعر:

و كنّا خَليَطى فى الجمال فأصبَحَت جَمالى توالى وَلّها عن جمالكا

و لكـنّها كانت نُوىً اَجنَبيّةً تـوالِىَ ربَّعىَ السّقاب فأصبَحا

و جاء بمعنى آخر غير الثلاثء المذكورة قال الشاعر:

مَوالى حَلفٍ لامَوالى قرابةٍ و لكن قطينا يسأَلُون الأ تاويا

فلوكان عبدِ الله مولى هجُوتُه و لكنَّ عَبد الله مولىً مواليا

فلا تنتهى اَضغان قومى بَينهم وَ سوأَتَهُم حتى يَصَيرو امواليا

الثانية: انّ الولاية فى قوله عليه السلام **وَ لَهُمْ خَصائصُ حَقِّ الْوِلاٰيَةِ بايّ** معنى قال شارح المعتزلى فى شرح هذه الجملة والولاية الأِمرة فاَمّا الاماميّة اراد نصّ النبى عليه و على اولاده و نحن نقول لهم خصائص حقّ ولاية الرّسول على الخَلق.

اقول: ليس الأمر كما ذكره قال فى كتاب دُرّة النَجَفيّة فى شرح نهج البلاغة، و قوله عليه السلام **لَهُمْ خَصائصُ حَقِّ الْوِلاٰيَةِ** اشارة الى انّ ولاية امُور المسلمين و خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله لها خصائص هى موجوده فيهم، و هذا الحكم ظاهر الصدّق فانّ الخصائص المذكورة و ان وجد بعضها او كلّها فى غيرهم فعنهم اُخِذَ واَو اليهَم فيها انتُسِب انتهى. و قال المُحقّق البحرانى و شارح الخوئى ايضاً ما يقرب منه و هذا ظاهر لايحتاج الى تحقيقٍ و تفصيلٍ وامّا شارح المعتزلى فتفسيره مناسب بحاله و مطابق لمرامه و ليس هذا اوّل قاروةٍ كسُرتِ فى الأسلام و لَيتَ شعرى كيف يَسعَ له و لأمثاله هذه المقالات الفاسدة

والتأويلات الكاسدة و حمل الكلام على ما يُرضى صاحبه اَلَيس هذه التّعصُّبات مصيرها الى النّار لقد حَقَّت عليه كلمة العذاب ما له من جواب و سياتى فى بحث الأمامة انشاء الله تعالى مايَقصم ظَهَره و قداَ ورَد عليه الخوئى فى شرحه بما لامزيد عليه فراجعه.

و الحق انّ الولاية التّى اختَصَّت بهم هى الرّياسة الكليّة و السَلطَنَة الالَهيّة و فيه تَنبيهٌ على انّ لها خصائص و شروط لاتوجد فى غير آل محمدٍ فانّ اللاّم فى قوله لَهُم دالّة على الأختصاص و تقديم الخبر ايضا يفيد الحَصر و مُلَخّص الكلام هو انَّ منطوق الجملة يدّل على انحصار حَقَّ الولاية فيهم و مفهومها يدّل على عدم استحقاق غيرهم لها فنقول الأنسان الكامل امّانبىَ اَو وَلىٌّ ولكلٍّ من النُبوّة والولاية اعتباران: اعتبار الأطلاق و اعتبار التقّييد اى العَام و الخَاص فالنبُّوة المُطلقة هى النّبوة الحَقّيقية الحاصلة فى الأزل الباقية الىالأبَد و هواطلاع النّبى المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها و مهياتها و اعطاء كلّ ذى حقٍ حقه، الذّى يطلبه بلسان استعداده من حيث انّها الأنباء الذّاتى و التّعليم الحَقيقّى الأزلّى المُسمّى بالرُبُوبيّة العُظمى و السَلطَنة الكبرى و صاحب هذا المقام هو المَوسوم بالخليفَة الأعظم و قطب الأقطاب و الانسان الكبير و آدم الحقيقى المَعبّر عنه بالقَلَم الأ على و العَقل الاوّل و الرّوح الأعظَم و اليه الأشارة بقوله ﷺ اوّل ما خَلَق الله نُورى و كنتُ نَبيّاً و آدم بين الماء و الطّينِ و اليه استند كلّ العلوم و الأعمال و اليه ينتهى جميع المراتب و المقامات نبيّاً كان او وليّاً رسُولاً كان او وصيّاً و باطن هذه النّبوة هى الولاية المُطَلقة و هى عبارة عن حصول مجموع هذه الكلمات بحسب الباطن فى الأزل، و بقائها الى الأبَدو يرجع الى فناء العَبد فى الحقّ و بقائه به واليه الاشارة بقوله ﷺ انا و علىٌ من نُورٍ واحدٍ.

و خَلَق الله رُوحى وروُح علّى ابن ابيطالب قبل ان يخلق الخلق بالَفَى عام، و قوله ﷺ بُعِثَ علىٌ مع كلّ نبّيٍ سرّاً و مَعى جَهراً و قول علّيٍ كُنت وليّاً و آدم

بَين الماء و الطّين، و النّبوة المُقيدة هى الإخبار عن الحقائق الإلّهية اى معرفة ذات الحقّ و اسمائه و صفاته و احكامه فان ضَم معه تبليغ الأحكام و التّاديب بالأخلاق و التّعليم بالحكمة و القيام بالسّياسة فهى النّبوة التشرّيعية و يختّص بالرّسالة، و قس عليها الولاية المُقيّدة فكلٌ من النبوّة و الولاية من حيث هى صفة إلّهيّةٌ مُطلَقة و من حيث استنادها الى الأنبياء والاولياء مُقيّدة و المُقيّدُ مُتقوّمٌ بالمَطلَق و المَطلَق ظاهرٌ فى المُقيّد. فنبوّة الأنبياء كلّهم جزئيات النُبوّة المُطلقة و ولاية الأولياء جُزئيّات الولاية المُطلَقة و لِكلٍّ من الاقسام الأربعه خَتمٌ اى مَرتَبةٌ ليست فوقها مَرتبَة اخرى، و مقامٌ لأنبىٌ اعلى من ذالک المقام و لا وَلّى كذالک سَوى الشّخص المخصوص به بل الكلّ يكون راجعاً اليه و ان تاخّرَ وجودٌ طينَة صاحبِه فانّه بحقيقته موجود قبله و خاتم النّبوة المطلقة نبيّنا صلى الله عليه و آله و خاتم الولاية المطلقة اميرالمؤمنين علّى ابن ابيطالب و النّبوة المقيدة انّما كَمَلَت و بَلَغَت غايتها بالتّدريج فاصلها تَمَهّد بآدم و لَم تَزَل تَنمُو و تَكمُل حتّى بَلَغ كما لها الى نبيّنا صلى الله عليه و آله و لهذا كان خاتم النبيين و اليه الاشارة بقوله صلى الله عليه و آله مَثَل النُبوّة مَثَل دارٍ معمورةٍ لَم يَبقَ فيها الاّ موضوع لبنةٍ و كنتُ انا تلک اللّبنة.

و كذالک الولاية المُقيّدة انّما تدَرّجت الى الكمال حتّى بَلغَت غايتها الى المَهدى الموعود ظُهوره عليه السلام الذّى هو صاحب الأمر فى هذا العصر، و بقيّة الله اليوم فى بلاده و عباده صلوات الله عليه انتهى ما قاله بعض المُحققّين فى هذا المقام و قد ظَهَر لک انّ الولاية ليست كما زعَمَه ابن ابى الحَديد وأترابه بل الولاية كالنُبوّة صِفةٌ إلّهيّة فكيف يمكن لنا درک حقيقتها و الأ طلاع على كُهنها و نَذكُر حَديثاً رواه فى الأحتجاج عن ابى الحسن على بن موسى الرّضا عليه السلام تَيُمناً و تَبرُّكاً به، قال روى عن الحسن ابن على ابن قضال عن ابى الحسن على ابن موسى الرّضا انّه قال للأمام علامات: يكون اَعلَم النّاس و احكَمَ النّاس و اتقى الناس و اشجَع النّاس و اسخَى النّاس و اَعبَد النّاس و يُولَد مَختُوناً و يَكوُن مُطهّراً ويَرى مِن خَلِفه كما يَرى مِن بَين يَدَيه رافعاً صَوَته با لشّهادَتين

و لا يَحتَلِم و لايَنام عينُه و لايَنام قلبُه و يكون مُحدَّثاً و يَستوى عليه دِرع رَسولُ الله و لايُرىٰ له بَولٌ و لاغائط لانّ الله تعالى قد وكَلَّ الأرضِ بابتلاعِ ما يخرج منه و تكون رائِحته اطَيبَ من رائحةِ المِسک و يكون اَولى النّاس فيهم بأنفسهم و اَشفَق عَلَيهم من آبائهم و امّهاتهم، و يكون اَشدَّ النّاس تواضعاً لِلّهِ عزّ و جل و يكون آخَذَ النّاس بمايأمر به و اكَفَّ النّاس بما يَنهى و يكون دعائُه مُستجاباً حتّىانّه لو دَعىٰ على صَخرةٍ لأنشَّقَتَ بَنصفين و يكُون عِنده سَلاح رسول الله و سَيفه ذوالفقار و دِرعه ذوالفضول و تكون عنده صحيفةً فيها اسماء شيعته الى يوم القيمة، و صحيفةٌ فيها اسماءاعدائه الى يوم القيمة و يكون عنده الجامعة، و هى صحيفةٌ طولها سَبعون ذرعاً فيها جميع ما يحتاج اليه وُلد آدم، و يكون عنده الجَفر الأكبَر واالأصغَر و هُو اِهابُ كَبشٍ فيها جميع العلوم حتى اَرش الخَدش و حتّى الجَلَدة و نصف الجَلَدة، و ثلث الجَلَدة و يكون عنده مصحف فاطمة انتهى...)

اقول: و هذا الحديث الشّريف مُتضمّنٌ لكلّ ما يجب ان يكون للأمام و منه يظهر انّ الاِمامة منصب اِلَهىّ كالنّبوة و ليست كما يزعم بعض من لاخُبرة له و حيث انّا سَنتَكلّم فيها فى شرح الخطبة الآتيته المعروفة بالشِقشِقيّة انشا الله فلاجَرَم نختم الكلام هنا حَذراً من المَلال و خَوفاً من طول المقال.

▫ **قوله**عليه السلام: **وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوِراثَةُ**: اشارعليه السلام بها الى الخصلة الثّانية، و الثّالثة و هى الوصيّة والوراثة، امّا الوَصيّة فثابتة لهم و هى عبارة: عن استنابة المُوصىٰ له لِلموصِى بعد موته فى التّصرف فيما كان له التصّرف فيه من اخراج حقٍّ و استيفائه او ولايةٍ على طفلٍ او مَجْنون يملک الولاية عليه. والوراثة ايضاً ثابتة لهم بالكتاب و السنّة فانّ الزّهراعليها السلام بضعة الرسول و بنته بلا كلام فهى وارثه لما تَركَه صلى الله عليه وآله كسائر الأولاد بالنّسبة الى آبائهم و اُمّهاتهم كما سنذكره انشا الله تعالى.

فَغَرَضه من الوصيّة انّما هو الخَلافة الثابتة لهم بوصيّةٍ منه صلى الله عليه وآله بقوله مَن

كنتُ مولاه فهذا عَلیٌ مولاه و سائر النُصوص الآتية مفصّلاً و بالوراثة ماترکه ﷺ من امواله و مَتروکاتة تَرثها فاطمة ثم الحَسَن و الحُسَين و هکذا فمُحَصّل الکلام هو انّ مابقی من الرّسول و خَلَّف بعد موته من الأمارةعلی المُسلمين و غيرها مُتعلّق بأهل بيته ﷺ و امّا الشارح المعتزلی فقد تعَسَّف فی شرح الجملة السّالفة و قال امّا الوصيّة فلاريب عندنا انّ عليّاً کان وَصیّ رسول الله ﷺ و ان خالف فی ذالک من هو مَنسُوب عندنا الی العِناد، و لَسنا نعنی بالوَصيّة النَّص علی الخلافة و لکن اموراً اخری لَعَلّها اذا لَمحَت اَشرَف و اَجَلّ.

و امّا الوراثة فالأماميّة يحملونها علی ميراث المال و الخلافة و نحن نحملها علی وراثة العلم انتهی ما ذکره. و لقائل ان يقول ان کان المراد بالوصيّة غيرالنّص علی الخلافة ولکن امورا اخری فما هذه الأمور فان قال هذه الامور قضاءِ ديُون النّبی مثلاً فيقال له دُيون النّبی مُتَعلّقٌ ببيت المال و يجب علی الخليفة بعده اَدائها و لا ربط لها بعلّیٍ ﷺ بل يجب علی ابی بکر بناءً علی مذهبکم من کونه خليفة الرّسول و ان کانت الوصية بغير الدُّيون فلابدّ من بيانها حتّی نَعلَمها.

و امّا قوله: فی الوراثة و حَملُها علی وراثة العلم فهو ممّا يَضحَک به الثکلی فانّ الوراثة ظاهرة فی وراثة المال عقلاً و شَرعاً و لُغةً و حَقيقتاً. و اطلاقها علی وراثة العلم و سائر الصّفات مجاز يقيناً اذلا معنی لوراثة العلم و الحکمة و الشّجاعة و امثالها الاّ بضربٍ من التأويل و اذا دار الأمر بين الحقيقة و المجاز فالحقيقة خير منه هذا اوّلاً. و ثانياً علی فرض اطلاق الوراثة عليها حقيقتاً فهو احد اقسام الوراثة فاختصاص الوراثة بالوراثة العِلميّة فقط يحتاج الی مخصّصٍ او مقيّدٍ وَ انّی له باثبات ذالک و تفصيل الکلام موکول الی محّله و نذکر بعض الروايات الدّالة علی المقصود:

فمنها ماروواه فی البحار عن عبد الله ابن عباس: قال دخلت علی اميرالمومنين ﷺ فقلت يا ابا الحسن اَخبِرنی اوَصی اليک رسول الله ﷺ قال

سَأخبركم انّ الله اصطَفىٰ لكم الدّين و ارتَضاه و اتَمَّ نعمَته عَلَيكُم و كُنتُم احَقَّ بها و اهلها و انّ الله اوحىٰ الى نبيّه صلى الله عليه وآله اَن يُوصِيَ اِلَيّ فقال النّبى: يا علّى احفِظ وَصيّتى و ارفع زمامى و اَوفِ بعَهدى و انجِز عِداتى و اقِض دَينى و سُنّتى و ادُع الى مِلّتى انّ الله اَصطفانى واختارنى فذكرتُ دَعوة اَخى مُوسى فقلت: اللّهم اَجعَل لى وزيراً من أهلى كما جَعلت هرون من موسى فأوحىٰ الله عزّ و جل اِلَىَ انّ عليّاً وزيرَک و ناصِرک و الخليفة مِن بَعدک ثمّ ياعلى انت من ائمة الهدى و اولادک منک فانتِم قادة الهدى و التُّقى و الشَّجرَة التى انا اصلَها و انتم فَرعها فَمن تَمسَّک بها فقد نَجىٰ و مَن تخلّف عنها فقد هَلک و هَوىٰ اَنتُم الذّين اوجَبَ الله تعالى موَدَّتكم و ولايتكم و الّذين ذَكَرَهم الله فى كتابه و وَصفَهم لِعباده فقال عَزَّ من قائل انّ الله اصطَفى آدمَ ونُوحاً و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين ذريّةً بعضها من بعضٍ و الله سميع عليهم فانتم صَفوَة الله من آدم و نوح و آل ابراهيم و آل عمران، و انتم الأسوة من اسمائيل و العترة الطاهرة الهادية من محمّد صلى الله عليه وآله[1].

و منها ما عن تفسير مجاهد فى ﴿اَطيعُوا اللهَ وَ اَطيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2] قال نَزَلت فى امير المومنين حَين خلَّفه رسول الله بالمَدينة فقال: يارسول الله اَتخلفنى بَين النِّسا والصِبّيان؟ فقال يا علّى اما تَرضىٰ ان تكونَ منّى بمنزلة هرون مِن مُوسىٰ حينَ قال له اَخلِفنى فى قومى واَصلِح، فقال: بَلى و الله و اولُوالأمر منكم قال علّى ابن ابيطالب بعد محمّدٍ حَين خَلفَّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة فامر الله العباد بطاعته و ترک خلافه انتهى[3].

و عن الصادق عليه السلام: انّه قال: انّ ابراهيم خليل الرّحمن دَعا ربّه فقال ربّ اَجعَل هذا البلد آمناً و اجنُبنى وَ بنىّ ان نَعبد الأصنام، فنالت دَعوَته النّبى فاكرَمَه الله بالنُبوّة و نالت دعوته اميرالمومنين على ابن ابيطالب فاستَخَصّه

---

١. بحارالانوار، ج ٧، ص ٤٥.
٢. النساء / ٥٩.
٣. بحارالانوار، ج ٧، ص ٦٢.

الله تعالى بالإمامة و الوَصيّة انتهى[1].

و منها ما عن امير المومنين عليه السلام قال: قال لى رسول الله لما اُسرِى بى الى السّما ثمّ الى سِدرُ المُنتَهى وقَفتُ بينَ يَدَى ربّى عزّ و جل فقال لى يا محمّد، قلتُ لَبيّک ربّى و سَعدَيک، قال قد بَلوتَ خَلقى فايّهم وَجِدَتَ اَطوَع لک؟ قلتُ عليّاً قال صَدقَت يا مُحمّد فهل اختَرت لِنفسک خليفةً يُودّى عَنک، و يُعلّمِ عبادى من كِتابى ما لايَعلمون؟ قال صلى الله عليه و آله: قلت لا فاخُتَرَ لى فانّ خَيرتک خيرٌ لى قال لَقَدَ اختَرتُ لَک عليّاً فاتّخِذهُ لِنَفسِک خليفةً وَ وَصيّاً قد نحَلتُه عِلمى و حِلمى و هُو اميرَ المؤمنين عليه السلام حقّاً لم يَنلِها احدٌ قبلَه و ليَسَت لأحدٍ بعده يا مُحَمّد علىٌ رأية الهُدى و امام مَن اطاعَنى و نُور اَولياىٔ الخبر[2] و منها ما رواه فيه ايضا بسنده عن انس ابن مالک قال سئلت رسول الله عن تفسير قوله: و ربّک يخَلُق ما يشاء قال صلى الله عليه و آله: انّ الله خلق آدم من طينٍ كيفَ يشاء، ثم قال انّ الله تبارک و تعالى اختارنى و اهل بيتى على جميع الخلق فأنتَجبنا و جعَلَنى الرّسول و جَعَل علّى ابن ابيطالب عليه السلام الوّصى، ثم قال ما كانَ لهم الخَيرة يعنى ما جَعلتُ العبادان يختاروا، و لكنى اختار منِ اشاء فأنا و اهل بيتى صَفوة الله و خيرته من خلقه ثم قال سبحان الله عمّا يُشركون[3].

و منها مارواه فيهِ ايضاً قال رسول الله صلى الله عليه و آله انا سَيّدُ الوَصيّين و علىٌّ سَيّد النَّبيّين و إنّ اولياىٔ اثنىٰ عشَر اولهّم علىّ ابن ابيطالب، و آخرهم القائم عليه السلام[4]. و منها مارواه فيه ايضا قال رسول الله: الأئمّة بعدى اثنى عَشَر اوّلهم علّى ابن ابيطالب و آخرهم القائم هم خلفائى -و اوصيائى و اولياىٔ و حُجَج الله على اُمتّى بعدى المُقّربهِم مؤمِنٌ و المُنكر لهم كافر انتهى(١) و الرّوايات فى باب الأئمة الأثنى عَشَر و كونهم اوصياءالنّبى كثيرة، و فيما ذكرناه كفاية و قدكان فى صدر الاسلام فيما بين المسلمين و لا سيّما شعرائهم اطلاق

١. بحارالانوار، ج ٩، ص ١٠٩.
٢. بحارالانوار، ج ٩، ص ١١٣.
٣. بحارالانوار، ج ٩، ص ١١٥.
٤. بحارالانوار، ج ٩، ص ١٣١.

الوَصی علی امیرالمومنین شایعاً وکأنَّ موضوع وصایته کان مُسَلّماً فیهم ثم بعد رسول الله ﷺ حَدَث ما حَدَث حتی انّ الشّارح المعتزلی ایضا لَم ینکر ذالک بل اَقرَبَّه و اثبتَه و قال ما هذا لفظه: و مّما رَویناه من الشِّعر المَقوُل فی صَدر الاسلام المُتضَمّن کونه وصّی رسول الله ﷺ قول عبد الله ابن ابی سفیان ابن الحرث ابن عبدالمطلب:

وَ مِنّاعلّیٌ ذاکَ صاحبُ خَیبَر ... و صاحبُ بدرٍ یوم سالَت کتائبهُ
وَصّی النّبی المُصطفیٰ و ابن عَمهً ... فَمَن ذا یدانیهِ وَ مَن ذا یُقارِبُه

و قال عَبدالرّحمن ابن جُعَیل:

لَعَمری لقَد بآیعتُم ذاحَفیظةٍ ... عَلَی الدّین مَعروُف العَفاف مُوَفقاٰ
عَلیاً وَصّیُ المُصطفیٰ وابن عَمّهُ ... و اوّلَ مَن صَّلّی اخاالدّین والتُّقی

و قال فَضل ابن عباس:

و کان وَلّیُ الأمر بَعدِ مُحمّدٍ ... عَلّیٌ وَفی کلِّ المَواطِنِ صاحبُه
وَصّیُ رَسولُ الله حَقّاً و صِهره ... و اَوّلَ منَ صلیٰ و ماذَمّ جانبُه

و قال عتبة ابن ابی لَهَب مخاطباً لعایشة حین خالَفَت علیّاً ﷺ:

اَعایَشُ خَلیّ عَن علّیٍ وَ عَیبه ... بما لَیسَ فیه اِنّما انتَ والدة
وَصّیَ رسُول الله مِن دونِ اَهله ... فانتِ علیٰ ما کان من ذاک شاهدة

و قال ابو الثهیم ابن التیهان فی غزوة الجَمَل

قُل لِلزّبَیر و قُل لِطلحة اِنّنا ... نَحنُ الّذین شَعارنا الأنصار
نَحنُ الذّین رأت قُریش فِعلنا ... یَوم القَلیب اولئک الکُفّار
کُنّا شعار نَبیّنا وَ دِثاره ... لفدیه مِنّا الرّوح والأبصار
انّ الوَصّی اِمامنا وَ وَلیّنا ... بَرَح الخَفاء و باحَث الأسرار

وقال قاضی التّنوخی فی مَدحه ﷺ:

وزیر النّبی المُصطفیٰ وابن عَمّه ... و مُشبهة فی شَیمةٍ و ضرابٍ
وَ مَن قال فی یوم الغَدیر محمّد ... و قد خاف مِن غَدرالعُداة النّواصب

اما اِنّنی اوَلی بکم مِن نُفوسکم فقالوا بَلی رَبُ المُریب المَوارِب
فقال لهم مَن کنتُ مَولاه مِنکُم فهذا اَخی مَولاه بَعدی وَ صاحبی
اَطِیعوُه طُرّاً فَهَو منّی بمَنزل کهارُون من موُسی الکلیم المخاطب

و امثال ذالک مِن الأشعار الموجودة فی کتب السِیَّر وِ التواریخ کلّها تدّل علی انّ کلمة الوصّی فی صدر الأسلام کانت کثیراً ما یَطلق علیه ولولا نصٌّ من الله و رسُوله فی الوصایة لما تفَوَّهت الشُّعراء بها و هذا ظاهرو اذا ثبت الحکم بالنّسبة الیه، یثبت بالنّسبة الی سائر الأئمّة ایضا بالنّقل والعقل کما سنحقّقه فی محلّه ان شاء الله تعالی.

▫ **قوله**ﷺ: **الاٰنَ اِذْ رَجَعَ الْحَقُّ اِلیٰ اَهْلِهِ وَ نُقِلَ اِلیٰ مُنْتَقَلِهِ:** اعلم انّه علیه السلام بعد ما صار خلیفة ظاهرا قالﷺ الآن الی آخرْ و هذا یدّل علی انّ الخلافة قبله کانت فی غَیر اهلها کما اعتَرَف به ابن ابی الحدید ایضا، ثمّ قال ماهذا لفظه: ثم ذکرانّ الحقِ الآن رَجَع الی اهله و هذا یقتضی ان یکون فیما قبل فی غیرِ اهله و نحنِ نَتاوَل ذالک علی غیر ما تَذکره الأمامیّة و نقول انّهﷺ کان اَولی بالأمر واَحَقّ لا علی وجه النّص بل علی وجه الأفضّلیة فانّه افَضَل البَشَر بعد رسولﷺ واَحَقّ بالخلافة من جمیع المُسلمین لکنّه تَرکَ حقَّه لما عِلمَه من المَصلَحة و ما تَفَرّس فیه هو والمُسلِمون من اضطراب الأسلام و انتشار الکلمة لِحَسَد العرب و ضغنهم علیه و جائز لمن کان اَولی بشیئٍ فَتَرکه ثم استَرجعه ان یقول قد رَجَع الأمر الی اهله و انتقل الی مُنتَقله ففیه مضاف، محذوُف و تقدیره الی موضع مُنتَقله والمُنتَقل بفتح القاف مصدر بمعنی الانتقال کقولک لی فی هذه الأمر مُضطرب ای اضطراب انتهی...

▫ **اقول: بحثنا فی المقام یقع فی موضعین**

الاوّل: فیما قال ابن ابی الحدید فی شرح الجملة و التّاویل فیه. **الثانی:** فی معنی الجملة و انّ الحقّ فی کلامهﷺ ایُّ حقٍّ هو الخلافة او اَلأعم منها. امّا البحث فی المقام الاوّل فنقول ماذکره الشارح المعتزِلی مَردودٌ من وجوه:

الاوّل قوله انّه عليه السلام كان اوَلى بالأمر لا على وجهِ النّص فلَيسَ فى محّله فانّ النّص مَوجودٌ مُستَفيض ان لم يكن مُتواتراً من طرق الخّاصة والعّامة، **امّا الخاصة:** فمعلوم و **امّا العامة:** فنذكر بعض النُصّوص الواردة على اثبات امامته، و وصايته من الرّسول صلى الله عليه وآله اتماماً لِلحجّة على ابن ابى الحديد و امثاله. قال صاحب كتاب ينابيع المودة الشّيخ سُليمان الحَنَفى و هو من اعلام العّامة فى كتابه: عن البراء ابن عازب قال كنّا مع النبّى صلى الله عليه وآله و اخذ بيد علّيٍ و قال اَلسَتُم تَعلمونَ انّى اَولى بالمُؤمنين من اَنفسهم؟ قالوا: بلى. فَرفَع يَدَ علّيٍ و قال: من كنتُ مولاه،فعلىٌ مولاه اللّهم وال مَن والاه و عاداه، قال فلِقيه عُمر ابن الخطّاب بعد ذالک فقال يابن ابيطالب اصبحتَ مولاى، و مولاه كلّ مؤمنٍ و مؤمنةٍ اخَرَجه احمد فى مسنده و ايضاً اخرجه فى المناقب من حديث عمر و زاد وانصُر منَ نَصره وأحَبّ من اَحبَّه قال شَعيب ابَغِض منَ ابغَضَه، و عن زيد ابن ارقم قال استَنشَد علىٌّ فقال اُنشُدَ الله رجلاً سَمع النبّى صلى الله عليه وآله يقول فى غَدير خُم فليقم فقام ستّة عشر رجلاً فشَهِدوا اخرَجَه احمد فى مسنده. و فيه ايضا عن بريدة مرفوعاً قال صلى الله عليه وآله لكلّ نبّيٍ وصّىٌ و وارثٌ و انّ علياً وَصّيى و وارثى، اخرَجَه الحافظ فى مُعجَم الصّحابه. وعن انس مرفرعا انّ وصيّى و وارثى يقضَى دَينى و يَنجز موعَدى علّى ابن ابيطالب، اخرجه احمَد فى المناقب.

اقول: والرّوايات من طرق العامّة كثيرة و سنتقل بعضا منها فى بحث الأمامة ان شاء الله و ما ادَرى ما النّص و كيف يكون النّص على الأمامة اَلَيسَت اَلرّوايات الكَثيرة التى ذكرنا انمُوذجاً منها دالّة على وجود النّص على الأمامة عليه السلام فان كانت فما يقول ابن ابى الحديد و امثاله وان لم تكن فعليه وامثاله بيان النّص حتّى نعرفه و انَ يقول بانّ النصوص الواردة الموجودة فى كتبهم مَجعوُلة مَخدوُشة لا يمكن الأعتماد عليها فهو امر آخر، فثَبَت و ظهرانّ النّص موجود فبَطَل قوله انّه كان اوَلى بالأمر لا على وجّه النّص. وامّا قوله عليه السلام

بل على وجه الأفضّليته الى آخر ما قال الى قوله من جميع المسلمين، فلقائل ان يقول ان كان عليٌّ افضل البَشَر بعد رسول الله واَحَقّ بالخلافة من جميع المسلمين فَلِماذا تَصَّدى للخلافة غيره و لأىّ شيئى تقولون بصحّة خلافة غيره، مع انّه قَبيح عقلاً اذ مع كون الأفضَلَ و الاَحقّ بالخلافةلا وجه لِصحّة خلافة غيره لأستلزامه تقديم المَفضوُل على الفاضل الذّى يَحكُم بقبحه صريح العقل و الوجدان، واىّ مَصلَحةٍ فى ذالک؟ فَنَستكشف منه انّ العّامة فى صدر الأسلام لم يعتقدوا بافَضلّيته عليه السلام و قول ابن ابى الحديد بافضلّيته و الحكم بتقديم المفضول على الفاضل اقبح كما لا يخفى.

و امّا ما ذكره بقوله لكنه تَرَک حَقّه لِما عَلِمه من المَصلَحة و ما تفرَّس فيه هو والمسلمون الى قوله و ضغنهم عليه. ففيه امّا اوّلاً انّه لم يَعلَم معنى الأمام و الأمامة و تَصَّور انّ الامام الذّى يقول به الشّيعة كالأمام الذى هو وامثاله يقول به حيث انّهم يقولون بانّ كلّ من عَيّنَه النّاس او بعضَهم لِلأمامة فهو امام، و معلوم انّ هذا الأمام الذّى بتعيين الخلق صار اماماً. لا يلزم له التَصَّدى فمتى شاء ان يَستعفى من الأمامة امكن له الأستعفاء، و ان لَم يَشاء فلا، مثلا بعد بيعة الأفراد لا بى بكر و نَصبه للأمامة والرّياسة كان مختاراً فى قبولها وَعدَمه بدَواً والأستمرار عليها وعدمه له بعداً.

و امّا الأمامة على مذهب الشيعة حيث آنهامَنْصَبٌ اِلٰهّى، فلا يمكن للأمام تركها كما لايجوز لِلنّبى ترک النبّوة فكيف تَرَک عليه السلام حقّه و بعبارةٍ- اخرى: الأمامة ليست من الحقوُق الشّخصية التّى جازتركها، فكما ان الأمام يُنصَب مِن قَبْل الله تعالى و لا ربط للنّاس فى تعيينه فكذالک عزله ليس بِيَدِ النّاسِ او بيَده.

و **ثانياً**: اى مصلحةٍ كانت فى تركه حَقَّه فان كانت المَصلَحة حَسَد العَرب و ضغنهم عليه بسبب قتله اقاربهم كما هو الظاهر من كلامه ففيه اشكالات كثيره على الله تعالى و عليه عليه السلام . امّا الاشكال على الله فلاّن الله و رسوله امراه بقتل المشركين فان كان قتله ايّاهم بأمر الله و رسوله، و مع ذالک مَنَعه الله عن حقّه

فليس هذا الاّ افِكٌ افتَرى عَلى الله لانّه يلزم كونه ظالماً جائراً وايّ ظلم افحَشَ من اَمره بقتل المشركين ثم اَمره بِتَرک حَقِّه، و ان كان قَتله المشركين بغير اذنِ الله و رسوله بل بميله وارادته، فهذا لايليق بالأمام، لانّ الامام لايَفعَل شيئا بغير اذن الله و رسوله. و امّا ضغن المسلمين له فلايكون باعثاً لتركه عليه السلام حَقّه لانّه فَعَل ما فَعَل بأمر الله و رسوله فالمُسلمون لا بدّلهم من ضغنهم و حَسَدهم على الله والرّسول فانّ الرسول لَولَم يُبعَث لم يُقتَل عُتبَة وشَيبَة و امثالهما مضافا الى انّه لم يكُن احدٌ من المسلمين غير اصحاب السّقيفة معانداً له و سبب اجتماعهم فيها معلوم كماسياتى انشاء الله.

و ثالثاً: لو كانت المَصلَحة هى الباعثة على تركه حَقَّه فلاِيٍّ مَصلَحةٍ قَبِلَه بعدَ مُدَةٍّ، و قال الآن اِذ رَجَع الحّق الى آخره، مع انّ المسلمين الذيّنهم كانوا مُتصفينّ بها، كانوا موجودين نعم ابوبكر و عمر و من تبعهما لم يكونوا فى ذالک اليوم ولأجل هذه الدّقيقة رَجَع الحّق الى اهله فلعَل غرض الشارح من المسلمين و ضغنهم هو عِدةّ مَحدوُدَة، كعُمَر و ابى بكر وعثمان و عبدالرّحمن و امثالهم و هذا ممّا لا كلام فيه لنا بل هو استنباط حَسَن، و الاّ فَايّة مَصلَحةٍ اوجَبَت عليه ترك حقَّه بعد وفاة النّبى صلى الله عليه وآله و قبوله حقّه بعد قَتل عثمان مع انه قد عَلِمَ علماً قطّعياً بعد قتل عثمان بانّ الحكومة والأمارة فعلاً اصعَب له لأنّ المَسلمين فى تلك المُدّة من بَدو خلافة ابى‌بكر الى آخر خِلافة عثمان لم يكونوا على حالةٍ واحدة فانّ البِدَع المُحَدثة، فى الدِّين قد غيّرَت سيرتهم و طريقتهم بحيث لم يمكن له عليه السلام قَلعها و قَمعها و لم يمكن له عليه السلام ايضاً متابعتها ويدّلک على هذا معاوية و طلحة و زبير و امثالهم حيث انّه عليه السلام لَم يَقدر على عَزل معاوية بل على عزل شُرّيح الذّى نصبه عُمر لِلقضاء فكيف يمكن للعاقل ان يَتفَوه بانّه تَرَک حَقَّه فى صدر الاسلام و لم يَترُک بعد قتل عثمان و منه يظهر صدق قولنا انّ الأمام ليس له رَدّ الأمارة و الحكومة لانّها وظيفة شرعيّة اِلهيّة، و هذا هو السّرفى قبوله الخلافة بعد قتل عثمان و تفصيل الكلام يأتى فى محلّه

ان شاء الله تعالى.

هذا كلّه اذا كان الحق فى قوله عليه السلام بمعنى الخلافة كما عليه الشارحون و ظاهر الكلام ايضا يساعده. الموضع الثانى: فى شرح الجملة على مسلكنا والمراد بالحق: اعلم انّ كلمة الحق و ان كان ظاهرا فى حقّه عليه السلام اعنى الخلافة الاّ انّ حمله على الاعّم منها اَولٰى و اَحسَن و توضيح ذالک يستدعى رسم مقدمة فنقول:

كما انّ للوالى عَلَى الرَّعية حَقٌّ يجب عليهم مراعاته كما قال الله تبارک و تعالى: **﴿اَطيعُوا اللهَ وَ اَطيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[1]. كذالک لِلرعيّة على الوالى حق يجب عليه مراعاته و هو اجراء قانون العدل فيهم و اخَذ حَقّ المَظلوُم من الظّالم و نَهيهم عن الفحشاء والمنكرات و امرهم بالطاعّات والحَسَنات و بالجملة اعطاء كلّ ذى حقٍ حقَّه و لا ريب انّ ذالک لا يمكن الاّمن الوالى العادل الذّى نَصَبه الله و رسوله للأمامة والأمارة، و هذا لا يكون الاّ مَعصوُما منزّهاً عن الذُنّوب والمعاصى فكما انّ الرّعية، اذا خالفت الأمام او مَن نُصِبَ مِن قَبلِهِ كانت عاصية عند الله فكذالک الأمام والوالى اذانحَرَف عن طريق المستقيم و حَكَم فيهم بغير ما اَذِنَ الله به، و تابَع هَواه فهوُ مُعَذّبٌ مَطروُدٌ عند الله و رسوله لظُلمه على النّاس و تضييع حقوقهم وعدم قيامه بما امَرَ الله به فى الرّعيّة و هذا واضح اذا تمَهّدَت لک هذه المّقدمة.

فا علم انّ قوله عليه السلام **الآن اذ رَجع الحقّ الى اَهله**، يمكن ان يكون مشيراً الى انّ مطلق الحَقّ اى حَقّ الرّعية على الوالى قبل خلافته عليه السلام كان على ما لا ينبغى لعدم مراعات قوانين الشّريعة و سيرة النّبوية فى الولاية والْحكوُمة عليهم من عدم اِجراء الأحكام من الْحدود والدّيات والسّياسات وعدم اجراء المساواة بينهم فى حقوقهم الماليّة من بيت‌المال و ايجاد التّفاضل بينهم كترجيح العَرَب على العَجَم و ردّشهاداتهم فى المحاكم الشّرعية ومنعهم من اخَذ البنات من

---

١. النّساء / ٥٩.

العرب و جواز اخذ البنات منهم بالنسبّة الى الأعراب و تَقسيم بيت المال على طبق اميالهم و اهوائهم فى اقرَبائهم و مُحبّيهم و امثال ذالک من البِدَع المُحَدثة كما سُنشير الى طَرفٍ منها ولا شک انّ كلّ ذالک كان باعثاً و مؤجباً لتضييع حقوق النّاس، و عدم بلوغهم و وصُولهم الى حقوُقهم الأجتماعية و استَّمر هذا الى ان وصل الأمر اليه فانّه عليه السلام و ان لم يقدر على اضمحلال البِدَع كلّها الاّ انّه غَيَّر اكثرها وارجَعَها الى مَحلّها ولاَاقلّ من كونه بصَدَد اصلاحها فانّ الاعمال بالنّيات، و هذا اى مخالفته عليه السلام لسِيَرتهم و تغَييره رويّتهم قد اوجَبَ قتله عليه السلام فانّ الناس عَبيد الدّنيا فاذا مُحصِوّا بالبلاء قلّ الدّيانوُن.

ففى الحقيقة لم تكن الأعيان والأشراف كطَلحَة والزُّبير وعمروابن عاص و معاوية و سعد وقاصّ وعبد الله ابن عُمرابن الخطّاب و امثالهم موافقين لحكومته لأنّه عليه السلام لَم يوافق معَهم فى تقسيم بيت‌المال واعطاء الولاية كما وافَقَهم من كان قبله ولأجل هذا صاروا مخالفين له فنكَثَت طائفة و مرَقَت اخرى وقَسَط آخرون ولهذا السَبَبّ، ان قيل انّ حكومة علّيٍ كانت حكومة عَلَى الفُقَراء المَحرومين المَظلوُمين لا على الأغنياء فليس فيه كثير اشكال كما سنوضحه انشاء الله فى هذا الكتاب بعون الملک الوهّاب.

▫ **فقوله عليه السلام: اَلآن اذ رَجَع الحقّ الى اهله:** المقصود انّه قد مَضَت الحكومات الّتى لم يُعط فيهاكلّ ذى حقٍّ حقّه و لم تنتصَف للمظلوم على الظّالم ولا سيّما حكومة عثمان و وصَلَت النّوبة الى حكومةٍ يكون الظّالم فيها ضعيفاً و ان كان قوّياً والمَظلوم قَوّياً و ان كان ضَعيفاً ففى هذه الحكومة كلّ ذى حقٍ يأخذ حقّه سواء كان من الحُقوق الماليّة اولأالجتماعّية و فيه اشعار الى بطلان الخلافة والحُكومة بالنسبة الى الماضين لظُلمهم على المُسلمين وقال الله تعالى: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ**﴾[1].

---

١. البقرة / ١٢٤.

□ **ويؤيد هذا الأستظهار وجوه من الدلائل العقلية والشرعية**

الاوّل: انّه عليه السلام اَجَلّ شأناً و ارفَع درجةً و اعظَم منزلةً و قَدراً ان يكون متأسّفاً و مُتأثراً على ما فات من حقوُقه الشّخصية الدُنيَوية و هو قد طَلّقَ الدّنيا ثلاثاً فلاجَرم كان تأسّفُه عليه السلام على الدِّين والمُسلمين لا على نفس الحكومة والأمارة فشكاياته من ابناء زمانه فى كلّ مَوردٍ لابدّ من ان تحُمَل على هذا المعنى لانّه كان حافظا لحقوُق النّاس بل قَدَّم حقوقهم على حقه الشّخصى، فصّح قوله الآن اذ رَجَع الى آخره.

الثانى: انّ الامام المَنصوُب من قَبِل الله تعالى وظيفته ارشاد الخلق و هدايتهم الى الصّراط السَوّى و ليس له علاقة بالدّنيا و زخارفها و حكومتها بالذّات الاّ ان يكون الدّنيا وما يتَعلّق بها وسيلة الى الآخرة فقبوله الحكومة ليس اِلاّ لأجلِ اقامة العَدل واطفاء الباطل لالنفع شخّصيٍ مِن اِعمال الشَّهَوات النّفسانية و غيرها كما هو غَرَض سائر الافراد من الحكُومة على النّاس فعلى هذا راحة الامام فى راحة النّاس وتأثّره فى تأثّرهم و بعد مضّى الزمان السابّق وما وقَعَ فيه من الظّلم والعُدوان و رجوع الحكومة اليه، الباعث لسوقهم الى حَسَنات الأعمال و مَنعهم و رَدعهم عن قبائحها و سَيآتّها صحّ ان يقال الان اذ رَجع الحقّ الى آخره.

الثّالث: ان كان المراد بالحقّ الخلافة من جيث انّها حقٌّ شخصّىٌ له عليه السلام فينبغى ان يقال: اذ رجَعَ حقّى اِلَىّ، لاِنّه اَولى تبأدية المُراد و بيان المقصود و لم يقل بذالك عليه السلام لِلأشعار بانّ الحَقّ اعَّم من الخلافة و انّ فى حكومته يرجع اليهم ماماتَ، منهم من حقوقهم الشّرعية والأجتماعيّة.

الرّابع: انّ الخلافة الحقيقية كالنُبّوة ليست من الأمور الشّخصية بمعنى انّها قد وَردت مدار ارادة الشّخص و اختياره بل الحقّ انّها من الأمور الأجتماعية العّامة و ذالك لانّهما وُجدِتا بقاعدة اللُّطف ولُطفه عمَيم فكذالك اثَره فكما انّ اللطّف منه تعالى لايختص بأُمّةٍ دون اُمّةٍ و ملّةٍ بل عامٌ لكلّ المخلوُقات و

لذالک یلزم له تعالی ارسال الرُّسل و اِنزال الکتُب و جَعَل الأحکام والشّرایع لئلاّ یقع الناس فی الضّلالة والحَیرة فکذالک لا یجوز لِلّرسُول او مَن قامَ مقامَه منع اللُّطف عن بعضٍ بعدم تبلیغ الأحکام لبعض دوُن بعضٍ و عدم اجراء العدل والتّساوی بینهم بل یجب علی الرّسول الذّی هو خلیفة الله و علی الأمام الذّی هو خلیفة الرّسول اجراء العدالة و قانون المساوات و تبلیغ الحکّام و ارشاد النّاس و بالجملة کلّ ما هو مأمور من جانب الله بتبلیغه و ترویجه الی کافة النّاس بلا امتیاز بینهم و لهذا قلنا انّ النبوّة والأمامة لیستا من الأمور الشّخصیة بل هما من الطاف الآلهیّة الشاملة الجامعة الکاملة لعموم النّاس ولذا لا یجوز لِلرّسُول، و الأمام الأستعفاء عن مقامهما او تفویضهما الی غیرهما کما قلنا سابقاً فعلی هذا التحقیق قولهؑ الآن اذ رَجَع الحَقّ الی اهله، اشارة الی بَسط یَدهؑ لأِجراء الاحکام والعدالة وألأمر بالمعرُوف والنّهی عن المنکر و هذا کلّه یرجع نفعه الی عامّة المسلمین لا الی شَخصه فصّح قوله: الآن الخ.

الخامس: کلّمة الرجوع تستعمل فیما اذا کان الشیئی رَجَع الی المَحلّ الذّی تَرَکه اوّلاً الاتَری انّه یقال لمن خَرَج عن داره ثم دخَل ثانیاً من حیث ذهب رَجَع فلان الی داره فان لم یَخرُج منها و دخَلَ فیها لا یقال رجَع بل یقال دخَل، ففی مفهوم الرّجوع أُخِذَ العَود من المُنتهی الی المَبداء الذّی کان فیه و لهذا یقال لِلرّجعة، رَجَعة، لانّ الانسان یَرجع الی الدّنیا التّی کان فیها.

▫ **فقولهؑ: الآن اذ رَجَع الحقّ** الی آخره اشارة الی انّ الحقّ الذّی تجاوز و عَدَل عن مَبدئه الأصلی و صار الی ما صار رَجَع الی مَبدئه الأصلی و هو سُنّة الرّسولﷺ فیما بَین النّاس و لمّا کان المسلمون فی زَمَن الرّسوُل ذاقوُا طَعَم العَدلِ والاِحسان و اعانة المظلوم و سایر الأعمال و السِیَّر ثمّ غاب عنهم الحقّ فی مدّةٍ مَدیدةٍ الی ان وصَلَت النّوبة الیهؑ فقالؑ رَجَع الحقّ الی مَبدئه‌ای رجَعَت السُّنة الی سُنة الرّسول لا الی سُنّة الشّیخَین و لمّا کانت السّنة فی حیاة الرسول جاریة بینهم بالسویّة فکذالک فی حکومته. و لم تکن لحکومتهؑ

سابقة ثمّ زوالها، ثمّ وجودها ثانياً حتّى يقال رجَع الحَقّ الى اهله والذّى له حالة سابقة هو الحَقّ والعدالة فى حياة الرّسول لا خلافة علىعليه السلام ...

و ملخّص الكلام هو انّ الحقّ فى قولهعليه السلام لو حمل على مطلق الحقّ اولى و انسَب من حمله على الخلافة فقط و ان كانت الخلافة لهعليه السلام مساوقة لوجُود الحقّ وعدمها لعدَمه الاّ انّ العبارة لا دليل على التّقييد فيها ولا سيّما على مَسلك الحقّ من انّ منع الأمام عن اجراء العدالة والمعروف هو بعينه الظّلم على كافّة المكلّفين فغَصب الخلافة ضَرره يتوجّه على الأسلام والمُسلمين لا على الأمام فقط. وبهذه ظَهَرلک معنى قولهعليه السلام و نُقِل الى مُنتَقله فانّ هذه العبارة بعينها قوله الآن اذ رجَع الحقّ الى اهله من حيث المعنى الاّ ان يقال بانّ الفرق بين العبارتين ان العبارة الأولى اشارة الى رجوع الحقّ الى اهله والعبارة الثّانية اشارة الى انتقال الخلافة الى مركزها الأصلى ولاجل هذا عَبّرعليه السلام عنه بقوله: ونقل و لم يقل رُجع لما ذكرناه من انّ الرّجوع لا يصدق اذا لم يكن للشّيىء حالة سابقة بخلاف الانتقال فصّح ان يقال نُقل الى منتقله و الله اعم بحقائق الأمور...

هذا خلاصة ما اردنا ايراده فى المقام و نعم ما قيل...

ما كنت احَسَبُ انّ الامر مُنصَرفُ عن هاشم ثمّ منها عن ابى حَسَن
الَيسَ اوّلَ من صَلّى لِقبلتِكُم و اعرَفَ النّاس با الأحكام والسُّنَن

اقول - ختامه مسک و فى ذلک فليتنافس المتنافسون، هذا آخر الكلام فى المجلد الاول من كتاب مفتاح السعادة فى شرح نهج البلاغه و يتلوه المجلد الثانى اوّله خطبة الشقّشقية و الحمد للّه رب العالمين و صلّى اللّه على محمدٍ و آله طاهرين.

■

الفهرست

خطبة الكتاب ۵

و من خطبة له عليه السلام (۱) ۹

قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لاٰ یَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ،**الی** وَ لاٰ اَجَلٌ مَّمْدُودٌ،متن ۹

اللّغة ۹

الشرح ۱۰

قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لاٰ یَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ۱۰

قوله عليه السلام: وَ لاٰیُحْصِی نَعْمَائَهُ الْعَادُّونَ: ۱۷

قوله عليه السلام: وَ لاٰیُؤَدِّی حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، ۱۸

قوله عليه السلام: اَلَّذِی لاٰ یُدْرِکُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ،وَ لاٰ یَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ۱۹

قوله عليه السلام: اَلَّذِی لَیْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَّحْدُودٌ وَ لاٰ نَعْتٌ مَّوْجُودٌ، و..... ۲۲

قوله عليه السلام: فَطَرَ الْخَلاٰئِقَ بِقُدْرَتِهِ، **الی** بِالصُّخُوْرِ مَیَدَانَ اَرْضِهِ متن ۳۴

اللّغة ۳۴

قوله عليه السلام: فَطَرَ الْخَلاٰئِقَ بِقُدْرَتِهِ ۳۵

قوله عليه السلام: وَ نَشَرَ الرِّیَاحَ بِرَحْمَتِهِ ۳۶

قوله عليه السلام: وَ وَتَّدَ بِالصُّخُوْرِ مَیَدَانَ اَرْضِهِ ۳۸

قوله عليه السلام: اَوَّلُ الدِّینِ مَعْرِفَتِهِ، وَ کَمَالُ مَعْرِفَتِهِ **الی** اَنَّهُ غَیْرُ الصِّفَةِ،متن... ۴۹

اللّغة ۴۹

المعنی ۵۰

الشَرح..... ٥٢
قوله عليه السلام: وَ كَمالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ..... ٧٣
قوله عليه السلام: وَ كَمالُ التَّصدْيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ- و..... ٧٧
قوله عليه السلام: وَ كَمالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصُ لَهُ..... ٨٨
قوله عليه السلام: وَ كَمالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفاتِ عِنْهُ، ٩٠
قوله عليه السلام: لِشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، و..... ٩٩
قوله عليه السلام: فَمَنْ وَّصَفَ اللهُ سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ،الى فَقَدْ أَخلَىٰ مِنْهُ متن.. ١٠١

قوله عليه السلام: كائِنٌ لاٰعَنْ حَدَثٍ، مَوْجوُدٌ لاٰعَنْالى ،يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ متن. ١٠٢
اللّغة..... ١٠٢
قوله عليه السلام: كائِنٌ لاٰعَنْ حَدَثٍ، مَوْجوُدٌ لاٰعَنْ عَدَمٍ ١٠٣
قوله عليه السلام: مَوْجوُدٌ لاٰ عَنْ عَدَمٍو..... ١٠٥
قوله عليه السلام: مَعَ كُلِ شَيئٍ لاٰ بِمُقارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيئٍ و..... ١٠٦
قوله عليه السلام: فاعِلٌ لاٰبِمَعْنى الْحَرِكاتِ وَالْآلَةِ: الحَرَكةو..... ١٠٧
قوله عليه السلام: بعده إِذْ لاٰمَنظُورَ اِلَيْهِ و..... ١١١
قوله عليه السلام: مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاٰسَكَنَ يَسْتَأنِسُ بِهِ، وَلاٰ يَسْتَوْحِشُ و..... ١١٣

قوله عليه السلام: أَنْشَاءَ الْخَلْقَ إِنْشاءً، وَابْتَدَئَهُ الى عارِفاً بِقَرائِنِها وَأَحْنائِهامتن ١١٦
اللّغة..... ١١٦
المعنى..... ١١٦
قوله عليه السلام: أَنْشَاءَ الْخَلْقَ إِنْشاءً، وَابْتَدَئَهُ ابْتِداءً ١١٦
قوله عليه السلام: بلاٰ رَوِيَّةٍ أَجالَها، وَلاٰ تَجْرِبَةٍ اسْتَفادَها، و..... ١١٩
قوله عليه السلام: أَجالَ الْأَشْياءَ لِأَوقاتِها، وَلَأَئَمْ بَيْنَ مُخْتَلِفاتِها، و..... ١٢٠

قوله عليه السلام: ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحانَهُ فَتْقَ الْأَجْواءِ،الى مِنْ فَوْقِها دَفِيقٌ ـ متن.... ١٢٢
اللّغة ١٢٢
الشرح ١٢٣
قوله عليه السلام: ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحانَهُ فَتْقَ الْأَجْواءِ، وَشَقَّ الْأَرْجاء، و..... ١٢٣

قوله عليه السلام: ثُمَّ أَنْشَاءَ سُبْحانَهُ رِيحاً اِعْتَقَمَ مَهَبَّها،الى وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ متن . ١٢٥
اللّغة ١٢٥
الشّرح ١٢٦
قوله عليه السلام: ثُمَّ اَنْشَأَ سُبْحانَهُ و..... ١٢٦

قوله عليه السلام: فَسَوّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمٰواتٍ جَعَلَ الى وَ رَقِيمِ مائِرٍ،متن ١٢٧
اللّغة ١٢٧
الشرح ١٢٧
قوله عليه السلام: جَعَلَ سَفْلاٰهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاًو..... ١٢٧
قوله عليه السلام: وَ عُلْياهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً ١٢٧
قوله عليه السلام: وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُها، و..... ١٢٨
قوله عليه السلام: ثُمَّ زَيَّنَها بِزِينَةِ الْكَواكِبِ، و..... ١٢٨

قوله عليه السلام: ثُمَّ فَتَقَ السَّمٰواتِ الْعُلىٰ، فَمَلَاَهُنَّ الى اِلَيْهِ بِالنَّظائِرِ متن.... ١٢٨
اللّغة ١٢٨
الشّرح ١٢٩
قوله عليه السلام: ثُمَّ فَتَقَ السَّمٰواتِ الْعُلىٰ، فَمَلَاَهُنَّ اَطْواراً مِن الْمَلاٰئِكَةِو.....
قوله عليه السلام: وَ صافُّونَ لايَتَزايَلُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ. ١٣٠
قوله عليه السلام: لا يَغْشاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَ لا سَهْوُ الْعُقُولِ، و..... ١٣٠

قوله عليه السلام: وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلٰى و..... ١٣٠
قوله عليه السلام: اَنشَاءَ الْخَلْقَ اَنشَاءَ وَابْتَدئِهِ و..... ١٤١
قوله عليه السلام: ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمٰوٰاتِ الْعُلٰى و..... ١٤٧

«ومن هذه خطبةٍ له عليه السلام فى صِفة خلق آدم عليه السلام»..... ١٥٠
قوله عليه السلام: ثُمَّ جَمَعَ سُبْحٰانَهُ مَنْ حَزْنِ **الى** والمسائة و السّرور متن ... ١٥٠
اللّغة..... ١٥١
الشّرح..... ١٥١
قوله عليه السلام: ثُمَّ جَمَعَ سُبْحٰانَهُ و..... ١٥١
قوله عليه السلام: ذٰا اَذْهٰانٍ يُجِيلُهٰاو..... ١٦٢
قوله عليه السلام: وَمَعْرِفَةٍ يَّفْرُقُ بِهٰا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبٰاطِلِ..... ١٦٣
قوله عليه السلام: وَالْاَجْنٰاسِ مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْاَلْوٰانِ و..... ١٦٦
قوله عليه السلام: وَالْاَضْدٰادِ الْمُتَعٰادِيَةِ و..... ١٦٧

قوله عليه السلام: وَاَسْتَأدَى اللهُ سُبْحٰانَهُ الْمَلاٰئِكَةَ **الى** الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ..... ١٦٨
اللّغة..... ١٦٨
المعنى..... ١٦٩
الشرح..... ١٦٩
قوله عليه السلام: وَاَسْتَأدَى اللهُ سُبْحٰانَهُ الْمَلاٰئِكَةَ و..... ١٦٩
قوله عليه السلام: اِسْتِحْقٰاقاً لِّلْسُّخْطَةِ،..... ١٨٠
قوله عليه السلام: وَاسْتِتْمٰاماً لِّلْبَلِيَّةِ..... ١٨١

قوله عليه السلام: ثُمَّ اَسْكَنَ سُبْحٰانَهُ اٰدَمَ دٰاراً اَرْغَدَ فِيهٰا**الى** وَتَنٰاسُلِ الذُّرِّيَةِ. .. ١٨٢
اللّغة..... ١٨٢

المعنى ١٨٣
الشرح ١٨٣
قوله عليه السلام: ثُمَّ اَسْكَنَ سُبْحانَهُ اٰدَمَ دٰاراً اَرْغَدَ فِيها عَيشَتَهُ ،و..... ١٨٣
قوله عليه السلام: فَاغْتَرَّهُ عَدُّوهُ نَفاسَةً عَلَيْهِ بِدٰارِ الْمَقامِ وَمُرٰافَقَةِ و..... ١٨٨
قوله عليه السلام: فَبٰاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ و..... ١٩١
قوله عليه السلام: ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ١٩٥

قوله عليه السلام: وَاصْطَفٰى سُبْحانَهُ مِنْ وُلْدِهِ اَنبِياءَ الى،وَخَلَقَتِ الْاَبْناءُ..... ٢٢١
اللّغة ٢٢١
المعنى ٢٢١
الشّرح ٢٢٢
قوله عليه السلام: وَ عَلٰى تَبْلِيغِ الرِّسالَةِ اَمانَتَهُمْ..... ٢٤٩
قوله عليه السلام: وَاتَّخَذُوا الْاَنْدادَ مَعَهُ،..... ٢٥١
قوله عليه السلام: فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَواتَرَ اِلَيْهِمْ اَنْبِيائَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ و..... ٢٥٣
قوله عليه السلام: وَواتَرَ اَلَيْهِمْ اَنْبِيائَهُ و..... ٢٦٣
قوله عليه السلام: لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثاقَ فِطْرَتِهِ،..... ٢٦٦
قوله عليه السلام: وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ٢٦٧
قوله عليه السلام: وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ..... ٢٦٧
قوله عليه السلام: وَيُثيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ الْعُقُولِ،..... ٢٦٨
قوله عليه السلام: وَيُرُوهُمُ الْآياتِ الْمُقَدَّرَةِ :مِن سَقْفٍ و..... ٢٦٨
قوله عليه السلام: مِن سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ و..... ٢٧٣
قوله عليه السلام: وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحانَهُ خَلْقَهُ مِن نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، و..... ٢٧٤
قوله عليه السلام: (وشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا و..... ٢٧٤
قوله عليه السلام: رُسُلٌ لاٰتُقَصِّرُ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاٰ كَثْرَةُ و..... ٢٧٩

قوله عليه السلام: عَلىٰ ذٰالِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورِ و..... ٢٨٢

قوله عليه السلام: اِلىٰ اَن بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله **الى** بِمَكٰانِهِ مِنَ الْجَهٰالَةِ متن ... ٢٨٢
اللّغة ٢٨٢
المعنى ٢٨٢
قوله عليه السلام: الى اَن بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٨
قوله عليه السلام: لِاِنْجٰازِ عِدَتِهِ، وَاِتْمٰامَ نُبُوَّتِهِ،و..... ٣٠٢
قوله عليه السلام: مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيّينَ مِيثٰاقُهُ ٣٠٢
قوله عليه السلام: مَشْهُورَةً سَمٰاتُهُو..... ..... ٣٠٢
قوله عليه السلام: كَرِيماً مِيلاٰدُهُ: ٣١٥
قوله عليه السلام: وَأَهْلُ الْاَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَاَهْوٰاءٌ مُنْتَشِرَةٌ ،و..... ... ٣٢٨
قوله عليه السلام: وَرَضِيَ لَهُ مٰا عِنْدَهُ ٣٦٥
قوله عليه السلام: وَاَكْرَمَهُ عَنْ دٰارَ الدُّنْيٰا ،وَرَغِبَ بِهِ عَن و..... ٣٦٥

قوله عليه السلام: وخَلَّفَ فِيكُمْ مٰا خَلَّفَتِ الْاَنْبِيٰاءُ **الى** فِي اَقْصٰاهُ متن..... ٣٧٦
اللّغة ٣٧٦
المعنى ٣٧٧
الشرح ٣٧٨
قوله عليه السلام: وخَلَّفَ فِيكُمْ مٰا خَلَّفَتِ الْاَنْبِيٰاءُ فِي اُمَمِهٰا ،و..... ٣٧٨
قوله عليه السلام: وَفَرٰائِضَهُ وَفَضٰائِلَهُو..... ..... ٣٨٠
قوله عليه السلام: وَرُخَصَهُ وَعَزٰائِمَه ٣٨٢٠
قوله عليه السلام: وَعِبَرَهُ وَاَمْثٰالَهُ ٣٨٣
قوله عليه السلام: مُفَسِّراً مُجمَله، وَمُبَيِّناً غَوٰامِضَهُ ٣٨٤
قوله عليه السلام: وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتٰابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ :... ٣٨٥

قوله عليه السلام: وَبَيْنَ واجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ٣٨٦
قوله عليه السلام: وَمُبايِنٍ بَيْنَ مَحارِمِهِ: مِن كَبِيرٍ اَوْ عَدَ عَلَيْهِ و..... ٣٨٧
قوله عليه السلام: وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي اَدْناهُ وَمُوَسَّعٍ فِي اَقْصاهُ..... ٣٨٩

قوله عليه السلام: وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحرام،الى عَنِ الْعالَمِينَ..... ٣٩٢
اللغّة..... ٣٩٢
المعنى..... ٣٩٣
الشرح..... ٣٩٣
قوله عليه السلام: وقدفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِالْحَرام..... ٣٩٤
قوله عليه السلام: يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعام وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُ..... ٣٩٨
قوله عليه السلام: جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً لِتَواضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ و..... ٣٩٨
قوله عليه السلام: وَاَخْتارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً أَجابُوا اِلَيْهِ دَعْوَتَهُ و..... ٣٩٩
قوله عليه السلام: يُحْرِزُونَ الِارْباحَ فِي مَتْجَرِ عِبادَتِهِ و..... ٤٠٠

قوله عليه السلام: أَحْمَدُهُ اسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، وَ اسْتِسلامًا الى وَ مَدْحَرَةُ الشَّيْطانِ ٤٢٤
اللّغة..... ٤٢٤
المعنى..... ٤٢٥
الشرح..... ٤٢٥

و من خطبة له عليه السلام (٢) ٤٢٤
قوله عليه السلام: أَحْمَدُهُ اسْتِتماماً لِنعِمَتِهِ..... ٤٢٥
قوله عليه السلام: وَ اسْتِسْلاماً لِعِزَّتِهِ..... ٤٢٥
قوله عليه السلام: وَ اسْتِعْصاماً من معْصيتِهِ..... ٤٢٥
قوله عليه السلام: انَّه لا يَضِلّ مَنْ هَداهُ وَ لا يَئِلُ مَنْ عادَهُ..... ٤٢٧

قوله عليه السلام: وَ لاٰ يَفْتَقِرُ مَن كَفٰاهُ..... ۴۲۸
قوله عليه السلام: نَتَمَسَّكُ بِهٰا أَبَدٰمٰا أَبْقانٰا وَ نَدَّخُرهاٰ لِاهٰاوِيلِ مٰا يلقَانٰا..... ۴۳۰
قوله عليه السلام: فَاءِنَّهٰا عَزِيمَةُ الِاحْسٰانِ وَ مَدْحَرَةُ الشَيْطٰانِ..... ۴۳۱

قوله عليه السلام: وَ أَشْهَدُاَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُوُلهُ،الى ، وَّ جٰاهِلهُهٰا مُكَّرمٌ.. ۴۳۳
اللّغة..... ۴۳۳
اَلمعنٰى..... ۴۳۴
الشّرح..... ۴۳۵
قوله عليه السلام: وَ اشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدا عَبْدَهُ وَ رَسوُلُهُو..... ۴۳۵
قوله عليه السلام: وَ ٱلكِتٰابِ ٱلمَسْطُور، وَ النُّورِ السّاطِعِ و..... ۴۳۶
قوله عليه السلام: اِزاٰحَةً لَلشُّبُهٰاتِ: وَ احتِجٰاجاً بِٱلْبَيِّنٰاتِ، و..... ۴۳۷
قوله عليه السلام: وَ النّٰاسُ فِى فِتَنٍ اِنْجَذَمَ فِيهٰا حَبلُ الدِيِّن..... ۴۳۸
قوله عليه السلام: وَ تَزَعْزَعَتْ سَوٰارِى الْيَقينَ..... ۴۳۹
قوله عليه السلام: عُصِىَ الرَّحمنُ وَ نُصِرَ الشَّيطانُ وَ خُذِلَ الأيمانُ..... ۴۴۱
قوله عليه السلام: فَانهارَت دَعائمهُ و تَنكَّرت مَعالِمُهُ، و..... ۴۴۱
قوله عليه السلام: اَطاعُوا الشَّيطانَ فَسَلَكُوا مَسالِكهُ، و..... ۴۴۲
قوله عليه السلام: بِهِم سارَت اعلامُهُ، و قامَ لِوائُهُو..... ۴۴۲
قوله عليه السلام: فَهُم فِيها تائِهونَ حائِرُونَ جاهِلُونَ و..... ۴۴۳

قوله عليه السلام: هُم مَوضِعُ سِرِّه وَ لَجا اَمْره وَ عَيْبَتَهُالى وَاَذْهَبَ اِرْتِعادَ فَرائَصِهِمتن
..... ۴۴۶
اللّغة..... ۴۴۶
المعنى..... ۴۴۶
الشرح..... ۴۴۷

قوله عليه السلام: هُمْ مُوضِعُ سِرّه..... ۴۴۷

قوله عليه السلام: زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَ سَقَوْهَا الْغُرُورَ، الى نُقِلَ إِلٰى مُنتَقَلِهِمتن... ۴۶۶
اللغّة..... ۴۶۶
المعنى..... ۴۶۶
الشرح..... ۴۶۷
قوله عليه السلام: زَرَعُو الْفُجُور..... ۴۶۷
قوله عليه السلام: لاٰ يُقٰاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ۶ مِنْ هٰذِهِ الْاُمَّةِ اَحَدٌ..... ۴۶۸
قوله عليه السلام: وَلاٰ يُسوّىٰ بِهِم مَن جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ اَبَداً..... ۴۷۷
قوله عليه السلام: وَ لهُم خَصٰائِصَ حَقّ الْوِلاٰيَةِ و..... ۴۸۳
قوله عليه السلام: وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوِراثَةُ: اشار۷ بها الى الخصلة الثّانية، و.. ۴۸۷
قوله عليه السلام: الاٰنَ اِذْ رَجَعَ الْحَقُّ اِلىٰ اَهْلِهِ وَ نُقِلَ و..... ۴۹۲

مكتبة الروضة الحسينية
الرقم ١٠٧٥٢٢
التاريخ ٨/٩٧/١١
ق.